

ديـــوان

الشعر العربي فـي تشـاد

جمع وتقديم

د. محمد فوزي مصطفى

الكـويـت

2013



التدقيق الطباعي

عدنـــان بلبـل الجـابـر

محمود إبراهيم البجالي

الصـف والتنـفيـذ

قسـم الانتاج في الأمانة العامـة للمؤسسة

إخراج وتصميـم الغلاف : **محمـد العـلي**



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 فاكس: 22455039 (965+)

E-mail kw@albabtainprize.org

تصديـــر

ديوان الشعر العربي في تشاد هو كتاب جمع قصائده الدكتور محمد فوزي مصطفى عندما كان يعمل أستاذًا في إحدى الجامعات التشادية، وشعراء تشاد أعدادهم كثر، ولا يقتصر العدد بالتأكيد على الشعراء الذين اشتمل عليهم هذا الكتاب، فهذا البلد من الناحية الجغرافية والتاريخية هو امتداد لمحيطه العربي الزاخر بالشعراء وإبداعاتهم.. وهو جهد يشكر عليه الدكتور محمد، إذ إن معرفتنا بشعراء تشاد، ونتيجة لظروف كثيرة، تعدّ هذه المعرفة قليلة جدًّا، مقارنة بما نعرفه عن شعراء المنطقة ذاتها إنّ في موريتانيا أو المغرب أو الجزائر أو ليبيا وغيرها من بلدان المنطقة.. فبالتأكيد لن تقلّ تشاد عن هذه البلدان في إنجاب الشعراء والأدباء.. ولكن لم يجدوا من يأخذ بأيديهم ويبرز أسماءهم وأعمالهم.

وبالاطلاع على تراجم هؤلاء الشعراء الذي ضمهم الكتاب بين دفتيه، نجد أنهم كغيرهم من الشعراء العرب، كانت لهم الاهتمامات السياسية والاجتماعية والإنسانية نفسها، ونجد كذلك قوة في هذه القصائد من حيث اللغة الراقية والتعبير الصادق وحرصهم عل انتقاء ألفاظهم ومعانيهم مما يجذب من يطلع على هذه القصائد إلى متابعة قراءتها والاستمتاع بموضوعاتها وبما فيها من معانٍ وألفاظ جميلة..

ونجد أيضًا من ناحية أخرى، التباين الجلي في أساليبها فمنها ما هو أقرب إلى النثر ولغة الخواطر منه إلى الشعر، ومنها سليم الوزن ومنها مختله، ولست

هنا معنيًّا أو في وارد التقييم النقدي لهذا الشعر، فنقده إيجابًا أو سلبًا ليس هذا مجاله.. ولكن المؤسسة عندما وافقت على طباعة هذا الكتاب فإنما تتغيّا من وراء ذلك إطلاع القراء على المجمل العام للخريطة الشعرية في تشاد والتعريف بتراجم عدد من شعرائها الذين ظهروا في فترات زمنية متباينة، وبهذا تكون المؤسسة عملت على إثراء حركة الشعر وعملت كذلك على تشجيع التواصل بين الشعراء والمهتمين بالشعر العربي ووثقت الروابط من خلال إصدار هذه المطبوعات والكتب..

فهذا الكتاب يقع ضمن الإصدارات الخاصة التي درجت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على طباعتها بالرغم من أن هذه الكتب لا علاقة لها بإبداعات الشعراء الذين تختارهم المؤسسة أعلامًا على دوراتها الرئيسة أو ملتقياتها الشعرية المختلفة.

وأخيرًا.. يسرنا أن نقدم هذا الكتاب لأحبائنا الشعراء والأدباء ومتذوقي الشعر في دولة تشاد الصديقة، وإلى قراء الشعر العربي ومتذوقيه في سائر أقطار الوطن العربي على ضفاف جناحيه الشرقي والغربي..

ونأمل أن نكون قد قدمنا بهذا العمل ما يفيد الناس ويمتعهم ويطلعهم على جزء يسير من الموروث الشعري في تشاد.

والله ولـــي التوفيــق

عبدالعزيز سعود البابطين

٢ من ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ

١٢ مــن فبرايـــر ٢٠١٣م

****



إهداء وشكر

إلى الأخلاء والأصدقاء والزملاء في تشاد، فمهما طال العهد وبعدت المسافات وأخذتنا الأيام فإن حُبّي لكم ما زال موصولاً بحبكم الجم لي، وهذه الدراسة وغيرها من دراسات سابقة من باب الوفاء لأجمل سنوات قضيتها معكم في الجامعة..

مع جزيل الشكر والتقدير للأديب الشاعر الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين، فلولا أياديه البيضاء ما خرج هذا العمل للنور.

أخوكم

د. محمد فوزي مصطفى

جامعة قناة السويس – كلية التربية بالعريش

السادس من أكتوبر ٢٠١١

****







مدخل

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا كتاب في ديوان الشعر العربي في تشاد، أُقدِّمه لكل قارئ وباحث بعد جهد استغرق سنوات ... ومن حُسن الطالع أن تسهم مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري - كما عهدناها دائمًا - بكل إمكانياتها المباركة في إخراج هذا العمل البكر في نوعه ليرى النور بعد قناعة تامة مني ومنها أن ديوان الشعر الإفريقي يستحق الرصد والدراسة؛ لأنه بِكرٌ وثَرٌّ.

والأمانة العلمية تقتضي القول إنه قد عقدت عدة مؤتمرات دولية[1] في تشاد عن اللغة العربية وآدابها، وقد شرفت بالمشاركة البحثية في كثير منها داخل تشاد وخارجها. لكن هذه الدراسة تنفرد بأنها لجمع ما تبعثر من نتاج الناظمين والشعراء، ووضعه بين دفتي كتاب بمنهجية دقيقة، تُشجعُ كل باحث وقارئ ومهتم بالأدب الإفريقي العربي أن يُقدم إضافة تضاف إلى إسهامات المبدعين.



---

(١) أهم المؤتمرات التي عقدت في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤، وشارك فيها المؤلف:
- المؤتمر الدولي الأول (اللغة العربية .. الواقع والمأمول) في جامعة الملك فيصل بتشاد، أكتوبر ٢٠٠٠م.
- المؤتمر الدولي بالجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر (من أجل أدب إسلامي فاعل ومتفاعل) في أبريل ٢٠٠٢م.
- المؤتمر الدولي بجامعة الملك فيصل بتشاد (عالمية الأدب الإسلامي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.
- المؤتمر الدولي بجامعة أنجمينا بتشاد (الدراسات اللسانية لدول الصحراء والساحل الأفريقي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.

وقد وجدت أمورًا كثيرة أخذتني نحو هذا الموضوع «ديوان الشعر التشادي العربي» والغوص في أنهار المخطوطات والقصائد المتناثرة، كان من أهمها أن جمهورية تشاد يتمتع سكانها بنعمة الإسلام منذ قديم الزمان. إذ يعتنق أكثر من خمسة وثمانين في المائة ٨٥٪ من سكانها الإسلام، منذ أن أشرق فيها نور الإسلام سنة ٤٦هـ، واستتبع ذلك تعلم اللغة العربية، فانتشرت حتى صارت اللغة الأولى في دستور البلاد مع اللغة الفرنسية.

فأفرز الإسلام بتعاليمه السمحة كثيرًا من العلماء والشعراء وقادة الفكر مشكاة الأمة وصُنَّاع الحضارة، ولمست هذا كله عن قرب خلال مدة إعارتي[1]. وخاصة أن الشعر التشادي ثرٌّ بموضوعاته وتشكيلاته الجمالية وتنوع مدارسه الفنية، واتجاهاته الفكرية، من أجل ذلك كله – ومن باب الوفاء للغة العربية وحماتها وكل مبدع تشادي – تَوجَّهت بكل حب فياض نحو هذا النتاج المطمور – فهو ثروة إبداعية لكل ناطق بالضاد – لجمعه ورصده وتأصيله، ولم يتم الرصد له اليوم فحسب بل منذ أن كنت أعيش معهم، ومن يومها بدأت رحلتي العلمية في التأصيل والتأليف والمشاركة البحثية في الشعر التشادي الغائب كثيرًا عن ساحتنا البحثية العربية.

وأزعم أن هذا الكتاب سوف ينقل الشعر التشادي من الضيق إلى السعة أو قل المحلية والإقليمية إلى العالمية، وفي هذا تأصيل وتشريف للحضارة العربية في قارة ثَرَّة اغتصبها المحتل وسقاها من مستنقع الفقر والجهل والمرض.

على أية حال فإن الدراسة تقوم على رصد الإبداع الشعري التشادي، إضافة إلى المنظومات، والتي تعد بداية موغلة في التاريخ لرحلة الشعر التشادي. واستطعت – بتوفيق الله – أن أرصد مخطوطات ومطبوعات وأوراقًا مبعثرة أتى على جُلِّها غوائل الزمن، لثلاثة عشر ما بين شاعر وناظم.

---

(١) أُعير الباحث من الأزهر الشريف للعمل في التدريس ونشر الثقافة الإسلامية في جامعتي أنجمينا بكلية الآداب وجامعة الملك فيصل بالدراسات العليا في كلية اللغة العربية في الفترة من سنة ٢٠٠٠ حتى سنة ٢٠٠٤م وهي فترة ثرة بالمؤلفات والأبحاث العلمية من أهمها كتاب الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.

وحاولت – بكل ما أملك – أن أصل إلى نتاجهم من عدة طرق أهمها: أواصر الصداقة القوية التي حظيت بها، أو من أماكن أكاديمية موثوقة[1]، أو عن طريق المراسلات. واستطعت أن أرصد أشعارًا تشادية من شتى المدارس الشعرية، ولم أهمل نتاج شاعر، مهما كانت قيمته الفنية لقناعتي التامة أن قضاة النص والدارسين سوف يأتي دورهم النقدي، وأن مهمتي الآن تتمثل في الرصد، والتعريف بالشعراء، وتوضيح ما استغلق من ألفاظ ومصطلحات تشادية وإفريقية، وذكر المناسبات التاريخية وغيرها، ثم الإشارة إلى الموسيقى الشعرية.

وارتأى الباحث تقديم الدراسة بمنهجية تاريخية، ترتكز على سبق ميلاد الشاعر؛ لكي يتسنى للقارئ والباحث – على حد سواء – السير في هذا الدرب الجديد، ومعه خارطة شعرية، فيتعرف على كل فترة زمنية وما فيها من سمات فنية وموضوعية. وله الحق بعد ذلك بين الالتزام بمنهجنا أثناء دراسته، أو أن ينحو نحو مناهج علمية أخرى كلاسيكية أو حداثية، يُقسِّم الشعراء من خلالها أو حسب رؤيته النقدية.



لذلك أخذت بالنسق التاريخي؛ لقناعتي التامة أنه سوف يعطي صورة كاملة ومحايدة للشاعر وشعره أو قل لخط سير الشعر التشادي. أما المناهج الأخرى، فقد تتسرب فيها الذاتية، وتقديم شاعر على آخر دون قصد أو بقصد، فتقع منهجية البحث في إشكالية خطيرة.

---

(١) تم رصد ديوان الشعر التشادي من عدة مصادر وثيقة أهمها:

١- الشعراء أنفسهم إذ جمعتني بهم صداقة قوية.

٢- النادي الأدبي بأنجمينا.

٣- مكتبة جامعة أنجمينا «المعهد الوطني».

٤- مكتبة جامعة الملك فيصل «مركز المخطوطات».

٥- مكتبة القصر الجمهوري.

٦- طلاب المتريز في الجامعتين.

٧- مراسلات بين المؤلف والشعراء.

وسوف تسير الدراسة بعد هذا المدخل نحو تمهيد موجز من باب إتمام الفائدة، يعطي للقارئ والدارس – على حد سواء – إطلالة موجزة عن الحياة التشادية وتاريخ الشعر فيها، ثم تنتقل الدراسة إلى الشعراء ونتاجهم وهم كما ذكرت آنفًا أربعة عشر شاعرًا وناظمًا وكل مبدع حظي بسيرة ذاتية وردت في هامش يقع في نهاية النتاج الشعري لكل شاعر.

ومهما يكن من شيء، فإنني آمل أن تكون دراستي قد استوفت المادة المرصودة؛ لتعم الفائدة.

وأتفق مع مقولة الإمام الشافعي رضي الله عنه: «إذا رأيتم الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهدوا له بالصحة».

ولذلك أسأل الله تعالى أن يكون الكتاب كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بتوفيق الله أولاً، ثم بالرعاية الطيبة المباركة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الكويتية ورئيس مجلس إدارتها الأديب الشاعر الذي لا يألو جهدًا في تقديم يد العون لمثل هذه الأعمال، وأن تكون رعايتهم هذه بداية للرصد والبحث والتأصيل لآداب قارة أفريقيا، التي نسيناها كثيرًا في الماضي، وحقها علينا أن نذكرها اليوم وغدًا.

ومازال باب البحث مفتوحًا فطوبى للداخلين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د.محمد فوزي مصطفى

****



تمهيد: «جمهورية تشاد»

أولًا: إطلالة موجزة

يطيب لي في هذا التمهيد أن أقدم بين يدي القارئ صورة مصغرة لجمهورية تشاد، والتي اتسم ديوان الشعر فيها بثراء المضمون وجمال التشكيل. ومرد ذلك إلى تضافر عدة حيوات ساهمت في إفراز كوكبة من الشعراء ذوي الاتجاهات الفنية المتعددة.

ومن ثم رأيت من البدهي أن أقدم نبذة موجزة عن كل حياة؛ لتكون الرؤية واضحة؛ ولتتكامل منظومة ديوان الشعر التشادي العربي، وفي الوقت نفسه يمكن للباحث إصدار الأحكام النقدية بكل دقة علمية، بعد اختياره لأي شاعر، أو ملمح فني.

تقع جمهورية تشاد بين الشمال العربي والجنوب الزنجي في القارة الإفريقية، مما جعلها تتميز بنشاط واسع، وبحياة مزدهرة مع غيرها من الدول المجاورة، وخاصة الدول الإسلامية، فهي تمثل – إلى حد كبير – البوابة الشرقية لوسط وجنوب أفريقيا، إضافة إلى خصوبة أرضها، التي جذبت كثيرًا من الأجناس المختلفة فامتزج بعضها ببعض كالعرب والزنوج والنوبيين واليمنيين.

«وتمتد منطقة تشاد بين درجتي خط العرض ٨ °و٢٣ ° شمالاً، وبين درجتي خط الطول ٤ °و٢٤ °شرقًا. تحيط بها السودان في الشرق، وليبيا في الشمال، والنيجر ونيجيريا والكاميرون في الغرب، وأوبانجي في الجنوب.

وتبلغ مساحتها ١،٢٨٤،٠٠٠ كم٢، وتختلف فيها الفصول اختلافًا بينًا، وهي تتقلب بين رطبة ممطرة إلى معتدلة، فحارة منعشة إلى حارة مفرطة في الصيف.

وتوجد فيها ثلاثة فصول فقط تتراوح حرارتها تبعًا لدرجات البعد عن خط الاستواء... الخريف، الشتاء، والصيف»[1].

وساعدت الحركة التجارية، وكثرة الهجرات، والموقع الجغرافي على قيام أبرز وأهم ثلاث ممالك تشادية «مملكة كانم، ومملكة باقرمي، ومملكة ودَّاي».

وذكر المؤرخون أن مملكة كانم تنقسم إلى عصرين «العصر الكانمي، ويمتد من قيام المملكة شرقي بحيرة تشاد عام ٨٠٠ م إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي... والعصر البرناوي ويبدأ من انتقال الأسرة الكانمية إلى غرب بحيرة تشاد إثر الاضطرابات والحروب الأهلية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي إلى نهايتها في غمرة الاستعمار الأوروبي الحديث»[2].

وسرعان ما تدهورت هذه المملكة؛ بسبب ضعف الخلفاء، والتدخل الأجنبي والفتنة الداخلية. فعندما توالت الأحداث على مملكة (كانم برنو)، وأصابها الوهن والفتنة معًا، ظهر الشيخ «عثمان دان فوديو» في عام ١٨٠٤م بحركته الإصلاحية «ونتيجة لذلك تولى الشيخ محمد الأمين الكانمي الحكم وفي عام ١٨٩٣م غزا (رابح غازي) مملكة كانم برنو وبعدها قُسِّمت أول تقسيم استعماري بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا، وبذلك تلاشت بعد عمر دام حوالي ١٢ قرنًا من الأمن»[3].

ومما يثير الدهشة أن هذه المملكة/ كانم على الرغم من توالي المصائب والنكبات عليها، إلا أنها ظلت محافظة على الطابع الديني، ومن استخدام اللغة العربية محادثة وكتابة «وكان ملوكها يفضلون الحج إلى الأماكن المقدسة عن طريق القاهرة، وكانت لهم علاقة وطيدة بالحفصيين في تونس والليبيين في طرابلس والمصريين في القاهرة، وكذلك بملوك مالي وكانوا يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم والشريعة الإسلامية في محاكمهم وكان الحكم شورى بينهم، ولكن الإمارة وراثية»[4].

---

(١) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت. ص١٢.

(٢) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنوإسلامية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص٤٣.

(٣) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ص١٦.

(٤) د.أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.نهضة مصر، ١٩٩٠م، ص٢٩٣.





ومن الممالك التشادية التي دخلها الإسلام منذ ستة قرون مملكة «باقرمي» ودخلها الإسلام في أواخر القرن الخامس عشر، وكانت تعيش في رغد وسعة من

العيش «وقد أصبحت لها حياة اقتصادية منعشة نظرًا لغنائها بالمنتجات الزراعية والثروات الطبيعية غير أنها أصيبت بالتدهور والانحطاط بسبب حروبها مع مملكة وداي من جهة، ومملكة كانم برنو من جهة أخرى... حتى اضطرت إلى طلب الحماية الفرنسية في أكتوبر ١٨٩٧م»[١].

أما عن مملكة «وداي» المعروفة الآن باسم «أبشة»، «فيبدأ تاريخ مملكة وداي الحديث من عام ١٦١٥م ومرَّ على هذه المملكة مراحل عديدة من الصراع منذ عهد «عبد الكريم بن جامع» وقد لعبت مملكة وداي دورًا كبيرًا في نشر الإسلام، وتطور اللغة العربية والثقافة الإسلامية خاصة، وفي تشاد عامة، وذلك يرجع لعدة عوامل تمتاز بها عن غيرها من الممالك التشادية الأخرى. ومن هذه العوامل: موقعها المتاخم للسودان، ومصر، وليبيا، وإن الحكام فيها كانوا من عناصر عربية يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم الرسمية، والشريعة الإسلامية في محاكمهم المحلية، وكان لها اتصال وثيق بالباب العالي في إسطنبول عن طريق القاهرة»[٢].

وعن الحياة الاقتصادية في تشاد أزعم أن معرفة الوضع الاقتصادي في أمة من الأمم، يعطي صورة جلية للحالة السيكولوجية للشعراء، وخاصة ونحن نعلم أن جُلَّهم في كل وادٍ يهيمون، وعلى أبواب ذوي الأموال يقفون «كان التشاديون يهتمون كثيرًا بالرعي، والزراعة، والتجارة، والحرف اليدوية، والصيد البري والنهري، ولم يسلم التوسع في النشاط التجاري من الانغماس في تجارة الرقيق. وكان سلاطين كانم، وباقرمي، ووداي، والأقاليم الإسلامية الأخرى ينزلون عند بعض هؤلاء التجار

---

(١) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص١٧.

(٢) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا ص٧٣ نقلاً عن كتاب: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال. عبد الرحمن الماحي ص٣٠.

المصريين في أثناء مرورهم بالقاهرة، وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة، لأداء فريضة الحج، إذ كانت الغالبية العظمى من حجاج غرب ووسط أفريقيا يمرون عن طريق مصر.

ويرتبط النظام الاقتصادي التشادي بالعادات والتقاليد الشائعة في المجتمع كاحتفالات الزواج والولادة والختان، والأعياد الدينية، وكذلك بالسحر والعرافة والوقاية من العين والحسد، والحياة الاقتصادية كلها في تشاد تتوقف على ما يجود به المطر[١].

وتتشكل التركيبة الاجتماعية للمجتمع التشادي من مزيج من القبائل المتعددة، والشعوب المختلفة، وكل شريحة من هذه الشرائح له تقاليده وسلوكياته، إلا أن رباط الدين يربطهم برباط قيم، ومعه اللغة العربية. وخاصة بين المسلمين وذكرت - آنفًا - أن تشاد قامت فيها ثلاث ممالك، وهذا يدل على وجود نسيج اجتماعي واحد «وكانت منطقة تشاد تضم مجموعة كبيرة من الشعوب والقبائل، وهذه القبائل والشعوب تختلف وتتباين أشد ما يكون الاختلاف والتباين لغة ودينًا وعادات وتقاليد، ويقدر عددها بحوالي (١٥٠) قبيلة تتحدث (١٠٠) لهجة محلية. ومن بين هذه القبائل نجد العنصر الزنجي، والعنصر الحامي، والعنصر السامي، وعناصر لا تزال تثير لغزًا يستعصي حله»[٢].

والإسلام منذ دخوله تشاد، في القرن الحادي عشر الميلادي، ظهر أثره بصورة جلية في مظاهر الحياة الاجتماعية. فالإسلام في تشاد، يستمد رواقه من القرآن والسنة والإجماع والقياس على مذهب الإمام «مالك بن أنس» بالإضافة إلى قانون فرنسي، فرض نفسه بالقوة في عام ١٩٤٦م، لكن هذا القانون لم يلق اهتمامًا من المجتمع التشادي المحافظ «وينتشر كل من الإسلام والمسيحية والوثنية في تشاد، ويوجد ٨٥٪ من مجموع السكان يدينون بالإسلام و١٠٪ يدينون بالمسيحية، و٥٪ من الوثنيين. ويعتبر

---

(١) د.عبد الرحمن الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص٤١.

(٢) المصدر السابق ص٧١.

الدين الإسلامي في تشاد حجر الزاوية في كل أنواع النشاط السياسي والاقتصادي، وفي كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية كالزواج والطلاق والميراث والتربية والأخلاق»[١].

وتتميز تشاد بتوفر مجموعة من المعاهد الدينية الأزهرية: كمعهد (أبشة) العلمي، ومعهد الأبرار بمدينة (سار)، ومعهد السلام الأزهري بـ (أنجمينا)، وتوج ذلك كله بافتتاح قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة أنجمينا وافتتاح جامعة الملك فيصل، بالإضافة إلى آلاف من الخلوات «الكتاتيب» القرآنية، ونضيف إلى ذلك دور رجال الطرق الصوفية، من: قادرية، وتيجانية، وسنوسية...

ثانيًا: تاريخ الشعر التشادي

ترجع جذور الشعر التشادي إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري إذ ظهر الشعر في هذا الزمان على يد الشاعر «إبراهيم الكانمي» الملقب بالشاعر الأسود المتوفى في سنة ثمانٍ أو تسعٍ وستمائة وله أشعار قليلة تصطبغ بالإسلام، ومن ذلك قوله عند الموت[٢]:



أفـي المـوتِ شـكٌ يـا أخـي وهـو بـرهـانُ
فـفـيـم هـجـوع الـخـلـق والمـوت يـقـظـانُ
أتـسـلـو سـلـو الـطـيـر تـلـقـطُ حـبَّـهـا
وفـي الأرض أشـراكٌ وفـي الجـو عقبانُ

وقوله في الإشارة إلى نيل المعالي بحسن الأخلاق، وتقوى الله، بغض النظر عن اللون والعرق[٣]:

بـكـل لـون يـنـال الحـرُّ سـؤدده
مـهـمـا تجـرَّد مـن أخـلاق الـسـوء

(١) السابق ص٧٤.

(٢) د.محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٥م، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق ص٣٠.

والـــنـــاس كـلـفـظ الـعـــود مـشـتـرك

لـكـن يـرجـح بـين الـعـود والـعـود

ويعد «الكانمي» البداية الحقيقية لتاريخ الشعر التشادي، لكنها انقطعت ولم يستمر عطاؤها، ولم نعرف شيئًا عن نتاجها الشعري الحقيقي، فسوف تظل علامة استفهام أمام هذه البداية الغائمة.

وما أن نصل إلى منتصف القرن الثامن عشر، إلا ويظهر في سماء الشعر الشيخ (محمد الوالي سليمان). وورد عنه ترجمة وجيزة، وبعض منظوماته القليلة كقوله[1]:

أوصـيـكُـمُ يـا مـعـشـر الإخـوانِ

عـلـيـكـمُ بـطـاعـةِ الـرَّحـمـنِ

إيّـاكـمُ أن تـهـمـلـوا أوقـاتـكـم

فـتـنـدمـوا يـومًـا عـلـى مـا فـاتـكـم

وإنـمـا غـنـيـمـةُ الإنـسـانِ

شـبـابـهُ والخُـسْـرُ فـي الـتَّـوان

ثم تأتي فترة زمنية ثرة بالعطاء الفني، ويمكن تسميتها بفترة «اليقظة» وهذه الفترة تبدأ تقريبًا من أواخر القرن الثامن عشر من سنة ١٨٥٠م وهي فترة تأسيس مدينة «أبشة»، واستمر عطاء شعراء هذه الفترة بشكل متواصل، إلى أن وقعت مأساة الكبكب سنة ١٩١٧م، وبعدها خمدت جذور الشعر كرد فعل طبعي مؤقت.

ومن أبرز شعراء هذه الفترة رائد البعث والإحياء في الشعر التشادي «عبد الحق السنوسي»، وجلة من الشعراء كالطاهر التلبي، والرماسي بن يعقوب.

وعلى الرغم من غزارة النتاج الشعري لهذه الفترة/ اليقظة إلا أنه يغلب عليها طابع المنظومات التعليمية، وضعف التشكيل الفني، واهتزاز العمود الشعري مع غلبة

(١) محمد بيلو: إنفاق الميسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ١٩٩٦م، ص٥١.

الكمية الفكرية على الكمية الوجدانية، ومرد ذلك إلى أن أكثر شعراء هذه الفترة من العلماء والفقهاء، وهذا أمر طبعي.

وثمة فترة تاريخية أخرى للشعر التشادي، يمكن أن نسميها «الرقي والازدهار»، وتبدأ بعد حادثة الكبكب سنة ١٩١٧م إلى يومنا هذا.

والمراد بالرقي، هو ارتقاء الشعر، إذ ظهر الشعراء الذين عبَّروا عن آلام أمتهم وآمالها، والعروج بها إلى سماء الشعر الأصيل.

وأعني بالازدهار، رقي الشعر التشادي من حيث البناء الفني، ثم ازدهاره وانتشاره، ليس في موطنه التشادي فحسب، بل في خارج حدوده، وخاصة في المؤتمرات الدولية. ومرد ذلك إلى بزوغ نجم كوكبة من الشعراء المحدثين، وقد تم رصد وتأصيل نتاجهم في دراستنا هذه، وهم ثمانية شعراء ويسبقهم زمنيًّا ستة شعراء، وهم جميعًا أربعة عشر شاعرًا على النحو الآتي حسب تاريخ ميلاد الشاعر:

١- الطاهر التلبي ١٨٢٤م.

٢- عبد الحق السنوسي ١٨٥٣م.

٣- عبد الله يونس المجيري ١٩١١م.

٤- محمد جرمة خاطر ١٩٣٠م.

٥- حسين إبراهيم أبو الدهب ١٩٤٣م.

٦- عباس محمد عبد الواحد ١٩٤٤م.

٧- عيسى عبد الله ١٩٤٨م.

٨- عبد القادر محمد أبه ١٩٦٥م.

٩- عبد الواحد حسن السنوسي ١٩٦٧م،

١٠- محمد عمر الفال ١٩٦٨م.



١١- أحمد عبد الرحمن إسماعيل ١٩٧٣م.

١٢- حسب الله مهدي فضلة ١٩٧٤م.

١٣- صبورة أرمياؤ محمد ١٩٨٠م.

إن هؤلاء الشعراء وغيرهم من بني وطنهم، حملوا راية الشعر التشادي فكانوا إضافة متميزة لديوان الشعر العربي، كما كانوا - من قبل- منارة لديوان الشعر التشادي، وسوف يستمر العطاء الإبداعي، وإن غاب عن الدراسة شعراء لم تتعرف عليهم الدراسة، فأزعم أنه في الغد سوف نستكمل ديوان الشعر التشادي؛ ليخرج وقد استوفى كل الشعراء التشاديين.

وعلى الله قصد السبيل ومنه التوفيق

****

الشعراء






الطاهر التلبي[1]

(١)

[الوافر]

رجـــوتُـــكَ يـــا حـــبـيـبَ الـــلـــه طه
تـــدارَكْـــنِـــي أحـــــاطَ بـــيَ الـــبـلاءُ

بـفـضـلـكَ عـمَّـنـا والخـلـق طـرًّا
وأسـعـدهـم وأشـرفـهـم عـلاء

فـفـضـلـك يـا أمـيـنَ الـلـه فـضـلٌ
دوامًـا لا يـلـيـقُ بـه انـتـهـاء

وجـودك يـا أمـيـنَ الـلـه جـودٌ
كَـوابـلِ لا يمـاثـلـه عـطـاء

ووجـهـكَ يـا مـلـيـحَ الخـد شـمـسٌ
تـشـعـشـعُ نـورهـا وقـت الـضـحـاء

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عيسى الملقب ابن التلبي (١٨٢٤ - ١٨٩٢)، ولد في قرية مراية والقريبة من أم التيجان بجمهورية تشاد، وكان والده من أبرز علماء عصره، واشتهر بالفقه والورع. وحفظ القرآن الكريم في طفولته بدارفور في السودان. ثم انتقل إلى اليمن، والتقى بالشيخ أحمد بن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية، فتبحر في علم التصوف. ثم عاد مرة أخرى إلى السودان والتقى في دارفور بالشيخ محمد المختار الشريف الشنقيطي شيخ الطريقة التيجانية في دارفور، ثم عاد إلى وطنه تشاد، وأسس الطريقة التيجانية. فحياة الشيخ مليئة بالترحال والاعتكاف مع شيوخ الصوفية، لذلك فإن جُلَّ نتاجه الشعري كان في المديح النبوي وذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ومدح الطريقة الصوفية خاصة شيخ الطريقة التيجانية «أحمد التيجاني» ثم باب التوسل والاستغاثة. وترك الشيخ منظومات مبعثرة وتم طباعتها بالآلة الكاتبة بعناية حفيده الحاج محمد قمر السليك، من رجال التعليم في تشاد.
لقاء تم بيني وبين حفيد الشيخ الأستاذ محمد قمر السليل في أنجمينا بحي مرجان، دفن في ٢٠٠٢/٢/٢٥م.

ولــونــك يـــا جـلـيـلَ الــقــدر أزهـــرْ

كـــبـــدرٍ لا يـــشـــابـــهـــه ضـــيـــاء

جـمـالـك يـــا شـفـيـعَ الـخـلـق فـــاقَ[1]

جـــمـــال الـــكـــل لا فـــيـــه خـــفـــاء

نــشــأت مــنــزَّهًــا مـــن غـيـر كـيـفٍ

«كــأنــك قــد خُـلِـقْـتَ كـمـا تـشـاء»

وَعِــلْــمــك يـــا رســـول الـلـه بـحـرٌ

لأهـــل الأرض طـــــرًّا والـــســـمـــاء

وجـاهُــك يـــا إمـــامَ الـرسـل واســـعْ

عـــريـــضٌ لا يـــضـــيـــق بـــــذي خـــطَـــاء

ذكِــــيٌّ صـــــادقٌ مـــن غـيـر ريـــبٍ

خَـــيـــارُ الـــخـــلـــق مـــحـــمـــودُ الـــسَّـــخـــاء

صـــلاةُ الـلـه مـــولانـــا دوامًـــا

عـــلـــى الـــمـــخـــتـــار مــــا دام الـــبـــقـــاء

****

(١) تشبع القاف عند القراءة.

(٢)

[الكامل]

يـا ربِّ صـلِّ علـى الـرسـول الأمـجَـدِ
بـحـر الـحـقـائـق لـلـخـلائـق مُـرْشِـدِ

بـدرًا تجـلَّـى عـلـى الـوجـود بـأسـرهِ
وسـعـى عـلـى كُـلِّ الـبـريـة مـقـعـد

هـو وابـلٌ عـمَّ الجـمـيـع بـفـضـلـهِ
ومـراحـمٌ شـاءت بـلـطـفِ تـودُّد

هـو سـابـقٌ، هـو لاحـقٌ، هـو سـائـقٌ
هـو نـاطـقٌ، كـافـي بـغـيـر تـردُّد

هـو شـافـعٌ، هـو طـائـعٌ، هـو خـاشـعٌ
هـو نـافـعٌ، يـعـطـي الجـمـيـع ويـرشـد

يـا سـيـدَ الـكـونـين طـه مـحـمـد
يـا مـن لـه جـسـمٌ يـضـيءُ تـوقَّـدا

يـا قـائـدَ الـرسـل الـكـرام بـأسـرهـم
يـا مَـنْ لـه كـلُّ الـدلائـلِ تـشـهـد

لـــــولاكَ مـــا كـــان الـــوجـــودُ بـــأسـره

أبــــدًا ومـــا نـــال الــســعـــادةَ مُـسْـعـد

يـــا جــسـم مـــا بـــيـدي لأمــــرك حـيـلـة

لــكـــن أمــــــدٌّ لإبــــن آمـــــنـــــةٍ يـــدي

وعـلـيـك صـلـى الـلـه يـا عـلــمَ الـهـدى

وعــلــى صـحــابـتـك الـــكــرام الـسُّـجَّـد

✱✱✱✱



عبد الحق السنوسي[1]

[البسيط]

(١)

أضحى مريضًا فؤادي ناكس الراس   يبكي لفرقة أحبابي وجُلَّاسي

---

(١) **الشيخ عبد الحق محمد السنوسي (١٨٥٣– ١٩١٨م) رائد البعث والإحياء للشعر التشادي الحديث، ولد بقرية ترجم التابعة لمدينة أبشة. حفظ القرآن الكريم على يد والده، وسافر إلى بلاد الحجاز للحج، ثم ذهب إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، وتفرغ لتدريس العلوم الدينية والعربية بأبشة، ونظرًا لمقاومته للمستعمر الفرنسي وأذنابه، فقد نال شرف الاستشهاد في مذبحة الكبكب المأساوية سنة ١٩١٧م** (مذبحة الكبكب: مذبحة شهيرة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصر الحديث، ضد المستعمر الفرنسي، فأحداثها وقعت سنة ١٩١٧م في إقليم «وداي/أبشة» وهي مدينة تقع شرق تشاد، مُتاخمة للحدود السودانية، وتعد البوابة الشرقية لشرق أفريقيا. وعندما استشعر المستعمر الفرنسي الخطر الذي سوف يلحق به من هذه المدينة العالمة المجاهدة، قام بجمع العلماء والأئمة وذبحهم بالسيوف، فصعدت أرواحهم إلى بارئها في جنات النعيم، ولكن أولادهم وأطفالهم حملوا راية الجهاد من بعدهم حتى تطهرت تشاد من براثين المستعمر الفرنسي. فالمذبحة نقطة سوداء مظلمة في تاريخ فرنسا الصليبية، وفي المقابل صفحة بيضاء من صفحات الجهاد الإسلامي المشرف في تشاد، لإعلاء كلمة الله والذود عن الوطن).

ومن أشهر قصائده «النونية الكبرى» وتبلغ نحو مائة وخمسة وثمانين بيتًا، و«النونية الصغرى» و«السينية» إضافة إلى كتب له في الاستغاثة والأوراد، وتم الحصول على نتاجه الشعري من معهد الدراسات الوطنية التابع لجامعة أنجمينا ومن مركز المخطوطات التابع لجامعة الملك فيصل، وعاصر الشيخ مفكرين وأدباء في مصر منهم الشيخ جمال الدين الأفغاني فاستفاد من فكره الإصلاحي، وتأثر بشاعر البعث والإحياء محمود سامي البارودي، فكانت لهذه المعاصرة أكبر الأثر في تكوين شخصية الشاعر الإبداعية، إضافة إلى الأحداث التي عاصرها. خاصة مقاومة المستعمر الفرنسي، ومحاربة البدع والجهل المتفشي في مجتمعه.

ومن مؤثرات تكوين شخصيته الشعرية أنه ينحدر من أسرة شاعرة؛ فجده لأبيه الشيخ يعقوب أبو كويسة وغيره من شعراء أبشة، وتعددت موضوعات قصائد الشيخ ما بين المديح النبوي والمديح العام والرثاء والغزل والوصف، وتتسم أشعاره بالمحافظة والالتزام بعمود الشعر، وأثرَّ فيمن أتى بعده.

انظر: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي في دار وداي، د.محمد صالح أيوب، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل بتشاد، ط١، ليبيا.

- الشيخ عبد الحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي، حبيب عمر.

- ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبد الحق السنوسي، بحث محمد الحبيب ٢٠٠١م.

تَشْـتِيتُـهم شَـتـتَّ الحـاجـاتِ مـن أَمـلِـي

وَشَـــتَّــت الــنــومُ عــن عـيـنـي بــإخْــلاسِ

فَـجُـلْـتُ فـي الـنـاسِ كـي ألـقـى لـهـم بـدلاً

فـلـم أجــدْ غـيـرَ وســـــواسٍ وخـنَّــاس

تـاللـه لـو لـم أَذُبْ مـن فَـقْـدهـم كَـمَـدًا

مـا بـاتَ سـاقـي جُـفـونـي مُـدْهَـق الـكَـاْس

وَظَــلْــتُ والــهَــمُّ مِـنِّـي غَـولـةٌ سَـلَـبَـتْ

دِرْع اضْـطِـبـاري وعَـضَّـانـي بِـأضْـراس

يـا حَـسْـرَتِـي مَـنْ لِـــوَاشٍ رقـتـي أسـفًـا

لـــولاهُ مـا عَـزَلَـتْـنِـي عَـيْـــنُ حُـــرَّاس

يـا سـيِّـدِي فـي الـهـوَى الـعُـذْري مِـنْ وَلَـهٍ

لـــريم أُنْـــسٍ وأُسْــــدٍ فَـــوْقَ أفْـــراس

قـد هـامَ قَـلْـبِـي لـوادي أبِّـشَـةَ[1] عَـلَّ بها

خَـيـالَـهُـمْ فَـــوْقَ مــاءِ أمِّ كـامـلِ راس

إذا الـنَّـسِـيـمُ عـلـيـهـا مَـــرَّ فـــي سَـحَـرٍ

وعــــادَ يُـنْـشِـقُـنِـي مــن ريـــحِ إيـنـاس

وقــد دعــانِــي لِـنَـوْح الـثَّـاكِـلاتِ لـهُـمْ

داعِـــي هَـدِيـلٍ عـلـى أغْـصــانِ مِـيَّـاس

وهــاجَ بُـلْـبُـلُ أشْـجـانِـي عـلـى شَـجَـنِ

نـاعـي إمـام الـهُـدَى مُـحَـمَّـد نِـبْـراس[2]

فَـوَا لِـشَـمْـس هـدى مـن أُفـقِـهـا أفَـلَـتْ

وتـلـك حُـجَّـتُـنـا فـي مَـوْكِـبِ الـبـاس

(١) عاصمة مملكة وداي.

(٢) وهو شيخ عبد الحق السنوسي أستاذه.

كـــأنَّ فـــي صـــــدره بُـسْــتــان مـعــرِفَــةٍ
سـقـاه مِــنْ عـين خَـضْــرٍ[1] خَـيْـر غُــرَّاسِ
فَـالـبَـحْـر مـعْ مَــدِّهِ الـسبـعَ الـبِـحَـارَ نَـدَى
أَقَـــلُّ مِـــنْ مَـــدِّه لِـــزَهْـــرِ قِــرْطــاسِ
يـا مـن تـطـوَّق حُــبَّ الـعِـلـمِ فَــاشْـدُ بنا
لِــسِــدْرَة الــمُـنْـتَـهَـى فـيـه مـن الـنَّـاسِ
أوراقُ كُـتْـبِ فُـنـون الـدِّيـنِ قـد ذَهَـبـتْ
مَـــعْ أصْـلِـهـا وتَـحـاتَـتْ بَـعْـدَ إيـبَّـاسِ
يـا ثَـكـل أُمِّ الْـكِـتـاب فـي ابـن بَـجْـدَتِـنـا
وثـــان كـفَّـتِـهـا فـــي وَزْنِ قِـسْـطـاسِ
ويــــا تـــأيُّم أبْـــكـــارِ الـحَـــواشِـــي لـهـا
عَــنْ زَوْجِــهــا الـمـاهـرِ الـنَّـفـاقِ والـكـاسِ
تـالـلـه لـــولا انـتِـظـامُ لِـلْـمِـثـانِـي لـهُ
مـا كـان خـالَـفَـهُ الـحَـبْـرُ ابــنُ عَـبَّـاسِ
صـحـيـحُ فــنِّ الـبُـخـاري ظـلَّ فــي عِـلَـلٍ
مِـــنْ بَـعْـدِهِ فَــرَقًــا مِـــنْ مَـــسِّ دَلاَّسِ
وفَـــرْعِ غُـصْـنِ خَـلِـيـلٍ ضــاعَ مُــورِقُــهُ
وزَهْــــوه بَــعْــدَهُ مِـــنْ خَـبْـط هَـــوَّاسِ
آلاف كُـتْـبِ فُـنـون الـدِّيـنِ قَـدْ نَـسَـجَـتْ
فـيـهـا عـنـاكِـبُ جَـهْـلٍ بَـعْـد كُـنَّـاسِ
فَـرِيـدَةُ الـنَّـحْـو والـكـافـيَّـةِ انْـطَـمَـسَـتْ
إذِ الـخُــلاصَــةُ صـــارَتْ ذاتَ أَدْنـــاسِ

(١) وهو نبي الله خضر.



والـشَّـاطِـبـي لـنـا شَـطَّـتْ مـسـافَـتُـهُ

مِـنْ بَـعْـدِهِ لَـمْ يَـصِـفْـهُ شَـمُّ حُـسَّـاسِ

جَمْعُ الجَوامِعِ مِنْ كُلِّ الأُصـولِ مَعَ الشْـ

ـشَـاتِـين شَـتَّ فُـرَادَى بَـعْـدَ حُـبَّـاسِ

وكُـلُّ صُـغْـرَى وكُـبْـرَى فـي الـكـلامِ لنا

مِـنْ بَـعْـدِهِ أعْـقَـمَـتْ مِـنْ كُـلِّ مِـقْـيـاسِ

وانـزاحَ حِـصْـنُ حَـصَـينِ الصَّرْفِ إذْ عَـجَـزُوا

عَـنْ وَزْنِ أرْكـانِـهِ بِـمَـوْتِ هِـنْـداسِ

لـو لـم يَـكُـنْ قُـطْـبُـنـا الـتـجـانـي[1] خَـلَّـفَـهُ

فـي مَـنْـهَـلٍ لِـلْـوَرْدِ مـنـه خَـيْـرُ رَيَّـاسِ

مـا كـان فـي مـنـواشـي[2] مـنـه مُـسْـتَـتِـرًا

بِـعَـيْنِ مـاضـي[3] ضَـمِـير الـشـانِ مِـنْ فـاسِ[4]

لـو يَـقْـبَـلُ الـمـوتُ مـنَّـا فـيـه ذَبْـحَ فِـدَا

لـمَـدَّ عُـنْـقَ فِـداه كُـلُّ ذي راسِ

إنَّـا إلـى الـلـه إنَّـا راجِـعـونَ لـهُ

كـيـف الـمُـقـامُ بـلا شَـيْـخٍ وسَـيَّـاسِ

يـا طـول نَـوْحِـي بَـنـات فِـكْـرَتِـي أسَـفـا

وحُـقَّ مـعْـهـا الـبُـكـا مـن كُـلِّ أجْـنـاسِ

ولـو أتَـتْ بـالـدُّراري فـي الـرِّثـاءِ لَـهُ

لَـقَـلَّ عَـنْ قَـدْرِهِ مِـنْ بَـيْـتِ أكْـيـاسِ

---

(١) الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة التيجانية المنتشرة في حاضرة وداي.

(٢) المنطقة التي يقيم فيها الشيخ محمد أبو رأس (شيخ عبد الحق السنوسي).

(٣) مسقط رأس الشيخ أحمد التجاني ومنطقته.

(٤) مدينة فاس المغربية مصدر الطريقة التيجانية.



يـا سـيِّـدي أنــتَ فـي الـدُّنـيـا أبُــو أمـلـي

فـلا تَـكُـنْ لــيَ يــوم الـحَــشْــرِ بـالـنَّـاسـي

وابـشِـرْ بِـوَفْـدٍ عـلـى الـرَّحْـمَـن إذ سَـبَـقَـتْ

رَحْـمـاتُـهُ غَـضَـبَ الـعـاصِـي لَـهُ الـقـاسـي

يـلـقـاك بـالـرَّحـبِ والـزُّلْـفَـى مُـبَـشِّـرَةً

فـي رَوْض قَـبْـرهِ بِـوَجْـهِ غَـيْـرَ عـبَّـاسِ

وَلَــمْ تَــزَلْ نِـعَـمَ الـرُّضــوانِ بـاعِـثَـةً

عـلـيك مِــنْ جَـنَّـة الـمــأْوَى بِمِـقْـيَـاسـي

وَبَــــرْدُ ظِــلّ لــواء الـحـمـد يـشْـمَـلُـنـا

مَــعَ كُــلِّ أحْـبـابِـنـا مـن غَـيْـرِ إبْــلاسِ

مَـعَ الـصَّـلاةِ عـلـى الـمُـخْـتـارِ شـافِـعُـنـا

أذْكَـــى سَـــلامٍ لَـــهُ مـن بَـعْـدِ أنْـفـاسِ

****

(٢)

[الكامل]

وَأَدِمْ صـــلاتَـكَ لـلـنـبـيِّ وآلـــهِ
والـصَّـحْـبِ كـابْـنِ حُـصَـيْـنِـهِـمْ عِـمْـرانِ
ســائِـلْ ديــارَ (أبــشَّـــةٍ)[١] عــن جِـيـرةٍ
وارو الـحـديـث لـهُـمْ عـن الجُــدْرانِ
وأطِــلْ وقـوفـك لـي بـرمـل ام كـامـلِ[٢]
نـقـضِـي لُـبـانـاتِ الـفـؤادِ الـعـانـي
وأعِــدْ لـذيـذ حـديـث سُـكَّـان الِّـلـوَى
مُـتَـسـلْـسِـلاً لأبــي زنـــادِ جَـنـانِ
وانْـشُـدْ هـنـالـك عـن فُــؤادِي ذَابـلـي
أسَـفَـا بِمَــنْـزِلِ زَهْـــرَةِ الـنِّـشْـوانِ
مَـغْـنًـى فَـقَـدتُ بـه غُـصُـون فـرائـدٍ
تـهـتـزُّ فـي وَرَقِ الـحـريـرِ الـقـانـي
مـن كـلِّ بَــرْقــاويَّـــةٍ[٣] فــي خَـلْـقِـهـا
حُـسْـنٌ ولـيـسـت مـن ذوي الإحـسـانِ
إذْ حـلَّـلـت سَـفْـكَ الـدمـاءِ بِـسِـحْـرِهـا
وقَـضَـتْ بـه جَــوْرًا عـلـى الـشُـبَّـانِ

---

(١) عاصمة مملكة وداي.

(٢) مسطح مائي يرتاده الناس للتزويد منه، ويقع الآن داخل أبشة.

(٣) يعني الفتاة البرقاوية إلى وداوية.

وَامْــــرُرْ عـلـى الـسُّـوق الـقـديم وقِــفْ بنا

نـبـكـي لـيـالـي يــوسُــفِ الــسُّــلْــطــانِ[1]

أيــــامَ كــــان الـلــهـوُ ديـنـي والــهَــوَى

شُــغْـلِـي ولا لِـــيَ لائِـــمٌ أو شـــانِ

والـعـيـشُ رغــدٌ بـين أُنــسِ (غـزائـلـي)

وأُسُـــــــودِ غــــابٍ لـــيَ مِـــنِ الخُـــلَّان

أكــــــرِمْ بـــه مَـلِـكًـا عَـــهِــدت كـأنـه

بــــدرٌ تـــوسَّـــطَ هــــالَـــةَ الـــسُّــــودانِ

فـاعْـكِـفْ بمـنـزِلِـهِ ونُـــحْ وانْــــدُبْ بـهِ

ذهَـــبَ المـجـالِـسِ وانْـــتِـــزاهُ لِـــمـانِ

أسَـــفًـــا لـفـقـد بـنـيـهِ إبــراهــيــم أو

عــبـدِ الـعـزيـزِ وعــابِـدِ الـرَّحـمـانِ

وأذُوبُ إنْ ذَكَـــروا خـمـيسَ سَـلامِـهِ

بـعـد الجُـــزولِ أو الـسَّـنُـوسـي الـثَّـانِـي

ذهـــب الــكِـــرامُ فـمـا تـــراهُ وفــرَّقــوا

مـن بـعـدِهِـمْ شَـمْـلـي عـلـى الـبُـلْـدانِ

وغَـــدَتْ أضـالـيـلُ الـمُـنَـى تَحْـكِـي لنا

أخـــبــارَهُـــمْ عــن كـــاذبـــاتِ أمــانِ

وسَـــرَى الـنَّـسـيمُ عـلـى رُسُـــومِ ربوعـهـم

وَهـــنَّـــا يُـــنـــاوِحُ نــاعـيَ الـبُـنـيـانِ

وحَــكَــى عــلــيَّ إشـــارةً مــن عِـلـمِـهـم

سِـــــرًّا فَـنَـبَّـه واسـَــنَ الأحْـــــزانِ

(١) السلطان يوسف، صديق وجليس الشيخ عبد الحق السنوسي.

فَسَلَكْتُ نهجَ الناعياتِ هَديْلَها
وكما تُناشِدُ لاعبَ الأغْصانِ
وَصَحِبْتُ سِرْبَ الثَّاكِلاتِ وجِيدَها
ليلاً بها ضربٌ من الهَذَيانِ
ورجوْتُ دُولابَ الزمانِ لعلَّهُ
يأتي بهم فبمُطْلِهِ أعْياني
يا صاحبي آن الفِداءُ فأسْعِدا
دَمْعي فإن لم تُسعِدَا فَذَراني
فلقد دَعاني للبُكاءِ مُغَرِّدٌ
سِرِّي الخفيُّ وسِرُّهُ سِيَّانِ
عَرَفَ السُّجُوعَ ولحْنَهُ فلطالَمَا
غَنَّى فأغْناني عن الألحانِ
وإليْك عنِّي يا عَذُولُ فإنَّني
قد كُنْتُ في شانِي وأنتَ بشانِ
إن كُنت لم تدرِ الغرامَ وأهْلَهُ
سلني فإنِّي قَيْسُهُ اللُّبنانِ(١)
لم أصحُ مِنْ ثَمَلي براحِ (قولهم)
إلا إذا ذُكِرتْ لي الحَرَمانِ
بَلَدٌ بأبْطَحِهِ تَجِدْ أُمَّ القُرَى
في بيته المعمُور رَبْعُ أَمَانِ
أكرِمْ بها من حُرَّةٍ مَحْروسةٍ
لَبِستْ شعارَ شقائقِ الإيمانِ

---

(١) قيس بن ذريح، المعروف بقيس لبنى.

وتبرقعتْ بالدِّينِ تحتَ مَلاَءةٍ

مَصْرِيَّةٍ زُرَّتْ بشاد رَوانِ

فلقد جَعَلْتُ لها رُوحِي فِدًا

من بعدِ جَعْلِ دمي من القُرْبانِ

لم أنس وُدَّ أحبَّةٍ لي عندَها

يُنْسِيكَ باقِلُهمْ[1] زَكَى سُحْبانِ[2]

من كُلِّ سُنِّيِّ الطريقةِ لم يَدِن

بغُلُو قِسيسين أوْ رُهْبانِ

كُلُّ الليالي لي بهم قَدَرِيَّةٌ

واليومَ عيدٌ والرَّبيعُ زماني

يا سُوءَ حظٍّ عنهُمُ قدْ عاقنِي

إذ حصَّبُوا وسروا مع الرُّكْبانِ

وإلى العقيقِ بهمْ حَدَا الحادي فيا

بُشْرَى لواءٍ أبْرَكِ الوديانِ

يَهْنِيهُمُ بوصالِهِ لُقْيا قُبا

وقُبابُهما مرفوعةُ التيجانِ

وإذا البلادُ كأنَّ كُلَّ جِهاتِها

لَبِسَتْ بُرُودَ شَقائِقِ النُّعمانِ

وإذا البِقاعُ كأنَّما انتشرتْ بِها

حَصْباءُ دُرٍّ من عُقُودِ جُمْانِ

---

(١) واحدًا من أحمق العرب.

(٢) أفصح رجل من العرب.



مـا كـانَ أحْـلَـى صَـوْتُ ساجِـعِـها إذا

هـو مـن ثَـنِـيَّـاتِ الـوداعِ دَعـانـي

وأنـاخ بـي بمـديـنـةٍ سـبـئِـيَّـةٍ

رجـعـتْ أيـاديـهـا بـكـلِّ مـكـانِ

فـسـألـتُ أُحْـدًا عـن حـديـثِ مُـحـبِّـهِ

فـرأوْه مُـطَّـرِبًـا مـن الأشـجـان

إذ قـال هـذا رَبْـعُ عَـزَّتـهِ فَـنُـخ

وأطِـلْ بُـكـاك لـبَـيْـن أهـلِ الـبـانِ

والـثـم ثـرى أثـارهـا ثـم اعـتـنـق

حـورًا وولـدانًـا مـن الـسُّـكـان

فـي ظـل طـوبـى مـسـجـدٍ لـو شِـمْـتَـهُ

لـوجـدتـه إرمًـا بـنـاهـا الـبـانـي

قـد أسَّـسَـتْـهُ يـدُ الـتُّـقَـى فـي روضـةٍ

أضـحـى بـهـا دِهْـلـيـزُ سَـبْـعِ جِـنـانِ

حـيـثُ الـنـبـوةُ والـرسـالـةُ والـهـدى

فـي قُـبَّـةٍ رُفِـعَـتْ عـلـى الـعـدْنـانِ

بـيـتُ الـقـصـيـدِ وجـيـدُ دُمْـيـة قَـصْـرِهِ

ومُـديـرُ دَوْلَـةِ كُـورةِ الأكْـوانِ

وجـديـرُ رُسْـلِ الـلـهِ مِـسْـكُ خِـتـامِـهِـمْ

وَمُـحِـيـطُ سَـبْـعَـةِ أبْـحُـرِ الـعِـرْفـانِ

مـا لـلـوسـيـلـةِ والـشَّـفـاعـةِ والـلِّـوَى

إلا ابـنُ بَـجْـدَةَ حَـضْـرَةَ الـدَّيَّـانِ

رفعتْ عنايةُ ربِهِ ذكرَى اسمه
معهُ بعرْشٍ منارِ كلِّ أذانِ
إذْ شُقَّ من معنى اسْمِهِ علَمًا له
وبنى عليْه دعائم الأدْيانِ
فاعْجبْ لأغْيدِ خَلْقِهِ فكأنما
ولدتْه من بين الورى القمَرانِ
وكأنَّ يوسفَ[1] عاد في حدثٍ وقدْ
تَمَّتْ لنظم جمالِه الشَّطْرانِ
فلِذا استقلَّ البدرُ قَطْعَ يدٍ له
وأتى بشقِّ جبينهِ المُزدانِ
وأتى لهُ الإنجيلُ قبْلُ مُبَشِّرًا
بقميصٍ بعْثتِهِ مع الرُّهْبانِ
والجنُّ غنَّتْ إذ رَوَتْ أخبارَهُ
مَسْنُودَةً بمدارسِ الكُهَّانِ
لم تَدْرِ أن الدَّهرَ كان له أخٌ
حتى أتى فتثلَّثَ المَلَوَانِ
والدِّينُ أصبح في العرائس ضاحكًا
للشِّركِ عند جنائزِ الأوثانِ
وعيونُ فارسَ انْشقَتْ إذ أُخْمِدَتْ
نيرانها بتشقق الإيوانِ
والمُوبذانُ رأى الخيولَ بدَجْلةٍ
ورأى هِرَقْلُ الرومِ مُلكَ خِتانِ

(١) يوسف عليه السلام.



والــضــبُّ قــام مَــقــام قُــسٍّ قـبـلَـهُ
فـحـكـى الـخـطـيـبُ بـه رِفـاقَ بـيـانِ
ومـن الـسـمـا تَـبـعـتْـهُ رِدْءُ غَـمَـامَـةٍ
فـي الأرْضِ فـيْءٌ مـالَ عـن أفـنـانِ
والـذِّئـبُ ظـاهـرَهُ فـأرْشـدَ راعِـيًـا
ورعـى لـه غَـنَـمًـا بـشـرطِ ضَـمَـانِ
ووَفَـى الـغـزالُ لـه بـشـرطِ ضـمـانـةٍ
والـفـحـلُ خَـرَّ بـسـجْـدَةِ الإذْعـانِ
والجـذْعُ حَـنَّ مـع الـفـراغِ لأجـلـهِ
وأتَـتْـهُ أشـجـارٌ بـطـوْعِ عِـنـانِ
لـو قـابـلـتْ مِـرْآكَ طـلـعـةُ وجـهـهِ
لـرأيـتَ شَـمْـسَ الـسَّـعـدِ فـي إنـسـانِ
ومـكـارم الأخـلاقِ عِـقـد سـنًـا لـهُ
نـظـمـتْه فـي خَـيْـطِـي هـمـا الـفَـجْـرانِ
وحـوى بـأبْـجـده الخـصـالَ جـمـيـعَـهـا
وتـوارَدْت بـحـروفـهـا الـثَّـقَـلان
مـن لـي بـنـفـحـةِ نـظْـرةٍ وَهْـبـيَّـةٍ
فـي روض وجْـهٍ زاهـر الـبـسـتـانِ
ذا شَـجَّـةٍ يَـظْـمَـا الـفـؤادُ لـهـا فـيـلـ
قـاهـا هـلال الـفـطـرِ فـي رمـضـانِ
هـو رحـمـةُ الـلـهِ الـتـي قـد أُرْسِـلَـتْ
لـلـعـالمـين بـهـا يـدُ الـرحـمـانِ



وخـيـارُهـمْ كـالـرُّسـلِ والأمـــلاكِ للـ

خُـلُـق الـعـظـيـم لـهُ ابـتَـدَا عُـنـوانـي

إذ جـاءت الـتـكـويـرُ فـي تـكـويـرهـم

فـلـهُ أتـت مـن بـعـدِ سَـبْـعِ مـثَـانِ

تَـبَـع الخـلـيـلَ بـخِـلَّـةٍ فـي مِـلَّـةٍ

وازداد كـأسُ مَـحَـبَّـةِ الـمَـنَّـانِ

وانْـشَـقَّ مِـنْ ذاك الـتـجـلِّـي قَـلْـبُـهُ

وتـعـبُّـدًا غَـسَـلَـتْ لـه الـمَـلَـكـانِ

وعـلـى الـسَّـمـا تـتـرى فـسـوَّى خَـلْـقَـهُ

رُتَـبَ الـكـلـيـمِ مـع الـوراءِ الـدَّانِ

وَرَقَـى وجـاوزَ عَـرشَ فَـرْش الإسْـتـوا

وَدَنـا بِـقـابِ الْـقُـرْبِ أيِّ تَـدَانِ

مـا زاغ مِـنْـهُ ولا طَـغَـى بَـصَـرٌ لَـهُ

عـن نَـظْـرةٍ مـن غـيـر كَـيْـفِ عَـيَـانِ

كـلاَّ ولا كَـذَبَ الـفـؤادُ بمـا رأَى

طِـبْـقًـا لِـعَـيْـنـي رأْسِـهِ الـرُّوحـانِ

إذ ذاكَ طـود الـصَّـدر مِـنـه وخـرَّ جسـ

ـمُ كَـلـيـمِـهِ وبـقـيْ إذًا نُـورانِ

وانْـزاحَ مـعْ جـسـم الـفـنـا ظـلٌّ لـه

كَـتَـثـاؤبٍ وتـنـاثـرُ الـذُّبَّـانِ

والـنَّـوْمُ والأضـغـاثُ مـن أحْـلامـهِ

ورأت لـه مِـنْ خَـلْـفِـهِ عـيـنـانِ



فكأنما نَجْمُ السماء على العُلا
والناسُ نَجْمُ الماءِ ذُو الخيلانِ
ومتى تُحدِّثْ عن يديه مِنَ النَّدَى
حَدِّثْ بلا هَرَجٍ هُما بَحْرانِ
فلذا ارْتَوَتْ منه الألوفُ وسَبَّحَتْ
حُوتُ الحصى من نهر كُلِّ بنانِ
لو وافَقَتْ سَعْداك يَوْم عطائِهِ
لَطَوَيْت سيرةَ حاتمِ العُرْبانِ
إذ صَبَّحتْ في الرَّكْبِ منهُ سَحَابَةٌ
هَطلتْ لهم مِنْ وَبْله النِّسْيانِ
قَلَبَتْ على الأحياء حَبَّ غَمَامها
ذَهَبًا وحُمْرَ النِّعْمِ والقُمْصانِ
من بعد ما انْقَلَبَتْ على أعْدائهِ
خَمْسُ السَّحائبِ مِنْ حَميمٍ آنِ
أَوْ صادَفَتْ لُقْياك يَوْم لقائهِ
لَعَدَدْتَ عَنْتَرَةً مع الغِرْبانِ
ووجدت عَين شجاعَةٍ وجَراءَةٍ
في وَجْهِ ضِرْغامٍ بسِرْج حصانِ
ووجدت أبنا مكَّةٍ أوْ قَيْلَةٍ
مِنْ دُون بيشتهِ أسُودَ طِعانِ
أظفارُهُمْ خِطِّيَّةُ أنْيابُهُمْ
مِنْ كُلِّ مَحْنِيِّ النِّصالِ يَمَانِ

زَرُّوا دُروعًا مِنْ ثِياب أراقِمٍ
حَلَقاتُها مَكْروهَةُ الألْوانِ

ما شأنَها جرُّ الذُّيولِ ولا اشْتِما
لُهُمُ، بهِ الصَّمَّاءُ في المَيْدانِ

يَتَلمَّطونَ تَلَمُّطَ الأفعى إذا
أخَذَتْ جهازَ الْحَرْبِ والعُدْوانِ

يا يَوْمَ بَدْرٍ إذ أبُو الأشبالِ قد
لاقاهُمُ فيه ضَوالُ الضَّانِ

وبكُلِّ شِبْلٍ هِمَّةٌ منها يَرَى
كَبْشَ الكتيبةِ أهونَ الخِرْفانِ

ما قال قائلُهُمْ كما قالتْ لِمُو
سى[1] قَوْمُهُ اذْهب أنت غَيْرُ معانِ

إذْ كُلُّ قِرْنٍ منهم طالوتُ بعـ
ـد النهر تحت سكينةِ اطمِئنانِ

فتبادرتْ جِدَةٌ لهم وتخاطفتْ
أيتام أفْراخٍ على الكُثْبانِ

وتلاعَبَتْ أيْدُ البلا برؤوسِ مَوْ
تاهُمْ وبالأسرَى من الفيرانِ

وجرى وَلِيدُ الكَلْب منهُمْ بَعْدما
وسَمُوهُ في خُرْطومِهِ لِزَبانِ

سبق اللَّعينُ مُعَوذيهِمْ إذْ أبُو
جَهْلٍ لَهُ انْطَحَنَتْ بهِ السَّيْفانِ

(١) نبي الله موسى عليه السلام.



وغَشَى أبو القَلْبَيْنِ مكةَ سائلاً

عنها ضحًّى وبِكَفِّهِ النَّعْلانِ

وإلى المدينةِ عادَ في غاباتِهِ

وثباتُهُ لَيْثُ العرينِ الجَانِ

قُلْ للمنافِقِ ذي المُحاوَلةِ اقتَصِرْ

يا ناطح الصَّخَراتِ من ثَهَلانِ

بحث اليهودُ بظلْفِهِمْ عَنْ حتفهم

لحديث كُلِّ خُرافَةٍ مُجَّانِ

من ماءِ أمْنٍ طار طائرُ شُؤْمِهِمْ

لِسَرابِ أحْزابٍ على قِيعانِ

نزلوا وحطَّ البَدْرُ حالة خَنْدَقٍ

حُرِسَتْ لِشُهُب لَوَاحِظِ الغَيْلانِ

فتطاير الغِرْبانُ عنه وخَلَّفوا

خُلَفاءهُمْ في الشِّدق والأسْنانِ

بضراغِمٍ من فِتْيَةٍ لم يَشْفِهِمْ

إلاَّ ولوغٌ مِنْ دَمِ الشُّجْعانِ

وَجَوارِحٍ في خَيْلِهِم ما هَمَّهُمْ

إلا تَصَيُّدَ ماردِ الفُرْسانِ

نصبوا شباكَ دُرُوعِهِمْ إذْ زَرَّرُوا

شَرَكًا لِنَقْصِ كواسِرِ الأقْرانِ

فَنَجَا المنافِقُ نافِقاهُ إذ رأى

شَجَرَ القَنا أزْهَتْ بِسُمْرِ لَدَانِ







وأُبـــيٌّ أولادَ الـنَّـعـامـةِ إذ رأى
لَـدَغَـتْـه رُمْـــحٌ مــن فَـــمِ الـثُّـعْـبـانِ
أَفـــدي الحُـدَيْـبـيِّــين يــوم تـبـايـعُـوا
بـتـلاً عَـلَـيْـهـا سِـلْـعَـةُ الــرِّضْـــوانِ
لــم أنـــسَ مِـنْـهـم لَحـفـةً فــي عَـقْـبَـةٍ
مـــا كـــان بـانـيـهـا أبـــو غـشـيـانِ
كـــلاّ ولا فــتــحٌ بمـكـة إذ مَــشَـــوْا
بِـــعَــرَمْــرَمٍ مُـتَـخِـمِّـسِ الأرْكـــانِ
رَفَـعـتْ لـدى نَـصْـرٍ لـهُ يَـدُ سَـعْـدِهِـمْ
فـمَـحَـتْ بمـا خَـطَّـتْ يـدُ الـدَّبَـرَانِ
وبـنـاتُ نَـعْـشٍ جَـهَّـزَتْ جيش الصَّبَا
مـعـه وطـــار بَـغَــى لـــهُ الـنَّـسْـرانِ
وســـرتْ بــهِ شــهـرًا فَـفـتَّـح رُغْـبُـهـا
أبـــوابَ مـكــةَ مـــعْ أبـــي سِـفْـيـانِ
لا تحْـك مَـعْـهـا مـن سُـلَـيْـمـانَ الـرَّخَـا
مـا سُــخِّــرَتْ إلاَّ عـلـى الحَــمْــلانِ
إذ لــم يـكـن وَأَدٌ لَـــهُ وجــنــود وا
دي الـنمـل مـثـل الجَـحْـفـلِ الـظُّـهُـرانِ
جـبـريـلُ مــن قُـــوَّاد عَــزْرائـيــل مـن
عُــرَفَـــائـــهِ مِـيـكـــالُ فـــي الأعْـــوانِ
تـالـلـهِ لَـــوْ أبْـــصَـــرْتَ تُـبَّـعَ قـوْمـهُ
والـفُـلَّــق الـشُّـعَـرا مـــع الـنُّـعْـمـانِ



ورأيــــتَ حَـطْـمَ خُـيُـولِـهـمْ وصـهـيلِـهـمْ
فـي الـلَّـيْـلِ نَـقْـعٌ تحـتَ شُـهْـبِ سِـنـانِ
ورأيْـتَـهـم فـي زاهـدٍ مِـنْ بيـنِـهم
لَحَـسِـبْـتَ نُـوحًـا جـاءَ بـالـطُّـوفـانِ
وبـخـالـدٍ صـاحـتْ حَـمِـيـرُ كَـدًى وقـد
فَـرَّتْ لِـوِرْدِ الـقَـسْـوَرِ الـعَـطْـشـانِ
أمـا الحُـجُـونُ فَـمـا بِـهِ مـن نَـابِـحٍ
لـلأرْقـطِ الـزُّهْـلـول ذي الجِـرُوانِ
بـل قـابـلـوهُ مُـسَـخَّـرِيـنَ وفَـوْقـهُـمْ
مِـن دامـيـاتِ الـشِّـعْـرِ صَـوْتُ لِـسـانِ
حـتـى اسْـتـغَـاثـوا مـنـه بـالْـقـربَـى فقد
وجـدوه يُـوسُـفَـهـا مـع الإخـوانِ
فَـرِحَ الحَـطِـيمُ بِـحَـطْـمِـهِمْ هُـبَـلَ البَلا
وَدَمُ ابْـنُ خَـطْـلٍ ظَـلَّ فـي الـقُـضْـبـانِ
والحـقُّ جـاء مـع الـنَّـبِـيِّ لبيتِـه
والـبـاطـلُ انْـزَهَـقَـتْ بـه الـرجـلانِ
وإلـى حُـنَـيْنٍ حَـنَّـتِ الـعَـضْـبـا بِـهِ
إذ جـاءَهـا كـالـعـارضِ الـهَـتَّـانِ
فـتـوهَّـمـوهُ مُمْـطِـرًا فـتـعـرَّضُـوا
فَـبِـحَـتْـفِـهِ رجـعـوا لـدارِ هَـوانِ
مَـن بـعـدهُ أَلـقَـى الحـصَـى مِـثْـلِ العَـصَـا
مـنـهُـمْ تـلـقَّـف إفْـكَ كُـلِّ جـبـانِ

وسـبـا سـبـايـاهُـمْ ولـكِـنْ رَدَّهـا

بِـرًّا لِـظَـئْـرٍ فـيـه ذات حـنـانِ

ونـيـامُ طـائِـفُـهـم أتـاهُـمْ طـائِـفٌ

مـنـهـم فـأصْـبَـحَ كـالـصَّـرِيمِ الـعـانـي

وإلـى الـمـديـنـةِ عـاد فـي غـابـاتـهـم

بَـدْرًا تَـعـلَّـى قَـلْـعـة الـسُّـلْـطـانِ

أنـصـارُه كـانـوا شِـعـارَ وقـايـةٍ

لـدثـارِ كُـلِّ مُـهـاجـرِ الأوْطـانِ

قـومٌ إذا شـاهـدتـهـم أيـقـنْـت أنْـ

ـنَـهُـمُ نُـجُـومُ هِـدايـةِ الـحَـيْـرانِ

ووجـدت كُـلَّ خـلـيـفَـةٍ مـنـهُـم كـذي الـ

قَـرْنـين أوْ ذي الـكِـفْـل أو لُـقْـمـانِ

يـا سـيِّـد الـكَـوْنـيـنِ والـثـقـلـين فـي الـدْ

دَاريـن يـا بـا قـاسِـمَ الـدَّيـانِ

فـبـحـقِّ صـدِّيـقٍ وفـاروقِ الـهُـدَى

وأبَـي الـتُّـرابِ وجـامـعِ الـقـرآنِ

والآلِ والأصْـحـابِ والأزواجِ والْـ

وأولادِ والأسـبـاطِ لا تـنْـسـانـي

أو تجْـعَـلَـنِّـي عَـبْـد حـقِّ جـنـايـةٍ

فـيـمـا جـنَـى بـلْ قُـمْ بـفـكِّ رِهـانِ

حـاشَـا سَـخـاك يَـرُدُّ وجـهَ تَـطفُّـلِـي

عـن فَـيْـضِ فـضْـلٍ مـالـهُ طَـرَفـانِ



أو أن يَضِيقَ نداك بي لو أنَّ لي
عَرْض السَّماءِ وأرْضها كَفَّانِ
وجميل ظنِّي فيك أكَّدَ لي الرَّجَا
بل قد قَضَى لي فيكَ بالإيقانِ
ما كانَ أحْسَن لَوْ قَبِلْتَ قصيدتي
وعدَدْتني معَ كَعْبِ أوْ حسَّانِ
وجَعلتَ جائزتي إليكَ شفاعةً
مِنْ كُلِّ ذنْبٍ لي ومَنْ والاني
ولئِنْ بُليتُ لشُئوم ذنبٍ عاقني
أو سوء حَظٍّ من نَدَاكَ ثَناني
فمتى سألْت اللهَ إلْحافًا به
فَعَريضُ جاهك فيه لوْ عاطاني
يا ربَّنا يا ربَّنا يا ربَّنا
يا رَبِّ كُلِّ فُلانَةٍ وفُلانِ
فكما بلا سبَبٍ مَنَنْت بِنِعْمَة الـ
إيمانِ فَامْنُنْ معهُ بالغُفْرانِ
وكما أمرْت بسِتْرِ عورة مُسْلمٍ
أسْدِلْ لنا سِتْرًا وحرْزَ أمانِ
وكما تُحِبُّ العَفْوَ فاعفُ جميعَ ما
منَّا عَلِمْتَ وخَطَّهُ المَلَكانِ
وكما نَدَيْت إلى العِتاقِ تَشوُّقًا
فاعْتِقْ وأسْقِطْ كُلَّ ذَنْبٍ جانِ

لولا رجاؤكَ كان قُبْحُ ذنوبِنا

نَمْشِي على جُرُفٍ مِنَ الخِذْلانِ

لكنَّ رَحْمَتَك التي سَبَقَتْ لنا

بالْفَضْلِ نَرْجوها رجا الظَّمْآنِ

فانْظُرْ لنا منها بعينِ عِنايةٍ

تُنجي مَسَاعينا من الحِرْمان

وتَلقَّنا فيها بصالح توبةٍ

تمحُو دفاترنا من العِصْيانِ

واسْبغْ لنا منها بأطيبِ عِيشَةٍ

مَرْضِيَّةٍ مَمْزوجةٍ بحنانِ

وارْدُدْ بها عَنَّا الحَواسِدَ والعِدَى

في كَيْدِهم بالسِّرِّ والإعْلانِ

وابعِدْ بها عنَّا الهوى وجُنودَهُ

كالنفس والشَّهواتِ والشَّيْطانِ

واقْضِ لنا عمَلاً وعِلْمًا نافِعًا

مِنْ كأس حَضْرة قُدُسِك المَلآنِ

واختم لنا منها بِأسْعَد خاتَمٍ

يمشي بآخِرنا على الإيمانِ

واحْضِرْ بنا في موتنا وبقبْرنا

وبنشرِنا والحشر والميزانِ

وأجِزْ بنا فيها الصِّراط كَلمْحةٍ

من فَوْق كُلِّ قناطِرِ النِّيرانِ

وبـهـا ارْوِنـــا مـن حـــوضِ أكْـــرم مُــرْسَــلٍ

وادْخُـــــــلْ بـنـا فـيـهـا بِـــعَـــدْنِ جِـنــانِ

واكْـشِـفْ لنـا عـنْ حُـسْـن وَجْـهِـكَ عِندها

فــي ظِـــلِّ قُـــرْب الــــرَّوحِ والــرَّيْـحــانِ

واشْـــمَـــلْ جـمـيـعَ أصُــولِـنــا وَفُــرُوعِـنــا

والــصَّـــحـــبِ والأشــــيـــاخ والإخــــــوانِ

واقْــــرا الــســـلامَ مـــعَ الــصـــلاةِ لأحـمـدٍ

والآل والأصْــــحـــــابِ مَـــعْ عُـــمْـــرانِ

مــا دام قَـــــدْرُكَ بــالـكَـمـالِ مُـتَـمِّـمًـا

وتــعــاقــبــتْ بِـخِـتــامِــه الــــمَــلَــوَانِ

****

عبد الله يونس المجيري[1]

(١)

[الطويل]

أيـا مـن لـهـم فـي الأمـر عـهـدٌ تـقـدَّما
ومـن بـين أبـنـاء الـبـلاد تـزعَّـمـا

وكـان لـهـم فـي مـجـلس الحـكـم نـائبٌ
يُمـثِّـل سُـكـان الـبـلاد مـعـظمـا

أخـلّاء صـدقٍ لا إذا مـا تـشـعـبت
(عـلـيـك أمـور ظـل يَـلـحـاك لائـمـا)

إذا مـا بـدا بـالأصـدقـاء تـخـاذلٌ
ومـن بـيـنـهـم حـبـل الـوصـال تـصـرَّمـا

وأفـشـى قـريـن الـسـوء سـر قـريـنـه
وسِـرَّ خِـيـار الأصـدقـاء مُـكـتـمـا

إذا فـيـكـمـا إن قـلـت لـسـت مـبـالـغًـا
بـأنـكـمـا نـعـم الـصـديـقـان أنـتـمـا

بـمـثـلـكـمـا يـا مـصـطـفـى ومـحـمـد
تـخـفَّـف أثـقـالُ الـصـديـق إذا انـتـمـى

لأنـكـمـا كـالمـنـهـل الـعـذب سـائـغًـا
مـريًّـا لأبـنـاء الـعـشـيـرة فـيـكـمـا

---

(١) عبد الله يونس المجيري (١٩١١ - ١٩٧٨)، شاعر تشادي ولد في أبشة من أب ليبي الأصل، ومن أم تشادية، وسافر إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، ونال الشهادة الجامعية سنة ١٩٤١م ثم مارس الأعمال التجارية، بالإضافة إلى ممارسته للنشاط التعليمي في أبشة، وله قصائد معدودات لم تطبع بعد.

وكــان لـذيـذ الـطـعـم كـالـشـهـد شـافـيًـا

يـطـيـب ولــلأعــداء داء وعـلـقـمـا

ولا خــاب مــأمــولٌ لـمـن جــاء قـاصـدًا

مـن الـنـاس إلا عــاد بـالـفـضـل منكما

وإنِّــــي عــلــى مــا نـلـتـه مُـتـواتـرٌ

تَـفـجَّـر شـعـري بـالـثـنـاء عليكما

نـشـأتم عـلـى المـجـد الـتَّـلـيـد وراثـةً

ومــن طـــارق المـجـد المــأثَّـل نلتما

صـبـوتم إلــى حـسـن الـثـنـاء بـهـمـةٍ

وكـــان لـكـم مـن أوفـــر الحـظ فـزتمـا

تــــدوم لأبــنــاء الـعـشـيـرة مـلـجـأ

يـعـد لـهـم فـي حـالـك الـدهـر مغنما

وإنـــي لأرجـــو أن تـحـيـطـوا شـكـايـتي

بـشـيءٍ مـن الـعـطـف الـذي شـاع عنكما

نـظـيـرًا لمـا لاقـيـتُ مـن ظـلـمِ جـائـرٍ

تـصـرَّف مــغــرورًا لـئـيـمًـا تحـكَّـمـا

تجـنَّـى عـلـى مـا يمـلـك الابـــن يـونـس

ثـــلاث مـــلايـــين مــن الـنـقـد أمّـمــا

وأودعــــه سـجـنًـا عـلـى غـيـر مـوجـبٍ

بـه صــار مـوقـوفًـا كـمـن كــان أجـرمـا

فـلا عــاش مـيـسـورًا (مـبـوتـو) وحـزبـه

وجـــازاه ربُّ الـنـاس بـالـخـزي والـعـمـى

تجـــرد مـفـصـولًا عــن الحـكـم يـائـسًـا

ومـــن بـــين حـكـــام الـــبـــلاد تحـطـمـا



جـديـر بمـا يـلـقـاهُ مـن سـوء فعلـه
وكـان جـزاءُ الـظـالمين جـهنمـا
رجـوت لـه مـن يـدرك الأمـر حـازمًـا
يـردُّ بـه الجـانـي إلـى الـرشـد مرغمًا
فـأنـتـم لـهـا يـا آل جـابـرَ سـيَّمـا
وفـيـكـم أبـو بـكـر الـرئـيـس الـمُـقـدَّمـا
لـدى مـجـلـس الـثـوار عـضْـوٌ وإنـه
تـرأَّس أركـانًـا لجـيـش مـنـظـمـا
هـو الـقـائـد المـوصـوف والـعـارم الـذي
إذا مـا بـدا يـوم الـكـريـهـة ضـيـغـمـا
خـلاصـة أبـطـال الـبـلاد وفـخـرهـم
هـنـيـئًـا لأبـنـاء المـجـابـر أنـتـمـا
لـئـن ضـاع مـسـلـوبًـا وكـان وراءه
مـثـال أبـي بـكـر بـه عـاد مـلـزمـا
وذو هـمـة كـالمـصـطـفـى ومـحـمـد
أعـادوه مـهـمـا كـلـف الأمـرُ مـنـهـمـا
أولـئـك ممـن يـسـتـعـان بـرأيـهـم
إذا حـارت الأفـكـار والـقـرح أوجـمـا
رجـال لـهـم فـي الـنـائـبـات سـمـاحـةٌ
لـنـيـل رفـيـع المـجـد مـهـمـا تـقـوَّمـا
ومـا مـنـهـم إلا فـتـى ذو مـهـابـةٍ
مُـجـدًّا إلـى الـعـلـيـاء بـالمـجـد مـغـرمـا
فَـراطـسـةٌ مـن أرفـع الـنـاس هِـمّـةً
وأنـبـلـهـم فـي الـنـائـبـات وأكـرمـا



إذا ما بدا منها فتى في جماعة
جدير بما أن سادهم أو تقدما
أعيذهمُ بالله من شرِّ حاسدٍ
ومن كل ذي حقد على القلب قد خما
حبوتهُمُ من خالص الفكر نخبةً
من الشعر كالدر الثمين مُنظَّمَا
عليهم سلام الله ما خرَّ ساجدٌ
مدى الدهر أو طيرُ الأراكِ ترنَّما
وأزكى صلاةِ الله ثم سلامهُ
على خير خلق الله طرًّا وأجلما
ذهبت لأعضاء السفارة شاكيًا
فلا من يسلِّي شكوتي أو تألما
وكنت بإبراهيم لا شك واثقٌ
بإرشاده إذ جئته متظلما
ولكنه لم تكتنفْهُ عواطفٌ
من اللطف أو مستنكرا ما تقدما
وعدتُ قليلَ الحظِّ منه ولم يكن
نصيبي سوى خُفَّيْ حُنَينٍ تحتما
كمن جاء موهومًا ويحسب أنه
ستشفيه أعلام السَّراب من الظَّما
فلا الفضل منسوبٌ إلى غير أهلهِ
ولا التِّبرُ إلا في معادنه نما

****

(٢)[1]

[الوافر]

أَزُفُّ لها من القلب التّهاني
لأخذ مكانها في البرلمانِ

مُوجَّهة لهم عن قلب صبٍّ
يحنُّ لأهل هاتيك المعاني

أهنا ها يداك ومن يليها
من الواحات ربات السّواني

وكلُّ مواطنٍ من أرض قومي
عزيز النفس ذو شرف مصان

أناب اليوم عنها من بنيها
لِيُدْرك من به كانت تعاني

ويرفع صوتها حرًّا منيعًا
ويشرح من تقاسي عن هوان

وإن يك لاهيًا بالعزِّ عنها
ويعطي من مواعيد اللسان

يحاول أن يَشُقَّ لها طريقًا
مُعبَّدةً من الطرق الحِسان

---

(١) وهذه قصيدة السيد الحاج عبد الله يونس المجبري التي ألقاها بمناسبة فوز نائب المجابرة في البرلمان عن الوطن العزيز ليبيا «جالوا».

ونـــأمـــل أن يـــكـــون لـــهـــا مـعـيـنًا
عـلـى جـلـب المـيـاه الـعـذب دانِ

فـــإن نـــالـــت بـــه مـــا تـشـتـهـيـه
لَـعَـمْـري إنـهـنَّ مـهـمـتـان

لـتـسـعـد مـن تـكـون لـه مـقـامًـا
يـعـود بـه المـواطـن فـي أمـان

عـلـيـهـا يـا بـنـي الأعـمـام حـقًّـا
أَزُفُّ لـكـم مـن الـبُـعـد الـتـهـانـي

إلـى الـوطـن الـعـزيـز يـحـنُّ قلبي
وشـوقـي لـيـس يـبـلـيـه زمـانـي

ولـكـن يـا بـنـي وطـنـي إلـيـكـم
مـحـبَّـرة حَـوَتْ عِـزَّ المـعـانـي

خـذوهـا مـن بـنـات الـفـكـر بـكـرًا
مـعـلـلـة بـسـحـر مـن بـيـان

تـعـبـر مـن مـحـيـاتـي وشـوقـي
وكـل الـطـيـبـات مـن الأمـانـي

****

محمد جرمة خاطر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمّد الفاتح الخاتم ناصر الحق الهادي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى ذريته الطيبين الطاهرين وعلى آل بيته ومن ألحق بهم من الأولين والآخرين وسلم تسليمًا حق قدره ومقداره العظيم.

الحمد لله، اللهم صغر الدنيا في عيوننا وعظم جلالك في قلوبنا ووفقنا لمرضاتك وأمتنا على دينك وطاعتك.

اللهم إنك لست بغائب تنتظر ولا بعاجز تنتصر ولا ببعيد يأتيك الخبر وقلت وقولك الحق «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» كلمح البصر أو هو أقرب. هكذا عرفناك بك وهذه المعرفة التي عرّفتنا أمَّنّاك إياها وهي عندك وديعة أزلاً وأبدًا.

---

(١) محمد جرمة خاطر (١٩٣٠ - ....)، شاعر تشادي معاصر، ولد في مدينة «أبشة»، وفيها تلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، واشتغل فترة في التدريس. وهو من أتباع الطريقة التيجانية، واعتقل عدة مرات في سبيل تحرير الوطن، وعين وزيرًا، ثم عين عمدة للعاصمة أنجمينا. وله ديوان شعري مطبوع بعنوان «بوادر الفتح في مدح التيجاني، د.ت.ط.» من الحجم الصغير، وله عدة قصائد طويلة منها «درر الحقائق في مدح سيد الخلائق».والشيخ من الشعراء التشاديين الذين أخذوا التصوف منهجًا وطريقًا وفلسفة في حياتهم وتجلى ذلك كله في عديد من قصائده الدينية، وقد قال لي عن التصوف: «هو مرتبة الإحسان والإنسان لا يمكن أن يدخل في مرتبة الإحسان ما لم يتصوف فالتصوف هو كمال الدين... أما عن علاقة التصوف بالتيجانية فأقول: إن التيجانية طريقة صوفية ظهرت على يد الشيخ أحمد التيجاني في قصر أبي سمعون في الجزائر». ويغلب على إبداع الشيخ طابع المنظومات، فهو من رواد التصوف في تشاد وصاحب زاوية فيها. وسوف نلاحظ في منظوماته بعض الأفكار التي قد تصطدم بالدين ومرد ذلك إلى ولعه بالتصوف. ودورنا تقديم عمل قد يتسم بالإبداع الفني. (ديوان بوادر الفتح في مدح القطب الشيخ أحمد علي أبو الفتح التجاني الإبراهيمي اليَرَواوي نفعنا الله بنفحاته تأليف المريد الفاني محمد جرمة خاطر التجاني أنجمينا - جمهورية تشاد).

[لقاء تم بيني وبين الشيخ في منزله بالعاصمة أنجمينا بحي السيسبان في ٢٠٠٢/٢/٢٥م.]

نقدم هذه التحفة في مدح القطب الجامع أحمد علي أبو الفتح للمحبين والواصلين والغارفين فمن أحبها فنعم الرجل ومن أبغضها نسأل له الهداية.

وما أوجبنا الشيخ أحمد علي اليرواوي وما اقتدينا به إلا ليقيننا إنه عبدالله وسيد أقرانه ونشم فيه رائحة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم فمدحه مدح المحبوب.

أهدي هذه القصيدة للمشاركين في الاحتفال بالمولد النبوي في زاوية الشيخ بميدغري – نيجيريا لعام ١٤٢١هـ.

(١)[١]

دارَ الـزَّمـانُ بمـا أوحَـى الـكـمـالُ به

أزْلًا وأبْـدًا وسـرُّ الـكـونِ فـيـه غَـدا

مـا خـاضَـتِ الجِـنُّ والإنـسـانُ معرفة

تـوهّـمـتْ أنـهـا قـد تُـدرِكُ الـصَّـمَـدا

إلاَّ بَـرَزْنَ لـهـا الأنـوارُ حـاجِـبَـةً

فـهـي الـحـجـابُ ومـنـهـا ذا الـوجـودُ بـدا

دارتْ ضـمـائـرُهـا فـي الـكـون سـاريـة

تُـقَـسِّـمُ الـعـينَ لـلأعـيـانِ كَـي تَـرِدا

حـوضَ الـظُّـهُـورِ إلـى أفْـلاكِ حَـيِّـزِهـا

تَحْـتَ الجـلالِ سِـوى هـذا الـذي حـمـدا

فَـرَحْـمَـةٌ، نـعـمَـةٌ، حـمـدٌ، ومطْـلَـعُـهـا

مـن جـوهـرٍ واحـدٍ بـل كـان مُـنْـفـردا

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده نجوم الهُدَى بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

فَـمـدَّ مـا مــدَّ مـن أســــرارِ مَـظْـهـرِه
نـال الـصّـحـابـةُ مـنـه الـفـضـل والـرَّشـدا

هــذا أبــو بـكـرٍ الـصَّــدِّيـقُ أفـضَـلُـنـا
نَجـمُ الـنُّـجـومِ لـه فـوق الـسـمـاءِ صـدى

بـالـصِّـدقِ أهَّـلـه الـهـادِي وأنْـزَلَـهُ
بَـعْـدَ الـنَّـبـيِّـين أُسْـتـاذًا لمـن سَـجَـدا

نـاديـتُ يـا عـمـرَ الـفـاروق أشـجَـعَـنـا
بـعـدَ الـرَّسُـولِ وعـدلاً صـانِـعَ المـجـدا

مـن بـعـدِهِ جـاء عُـثـمـانُ الـسَّـخِـيُّ وذو الـنْـ
ـنُـوريـن مِـن أجْـلِـهِ مـدَّ الـرسـولُ يـدا

مُـبـايـعًـا يَـومَ نـحـرٍ كـادَ يَـهْـجُـرهُ
بـعـضُ الـصَّـحـابـةِ مِمَّـن فَـسَّـرُوا الـوعـدا

هــذا عـلِـيٌّ أبــو الـسِّـبْـطـين سـيّـدنـا
بــابُ الـعـلـوم وَحـيـدًا جــاءَ مُـنْـفَـرِدا

جَـدُّ الـشَّـرِيـفِ الـمُـنِـيـفِ الـطَّـاهـرِ الـفـاسـي
عَــيْنُ المـعـارفِ مـا أقْـصـاكَ يـا مَـدَدَا

يـا سَـيِّـدِي يـا رسُـولَ الـلـه يـا أمـلـي
هــذي نجـومُ الـهُـدى سَـمَّـيـتَـهـم رُشـدا

ولاحِـقٌ بِـهِـمُ كـلُّ الـصـحـابـةِ مِـن
أصـحـاب بَـدرٍ وأُحـدِ كُـلُّـهـم سُـعـدا

فـالـسـابـقـونَ بِـهَـدْيِ الـسـابـقـين سَـعَـوا
مِـن بَـيْـنـنـا بـضْـعـة فـامْـدُدْ إلـيـنـا يـدا

مـن بـايَـعَ الـشَّـيـخَ بـالإخْـلاصِ فَـهْـو هُـمُ

وَهُـــمْ لَــهُ أُسْـــوةٌ فـي الـبَـيْـعِ والـعـهْـدا

والـــنُّـــورُ ســـار إلـــى يـــومِ الـلـقـاءِ فَـمِـنْ

صَـحْـبِ الـيَـمِـينِ صِـحـابي كُـنْ لنا سَـنَـدا

مَــــدَدْتَ شَـيْـخِـيَ مَـــدًّا لا حـــدودَ لَـهُ

حـــارَتْ عُـقُـولُ الأُلـــى مـا ســافَـروا أبـدا

مـا سـافـرَ الـسَّـائـرونَ الـمُـنْـتَـمُـونَ إلـى

سُـفْـن الـسَّـعـادةِ بـالأذكـارِ والـــوِرْدا

إلاّ أتـتـهـم رِيـــــاحُ غَـيـرِ عـادتـهـا

تُـنْـجِـي الـغَـرِيـقَ بـإخـلاصٍ إذا شَـهِـدا

عـــينَ الـشُّـهـودِ أبـــا الـزهـــراءِ سيّدنا

مـحـمـدًا بَـيْـنَـنـا ســـارٍ ومـــا فُـقِـدا

عـــينَ الـطَّـريـقِ (تِجـانـــي أحـمـدَنـا)

سِـــرُّ الـطَّـرِيـقِ إلـيـهِ يَـنْـتَـهِـي الـسَّـنـدا

خَـتْـمَ الـوِلايَـة عَـينُ الـفَـتْـح مَـطْـلَـعُـها

كَـتْـم الـحـقـائِـقِ بَـرهَـامَ الـفُـيُـوضِ بَـدا

فــــالأولُ الآخـــرُ المـشـــهـودُ بـاطِـنُـه

دارَتْ ودارَتْ ودارتْ كُـلَّـمـا مَـدَدا

مـتَـى قَـصَـدْتَ مَـــدارًا لـلـحـقـائِـقِ أو

سِـرَّ الـمَـظَـاهِـرِ فـانْـظُـر أحـمـدا تَجِـدا

إنَّ الـفُـتُـوحَ جَـمِـيـعًـا تَحـتَ قَـبْـضـتِـهِ

مـا فـاضَ شـيءٌ سِـوَى مِـنْ بـابِـهِ صَـعَـدا



هـذا أبـو الـفـتْـح مِـفْـتـاحُ الـوِلايَـة فـي
هـذا الـزَّمـانِ إلـيـهِ تـنْـتَـمِـي الـسُّـعـدا
ابـنُ الـبَـتـولِ فـكـم مـن فـيـضِـهِ شَـرِبـوا
حتى أفـاضُـوا وسـارُوا فـي الـظـلامِ هُـدى
شُـدَّتْ رحـال إلـى (يـروٍ) لـرؤيـتـه
هـذا الـولـي فـمـنـه يُـجـتَـنَـى الـشَّـهـدا
خـلـيـفـة الـشـيـخ أصـلٌ مـن تـفـاعـلـه
ونـسـخـةٌ حـازت الإجـلال والـرشـدا
مـرشـح الـحـضـرة الـعـلـيـا وخـادمـهـا
تحـيـة لـكـم مـن (تْـشَـادنـا) فـردا
مـا رحـمـةٌ أنـزلـتْ إلا ببـابـكـمـو
فـارْسِـلْ يـدًا حـتـى يـنـتـهـي الحـسـدا
وأَغـمـرنَّ جـمـيـع الـصـحـب حـبّـكـم
فـحـبـكـم حـبٌّ فـي المـخـتـار والـشُّـهـدا
وغـايـة الـسـرِّ حـبٌّ فـي الحـبـيـب وهـا
إنـا وصـلـنـا إلـيـكـم فـافـتـح الـسُّـدَدا
وأشـهـدِ الـشـاهـديـن الحـاضـريـن هنا
جـنًّـا وإنـسًـا وروحـانـي ومـا وجـدا
إنـي ابـن جـرْمـا مـحـبٌّ مـادحٌ ومـتـى
مـا قـام داع إلـى المـولـى فـنـحـن فـدا
صـلّـى عـلـيـك إلـهـي يـا مـحـمّـد مـا
هـبـت ريـاح تـثـيـر الـتـرب كـل مـدى

****

(٢)

حرف الهمزة

طـــال لــيــلٌ بـنــا وطـــال المــســاءْ
فــأتَــى الـصُّـبْـحُ والـصَّـبـاحُ ضـيـاءْ
طَـلَـعَـتْ شَـمْـسُـنـا مـن الـغـربِ سَـعـدًا
فَـتَـعـجَّـب إن شِـئـتَ قُـل مـا تـشاء
لا غـريـبًـا أن تَـطْـلـعَ الـشـمـسُ شَـرقًـا
بـل عـجـيـبٌ مـن غـربِ جـاءتْ ذُكـاء
هــذه (يَــروُ) أنْجـبَـتْ خَـيْـرَ فَـحْـلٍ
بـاهـر الـنُّـورِ، أنْجَـبِ الـنُّـجـبـاء
دارُه روضَـــةٌ تـفــوحُ عـبـيـرًا
مـن جـلالٍ ومـن جـمـالٍ سَـواء
يُـسـمَـعُ الـذِّكـرُ حَـولَـهُ كُـلَّ لَحْـظٍ
كـان فـي الـصُّـبْـحِ مِـثْـلَـه والـمَـسَـاء
كَـمْ عـلـيـلٌ فـي قَـلْـبِـهِ مَـرضُ الـنَّـفـ
ـسِ أتـاهُ قـد نـالَ مِـنـه الـشِّـفـاء
إنَّـه الـغـيـثُ يمـطـرُ الـفـتـحَ مَـطْـرًا
فَـيَـعُـمَّ الآبـاءَ والأبـنـاء
عُـمَّـنـا يـا أبـا الـفُـتُـوحِ بِـفَـتْـح
يَـغْـمُـرُ الـكُـلَّ مِـن رجـالِ نـساء

وأغِثْنا يا غوثُ من ظُلمِ الظُّلْـ
ـمِ أضَرَّتْ بنا النُّحوسُ البَلاءْ
لا تجد منزلاً من العوز ناجٍ
بل من الروع ملؤه والشقاء
فرجونا السّلام إنا فُجعنا
من حروب أذلّت الشرفاء
شهد الناس كلهم أنت قطبٌ
ارفع الكف مستجاب الدعاء
واستجِرْنا مستمسكين بحبْلٍ
منك نالته قبلنا السُّعَداء
خصَّكَ الشَّيخُ بالخلافة عنه
فبها صار في يديكَ اللواء
أنت مصباحٌ في الطريقة ترسٌ
ملجأٌ مأمنٌ وفيك الرجاء
مظهرٌ ما درى الحقائقَ عبدٌ
غاصَ في البحر واعتراهُ الفناء
نائبًا في الجلال من قال صدقًا
أو جمالٍ أو في الكَمالِ سواء
صفةٌ من صفاتِ أحمدَ عبدًا
مظهر الإسم رسمه المعطاء
أحمدٌ أحمدٌ متى ما نَظَرْنا
لكْ، لماذا اخترت هذا الخفاء
أنت ذا العبد ذا الزمانِ فما للنْـ
ـناس تعمى وها هو السّقاء

لا تـراهُ عـين الـشَّـقـاءِ مـن الـبُـغـ
ـضِ، ولـكـن تحـبُّـهُ الـسُّـعَـدَاء

يـشـهـدُ الـلـه أنَّـنـا مـن محـبّـيـ
ـكَ فـعـجّـل خـلاصـنـا مـن شـقـاء

ولـسـانـي لـم يـألـف الـشـطـح قـطـعًا
بـل إلـى الـشـيـخ مـيْـلُـهُ لا الـسَّـخـاء

لـم أبُـحْ بـالـذي دريـتُ مـن المشـ
ـرب، فـيـكـم مـن غـيـرتـي والـوفـاء

خُـصَّـنـي يـا أبـي بـشـيءٍ مـن الـفـتـ
ـحِ، قـريـبًـا يـزيـلُ عـنـي الـغـطـاء

وسـأَلْـنـا أبـا الـفـتـوح فـقـربًـا
مـنـك قـربًـا مـن الحـبـيـب رضـاء

ثُـمَّ يـومَ الـلـقـاءِ قـل يـا ابـن جـرْمـا
أنـت مـن فـوج سـيِّـد الـشُّـفـعـاء

سـيّـدي خـادم الحـبـيـب عـرفـنـا
كَ، خـديـمـا بـك تـكـشـف الـغـمّـاء

سـيّـدي خـادم الـرسـول ومـن حـو
لِـكَ، أبـنـاء كـلـهـم عـلـمـاء

مـدَّهُـمْ مـا بـقَـيْـتَ مـن شُـرْب بـرهـا
م، يـكـونـوا مـن بـعـدك الخـلـفـاء

وسـألـنـاك فـي الخـتـام صـلاةً
وسـلامًـا لـسـيِّـد الأنـبـيـاء

وعـلـى الـصَّـحْـبِ كـلـهـم وبـنـيـه
وذويـهُـمْ والآلِ والأوفـيـاء

****

(٣)

أيــا ظــلّ مــن هـــامَ الــفــؤادُ بـحُـبِّـه
أنــا مُـسـتَـظِـلٌّ جـئـتُ لـلـقـربِ سـائـلا
رأيـــتُ ظِـــلالًا عـمَّـتِ الـكـونَ جُـمـلـةً
ومَـن يـرو يُـغْـلِ الـغـرسَ فـي الـطـولِ كـامِـلا
ومــا شَـــدَّ حـبـلٌ مـنـك إلاّ وقــد عَـلا
ومَـن قَـطَّـع الأوصـــالَ يَـهْـوِي مِــنَ الـعُـلا
ولِـــمْ لا وأنـــتَ الـيـومَ مِـفْـتـاحُ فَـيْـضـةٍ
أبــو الـفـتـحِ إفْـتَـح لـي بِـــدَارِك مَـنـزلا
وأدْخِـلـنـي فـي فَـلْـذَةِ الـقـلـبِ أفْـنِـنِـي
فَـــنـــاءً بـــه أبـقــى مُـطِـيـعًـا ومـاثِــلا
أمــامَـك لا مَـحْـجـوبَ مِـمَّـــا طَـوَيْـتَـهُ
مـن الـسِّـرِّ والأسْـــرارِ فـي الـسـرِّ داخـلا
ومـــا خَـــطَّ إبــراهــيــمُ خَــــطّ.....
سِـــواكَ فَـلَـمْ أشْـــقَ بمـا أنـتَ حـامِـلا[١]
أجِـرْنِـي وأبْـنـائِـي صِـحـابِـي وإخْـوتـي
وَشَـيِّـدْ لـنـا صَـرْحًـا مَـنِـيـعًـا وفـاصِـلا
يُـؤَمِّـنُـنـا جِـسًّـا ومَـعْـنَـى إحـاطَـةً
وألْـبِـسـنـا عِـــزًّا وبـالــمَـجْـدِ كَـلِّـلا

(١) هكذا ورد البيت وفيه نقص.

وأغْـــدِقْ لنـا الإصــلاحَ والــمُـلْـكَ والـغِـنَـى
وفـــي الـلــهِ كُــــلًّا ذاك بـالـلــهِ فـاعـلا
فـأقـسـمـتُ أن الـنَّـصـر جـــاءَ حَـلـيفَـنَا
يُـبـايِـعُ عَـــهْـــدًا مِـنـه آنَّــا واَجِـــلا
فـإن أمــرَ الِمـقـدامُ فـي الحـــالِ تَـنْـجَـلي
كُـــرُوبٌ يـراهـا الـبَـعـضُ مِـثْـلُ الـسَّـلاسِـلا
ومــا كـــانَ أمـــرُ الـشَّـيْـخ إلاَّ مُـسَـلِّـمًا
لأقْــــدارِ رَبِّ الـعـرشِ مـا شـــاءَ فـاعـلا
وإنِّـــي أبِـــي سَـكـرانَ بـالـشَّـوْقِ والـهَـوَى
لِـــذاتِـكَ فـاسْـقِـنِـي كُـــؤوسَ الـشَّـمـائـلا
لألْـبَـسُ سِـــرًّا مـنـك يَـسْـرِي بـهَـيْـكَـلِـي
فـــأزدادَ مَـرقًّـى فـي رِحـــابِ الـمُـكَـمَّـلا
فـلا تَـنْـظـرنَّ الـعـيْـبَ مِـنِّــي فـإنـني
عُـــيُـــوبٌ وأبـقـتْـنـــي لـديـهـا مـكَـبَّـلا
وهـــا جِـئْـتُ عُـريـانًـا مـن الخـيـر عَـلَّـني
أفـــوزُ بـإمــدادِ الـصُّـــفُـوفِ الأوائِـــلا
مـتَـى سـابَـقَ الـــمُـدّاحُ فـي مَـدحِ أحـمـدٍ
أبـي الـفَـتْـحِ يَـلْـقَـونِـي أمـامًـا مُـسَـجَّـلا
وإن فـاتـنـي الـتَّـعْـبـيـرُ نَـظْـمًـا ومـنْـطِـقًّـا
فـمـا كَــنّ صَـــــدْرِي مُـــفْــردٌ لا يُـمـاثَـلا
فــمــاعَـرفَـتْ يـــرْوَ مِـــن الـشـيـخ ظِـلَّــهُ
فـفـي الـقُـربِ غـيـمٌ عـــاتِمٌ (وهـــو حـائـلا)
وقــــدْ رأتِ الآفـــــاقُ أنـــــوارَ ذاتِـــهِ
تُـضِـــيءُ مَـصَـابِـيـحًـا إذا اللـيـل أُسْـــدِلا

فإنْسًا وجنًّا قادَها النُّورُ في الدُّمى
فما شاهَدَتْ للقُطْبِ (ثانٍ مماثلا)[1]
وما قاطَنَ المَحْبُوبُ طَه مُصاحِبًا
سِواكَ فما الأيامُ تَدرِي ولا ولاَ
هناكَ مكانٌ يحصِرُ الأمرَ مطلقًا
تلاشت وذابتْ كلُّ أوهامِ سائلا[2]
فمَهْما سَرَى الإمْدادُ في الكونِ جُملةً
فأنْتَ لها عينُ الوِعاءِ المُغرْبِلا
فيا سيِّدي إغْرِفْ لنا شرْبة
من الحوضِ أرْوِنا بما (أنت نائلا)[3]
وامْلأ لُبِّي كُلَّهُ حُبَّ أحمدٍ
لأسْعدَ حَتْمًا بالذي جاءَ مُرسَلا
شَفِيعِي رسول اللهِ بَرهامَ مِصْعَدِي
وَتِجَّانِي أُسْتاذِي وسَيْفِي على المَلا
بِهِمْ كُلُّهُم نَوَّرْتُ سِرِّي وظاهِري
فزال حِجَابِي لا ترانِي مُعُطِّلا
عليك صلاة الله ثم سَلامُهُ
صلاة بها أبقى عزيزا مُبجّلا
عليك صلاة الله ثم سَلامه
من العبد جرمًا لا تراه تَخَاذَلا
عليك صلاة الله ثم سلامه
وآل وأصحاب كرام أفاضلا

مولد ١٤٢١هـ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) هكذا وردت في الأصل.

(ديوان دُرَرُ الحَقَائِق في مدحِ سَيِّدِ الخَلائِق تأليف محمد جرمة خاطر التجاني أنجمينا – تشاد)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم ، الحمد لله الأول الآخر الظاهر الباطن.

نحمده إذ جعل محبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم شرطًا مُلازمًا للإيمان وخير وسيلة لمحبته هي الإكثار من الصلاة عليه، ومدحه ومتابعتها في قوله وفعله، اللهم أدخلني في قلب الإنسان الكامل وحببني إليه صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه، اللهم حَبِّب إلينا كل من أحبه واجعل في قلوبنا البُغْض والعداوة لكل من لم يُحبه أو من نقص في شأنه.

أما بعد:

أيها القارئ لهذه الأبيات المتواضعة أستسمحك عذرًا لأن هذا الميدان له أصحابه ولكننا معشر المتصوفة ولو أن للبعض منا باعًا كبيرًا في الشعر وفنونه إلا وأن البعض الآخر لا تهمه القواعد الشعرية كما يهمه في الدرجة الأولى أن يعبر عن محبة تخالج صدره وشوق يحرق أحشاءه ولم يرتح إلا حينما يتلفظ بذلك – وأنا من هذا الصنف الأخير.

فإذا أردت أن تطرق أبواب العروض وقواعد اللغة فقد تلاحظ أخطاءً وأما إذا أردت السَّبح في بحار المعرفة فتجد ما تريد من سُكرٍ وصَحوٍ وفناءٍ ووجود وغيرها، لأنه شبت من فيضة الشيخ إبراهيم وممدودًا من أنوار القطب المكتوم والخاتم المحمدي المعلوم أبوالعباس أحمد بن محمد التجاني وتمسكًا بأهداب صاحب الوقت أحمد علي أبو الفتح فلا يخل صادق في محبة هؤلاء من مداخل ومخارج هذا الفن الصوفي ولله الحمد.

أخرج هذا الديوان القليل في قصائده الكثير في معانيه (دُرر الحقائق في مدح سيد الخلائق) أرجو من الله أن يجعله مقبولًا وسهلًا ومقروءًا.

****

(٤)

أجِـزْنِـي رَسُــولَ اللـهِ فـي الـمَـدْحِ إنَّـنِـي
ولــوعٌ بــأمْــداحٍ تُــزيــنُ مـجـالِـسِـي

يـقـيـنـي بــأنَّ الـيـومَ أمــسٌ وقَـبْـلَـه
بـأنَّـكَ إنْ لـم تَـسْـمَـع المـدحَ قـاعـس[1]

ومــا مَــدَحَ الــمُـدَّاحُ غَـيْـرَكَ إنَّـمـا
يُـخَـيَّـلُ لـلـغـاوِيـنَ تِـلْـكَ الـنَّــواوِسُ[2]

إذا مَــدَحَ الـوَلْـهـانُ لَـيْـلَـى وحُـسْـنَـهـا
يُـعَـبِّـرُ غَـضْـبًـا عَـنْـهُ عـن خَـيـرِ أنْـفُـسِ

تَـعَـلَّـقـتُ بـالــمَـحْـبُـوبِ طَــه وَحِــزْبِــهِ
أصــابـا فُــؤادِي بـالـسِّـهـامِ الـعَـرائِـس

فَـحَـمْـدًا لـك المحـمـودُ حـمـدًا مـحـمّـدًا
يـحمِّدُنـي فـي الحُـبِّ والـعـشْـقِ غـاطِـس[3]

وَأجْــعَــلَ أحْــوالِــي إلــهِـي وجُـمْـلَـتِـي
تُـشِـيـرُ إلـى أصَـلِ الـوُجـودِ الـمُـقَـدَّسِ

وَتَـغْـمِـرَ ذاتِـي فـي الـمَـعَـانِـي جَـمِـيـعـهـا
أتـيـه هُـيـامًـا مِـثْـلَ إن كُـنـتُ مُـلْـبَـسِ

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) هكذا ورد في الأصل وفيه إقواء.

(٣) هكذا ورد في الأصل.

وَتُبهِرني الأنوارُ حَقًّا مُغَيَّبًا
بلا صَحْوِ حَتّى تَنْجَلِي آيةُ الكُرْسِي
وَإنِّيَ وَلْهانٌ لأَلْقاكَ سَيِّدِي
وإنْ كُنْتُ مَسْجون الحِجابِ العَرَنْدَسِ
لتغسِلَ قلبي عن سِواكَ وترْضِني
حبيبًا خديمًا ذلكَ اليوم ذا عُرس[1]
وَأوْرِثَنِي الإحسانَ نومًا ويَقَظَةً
لأبْصِرَ عَينَ العِينِ حَقًّا بلا لَبْسِ
وَإنّي رَسولَ اللهِ ناديتُ طالِبًا
رِضاكَ لِتَمْحَوَ لي الذُّنُوبَ كذا رِجْسِ
وتَحْقيقِ سَعْدِي بالسَّعادةِ والهَنا
ونُضْرَةُ وَجْهِي دُونَ ضَيْرٍ ولا بأس
وادْخِلَني الجنَّاتِ حَيًّا ومَيِّتًا
مَماتِي مُحِبًّا فيكَ عُرْسَ العرائِسِ
جَعَلْتُ رِكابي ورْدُ شيخِي ومُخْلصًا
أُصَلِّي على المحْبُوبِ لا أخْشَى هاجِس
قيامًا قُعُودًا واضّطجاعًا وماشيًا
يَلُجُّ لساني بالصَّلاةِ وذا أُنْسِي
فَظَنَّ أُصَيْحابي رفاقِي وجَيرَتِي
ظُنُونَ يَرُونِي صِرتُ سَكرانَ واعسر
شواهدُ ذاتي لا تَرَى غَيْرَ واحدٍ
يُديرُ كُؤُوس الرِّزْقِ للجنِّ والإنس
هُوَ القاسم المعْروفُ بالعدْلِ باسطًا
يَدَ الخَيْرِ مِعْطاءً مِنَ البحرِ أطْلَسِ

(١) هكذا ورد في الأصل.

فـأجْـعـلُ قِـسْـمِـي كُـلَّـهُ فِـيـكَ مُـخْـلِـصًـا
فـنـاءً وحُــبًّــا بـاجـتـنـابِ الــوســاوِس
أشِـــرْ لـي أشِــرْ لـي إنْ حَـضَـرْتُ زِيــارَةً
وإنْ لـم تَـغِـبْ قَـطْـعًـا بـكُـلِّ المـجـالِـسِ
أقِـلْـنِـي أقـلـنـي مِــن عُـيُــوبٍ وعَــثْــرَةٍ
فــإنِّـــي فـقـيـرٌ لـلـشَّـفـاعـةِ لامِـــس
وأطْـلِـقْ لِـسـانِـي بَـلْ جَـنـانِـي وخـاطِـري
تَـسِـيـلُ مـديـحًـا فـي جـنـابِ الـــمُـرأَّسِ
حـديـثـي وأنـفـاســي خـيـالـي ووارِدِي
يَـطـوفـونَ بـي حـولَ الـرَّسُـولِ الـمُـؤَسِّس
وَهَـــبْـــتُ حـيـاتـي لا أُبـالــي بِـغَـيْـرِهِ
وأودَعـــتـــهُ ديـنـي وروحــــي وأنـفـاسـي
خـواتـيـم أعـمـالـي وسِـــرُّ طـريـقـتـي
وقـلـبـي لـيـحْـيَـى كـلـمـا صــار يـابـس[1]
فــــأوْدعَ ســـرِّي ثُــمَّ لُـبِّـي وظـاهـري
لـطـائـفَ غـابَـتْ عَــنْ كـثـيـرٍ مـنَ الـنَّـاسِ
فَـــفُـــزْتُ بِـــأنـــوارٍ تـفـيـضُ وتـحـتـفـي
بِـجـيـشٍ مِــنَ الإلــهـامِ جَـــرَّار هـامـس
ولـكـنَّ قَـــدْرَ الـمُـصْـطـفـى لا يُـحِـيـطُـهُ
كـــلامٌ ولا أســـفـــارُ كُـــلّ المــــدارِس
فَـصَـلَّـى عـلـيـهِ الـحَــقُّ فـي حـق قـدرهِ
وتَـقْـدِيـمِـهِ فـي الخَـلْـقِ أضْــوَا مـن الشَّـمـسِ

****

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٥)

سَلكتُ إلى سرِّ الحَقيقةِ إذْ بها
بُروقٌ ونُورٌ من بهاءِ المُطَهَّرا

بهاءٌ أعارَ الشَّمسَ نُورًا ومَدَّها
سِراجًا وللأقمار ضوءًا مُدَوَّرا

بهاءٌ له ذاتٌ وللغيرِ عارضٌ
جُفاءٌ كمثلِ الزَّبْدِ إن جاءَ عابرا

بهاءٌ به سَترُ القبيحِ وثَوْبهُ
ولولاهُ يلقى البعض بعضًا مُنكّرَا

بهاءٌ بِهِ الحَسْناءُ حَسَناءَ غادةً
ولولاهُ لا حَسْناءَ لا غادةً تُرَى

جَميلٌ بلا تَفْصِيلِ مِشْكاة كَونِنا
وَجُمْلَتُهُ في الأصْلِ قدْ كان جوهرا

فَمنهُ شُعاعُ الكائناتِ جميعَها
ومُطْلَقَ نورٌ ليس في حَيِّزٍ يُرى

ومنه اسْتمدَّ الظِّلّ إمكانَ عَيْنِهِ
ومنشور رقٍّ في كتابٍ مُسَطَّرا

فإن قُلْتَ كلَّا كان كُلَّا وجُزءَهُ
وإنْ قلت جُزءًا فهو أصلٌ بلا مِرا

فـلا عـبـدَ إلاَّ الـعـبـدُ قــالُــوا بــه بلـى
ولا رَبَّ إلاَّ الــــرَّبُّ فَـــــرْدًا وقـــادِرا

ومُـــفْـــرَدُ كُـــلَّ الـنَّـــاطِـقــينَ أتـــى بـه
ومِــن عِـلْـمِه عِـلْـمُ الـقـدامَـى وحـاضِـرا

فـلا عَـجْـبَ إنْ مـا طـارَ صــارُوخُ عَـصْـرِنا
ويُــرسِـــلُ لـــلأرْضِـــينَ صُـــورًا مـنـاظـرا

ومـا الـقـولُ فـي المـعـراجِ مِـنْ غَـيْـرِ طاقـةٍ
مُـحَــرِّكُـهُ مِــن دُونِ نَـفْـطٍ بــه سـرى

وكــان أبُـــو حَــفْــصٍ يــقُــودُ جُــنُـــودَهُ
وفــي يَـثْـربَ مَـوجُـودُ مِـن دُونِ أقْـمُـرا

ولا حَـصْــرَ لـلأمـثـالِ لا تُـغْـنِ حـاجـةً
بـلِ الحُـبُّ فـي المحـبـوبِ عَـينُ الـمُـفَـسِّـرا

حـبـيـبـي رسُــــولَ الـلـــهِ يـاســين مُـنـذِرا
تـفـتَّـتَ قـلـبِـي فـي الـسِّــراجِ الـمُـبَـشِّـرا

تُجـــاذِبُـــهُ الأشْـــــواقُ فــي كُـــلِّ رُتْــبَـــةٍ
وفــي نـسـبِ الأعــيــانِ إنِّـــي الـمُـسَـيَّـرا

سَــرَيْــتُ ومــا الــسَّــاري أنــا فــي رِحـابِـهِ
ومــا لـيـس غـيـري جَــلَّ شـــأنُ الـــمُـدَبِّـرا

ومـــا نِـلْـتُ ذي الـنَّـفْـحـاتِ إلاّ بـحُـبِّـهِ
تـطـايـرَتِ الأوصــــالُ لــم أدر مــا جـرى

وهَـــلْ كــان شـــيءٌ غـيـرَ حُـجْـبٍ تـكـاثَـرَتْ
عــلــيَّ وأوزار ومـــا كــنــتُ أجْــــدَرا



مِـنَ الـنَّـفْـسِ والـشَّـيْـطـانِ والـلَّـهْـوِ والمِـرا
ولـغْـوٍ وفُـحْـشٍ كـان جَـهـرًا ومُـضْـمَـرا

وآفـــاتِ قَـلْـبِ يُـبْـغِـضُ الـغـيـر حـاسـدًا
وفِـيـهِ نِـفـاقٌ كَـيْـدُ حِـقْـدٍ تَـكَـبُّـرا

فـلا يـطـمَـعَـنْ مَـن كـان هـذا مِـثـالُـهُ
إلـى رُؤيـةِ الـمُـخـتـارِ ذَوْقًـا ومَـنْـظَـرا

ويـا حـسـرة الـمُـحـتـالِ يقـضـي نَـهـارَهُ
ولـيـلاً ولا يَـزْدادَ إلاَّ تَـحَـسُّـرا

فـكُـن مُـخـلـصًـا والـصِّـدقُ مـن بـعـدِ تـوبـةٍ
وكـن مُـسـتـقـيـمًـا واتَّـقِ الـلـهَ صـابـرا

وكُـنْ مُـطْـمـئـنًـا تـشْـهَـد الـحَـقَّ جَـهْـرَةً
فـراقِـبْ مَـعَ الأنْـفـاسِ تـلـقـاهُ حـاضِـرا

هُـنـا تـسـبَـحُ الأرْواحُ مـن غـيـرِ أجْـنُـحٍ
تـهـيـمُ فـتَـجْـنـي وارِداتٍ خـواطِـرا

وتَـهْـبِـطُ فـي الـحَـضْـراتِ طـيـفًـا مُـكَـرَّمًـا
صُـعُـودًا نُـزولاً مـثـلَ طـيـرٍ مُـهـاجِـرا

فَـفَـرِّقْ لـتُـعـطـي كُـلَّ ذي حـقٍّ حـقَّـهُ
وخُـذْ مـا حـواهُ الـقـلـبُ بـالـعـقـلِ نَـوّرا

وهـذا رسـولُ الـلـهِ مـولـودُ مَـكَّـةٍ
يـتـيـمًـا تَـرَبَّـى وهْـوَ فـي الـعِـزِّ غـامِـرا

وعـاش كَـكُـلِّ الـنَّـاسِ مِـن بـيـن أهـلِـهِ
ومِـثـلـكُـمُ بـشْـرٌ يـقـولُ الـمُـبَـشِّـرا

وقـــال نَـبـيًّـا كُـنـتُ والـحـــينُ آدم
حـديـثٌ أتَـــى لـلـعـلـمِ لا لـلـتـفـاخُـرا
وكُـــلَّ شُـــؤونِ الـــذَّاتِ فـيـه تـكـامـلـتْ
ومِـرآتـهـا ذاتِ الـرَّسـولِ الـمُـطَـهَّـرا
وقـبَّـلـتُ كـلَّ الـكـون قـبـلاً وآخـــرًا
أنـيَّـتـهـا فـي ذا الـكـتـابِ الـمُـحـرَّرا؟
تـلا فـي كـتـابِ الـلـهِ آيـــاتِ حِـكـمـةٍ
تـــلاوةَ قـــرآنٍ كـــلامٍ مُـسـطَّـرا
بـه عَـلِـمَ الـمـخـتـارُ مُـذْ كـان دُرَّةً
شـريـعـةُ رُسْـلِ الـلـهِ تـلـكَ الـمُـبَـرَّرا
لإرســـالِ جِـبـريـلٍ بـوَحْـيٍ مُـنَـزَّلٍ
ولـــولاهُ مـا جـبـريـلُ كـان الـمُـحـاضِـرا
دَنَـــا فـتـدلَّـى لـيـلـةَ الـقـدرِ جُـمْـلـةً
وتـفـصـيـلِ آي الـحـقِّ فـي الـلـيـلِ مُـضْـمـرا
كـمـا كُـلّ شـيءٍ مـا خـلا الـلـه بـاطـلُ
كـذلـك مِـن بـعـدِ ابـنُ عَـدْنـانَ مُـدْبِـرا
فـلـمْ يَـخْـلُـقِ الـرَّحـمـنُ لـلـذَّاتِ غـيـرَهُ
فَـعَـبْـدٌ ومـحـمـودٌ صَـفِـيٌّ مُـــوزّرا
وحـــمَّـــدَهُ مِـــن رُتْـبَـةِ الـــرَّبِّ مِـنَّـةً
مـحـمـدنـا سـجـادُ لـلـه شـاكـرًا
هُـو الـشَّـاهـدُ الـمَـشـهـودُ فـي كُـلِّ رُتْـبـةٍ
وكُـــلِّ مـقـامٍ نِـسـبـةً مِـنـهُ أثْـمـرا

فمـا سـاجـدُ غـيـرَ الـنَّـبـيِّ مُـحـمَّـدٍ

ومــا صـــامَ يـومًــا غـيـرهُ سـيّـدُ الــورَى

ومـــا جـــاهَــدَ الــكُــفَّـــارَ إلاَّ مـحـمَّـدٌ

وقـــدْ نَــشَــرَ الإســـــلامَ قـبـلاً وآخــرا

هُـــوَ الـــنُّـــورُ يــســرِي ســاقـيًـا كُــلَّ ذرَّةٍ

ولا يُــــدركُ الإمْــــدادَ غـيـرُ الــمُـصَـوِّرا

فـكـيـفَ يـكـونُ الــمَـدْحُ مِــنْ أيــن بَـــدْؤُهُ

ومِــن أيــنَ ذاكَ الـكَـيْـفُ مـن أيـن قُـدِّرا

تــذكَّــرَ لــي وَقْـــتُ مَـــعَ الـــرَّبِّ قـالـهـا

فـنُـصـحـي إلـيـكَ الآن شَـمِّـرْ وسـافِـرا

تَــــــزَوَّدْ بـتـسـبـيـحٍ وإسـتـغـفـرِ الــذي

إلــيـهِ يــعُــودُ الـعَـبْـدُ حـتَّـى يُـجـاوِرا

وَصَــــلِّ عـلـى المـخـتـار مـــاضٍ وحـاضـرٍ

صـــلاةً يـنـوبُ الـحــقُّ فـيـهـا تَـــذَكَّــرا[1]

هُــو الـــذِّكْـــرُ مــن ذِكْــــرِ الإلــــهِ صــلاتَـهُ

فـصَـلَّـى عـلـيـهِ الــدَّهْــرَ أبَـــدًا وكَـــرَّرَا

هُــو الــذِّكْــرُ إنْ لازمْـتَـهُ الــذِّكْـر سِـــرَّهُ

فَـصَـلَّـى مَـعَ الأنْـفـاسِ حَـضْـرُهُ صَـوَّرا

واعــلَـــمْ يـقـيـنًـا إنَّـــه الأمــــرُ صــــادِرٌ

صُــــــدُورَ تَـجَـــلَّ وهْــــوَ أمــــرُ تـكـرَّرا

ونــــادِي أبـــا الـعـبَّـاس يـــا أحـمـدَ الـــوَرَى

أبـي الـغَـيْـضِ شَـيْـخِ الكلِّ فـي الـكُـلِّ سـائـرا

(١) هكذا ورد في الأصل.

حقيقةُ عينُ الذَّات فاضتْ وِراثَةَ
وِوارِثُها المكتومُ بالخَتْمِ عَبَّرا

خليفتُهُ خَتْمٌ لِخَتْمٍ وخاتمٍ
فدارَتْ بلا حدٍّ فقَدِّمْ وأخِّرا

(وبَرْهامُ) عبدُ اللهِ عبدٌ حقيقةً
وإنْسانُ ذاتِ الإنْسِ خَلْقًا وجوهرا

وعاش فريدَ العصرِ قَبْلاً وآخِرًا
وعمَّتْ به الفَيْضا وشُرْباتُ كَوْثَرا

وخَلَّفَ أبناءً لجسمٍ ورُوحِهِ
هُمُ مِن شعاعِ الختْمِ سِرًّا ومَظْهَرا

شُيوخي شُموسُ الليلِ أصْحابُ بَهْجةٍ
مَدَارُ بُروجِ الكونِ فيهِمْ تبصَّرا

تَجِدْ فيهُمُ عَيْنَ التِّجاني وسِرَّهُ
فما غابَ عنَّا لحظَةً مُذْ تَوَزَّرا

تراهُمْ كمِثلِ الطَّودِ لكنَّ سَيْرَهم
تسيرُ بِهِ الذَّرَّاتُ كُلاًّ وتَشْكُرا

فعمَّ بهم للخَلْقِ حمْدًا ونِعْمةً
وما لم يَفِضْ من سِتْرِهم قدْ تبخَّرا

هُمُ منهم الخُلفاءُ قطْعًا تواترُوا
فلا يطمعنَّ الغيرُ واللهُ قدَّرا

هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقونَ قرابَةً
هُمُ الثُّلَّةُ الأخرى بفَضْلٍ فَبَشِّرا

هُـــمُ مَــن أحـــبَّ الــلــه سِـــرًّا وجــهــرةً

فـنـابُـوا عَـنِ الـحَـضَـراتِ حَـقًّـا بـلا مِـرا

إلــهـي بـخـيْـرِ الـخَــلْــقِ حُــبِّـي مـحـمَّـد

ســألْــتُــكَ عِــرْفــانًـا أجِــرْنــي مُـبَـكِّـرا

وإنْ لــم أكـــنْ أهـــلًا لـذنـبـي وعِـلَّـتـي

فــأنــتَ كـــريمٌ تُـــبْ عـلـينا لِـمــا جَــرَى

وسَــجِّــلَ إسْــمِـي بــنُ جَــرْمـا ومــن معي

مِــنَ الأهــلِ والأصــحــابِ حـتَّـى الأواخِــرا

عــلـيـه صـــــلاةُ الــلـــهِ ثُـــمَّ ســلامُــهُ

فـمـا ضَــرَّنِــي هــذا الــمُـعـادِي ونـاكِـرا

عــلـيـكَ صـــلاةُ الــلــهِ ثــمَّ سَــلامُــهُ

يَـعُـمُّ جـمـيـعَ الآلِ والـصَّـحْـبِ مُـكْـثِـرا

****

(٦)

تـعـرَّضَ لـي فـي كـلِّ شـيءٍ رأيـتُـه
جـمـالُ رسـولِ الـلـهِ والـشَّـأنُ أرْفـعُ

فـمـا ذرَّةٌ فـي الـكـونِ إلاَّ مُـجـيـبـةٌ
لِـمَـنْ قَـسَّـمَ الإيـجـاد وهْـوَ الـمُـجَـمِّـعُ

فـمـا ظـهـرتْ لـلـعـين والـعـلْـمِ نُـقْـطَـةٌ
فـي حـيّـزٍ مـحـسـوسٍ ومـعـلـوم اجـمـع[1]

تـدُلُّ عـلـى مـن خـلّـفَـتْـه عِـنـايـةٌ
مِـن الـلـهِ فـي المـربـوبِ والـعـيْنُ نـابـعُ

وكـلُّ كـمـالٍ فـي الـوجـوه رأيـتُّـه
يـدلُّ عـلـى ذاك الـشَّـفـيـعِ المـشَـفَّـع[2]

مـحـمـدُ عـبـدُ الـلـهِ مـحـمـودُ أحـمـدٌ
طَـوَتْ ذاتُـهُ كُـلَّ المـعـانـي الجـوامِـعُ

فـمـا نـابَ عـنْ شـيءٍ سِـوى عـيـنِ ذاتِـه
تـقـلَّـب فـي الأزمـانِ لـلـعـلـمِ مَـرْتَـعُ

فـمـا شـاهَـدَتْـهُ غـيـرُ عـينٍ مُـحـبَّـةٍ
تـعـرَّفَ إيـاهـا حُـمِـدًّا ونـافـع[3]

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) هكذا وردت في الأصل.

وما رحمةٌ إلا تمُرُّ ببابِهِ
إلى كُلِّ مخلوقٍ وللشَّرِّ دافِعُ
ومهما بلغتَ العلمَ في كُنْه ذاته
تدورُ بلا حدٍّ وإنْ كنت طامع[1]
فحَدُّكَ أنْ تعرفْهُ عبدًا ومُرْسَلاً
وما فوقَ ذا فاللهُ أدْرَى ورافعُ
وقدْ صارَ لي في ظِلِّ أنوارِ ذاتِهِ
تجلٍّ به أخطُو فأمْضِي وأرْجِعُ
ومهما تراني مُقْبِلاً مُدْبِرًا مَعًا
فإنِّيَ عبدٌ للأوامر طائعُ
وأشْرَبُ أنفاس الأثيرِ وناهِمًا
ثِمارَ صلاتي للنبي وهْو يانِعُ
وأمْرحُ في الأجواء إنِّي مصاحِبٌ
لِسُحْبٍ تُصَلِّي والرُّعودُ رواكِعُ
وأرْحَلُ أحيانًا مع الرِّيحِ عاصِفًا
نجوبُ الفيافي والنُّجومُ اللَّوامعُ
تصاحِبُني في كُلِّ هذا محبَّتي
وصِدْقي وإخلاصي لطه المُشَفَّعُ
فكمْ حُسْنِه أفنى وأبقى مُجاهِدًا
يريدُ عبورَ الجسرِ والنُّور ساطِعُ
فَأحمَدُ رَبِّي أنْ أراني حقيقةً
تدُورُ بذاتي وهْيَ للحَقِّ جامعُ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

وخـلَّـفـتُ نـفـسـي آمــرًا عــينَ ذاتـهـا
فَـصَـلَّـتْ فـجـاءَ الـحـمـدُ والـنُّـور سـاطِـعُ

فـأصـبـحـتُ مـن هــذا الـمـقـامِ مـصـلِّـيًا
ولـسـتُ أنـا مـن صَـلَّـى والأمــرُ واقِــعُ

تـقـبَّـلْ إلـهـي واعْــفُ عـنِّـي وأرضِـنـي
حـبـيـبًا لِـمَـحْـبـوبِ لَـدَيْـكَ الـمُـطـاوِعُ

وإغــفــرْ ذنــوبـي مــا بـقـيـتُ وعـافـنـي
مـجـيـرًا مـن الأعــداء وخُـلْـعِ الخـوالـعِ

فـحـسـبـي رسُــولُ الـلـه إنِّــي الـتـزَمـتُـه
رداءً يـقـيـنـي مــا حــوتْــهُ الـوقـائِـعُ

عـلـيـك صــلاةُ الــلــهِ ثــمّ سـلامـه
مُـحـبُّـكَ (جَـرْمـا) جـاء لـلـه راجــع[1]

عـلـيـك صــلاةُ الــلــهِ ثــم سـلامـه
وآلٍ وصَـحْـبٍ هُـمْ شـمـوسٌ طـوالِـعُ

عـلـيـك صــلاةُ الــلــهِ ثــم سـلامـه
قـبـولـي بـه تمـنـعـني كـلَّ المـطـامِـعُ[2]

****



---

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) هكذا ورد في الأصل.

(٧)

تـوجَّــهـتُ لـلـحـقِّ الــوجــوهُ عَــنَــتْ لـه
هــو الحـــيُّ والــقــيُّــومُ فَـــرْدُ الجـلالـةِ

تـوجَّـهْـتُ مـن هـذه أصـلِّـي عـلـى الـنَّـبي
مــحــمّــدٍ الأمِّــــــيِّ حـــيٍّ بــروضــة

عــجـزتُ إلــهـي أنْ أصَـلِّـي وهـــا هُـنـا
لِـسـانـي وعـقْـلِـي بَــلْ شــهـودي بغيبة

فـصِــرْتُ أصَــلِّــي حـيـثُ كـانـت صـلاتُـهُ
صـلاتـي عـلـى حـبِّـي وأصْـلِـي وغـايَـتِـي

بـهـا إجْــعَــلِ الـلـهُـمَّ نُـــورًا لِـسَـيِّـدي
إمـامـي شـفـيعـي مُـرْسَـلِ الحـقّ أُسْـوتـي

فـــإنَّ لـــه عَــيْــنًــا تــرانــي بـحـيـرتـي
لأخـتـارَ لـفـظًـا مـن صـــلاةِ الـطَّـريـقـةِ

لجــوْهَــرَتــي مِـــسْـــكٌ يــفــوح عـبـيـرُه
وفـــاتِحِ مـغْـلـوقٍ عـظـيـمُ الإشـــارةِ

فـلـمْ يَـبْـقَ لـفـظٌ مـن صـلاتـي عـلـى الـنـبي
يُـعَـبِّـرُ عـن قـصـدي وشـوقـي ولـوعَـتِـي

فـسـلّـمـت تـسـلـيـمًـا أحــاكـي صـلاتـه
عـلـى الـنَّـاسِ كـي أحـظـى بـتـبـلـيـغ رغـبـتـي

بـهـا أسـتـعـين الـلــهَ فــي كُــلِّ خُــطْـوةٍ

إلــى الحــقِّ أخْـطُـوهـا بـهـذي الـفَـريضـة

فَـصَـلُّـوا عـبــادَ الـلــهِ مـثـلـي فـإنَّـنـي

صـــلاةً وأنـــتـــم مـــن صـــلاةِ الحـقـيـقـة

فـأنـتـم أنــا فــي الجـمْـعِ والحـــقّ شـاهـد

بـــسِـــرٍّ وإعـــــلانٍ وبـــــدءٍ وخَـــتْـــمَـــةِ

تـفـرَّقَـنـا فــي الحــس بَـلْــوى وكُـلْـفـةً

ويـــا ربِّ هـــلْ كـلَّـفـتَ فـــانٍ وجِـيْـفـةِ

بـبـاب أبـــي الـــزَّهـــراء حِـبِّــي رسُــولــهُ

وقـفـتُ أُصَـلِّــي قـاصِـد الـســرِّ مـنـيـتـي

فـنُـوديـتُ مــن سِـــرِّي ورُوحـــي وقَـلْـبِـه

عُـبَـيْـدُ صـــلاةُ الـعَـيْـنِ لـلـذَّاتِ نـالـتِ

فـهِـمْـتُ إشـــاراتٍ بَـــدَتْ مــن إشـــارةٍ

إلـــى ذاتــهــا لاحَـــتْ وغـــابَــتْ لـغـايَـةِ

فـصـلُّـوا عـبـادَ الـلـهِ مـن حـيـثُ أنـتُـم

أُمِــــــرْتُمْ بـهـذا فـاسْـرعـوا بـالمحـبَّـةِ

مـحـبَّـتُـهُ نجــوًى مـع الـقـلـبِ حِـكْـمَـةً

بـهـا تـعـرفُ الإنـسـانَ تُـدْخِـلْـكَ زُمْـرَتِـي

فَـصِـحْ أنــتَ مِـن جـهـلٍ وحُـجْـبٍ وظُـلْـمةٍ

وأُدْخُــلْ طـريـقـي كُـنْ مـعـي فـي الـوظيفة

تـنـلْ خـيـرَ دُنـيـا ثـمَّ أخـــرَى جـمـيـعِـهـا

بـــحُـــبِّ نـــبـــيٍّ عِـــلَّـــةَ الـــكـــونِ آيـــةِ

حبيبي رسولَ اللهِ ناديْتُ طالِبًا
دُخولَ رحابِ القُدْسِ بالقُدسِ رِفْعتي

بِحَقِّكَ قدْرًا ثم مقدارِكَ الذي
خفاهُ الذي يُدركُ حقَّ الحقيقة

أجِرْنِي هَوى نفسي وعلِّمْنِي سرَّها
لأشْهَدَ مَنْ أخْفَتْهُ ظُلمًا وريبة

لأسجَدَ للرَّحمنِ عبدًا مُطاوِعا
فلا سائلاً مسئولَ لا سُؤْلَ رغبتي

هنا إنتهَى سَيْري وللسَّيرِ عودةٌ
إليه يسيرُ الأمرُ في البدء خَتْمِتي

هنا إنتهَى سيري وأرجُوهُ وَقْفةً
لأرويَ لُبِّي ناهِمًا ألفَ غَرْفَةِ




هنا إنتهَى سيري هنا كانَ بدءُهُ
هنا كان عينَ العَينِ صِدقُ المَحَبَّةِ

هنا كان لي الإيمانُ أصْبَحْتُ مُولَعًا
ولَهْفِي إلى الإحسان عينِ الشَّهادةِ

هنا إنتهى من حيثُ لابدّ سَيْرُنا
وكيفَ يكونُ السَّيْرُ والعِلْمُ نُقْطة

فلا كيف لا كمّ ولا بدّ الانتها
فإن شئتَ صَلِّ في فناءٍ وصَحْوةِ

فلمْ يبقَ إلا الحقُّ والحقُّ وحْدَهُ
سواه محالٌ في شهودٍ وغَيْبَة

فـصـلَّـيْـتُ مَـحْـبُـوبًـا مُـحـبًّـا وهــا أنـا

عــرفْــتُ مــن المـحــبــوبِ بــالـحــبِّ غُــرْفَـتِـي

بـفـضـلِ أبـــي الـعـبَّـاسِ هــذا مـرامُـنـا

نُـحـلِّـقُ فـي الـرَّوضــاتِ فـي كـلِّ جمعة

صـلاتـي عـلـى المـخـتـار نَـهْـمًـا مَـحـبَّـةً

وطــوعًـــا لأمـــر الـلــه مــن غـيـر كُـلْـفـة

عـلـى الآلِ والأصــحــابِ قـصْـدي تحـيَّـةً

صـــلاة وتـسـلـيـمًـا فـــي سِــــرٍّ وجـهـرة

****

(٨)

أصلُ الوجودِ أبو الزَّهراءِ سيّدُنا

محمَّدٌ سابقُ الأَزْلاتِ مولانا

طوَى معانيْ وأسرارًا وجُمْلتُها

تَعَيَّنَتْ فَهْوَ للأكوانِ أوْطانا

هو الصِّفات تمعَّنْ فيه تعرِفْهُ

صَلِّ عليهِ وأكْثِرْ وامْشِ جَوْعانا

حتَّى تلاقيه نومًا أوْ مُشافَهَةً

تُصافِحُ الرُّوحُ رُوحًا أينما كانا

هذا الحبيبُ حبيبُ اللهِ من قِدَم

صَلَّى عليه مُمِدًّا مَحضَ إحْسانا

محمدٌ أحمدٌ محمودُ حامدُنا

حمدانَ تشْكيل إسْمِ الحمْدِ عِرْفانا

فَرَحْمَةٌ راحمٌ رَحْمانَ مِن أبدٍ

بالمؤمنين رَحيمًا أي قُرآنا

هذي صفاتٌ وأسْماءٌ ومَرْتَبَةٌ

عَمَّتْ خصائِصُها جِنًّا وإنسانا

وإنْ دَرَيْتَ فأعْيانُ الوُجودِ بها

ظهرن من عَدَمٍ لا تبق حيرانا

لا تـأخـذُ الـعـينُ إلاَّ قـــدْرَ حـاجـتـها

لا زائـــدًا فـيـهِ إسْـــرافًـــا ونُـقْـصـانـا

كُـــلُّ الـــوجـــودِ مُـثَـنَّـى سِـــرِّ خـالـقِـهِ

فـمـا تـــراهُ سِـــوَى أنْـثَـــى وذُكْـــرانـــا

فـــأُذْكِـــرِ الـلـــهَ لا تـفْـتَـرْ وكُـــنْ معه

ولا تَـغِـبْ عـنـهُ فـي الأحـــوالِ أحْـيـانـا

تـكـنْ حـبـيـبًـا ومـحـبـوبًـا إذا صَـدَقَـتْ

مـنـكَ الـنَّـوايـا فـقـد يـكـسُـوك رِضْـوانـا

فـإلْـزِمِ الـشَّـرْعَ واعـمَـلْ بـالـنَّـوافِـلِ لا

تَـغْـتَـرَّ بـالـقُـرْبِ قـدْ يـأتـيـكَ خُـسْـرانـا

فـكـم تـظُـنُّ قـريـبًـا وهـــو أبـعـدُهـا

يـكـونُ مِـــنْ ربِّـــه بـالـسَّـلـبِ عُـرْيـانـا

حـسْـبـي إلـــهـي وإيـمـانـــي ومُـعـتـقـدي

أودَعـــتُـــهـــا لـــك إســــــرارًا وإعـــلانـا

أسـلـمـتُ وجـهـيَ فـي الـدَّارَيْـن أقْـبَـلَـنـا

أمًّـــــا وزوجًـــــا وأبـــنـــاءً وإخـــوانـــا

واغـفِـرْ لِجَـرَمـا أبـي مـا قـدَّمـتْ يَـدَهُ

ووالـــديَّـــهِ وأحْـــبـــابًـــا وجـيـرانـــا

وصَـــلِّ رَبِّـــي عـلـى الـهـادِي وعِـتْـرتِـه

أزكـــى صـــلاةً تَـعُـمُّ الجَـــوَّ رَيْـحـانـــا

****




(٩)

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الهادي ناصر الحق وعلى آله حق قدره. وهذه قصيدة: بطاقة تعريف في مدح صاحب الفيضة الشيخ إبراهيم بن عبد الله نياس:

هَبَّني الشَّوقُ إلى الهادي حبيبي وإمامي
فصباحي ومسائي هِمْتُ في هذي المعاني
لم أرَ الطَّلْعةَ بِالحقِّ سِوَى كَنْزِ الزَّمانِ
فاضَ منهُ وإليهِ بعدَ تَتْريهِ المَكَانِ

طَلْعَةٌ أبْرَزَتِ السِّرَّ جَلِيًّا لِلْعَيَانِ
فَهْيَ للسِّرِّ إطارٌ ولِسانُ التُّرْجمانِ
إنَّما السِّرُّ حباها صُورَةَ الشَّيْخ التِّجاني
فَهْيَ للفاتِحِ عَينٌ وَهْيَ للخاتِمِ ثانِ

أعْطَتِ التَّوْحيدَ مَعنًى لم يَكُنْ في الحُسبانِ
وهْيَ الكَتْمُ فَجَاءَتْ ليلَ لَيْلٍ في الزَّمانِ
حَيَّرتْ كُلَّ فُحُولِ العِلْمِ في كُلِّ مَكَان
عِندما أشْرَقَ في الغَرْبِ شُموسُ العِرفانِ

أبْـــرَزَتْ حَـضَـرة طـه سِـرَّ سِـرَّ الأبـدانِ
جـاءَ فـي ثـوبٍ بـلالٍ فـي بـلادِ الـعِـجْـمانِ
أعْـجَـزَ الـعُـربـانَ نُـطْـقًـا بِـلِـسـانِ الـقُـرْآنِ
امْـدَحِ الـمُـدَّاحِ طُـرًّا سـال سَـيْل الـوِدْيـانِ

أطْـلـسُ الـعِـلْـمِ مُـحـيطٌ بـعُـلـومِ الأزمـانِ
فـاضَ بـالـفـيـضـةِ عَـمَّـتْ كُـلّ أرْجـاءِ المكانِ
أظْـهـرَ الـمـخْـزُونَ فـي الآيـاتِ حُـبًّـا بتفانِ
أُسْـــوَةً بِـالـحُـبِّ طـه خـيـرُ سُـكَّـانِ الجِـنـانِ

إنَّـهُ العبدُ خـديمُ حَـضْـرَةِ الشَّـيْخ التِّجاني
أيْنـما الـشَّـيْـخُ إمـامٌ فَـهْـوَ مَـن أمَّ أرانـي
أحمدٌ مِـن أحمدٍ والـحمدُ مِـن هـذي المعانِي
دارَتِ الـحَـضَـراتُ حتَّـى لا أرانـي مـا أرانـي

إنَّــهُ الـهـادِي وهـذا رابــعٌ عـنـدَ الـتَّـدانـي
مَـجْـمَـعٌ مِـنْ مَـجْـمَـعٍ فـي مجمعِ العبدِ مُـزانِ
آدَمُ الأسـمـاءِ والأوْصـافِ مَـضْـمونُ الحِسانِ
رحْـمـةٌ لـلـنـاسِ جـاءتْ مِـن تَـجَـلِّ الـرَّحـمـانِ

فَـتَـحَ الـلـهُ بـه أرْجـــاء كُـلِّ الـبُـلْـدانِ
جـالَ حَـولَ الأرضِ بالتَّوْحيدِ مثلَ الطُّوفانِ

نُضرةٌ للدِّينِ هامَ كُلَّ هذا الهَيَمانِ
لَمْ تنم عيناهُ يومًا تاليَ السَّبع المَثاني

إنَّني جئْتُكَ مِسْكِينًا بفَقْرِ الحَفَيَانِ
ماشِيًا مَشْيَ الهُوينا عاجِزًا أمري دمان
لابِسًا جِلْبابَ هَمٍّ وذنوبٍ وظِعانِ
عاريًا مِن صالِحِ الأعْمالِ حِمْلِي قد أعياني

أنتَ يا بَرْهامُ وصْلي ودفاعي وأماني
أنتَ ذرعي وسِلاحي أنت تَرْسِي وعَناني
أنتَ حَصْنِي مِن صُروفِ الدَّهْرِ بلْ أنتَ سِناني
إننِي جِئتكَ مِسْكِينًا بِفَقْرِ الحَفْيانِ

أنتَ عبدُ اللهِ والعبدُ قريبٌ مُتدانِ
رَقِّنِي في الدِّينِ سَلِّكْنِي طريق العرفانِ
لا تعامِلْني بما ليَّ من عُيُوبٍ وهوانِ
بَلْ أجِرْنِي وأقِلْنِي وأدْخِلْنِي في الضَّمانِ

خيرةٌ في الزوج والزوج مُثنَّى ليس ثان
هُوَ منها وإليها نفسَها ما ثَمَّ ثان
ثُمَّ سُكْنَاهُ إليها حَبَّها حُبًّا مُصانِ
بينَ إمْدادٍ وإيْجادٍ سَرَى فَيْضُ المعاني

إنّـي ادّعـيـتُ الـحـبَّ إنْ لـم أكُ خـطَّـاءً مُـدان
عندما هـبَّـتْ ريــاحُ الـصُّـبْـحِ أخْـلـيـتُ المكان
كذَّبَـتْـنـي خُـطْـوتـي نـحـوَ الـهـوَى مـاضٍ وآنِ
ألـهِـمـنِـي يـا إلـهـي الـحُـبَّ فـي غـوثِ الـزَّمـانِ

حبِّبني لـلـرسـولِ الـمُـجْـتـبَى عـالـيَ الـشَّـانِ
لا تُـفـارقْ مُـقْـلـتـي عـنْ ذاتِ عـينِ الإحْـسـانِ
كُـلَّـمـا فَـكَّـرْتُ فـيـهِ ازدَدْتُ شَـوْقًـا ومَـعَـانـي
ألـبِـسـنِّـي حُـبَّـهُ يـا ربِّ ثـوبًـا حُـلَّـتـانِ

ألـزمـنِّـي دائـمًـا أعـتـابَ شَـرْعِ الـقـرآن
عَـمِّـرْنْ قـلـبـي بـتـقـوى بـصـفـاءِ الإيـمـانِ
إجْـعـلَـنِّـي خـادِمًـا عـبـدًا لـعـبـدِ الـرحـمـن
أدْخِـلَـنّـي رَحْـمَـةً مـنـكَ جِـنـانَ الـرِّضْـوانِ

****

(١٠)[1]

أيــا أحــمــدًا مِــن أحــمــدٍ قُــمــتَ داعـيـا
وقــد سَـمِـعـتْـكَ الـصُّــمُّ والـبُـكـمُ عـالـيـا

لــكَ الـلـيـلَ سِــرْنــا والــنَّــهــارُ مُـتـابِـعٌ
نجــوبُ الـفـيـافـي فــي طـريـقِـكَ سـاعـيـا

سَـمِـعْـنـا نــداءً يمـلأ الأرضَ والـسَّـمـا
فـهـا أحـمـدُ الـيــرْواوي كـان الـمُـنـادِيـا

لــهُ المـجـد فــي هــذا الـطـريـق خـلـيـفـةٌ
بـلا ثـانـي فـلْـتـخْـرَسْ شـفـاهُ الـمُـعـاديـا

أفــي الــلــه شَــكٌّ أمْ بـسـيِّـدِ خـلـقِـهِ
فــهــذا أبــوالــعــبــاسِ لا تَــنْــحُ نـائـيـا

مَـنـيـعٌ إذا اسـتـمـسـكْـتَ بـالسَّـلْـسـلِ الـذي
أبـوالـفـتـح يسـقـي كُـلّ صــاحٍ وفـانـيـا[2]

عـلا فـوقَ فَــوْقَ الـفـوقِ فـي مِـنْـبَـرِ العُـلا
يُــنــادي أنــا المـقــصــودُ هــذا زمـانـيـا

لــه دانـــتِ الـدُّنْـيـا فــأعْــرَضَ زاهِـــدًا
ويـعـطـي عـطـاءَ الـرِّيــح مـا فـيـهِ مـن رِيـا

يَـمـيـلُ إلــى الـضُّـعـفـاءِ يـصـحـبُ جُـلَّـهـم
ومــا وَطِــئَــتْ قَــدْمــاهُ قَــصْــرًا لـوالـيـا

---

(١) في مدح الشيخ أبو الفتح أحمد علي اليرواوي السلام عليك أيها الشيخ ورحمة الله وبركاته

(٢) هكذا ورد في الأصل.

كما إنَّهُ في حضْرةِ الرَّبِّ غارِقٌ
دوامًا فلا تُلْهيه أمْوالُ مُعْطِيا
كما (كولخ) فاسُ مدينةُ يثربٍ
ضرائحِهُم تدعوهُ يمشي مُلَبِّيا
أيا من هواهُ الذِّكْرُ والذِّكْرُ حالُهُ
خَرَقْتَ الطِّباقَ السَّبْعَ بالذِّكْرِ داعيا
يؤمُّك بالمقصودِ جمْعٌ ومُفْردٌ
فتُوردهم بحر الفُيوضاتِ دانيا
هَلُمَّ إلينا نخْرقِ الجَوَّ والسَّما
بذكرٍ وتسبيحٍ لنرقى العواليا
أيا مُعْرضًا أو مُنكرًا أنتَ غافلٌ
وفي قلبك المسكينِ عُشُّ الملاريا
لنا فيضةٌ تجري وبَرْهامُ درعُها
أبو الفتح يَسْقيها وللخيرِ ساعيا
شَرِبْنا هوانا وهْوَ ذِكرٌ وطاعةٌ
وحُبٌّ وإخْلاصٌ لعله المناديا
يُكالُ إلينا السُّوءُ والشَّتْمُ والأذَى
فتحرقها الأنوارُ واللهُ راضِيا
خِصالٌ لها عِشْنا ونبقَى لأجْلها
عبيدٌ وخُدَّامٌ مَدى الدَّهرِ ساريا
وَجَمْتُ أبي فارْفَعْ لنا السِّتْرَ بُرْهةً
متى ما عَرَفْتُ الوجهَ هذا مُرادِيا

رحـيـمٌ مُـنـيـبٌ صـانـعُ الخـيـرَ دائـمًـا

صَـفُـوحٌ إذ اخْـتـرتَ الـتَّـواضُـعَ راضيـا

حِـمـاك أيـا شـيـخـي أتـيـتُـكَ راجِـعًـا

أُهَـــرْوِلُ عـنـدَ الـعَـودِ مـرفـوعَ عـالـيا

مَـتَـى مـا دهـاني الـدَّهْـرُ دِرْعِـي سَـوَادُكُـم

وسَـيْـفـي حَـضُـور الشَّـيْخ كـالـبرقِ ماضيا

تـشـادي تُـنـادي يـا سـلامُ تـعُـمُّـنا

سـلامًـا كـفـانـا المـوتُ والـشَّـرُّ داهـيـا

أيـا أيـهـا الـشَّـيْـخُ المـهـيـبُ دُعـاءَكُـمْ

رجَـونـا بـه تـعْـمـيـمَ سِـلْـمٍ وعـافـيـا

لـكَ الـشُّـكْـرُ إذْ ا اخـتـرتَ (تـشـادي)

مُـضـيـفـة جـزاك إلـهي فـوقَ مـا نـالَ داعـيا

هُـنـا يـنـتـهـي الـتـعـبـيرُ إنـي مُـقَـصِّـرٌ

وصَـفـحَـكُـمُ إنْ نـلـتُ هـذا جَـزَائِـيَـا

****



حسين إبراهيم أبو الدّهب[1]

(١)

[مجزء الوافر]

سـلامٌ أرضَ مـطـلـوبِ
سـلامٌ غـرسَ مـحـبـوبـي[2]
سـلامٌ لـك مـن قـلـبـي

سـلامـي كـلَّ أوقـاتـي
ولا زالـت تـحـيـاتـي
تـوافـيـك مـن الحُـبِّ

وبـالأشـواقِ أمـداحـي
وفـي الأمـداح أفـراحـي
وتـسـلـيـتـي مـن الـكَـرْب

مـتـى أدنـو مـن اللُّـقـيـا
مـتـى أسـعـدُ بـالـرُّؤيـا
فـيـا شـوقـي إلـى الـقُـرْب

---

(١) حسين إبراهيم أبو دهب (١٩٤٣ - ١٩٧٩) شاعر تشادي، وهو من ضحايا الحرب الأهلية، ويغلب على شعره النزعة الصوفية والمديح النبوي. وشعره لم يطبع، وقد عثرت على مخطوطتين له الأولى: في المديح النبوي، والأخرى: في مدح الشيخ أحمد التيجاني ويلاحظ أن المخطوطتين يغلب عليهما طابع المنظومات.

(٢) مخطوطة «حسين إبراهيم أبو دهب» «غوث القلوب في مدح صاحب الفيض المسكوب».

إلـــى (كُـــولِـــخْ) فـكـم ســـاروا
أحـــبَّـــائـــي وقـــــد زاروا
ربـــيـــبَ الـــعـــجـــمِ والـــعـــرب

هـــو الــــبـــدرُ إبـــــنْ إســـحـــاق
هـــو المـــشـــهـــور فـــي الآفـــــاق
هـــو المـــوصـــــوف بـــالـــعُـــجْـــب

زعـــيـــمُ الـــديـــن فـــي الـدنـيـا
لــــه فـــيـــنـــا الـــيـــدُ الـعـلـيـا
فــــلا تجـــحـــــدْه بـــالـــكـــذب

فَـــسَـــلِّـــمْ يـــا أخـــا الحـسـدِ
لـــكـــي تُـــهـــدَى إلـــى الـــرُّشـــد
وَكَـــــي تـــرقـــى إلـــى الـــرُّتَـــبِ

فــــذا إرثُ الـــتِّـــجـــانـــي بـــدا
بــــنـــور الحـــــــقِّ ثـــــم هـــدى
إلـــى نـــور الـــهـــدى الـــوهـــبـــي

فـــنـــحـــمـــدُ ربـــنـــا الــــهـــادي
حـــبـــانـــا فـــيـــضَ إمـــــــدادِ
بــــلا حــــــولٍ ولا سَـــبَـــبِ

فـــــإنَّ الـــشـــيـــخَ مِـــفْـــضـــالٌ
لــــه فـــي الـــكـــلِّ أفـــضـــالُ
ســـوى مَـــن كـــان فـــي غَـضَــبِ

ألا يـــا طـــالـــبَ الـــرَّحـــمـــن
عـلـيـك خـلـيـفـة الـتِّـجـانـي
وكُـــنْ فـــي غـــايـــةِ الأدبِ

وبَـــجِّـــلْـــهُ ووقِّـــرْه
وَعـــظِّـــمـــهُ وقـــدِّره
بـــذا تَـــدْنـــو مـــن الأربِ

وإيَّـــاكَ الـــتـــعـــرُّضُ فـي
أمـــورٍ سِـــرُّهُـــنَّ خـفـى
فـكـن فـي الـصـدق فـي الـــدَّأَبِ

إذا مـــا كـــنـــت تجـهـلـه
ومـــا كـــنـــت تَحْـصُـلـــه
فـــطـــالـــعْ لـــذة الـكـتـب

فـــكـــم لـلـشـيـخ تـــألـيـفْ
عـــلا كـــل الـتـصـانـيـفْ
لمـــا فـيـه مِـــنَ الـــذَّهَـــبِ

غـلـبـت مـعـاشـرًا صـافـوا
وأعـطـوا الأمـر إنـصـاف[1]
وألـقـوا حُـلَّـةَ الـلَّـعَـبِ

أبـو إسـحـاقَ لا ثـانِ
لـه والـلـه فـي الآن
بـفـضـل الـعـلـم والـنـسـب

سـمـا فـي الخُـلْـق والخِـلَـق
بـدا بـالـنـور كـالـفـلِـقِ
فـلـم يـحـكـيـه ذي شَـنَـبِ

مـلـيـحٌ شـكـلُـهُ فَـخْـمُ
رؤوفٌ كـلـهُ كَـرَمُ
زكـا كـالـتـين والـعـنـب

زَكـا أجـداده الـقُـدمـا
فـكـل جـدوده عَـلَـمـا
ومـا فـيـهـم يُـعَـدُّ غـبـي

أتـى مـن عـنـصـرٍ طـاهـرْ
بـأمـرٍ فـائـقٍ بـاهـرْ
مـن الأسـتـارِ والحُـجُـبِ

(١) هكذا ورد في الأصل.

فكان الغوثُ في العصر
وغيثُ العلمِ لا المطر
ولِيٌّ لم يكنْ بِنَبي

له بانَتْ كراماتُ
وكم جاءَتْ علاماتُ
تحيَّر فِكْرُ كلِّ أبي

تسلَّمنا لما هُو في
تخلينا عن العنف
فأسكننا من النَّصَب

عشقناهُ على البُعْدِ
ونَرْعاهُ على العَهْدِ
وظَنُّ الخيرِ لم يَغِبِ

ومن ينعتْه بالشَّرِّ
سعى بالظَّنِّ للضُّرِّ
ومنه الرأيُّ لم يَصُبِ

أيا شيخي ويا سندي
ويا كهفي ومعتمدي
ويا كنزي ويا حُبِّي

فأنتَ القصدُ في غرضي
وأنتَ الأُنْسُ في مرضي
فداوي القلب يا طبِّي

عليكَ تحيتي أبدًا
تعمُّ الأهلَ والولدا
وتشملُ سائر الحُجُب

مدى الأرياحِ ما هبَّتْ
وما مرَّ الحيا صَبَّتْ
وقال الحُبُّ من حُبِّ

مديحي فيك يا هادي
يسامي كُلَّ إنشادِ
وما يُبديه ذو لُبِّ

فما مِثْلُكَ في النُّصْحِ
ولا مثلك في المَنْحِ
فأين الشمسُ من شُعُبِ

فاقبَلْ فيك أبياتي
واقضي كلَّ حاجاتي
وبَلِّغني إلى القُرْبِ

أنا تلميذك الجاني
أنا في حُبِّكَ الفاني
وفي أمداحكم طَرَبي

فألحِقْني بأصحابكْ
وفي أخيارِ أحبابكْ
وقل لي أنت من صحبي

وعند الموتِ دارِكْني
وفي الميزان باركني
وأنقِذْني من اللَّهَبِ



فإنك قد ضَمَنْتَ جنان
لمن يهواكَ بعد أمان
وعندي غايةُ الحُبِّ

ولم أطلب سواكَ خليلْ
ولم أجعل سواك دليلْ
من الأعجامِ والعُرْبِ

****

(٢)

[الطويل]

إلــى طـيـبـةَ المـخـتـار عـنـدي مـن الـهـوى
شـديـدٌ وقـد أخـلـى جـفـونـي مـن الـكـرى

فـلـيـلـي طـويـلٌ مـظـلـمٌ مِـــنْ بُـعـــادِه
وجـسـمـي ضـعـيـفٌ مـن بُـعـادٍ ومـن أسـى

ومـــا طـــابَ لـــي أكـــلٌ ولا لـــذَّ مـشـرب
وكـيـف يـطـيـبُ الأكــلُ والــشــربُ للـحـشـا

وجــســمــيَ مــرهـــونٌ بــذنــبٍ مُـقـيَّـدٍ
بـعـيـدٍ عـن المـحـبـوب بـــاقٍ عـلـى الـنَّـوى

وســـــار رفـــاقـــي حـيـث جــــدُّوا بـكـلـمـا
أُتـــــوهُ وخـــلُّـــوا عـــن غــــرور وعـــن هـــوى

وقـــامـــوا بـلـيـلٍ مـخـلـصـيـن فـخـلَّـصـوا
نـفـوسـهـمُ مِــن كـــلِّ مـلـهًّـى ومـشـتـهـى

ونمــــتُ بـلـيـلـي لـــم أبــــالِ بـحـالـةٍ
كـــأنـــي عــلـــى أمــــنٍ ولا أمــــنَ لـلـفـتـى

ألَــــنْــــتُ فــراشـــي والـــوســـادةَ والـغـطـا
وأحـمـيـتُ جـسـمـي مــن عـنـاءٍ ومــن أذى

ولا فــكــرةٍ لـــي لـــو عــلـــى قــــدرِ لحـظـةٍ
بـتـخـلـيـصِ رَوْحـــــي وهـــو أرفــــعُ مـسـتـوى

ظَلمتُ كثيرًا حيث أرخَصْتُ غاليًا

نفيسًا وأغليتُ الذي يلْقَه البلى

وما الجسمُ لولا الروحُ ما كان لحظةً

فأولى بروحي أن أخْلّصَ أولى

فموتٌ قبيلَ الموتِ والعيشُ بعده

وعيشٌ بلا موتٌ هو الموتُ لا غروى

فلا راحةً للخائفين حقيقةً

وتلغي أُهَيْلَ الجهل في لذة الهوى

عصينا ولم نبكِ مِن الخوفِ مرةً

وكان علينا الحقُّ أن نلزمَ البُكا

ونضحكُ مَسْرورين في كلِّ بُرهةٍ

وذلك مِن موت الفؤاد الذي قسا

رضيتُ بعيش البُهْمِ لا عيش عاقلٍ

وكيف بهذا العيشِ يا إخوتي الرِّضا

ألا نظرةٌ مِن خالقِ الأرض والسَّما

تُغيرُ هذا الحال أو تكشف الغِشا

وتُذْهِبُ عني كلَّ سوءٍ وقبحه

وتلبسني أنواء حُلْيٍ مِن التُّقَى

فما قصدُ هذي النفسِ إلا بليَّتي

أعوذُ بربِّ العرشِ منها على المَدَى

أعوذ بربي خالقي وهو رازقي

مِن المارد الشيطان إذ قصْدُه الغوى



أقـــولُ غـــدًا مـنـــي المـتــاب وكـــم غـدٍ
ومـا زلـت فـي فعـل المعـاصـي وفـي الخطا

أظـاهـــرُ بــالـخــيــراتِ دهـــري وأخـتـفـي
ذنـوبًـا عـظـامًـا لـو تـبـدَّت عـلـى الـورى

قـلـونـي جـمـيـعًـا مـا ألـــمّـوا بمـجـلـسـي
ولـكـنَّ ربـــي يـسـتـر الـعـيـب إن عَـرَى

فـهـم يـحـسـبـون الخـيـر مـنـهـم تـقـرُّبًـا
ولـيـس أخـــو جـهـل بـأمـرٍ كـمـن دَرَى

فــأولــى بـنـفـسـي أنـنـي الـيــوم عـالـمٌ
بـكـلِّ سِـقـامـي أن أُفَــتِّــش عــن دوا

يــريـــدون مـنـي كـــلَّ حــيــنٍ دواءهـــم
وإنِّـــي ومَـــن يـطـلـبُ مـنـي عـلـى سـوا

ولـــو كـنـتُ ذا حَـــذْقٍ لخـلَّـصـتْ مهجتي
مِـن الـــدَّاءِ داءِ الـغِـشِّ إذ عندها ثوى

لــهـذا تـــرى مـنـي الـــزمــانَ تـسـتـرًا
لأنـــيَ مـشـغـولٌ بـنـفـسـي عــن الـسـوى

رأيـــتُ جـمـيـع الـسَّــالـكـين تـهـذَّبـوا
نـفـوسَـهُـمُ عـن كـل مـلـهًّـى ومشـتـهـى

وإنـــيَ وانٍ قــاصــرُ الـسـعـي راقـــدٌ
فـلا رُشْـــدَ لـي حـيـنًـا لخـيـرٍ ولا قِـوى

أيـــا رب بــالـــهــادي الأمـــين محـمـد
وبـالـصـحـب والآل الـكـرام ذوي الـهـدى



تُـبـلِّـغْـنـي أقـصـى مـرامـي بمـكـةَ

وتُـعطي مُـرادي فـي المـقـام الـذي أوى

إلـيـه خـلـيـلُ الـلـه بـرهـام داعـيًـا

بـكـلِّ دعـاءِ الخـيـر فـاسـتـقـبل الـدُّعـا

مـحـمـدُ مـخـتـارٌ مِـن الخـلـق مصطفى

وخـاتمُ كـلِّ الـرسـلِ داعٍ إلـى الـهدى

أتـى بـكـتـابٍ مِـن حـكـيـمٍ مـبـينٍ

فـأرشـدَنـا لـلـحـقِّ عـن غـيـره نـهى

عَـرَفْـنـا بـه الحـقَّ الـقـديم حـقـيقـةً

ولـولاهُ لـم نـعـرف مـن الحـقِّ بـالـنُّهى

جـزى الـلـه عـنَّـا كـلَّ خـيـرٍ مـحـمـدًا

وصـلـى عـلـيه الـربُّ تـعـدادَ مَـن هـدى

مـحـمـدُ مـحـمـودٌ لـدى كـلِّ عـاقـلٍ

مـحـمدُ مـعـصـومٌ مِـن الـذَّنْـبِ والخَـطا

مـحـمـدُ مـعـروفٌ لـدى كـلِّ عـالـمٍ

مـحـمدُ مِـن خـيـرِ الـبـرايـا بـلا افـتـرا

مـحـمـدُ مـحـمـودُ المـقـام وإسـمـه

قـريـنٌ لإسـم الـلـهِ فـي الـعـرش والسـما

ومَـن قـالَ ربِّـي الـلـهُ بـالحـقِّ إنـه

يـقـولُ رسـولـي المـصـطـفى وهـو مُـنتقى

وواجـبُ حـب الـلـه جـلَّ جـلالـه

وحـبِّ رسـول الـلـه فـرضٌ عـلـى الـوَرَى

أحـــبـــكَ يـــا خـــيـــرَ الأنـــــام مـحـمـدٍ

فـجُـدْ لـي بمـا أهـــواهُ شـربًـا وبـالـروى

وهــب مـهـجـتـي يـا مـصـطفى الـلـه قـربـةً

لـتـشـفـع لـي يـا صـاحـب الحــوض والـلـوا

عـلـيـك صـــلاةُ الـلــه فـــي كــلِّ لحـظـةٍ

وآلٍ وأصــحـــاب دوامًـــا عـلـى المـدى

****

عباس محمد عبد الواحد[1]

(١)

[البسيط]

شـهـرُ الـصـيـام إذا أحـيـاهُ محتسبٌ
أتـــاحَ لـلـنـفـسِ خـيـرًا غـيـرَ مـحـدودِ

إذ فـيـه تَـسـتـجـلـبُ الأرواح قـوَّتـهـا
بـالـصـوم والـنُّـسـكِ أو تـسـبـيـحُ معبود

(١) عباس محمد عبد الواحد (١٩٤٤ - ٢٠٠٢) ، شاعر تشادي ولد في مدينة «أبشة» . وبدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم وانتقل إلى مدينة «بلتن» حيث كان أبوه يعمل إمامًا للمسجد الكبير ومعلمًا للعلوم الدينية وعاد الشاعر مرة ثانية إلى مدينة أبشة فالتحق بالمدرسة الثانوية العربية الفرنسية ثم التحق بمعهد المعلمين ونال الشهادة الثانوية المزدوجة. ثم سافر إلى العراق والتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة المستنصرية، وعاد إلى وطنه ليعمل مدرسًا ثم ناظرًا، ثم مديرًا للشؤون الدينية إلى أن توفاه الله سنة ٢٠٠٢م.

وقد تضافرت عدة عوامل أسهمت في تكوين شاعرية شاعرنا المحافظة أهمها كما تجلى في شعره: النشأة الدينية، وعشق اللغة العربية وآدابها، وقد ترك الشاعر ديوانًا طُبع في أثناء بعثته في العراق بعنوان «الملامح» وكتب مقدمته الدكتور «عادل جاسم البياتي» و«محمد حسين آل ياسين». وقد أثنيا على الديوان، وما فيه من شاعرية متفتحة وشعور حي، وإحساس ينبض بالحياة.

يقول عنه الدكتور محمد حسين آل ياسين «... قرأت ديوان الملامح للأخ الشاعر (عباس محمد) أحد أدباء تشاد العزيزة، فرأيته حافلاً بالشاعرية العذبة ومضمخًا بأريجها الحلو، ووجدت قصائد متسمة باللطف والرقة بعيدة عن التكلف مجانبة للتصنع نابعة من إحساس مرهف صادق، فهي بنت تجاربها الواقعية التي عاشها الشاعر بتفاصيلها الذاتية والجماعية». وأود الإشارة إلى أن القصائد التي سوف أسجلها للشاعر بعد هذه السيرة الذاتية لم ترد في ديوانه، فهي عبارة عن قصائد مكتوبة بالآلة الكاتبة، وحصلت عليها من الشاعر قبيل وفاته إضافة لديوانه وهي ست قصائد «في رحاب رمضان - من وحي الأسى - رثاء الشيخ زكريا حسين - إلى خادم الحرمين الشريفين - الشاذلي صالح - بزغ النور». وقد نصحني أستاذي الدكتور أحمد محمد عوين بكتابة الديوان؛ لتعم الفائدة بعدما أن تم طباعته من قبل في العراق مطبعة أسعد ١٩٨٣م في سبع وأربعين صفحة من الحجم المتوسط. مقابلة تمت بيني وبين الشاعر في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتشاد في ٢٠٠١/٥/٢٥م وانظر مقدمة ديوانه «الملامح» تقديم د.محمد حسين، ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م ص١١.

تـــروي ثـقـات عـن الـمـخـتـارِ مـرشـدنـا

مــا جـــاء عـنـه بمـــوثـــوقِ الأســانـيـد

بـــأنَّ فـيـه يُـــرى الـشـيـطـانُ مـعـتـقـلا

بـين الـسـلاسـل فـي أيـامــهِ الـسُّـود

وفُـتِّـحَـتْ فـيـه أبـــوابُ الجـنـانِ وقَـدْ

أعــدّ لـلـنـفـس أقـصـى غـايـةَ الجـود

ولـيـلـةُ الـقـدر تـبـقـى فـيـه كـامـنـةٌ

لـكـنّـهـا بـقـيـت مــن دون تحـديـد

والــروحُ تـنـزلُ والأرواحُ تَـصْـحَـبُـهـا

لمـطـلـعِ الـفـجـرِ قــلْ لـلـه مــن عـيـد

أمـنـيـةُ الـنـفـس أن تحـظـى بمـغـفـرةٍ

مــن ذَنْـبـهـا ودعـــاءٍ غـيـرَ مـــردود

مـــولايَ عـنـدك وصـــلٌ غـيـرُ مـنـقـطـعٍ

نــرجــوهُ مـنـك وبـــابٌ غـيـرَ مـسـدود

أَعِـــدْ إلــى المـسـلـمـينَ الـيـومَ وحـدتـهُـمْ

واردُدْ لـهـمْ كُـــلَّ مـسـلـوبٍ ومـفـقـود

وافْــشِــلْ مـخـطـطَ مــن يـبـغـي تـفـكـكـهـم

بــشـــنِّ حــــربٍ وتـــرويـــعٍ وتـنـديـد

والجـيـل فـاحـفـظـه مــن فـكـرٍ يـسـمِّـمُـهُ

بـنـهـجِ أســلافــهِ الـغــرِّ الـصـنـاديـد

واحـفـظـهُ مـن خـطـرِ الإلحـــادِ مـنـتـشـرًا

ومـــن مـخـاطـرِ تـنـصـيـرٍ وتـهـويـد

فـالـكـفـرُ عـنـد جـمـاعـاتٍ مـضـلـلـةٍ

تـــرى لـــه حـــقَّ تـصـديـرٍ وتـوريـد

****

(٢)[1]

[الوافر]

لــــدى أفــريــقِــيَــا شــعــبٌ تــوالــتْ
علــيـه عــــواصـــفُ الــدنــيــا عـتـيًّـا

لــقــد فــتــكــتْ بـــه الـــويـــلاتُ فـتـكـا
وأســـقــتــهُ كـــــؤوسُ الــغَــمِّ ريًّـــا

وكـــبَّـــلَـــهُ الـــبـــلاءُ بــكــلِّ رزءٍ
فــــراحَ يـعـيـشُ والــبــلــوى سـويًّـا

فــفــر الــبِــشْــرُ يـــوم غــــزاهُ مَــــدٌّ
مِـــنُ الـصـحـراء يـطـوي الأرض طـيًّـا

فَـــــزَّجَّ الـجـمـع أفــواجًــا وألــقــى
بـــه فـــي عـمـقِ هـــاويـــةٍ شـجـيًّـا

فـمـا اسـتـثـنـى ولــم يَـسْـتَـثْـنِ شـيـخًـا
يَـــقُـــلُّ عـــصـــاهُ أو طــفــلًا بــريًّــا

ولـــم يُــــرَ مـنـه قَـــطُّ أشـــدَّ بــأسًــا
أشـــــدَّ ضـــــــراوةً وأشـــــــدَّ كـيًّـا

فـمـن لـلـبـائـسِ المـنـكـوبِ غـوثًـا
سـريـعًـا إذ دعـــا «عـطـفًـا عـلـيّـا»

---

(١) تاريخ كتابة هذه القصيدة يرجع إلى عام ١٩٨٥م، وكانت المناسبة المجاعة في أفريقيا، وقد قدمت السعودية مساعدات إلى المحتاجين عن طريق مشروع سمي مشروع العون المباشر وقد لعبت هذه الطريقة دورًا كبيرًا في تخفيف الآلام أما العون المقدم عن طرق أخرى فلم يصل إلى أهدافه. وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة رابطة العالم الإسلامي ثم في مجلة جامعة الإمام، وعرضت أيضًا في التليفزيون السعودي، وشاهدها كثير من الناس، وفي القصيدة إشارة إلى سباق التسلح بين الكتلتين آنذاك.



وقد شَغَلَ الأخَ العصريَّ هَمٌّ
وحلمٌ بات يرتادُ الثُّريَّا
فحوَّل نعمةِ الرحمنِ حربًا
وشكَّل للورى خطرًا جليّا
لينعمَ بالتفوق في سباقٍ
يدومُ على منافسه قويًّا
ويحلمُ لو رآهُ الناسُ ربًّا
غدا بالأرض جبارًا عتيًّا
وأن العالم المرعوب يصغي
لما يمليه أو يبقى جثيا
صدى صوت الضمير عن المآسي
يُرَدِّدُ عند سامعه دَوِيًّا
فهبتْ نسمةُ الآمالِ لمَّا
غدا عطفُ القلوبِ به حَفِيًّا
لذا أخذتْ بساعده أيادٍ
تمدُّ لمثلهِ عونًا سخيًّا
وأجداها يدا فهدٍ، سيبقى
لواء الدين خفاقًا عليًّا
تعهَّدَ مدَّه وأصر أنْ لا
يكونَ لعهدهِ إلاَّ وفيًّا
تعيشُ أيا مليكَ الشرقِ عدلاً
تراعي الحقَّ عملاقًا ذكيًّا
وتبقى رائدًا وتقودُ شعبًا
غنيًّا في مبادئِهِ أبيًّا

****

(٣)[1]

[البسيط]

عـرفـتـكَ يـا أخـي شـهـمًـا ذكـيًّـا
عـرفـتُ بـأنَّـكَ الـرَّجـلُ المـثـالـي

عـرفـتـكَ عـبـقـريًّـا لا يُـجـارَى
عـرفـتـكُ صـالحًـا حَـسَـنَ الـفـعـال

عـرفـتـكُ مـؤمـنًـا سـمـحًـا أبـيًّـا
وداعـيـةً إلـى ربِّ الجـلال

عـرفـنـاكَ الـتـقـيَّ فـلا تـبـالـي
بمـا يـفـضـي إلـى قـيـلٍ وقـال

رزيـنًـا لا تـفـيـضُ الـقـولَ إلاَّ
لـدرسٍ أو جـوابٍ عـن سـؤال

عـفـيـفًـا صـابـرًا بـرًّا قـنـوعًـا
بمـا يـأتـيـكَ مـن كـسـبٍ حـلال

عـرفـتـك بـحـرَ عـلـمِ الـديـن لـمَّـا
غـمـرتَ الـنَّـاسَ بـالـفـيـضِ الـزُّلال

عـرفـتـك عـالـمًـا فـي كـلِّ فـنٍّ
سـمـوتَ فـكـنـتَ مُـنْـعَـدِمَ المـثـال

فَـفُـزْتَ بـسـمـعـةٍ بـيـضـاء فـاقـتْ
رواءَ الـبـدرِ فـي شَـرَفِ الـكـمـال

---

(١) رثاء الشيخ زكريا حسن كان عالمًا بالعربية والعلوم الدينية وكان ورعًا تقيًا عاملًا وكان عضوًا في اللجنة الإسلامية لجمهورية تشاد.

أديبٌ أنتَ فذٌّ أريحيٌّ
ملمٌّ بالجميل من الخصال
رفيعٌ والتواضعُ فيكَ دأبٌ
يقرُّ لك الجميعُ بلا جدال
شريفَ النفس لا تخشى ملامًا
عن النُّصحِ الجميلِ ولا تبالي
فَوا أسفًا عليك فقد تداعى
لنا ركنٌ هوى تحت الرِّمال
تخطفكَ المنونُ وأنتَ فينا
مثالٌ للتَّودد والوصال
إذا ما قلتُ إنَّكَ رمزُ حِلْمٍ
أقولُ الحقَّ فيكَ ولا أغالي
فوا أسفا لفقْد العلم أنا
فَقَدْنا مطلبًا صَعْبَ المنال
لأنَّ غيابَ أهلِ العلمِ حتمًا
سيودي بالعلومِ إلى زوال
هِيَ الدُّنيا التي نأوي إليها
ونحن نجدُّ في طلب المحال
سرابٌ لا حقيقةَ فيه أصلاً
فهل تُجْدي مطاردةُ الظِّلال
وإنَّ العُمْرَ مهما طالَ فينا
فإنَّ الموتَ عاقبةَ المآل
عزائي يا أخَا الإسلامِ.. إنا
أُصبنا اليوم بالدَّاءِ العُضال

****

(٤)[1]

[البسيط]

مـشـاعـرُ الـــودِّ والـعــرفـانِ نـبـعـثُـهـا
إلـيـكَ فـهْـي مـن الأعـمـاقِ تـشـتـعـلُ

لـقـد عـرفـنـاكَ عـمـلاقًـا تـنـاطُ بـه
زعـامـةَ الـديـن نِـعْـمَ الـقـائـدُ الـبطل

أعـدت مـا كـان لـلإسـلام مـن شـرف
بـين الـشـعـوب فـعـاد الـجـرح يـنـدمـل

فـكـنـتَ مـفـخـرةً لـلـمسلـمـين كـمـا
أصـبـحـتَ مـسـتـنـدًا لاذتْ بـه دُوَلُ

ولـيـس يـجـعـلُ مـنّـا أن دولـتَـكُـم
تـرعـى الـذي قـد بَـنـتْـه الـقـادة الأول

قـادوا الأنـامَ بـإيـمـانٍ وقـوتـهـم
عـزمٌ يـواكـبـهُ فـي سـيـرهِ الـعـمـل

وهُـمْ أسـودُ الـورى لـلـه دَرُّهُـمُ
لـهُـمْ مـواقـفُ مـضـروبٌ بـهـا المثـل

خـاضـوا المـلاحـمَ أبـطـالًا ورائـدهُـمْ
قـلـبٌ تـشـرَّدَ مـنـه الـخـوفُ والـوَجَـلُ

فـكـلُّ فـردٍ بـهـم إنْ سِـمْـتَـهُ عَـلَـمٌ
يـصـح أنْ قـيـل عـنـه الـشَّـامِـخُ الـجـبـل

---

(١) قيلت في إحدى المناسبات الإسلامية العالمية.

إن جــاهــدوا فــلأجــلِ الــلــه صــولــتــهُــمْ
أو أمــســكــوا فــلأجــلِ الــلــهِ مــا فــعــلــوا
حــتــى بــنــوا دولـــةً عــظــمــى ولــيــس لــهــم
فــي حــفــظــهــا مــقــلــةٌ بــالــنــومِ تكــتــحــل
فـــهـــابَـــهـــا كـــلُّ جـــبَّـــارٍ لأن لـــهـــا
قـــيـــادةً لـــكـــتـــابِ الـــلـــه تَمْـــتَـــثِـــل
فـــهـــذه شـــيـــمـــةُ الآبـــــاء واضـــحـــةٌ
لـــلـــنّـــاس فـــهـــي لـــكـــم بـــــالإرثِ تـــنـــتـــقـــل
يــــا عـــاهـــلاً فَـــرْعُـــه يـــســـمـــو إلـــى زُحـــلٍ
وأصـــلُـــهُ لـــعـــمـــيـــقِ المـــجـــدِ يَـــتَّـــصِـــل
ومـــن لـــه ســـمـــعـــةٌ بـــيـــضـــاءُ قـــد ظـــهـــرتْ
كـــالـــبـــدرِ حـــين يُـــرى بـــالـــنـــورِ يـــكـــتـــمـــل
اقْـــبَـــلْ تـــحـــيـــةَ وفـــد الـــشـــاد مـــنـــبـــعـــثًـــا
لـــلـــحـــجِ فـــهـــو لـــه المـــقـــصـــودُ والأمـــل
نَـــزفُّـــهـــا لـــولـــيِّ الـــعـــهـــد ثـــانـــيـــةً
فـــهـــو الـــذي لا يُـــرى فـــي أمـــرِهِ الـــكـــســـل

****

(٥)

[البسيط]

أقسمتُ والقولُ من تأكيده القَسَمُ
أنَّ الفضائلَ بين الناس تَنْقَسِمُ

للبعضِ حظٌّ وبعضٌ قلَّ موهبةً
وبعضهُمْ حظُّهُ في القسم مُنْعَدِمِ

فخصَّ من بينهِمْ أستاذُ معرفةٍ
وشيخُ علمٍ تجلَّتْ عندُهُ الحِكَمِ

هذا هو الشَّاذلي صرحٌ يشادُ به
وقمةٌ تتهاوى دونها القِمَمِ

حوى من الحظ قِسْطًا لا تزاحمُهُ
أترابُهُ وهو في أقرانِهِ عَلَمِ

أكرِمْ به عالمًا قلَّتْ نظائرُهُ
ذو همةٍ قَصُرَتْ من دونها الهِمَمِ

إنْ جئتَهُ زائرًا تلقاهُ مبتسمًا
مهذِّبِ النفسَ بئرٌ ماؤُهُ شَبِمِ

فما خلا البئرُ من روادِ منهلِهِ
فدرسهُ بجموعِ النَّاسِ مزدحم

إرثٌ أتاهُ من الآباءِ مكْرمةً
فهم كرامٌ تناهى فيهمُ الكَرَمِ

أبـــــوهُ صـــالـــحُ ذو عـــلـــمٍ يمـــيِّـــزهُ
مـن غـيـرهِ الـلـطـفُ والأخـــلاقُ والـشِّـيَـم
طَـلْـقُ المحـيَّـا تـقـيٌّ مـخـلـصٌ وَرِعٌ
وصـــادقُ الـقـولِ بـيـن الـنـاسِ مُـحْـتَـرَم
تـــــراهُ إمَّــــا مـقـيـمًـا فـــي تـنـسـكـهِ
أو كــان فـــي يـــده الـقـرطـاسُ والـقـلـم
ولـــم يـــفـــرِّطْ بـحـــقٍّ فـــي تـعـامـلـه
مـــعْ مـسـلـمٍ فـهـو بـــالإســـلامِ مـلـتَـزِم
رحـمـــاكَ يـــا ربِّ رمـسًـــا ضَـــمَّ أعـظـمـه
يـومًـا يـحـاسـبُ فـيـه الـعُـرْب والـعَـجَـم

****

(٦)

[الكامل]

وُلِدَ الهدايةُ يومَ مولدِ أحمدٍ
والعدلُ فانتظمتْ بها الأشياءُ

إذ كان مجتمعٌ يُبَدِّدُ شملهُ
فوضى ففيه تشتُّتٌ وجفاء

لا شرعَ لا منهاجَ فيه وإنما
في القومِ دينٌ شَرْعُهُ الأهواء

وإلههُ المعبودُ إمَّا صورةٌ
يختارها أو آلةٌ خرساء

والأمنُ معدومٌ فكلُّ قبيلةٍ
تسطو عليها الغارةُ الشَّعواء

ومشاعرُ الأحقادِ يُذْكي نارَها
بين القلوبِ تنابُذٌ وهجاء

هذا يقولُ لذاكَ إنَّ قبيلتي
سادتْ وأنتم أعبدٌ وإماء

والحقُّ مُلكٌ للقوي يُرَى فلا
يرضى بأَنْ تسعى له الضعفاء





والــواجــبُ الأســـريُّ يـخـلـعـه الــذي
لـــم تــكــتــنــفْــهُ شـــهـــامـــةٌ وإبـــاء
إن أنـجـبـتْ زوجُ الـفـتـى ذكـــرًا فقد
تـلـقـى الـــوجـــوهَ تُـنـيـرهـا الـــسَّــراء
ويـــكـــادُ يـقـطـعُ قـلـبَـهُ غـضـبٌ إذا
وضــعــتْ بـأنـثـى فـــي بـنـيـه نـســاءُ
فـيـدسُّـهـا تـحـتَ الـثـرى مـــوءودةً
أو سـامَـهـا بـالـــذُّلِّ حـيـثُ يـشـاء
فـكـأنَّـهُ بـيـنَ الـبـنـاتِ وبـيـنـه
أو كـــلّ أنـــثـــى نـقـمـةٌ وعـــداء
أَوَلَـــمْ يـكـنْ بـيـنَ الـنـسـاء وبـيـنـه
زوجـــيـــة وأمـــومـــة وبـــنـــاء



أعـــمـــالُ إجـــرامٍ يـزيِّـنـهـا لـه
شـيـطـانـه وجـــهـــالـــةٌ عـمـيـاء
فـتـكـاثـفَـتْ ظـلـمـاتـهـا زمـنًـا وقـد
طـــالـــتْ عـلـيـهـم لـيـلـةٌ ســـوداء
فـــإذا الـــهـــلالُ يـلـوحُ فـيـهـم نـورُه
شـهـرُ الـربـيـع فـتـخـتـفـي الـظَّـلـمـاء
لـــيـــلٌ تـــشـــرَّفَ قـــــدْرهُ فـكـأنَـه
بـــين الـلـيـالـي غـــادةٌ عـــذراء
إذ كـــان إيـــذانًـــا لـعـهـد يـنـقـضـي
ويـلـيـهِ عـهـدٌ كـــلُّـهُ أضـــواء



ضوءُ الهدى والحقُّ جاءَ به الذي
أوراهُ فامتلأتْ به الأرجاء

لما غدا بدرُ الهدى متكاملاً
في الأربعينَ وتمَّ فيه رواء

قامَ الرسولُ على الأنامِ مبشرًا
برسالةٍ كانت لها أعداء

من قومهِ إذ قال قوموا وَحِّدُوا
ربًّا لديهِ النَّفْعُ والضَّراء

واستهجنوا الأوثانَ فهْي سفاهةٌ
وضلالة يرضى بها السفهاء

وترفَّعوا عن فعل كل رذيلةٍ
يا قومُ فهي لدينِكُمْ إزراء

قالوا أتيتَ لنا بدينٍ ما لنا
علمٌ ولا عَمِلَتْ به الآباء

هذي أساطيرُ الأوائلِ أو كما
كَتبتْ على أنماطِهِ الشعراء

فرمَوهُ بالكذبِ الذي لا ينبغي
بمقامهِ واستحكمتْ غلواء

عادوه بالمكر العنيف فأوقدوا
للحرب نارًا ما لها إطفاء

لكنَّ هذا ما ثناهُ عن الذي
يسعى لعزَتِهِ ولا الإيلاء

حـتـى أتـى يـومٌ يـرفـرفُ عـنـده

فـي نـصـرةِ الـديـن الحـنـيـف لـواء

فـأقـامَ مـجـتـمـعًا قـواعـدُ صَـرْحِـهِ

يـبـنـي عـراهُ تـرابـطٌ وإخـاء

لا فـرقَ بـين - مـلـونـين ومـن - لـه

فـي لـونِ تـلـكَ الـبـشـرةِ الـبـيـضـاء

الـنـاسُ فـي نـظـر الـشـريـعـةِ كـلُّـهُـمْ

فـي الـواجـبـاتِ وفـي الحـقـوقِ سـواء

****

(٧)

وقفة في وارا[١]

[الكامل]

«وارا» وقَفْتُ على ربوعكَ ساعةً
فاكتظَّ قلبي هيبةً وجلالا

لاحتْ معالمها لديَّ بعيدةً
فقطعْتُ قبلَ وصولها أميالا

فإذا بقلعتها بَدَتْ وكأنَّها
أهرامُ مصرَ رونقًا وجمالا

تحوي من الفنِّ الجميلِ روائعًا
فدهشتُ من تلك الروائِعِ بالا

شادَتْ عباقرةُ الفنون قصورها
ويدُ الملوكِ تمدُّهُمْ أموالا

حتى غدت أولى القلاعِ بأرضها
قدمًا وباتَتْ للفنون مثالا

ومن الغرائبِ أنَّ هيئة قصرها
مضتِ القرونُ بها ودامت حالا

عكست علينا مجد أجدادًا سموا
فوق الثريا عزةً ومحالا

---

(١) من ديوان «عباس محمد عبد الواحد» الملامح - قصائد - بغداد - مطبعة أسعد.

ما طافَ ساحتَها العريقةَ سائحٌ
إلا استكانَ لفنِّها إجلالا
بهرَتْهُ هيبتها فأصبح ينطوي
ذاتَ اليمين تلفتًا وشمالا
مَنْ لَمْ يشاهد ما ذكرتُ بنفسه
ظَنَّ الظنون وكذَّبَ الأقوال
أو شكَّ في تلك الحقيقةِ قائلاً
«كادت تكون خرافةً وخيالا
ما ذاكَ بالقول الصحيح وإنما
نسبوا أباطيلاً لها وخيالا»
واليوم لم تَرَ حولها شخصًا ولم
تَرَ دونها نصبًا ولا تمثالا
فخلتْ مرابِعُها الجميلة والتي
ظلَّ البهاءُ إزاءَها يتلالا
وترى الوحوشَ تجوبُ في عَرَصاتها
وترى حيال بنائِها أطلالا
رمزٌ يذكر عهدَ إرشادٍ مضى
نورًا وأنجب قادةً أبطالا
عهدُ الفتى عبد الكريم المرتضى
كان التَّقيَّ العادلَ المفضالا
أرسى دعائمَ سلطةٍ قامت على
نَشْر الهدى فَتَحَمَّلَ الأثقالا

وأضـــاعَ فـي نـشـر الـديـانـة عـمـرَهُ

فـــي الـلــه حـتـى حُـقِّـقَـتْ آمــالا

الـعـدلُ ســادَ عـلـى جـمـيـعِ ربـوعـهـا

والـظـلــمُ قَـطَّـعَ جـسـمَـهُ أوصــالا

ويـــدُ المـنـايـا اسـتـأثـرتْ فـيـه وقـد

ولِّـــي وخــلَّــفَ بـعـــدهُ أعـمــالا

وضـريـحـهُ مـا زال مـقـصـدُ كـلِّ مَـنْ

يـرجـو الإلـــه بـه نــدًى ونـــوالا

كـتـبـت يَـدُ الـتـاريـخ فـي صـفـحـاتِـهِ

حــدثًــا يُـخَـلِّـدُ ذكـــرَهُ أجـيــالا

****

(٨)

أنَّةُ الفراق

[البسيط]

غـــادرتُ مــوطــنَ آبــائــي وأجـــدادي
مــخــلّــفًــا عــنــده أمـــي وأولادي

تــركــتُ فـيـه أنــاسًــا لـيـس لــي بَـــدَلٌ
عـنـهـم ورؤيــتــهُــمْ شـوقـي وإسـعـادي

فـهـم حـمـايـةُ فـكـري مـن تـشـرُّدِهِ
وهُـــمْ أحـاسـيـسُ أحـشـائـي وأكـبـادي

أكـــادُ أفـقـدُ وعـيـي حـين أذكـرهُـمْ
ونـــاظـــري بـــات فـــي دمــــعٍ وإســـهـاد

☆☆☆☆

رأيـــتُ وجـــهــكِ يـــا أمـــاهُ يـغـمـرُهُ
دمـعُ غـداةَ الـنـوى عـن مـوطـنـي (شـاد)

يـلـتـفُّ حـولـكِ إخـوانـي وعـائـلـتـي
حـيـرى فـأوجـمـنـي غـمِّـي وأنـكـادي

فـصـرتُ أطـرقُ رأسـي حـين أرهـفـنـي
مـشـاعـرُ نـبـضـتْ قـلـبـي بـتـرداد

وقـلـتُ فـي سـهـوةِ المـغـمـى وقـد أخـذتْ
تـرنـو إلـيَّ بـقـلـبٍ فـارغٍ صـادي

أمـــاهُ هــذا وداعـــي الـيـوم فـانـتـظـري
لــي عـــودةً بـالمـنـى مِـــنْ بـعـد إيـفـادي
إنَّ الأمــانــي الـتـي مــا زلــتُ أطلبها
تـقـضـي عــلــيَّ بــأســفــارٍ وأبــعــاد
عـنـكـم ومـــا زالـــت الآمـــالُ تـدفـعـني
لـلـمـجـدِ فـارتـقـبـي يــا أم أنجــادي

☆☆☆☆

فــارقْـتُــهــا وتــركــتُ الـقـلـبَ مـرتـهـنًـا
لـهـا وواصـــلـــتُ أســـفـــاري بـإجـهـاد
مـرسـيـلِـيـا وإلـــى بـــاريـــس رحـلـتـنـا
ومـــنـــه تـــــوًّا إلـــى أرجـــــاءِ بـغـداد
أرضُ الأُولــى بـلـغـوا شـــأوًا وقــد تـركـوا
لــلــنــاس آثـــــارَ تــــاريـــخٍ وأمـــجــاد
أرضُ الـرشـيـد ومـــأمـــونٍ ومـعـتـصـمٍ
وأرضُ مــــن مـــلأ الـــدُّنــيــا بـــإرشـــاد
لــلــوافـديـنَ إلـــى بــغـــدادَ مـغـتـنـمٌ
ونـــائــلٌ جـــلَّ عـــن حـصـــرٍ وتـعــداد
وأنَّ لــي فــي حـمـى أعـلامـهـا أمــلاً
فـــي الـعـلـم والـــود مــن جـمـع وإفـــراد
أرضُ الـعـراق أرانـــي الـيـوم مغتطبًا
فـــي الـعـلـم والـــوِّد مــن جـمـعٍ وإفـــراد
وأن أرى فـيـك شـعـبًـا بـــاتَ منفتحًا
لـــلـــزائـــريـــن ومـــضـــيـــافًــا لمــرتــاد

ففي محيَاهمُ آنستُ بارقةً
للضَّيف تحكي وميضَ العارضِ الغادي

☆☆☆☆

معلميَّ أرى منكُمْ مصارحةً
تريحُ قلبي وتبقي سِرَّ إرفادي
مناهلُ العلم والآداب أنَّ لكُمْ
فيها مشاهيرَ كتّابٍ ونقاد
فما خَلَتْ أرضكُمْ من شاعرٍ لَبِقٍ
عبر العصورِ ومن أقطابِ رواد
آمالُ قلبي أرى منكم أساتذتي
ما قد رأيتُ لكم أيامَ إيفادي
أرجو دوامًا لجوِّ الودِّ مشتركًا
كي آخذَ العلمِ عنكم يا بني الضَّاد

****

(٩)

[الكامل]

حسبي فخارًا في سجلِّ مفاخري
ومنايَ في ماضيه أو في الحاضرِ

إن نِلْتُ من كفِّ (البياتيِّ) الذي
أهدى إليَّ كتاب علمٍ فاخر

ديوانَ أشعارٍ يُعَزُّ منالُهُ
من فيضِ بحرٍ لا يَحِدُّ لعابر

☆☆☆☆

أفلا يَحِقُّ ليَ الثناءُ عليكَ يا
سيل المعارفِ والخضمِّ الزَّاخر

سِرُّ البراعةِ أنتَ مصدرُ نَبْعِها
ومليكُ ناصيةِ الغريب النَّادر

فإذا نَثَرْتَ فأنتَ أفضلُ كاتبٍ
وإذا قَرَضْتَ فأنتَ أحسنُ شاعر

شمْتُ الرزانةَ فيك خلقًا ثابتًا
أملَتْهُ فلسفةُ العراق الثَّائر

☆☆☆☆

لِينُ الجوانبِ والتواضع شيمةٌ
زانتْ عُلاكَ ولم تكنْ بالقاصر

فـالـبـدرُ فـي سَـمْـتِ الـسـمـاء مـكـانه

ونــــراهُ فــي وجـــهِ الــغـديـرِ الـفـاتـر

تـلـك الـمـشـاعـرُ عـن رضــاكَ أكُـنُّـهـا

وحـفـظْـتُـهـا لـك فــي عـمـيـق الخـاطـر

أرعـــى جـمـيـلـكَ مـا بـقـيـتُ ولـم أكـن

يــومًـا بـمـا مـنـحـتْ يــداكَ بـكـافـر

****

Moh1.indd 124 3/14/13 12:13 PM

(١٠)

أفريقيا الثائرة

[الخفيف]

شـعـبُ أفـريـقـيّـا المـنـاضـلُ يبقى
فــي كــفــاحٍ وغـــارةٍ شـــعـــواءِ

ضـد مـسـتـوطـنٍ طـغـى سـامـه الخسـ
ـفُ بـعـنـفٍ وقـسـوةٍ وجـفـاء

ضـد تمـيـيـزه المـشـين ومـا حا
كَ لـه مـن مـخـاطـرٍ وشـقـاء

كـم رأى لـلـمـسـتـوطـنـينَ عـيـونًا
سَـكَـرَتْ بـالـغـرور والخـيـلاء

ورؤوسًـا تـأبـى وتـرفـضُ أن تَـفْـ
ـقَـهَ إلا بـلـهـجـةِ الأنـكـاء

لـغـةُ الـنَّـارِ فـهـي أجـدرُ أن تو
صِـلَ قـولاً بـأُذْنِـهِ الـصـمّـاء

فـيُـلَـبِّـي نـداءَ شـعـبٍ يـريـدُ الـ
ـعـيـشَ فـي مـأمـنٍ مـن الأرزاء

رافـضًـا فـكـرةَ الـتَّـمـايـزِ بـالـعُـنْـ
ـصِـر، والـلـونِ رفـضـةَ الإيـذاء

فـلـه الحـقُّ فـي الـبـقـاء سـعـيـدًا
نـائـبًـا مـن مـخـاطـر الـضَّـرَّاء

وبــعــيــدًا عــن الــتــحــيِّــز تــوّا

قًــا، إلــى خَــلْــقِ ثــورةِ الإنمــاء

آمــلاً أن يــشــيــدَ صــرحًــا مــنــيــعًــا

لــلــمــعــالــي والــعــزةِ الــقَــعْــســاء

خــطّــةُ الــســيــرِ والــقــرائــن تُــبْــدي

أنّــهُ فــي جَــراءةٍ وذكــاء

فــهــنــا تــظــهــرُ الــعــوائــقُ ممّــا

دبَّــروهُ بــحــنــكــةٍ ودهــاء

بــاتَ فــي رجــلــه الــنــشــيــطــة شــوك

شــلَّ ركــبُ المــســيــر بــالإبــطــاء

إن أفــريــقــيــا شــمــالاً وشــرقًــا

وجــنــوبًــا وســائــر الأنــحــاء

جــســمُ فــردٍ مــا مــسَّــهُ الــســوءُ إلا

بــاتَ يــســري فــي ســائــرِ الأعــضــاء

يــا بــنَ أفــريــقــيــا الــفــتــيــةِ قــاوم

إنَّــنــا فــي غــنًــى عــن الإغــراء

لَــقِّــنِ الــغــاصــبَ المــريــعَ دروسًــا

بــشــفــاهِ الــبــنــادقِ الخــرســاء

فــلأفــريــقــيــا عــلــيــك ديــونٌ

أدِّ عــن حــقِّــهــا بــكــلِّ وفــاء

كــي يــصــيــر الجــنــوبُ حــرًّا طــلــيــقًــا

بــعــد أنْ كــان خــافِــتَ الأصــداء

والـــــذي نـــــــارُهُ طَــغَـــتْ وألـــــمَّـتْ

فـــانـــزوى دَوْرُ فــرقــة الإطــفــاء

فـاكـشـفِ الــــدَّاءَ سـوف تـعـلـم حـقًّـا

أنَّـــــــه مِـــــن تـــــلاطُــــمِ الأهـــــــواء

ثُـــمَّ عَـجِّـل فـمـا عـلـيـكَ سـوى الـبحـ

ثِ سـريـعًـا عــن وصـــفـــةٍ ودواء

واسـتـعـنْ بـالـصـديـقِ لا مـن أتـى بـالـزْ

ــــزُورِ فـــي ثَــــوْبِ خِــلَّـــةٍ وإخـــاء

كـيـف تــرجــو دواءَ دائِـــك ممـن

هــو فـــي الأصـــــلِ مــصـــدرُ الأدواء

إن يـكـنْ مـا يـقـولُـهُ الـيـومَ حـقًّـا

عـــن قـضـايـا أفـريـقـيـا الـســـوداء

فـلـمــاذا ومـــا المــبـــررُ فـــي دعْـــ

مِ، نـــظـــامِ الجـــنـــوبِ بـــالإيـــواء

إنَّ دعـــوى الإخــــاءِ يـنـقـضُـهُ الـصِّـد

قُ، وإن أكَّـــــــــــدوهُ بـــالإيــــلاء

فـالـصَّـديـقُ الـصَّــدوقُ فـي لـونـه الـثـا

بـــــتِ، لا فــــي تـــلـــوِّن الحـــربـــاء

فـمـن الجـبـــنِ أن نـحـابـيـه أو نُـصْـ

ـغـي لـتـلـك المـــشـــاعـــرِ الجـــوفـــاء

بـل عـلـيـنـا المـضـيُّ فـي الـسـيـر والمـطْـ

لَــــبِ عـــبـــرَ المـــعـــالـــم الـــوضَّـــاء

وحــدةُ الـصَّـفِّ وحــدةُ الـقـولِ والخـطْـ
طَـــــةِ، حـــــالًا ووحــــــــدةُ الآراء

نـتـنـاسـى مـــا فــــاتَ مــن حـمـلاتٍ
ســاهــمــتْ فـــي تَــعَــكُّــرِ الأجـــواء

فــالــنــزاعــاتُ والــتَّــنــاحــرُ لا تـخـ
دِمُ، إلَّا مــصــالــحَ الأعـــــداء

فـبـذا نـسـتـعـيـدُ مـا ضـــاعَ ظـلـمًا
وبــــذا نمـتـطـي ذُرا الجـــــوزاء

ســوف يـأتـي الـيـومَ الــذي نكتبُ التـأْ
ريـــخَ، عـنـهـا فـــي صـفـحـةٍ بـيـضـاء

****

(١١)

دور العلم والأدب

[البسيط]

غـــذُّوا الـنـفـوسَ بمـا تحـويـه مـن أدبٍ
وحـكـمـةٍ فـهـي لـــلآدابِ تـفـتـقـرُ

فـهـي الـنـقـاءُ لـهـا ممَّـا يـشـيـنُ بـهـا
وإنَّـهـا هـبـةٌ تـقـوى بـهـا الـفِـكَـر

تسمو بـهـا الـنَّـفـسُ حتـى أوج رفعتها
ودونـهـا لحـضـيـض الـــذُّلِ تَـنْـدَثـر

لـولا الـعـقـول ومـا حـازتـه مـن أدبٍ
وحـكـمـةٍ لاسـتـوى الإنـسـانُ والـبـقـر

فـقـوتُ عـقـلـكَ آدابٌ تـلـمُّ بـهـا
إذا غـنـمـت فـحـقًّـا إنـه الـظَّـفـر

نِـعْـمَ الـثَّـراءُ ثـراءٌ لا تحـسّ لـه
خـوفًـا مـن الـلِّـص أو يـخـفيـه محتكر

فـمـا أخـفَّ ومـا أحـلـى حمـولـتـه
إذ إنـه خـيـرُ مـا يُـعـطَـى ويـدَّخـر

أمّـا الـعـلـوم فـفـي أبـحـاثـهـا قـيـمٌ
فـيـهـا الإنـارة والـغـايـاتُ والـثَّـمـر

فـيـهـا خـفـايـا مـن الأسـرار يكشـفـهـا
ذو هِـمَّـةٍ بـاتَ يـسـتـقـصـي ويبـتـكر



لـكـنَّـهـا تجـمـعُ الـضِّـديـنِ لاعـبـةً
دورًا تَـعَـادلَ فـيـه الـنَّـفـعُ والـضَّـرر

أمـا مـنـافِـعُـهـا الـعـظـمـى فـلـيـسَ لـهـا
حَـدٌّ ولـيـس لـهـا عَـدٌّ فـيـنـحـصـر

تحـقَّـقَ الـيـومَ مـا كـنـا نـقـولُ لـه
خـرافـةً ومـن الأوهـامِ يـعـتـبـر

غـزو الـفـضـاءِ تـتـمُّ الـيـومَ تجـربـة
لـه ويُـرتـادُ فـي أجـوائِـهِ الـقـمـر

وسِـرُّ مـا فـي خـبـايـا الـكـون تـكـشـفُـهُ
فـي دقـةٍ مـركـبـاتٌ عـنـدهـا صـور

ومـا تـقـدمـهُ تـلـكَ الـعـلـوم فـلـن
يـسـتـغـنـيَ الـنـاسُ عـنـهـا أيـنـمـا حـضـروا

أمـا الـتـحـدث عـن أضـراره فـلـقـد
بـدا عـلـى عـصـرنـا الـذريِّ يـنـتـظـر

إذ أظـهـر الـيـوم شـرًّا كـان مـسـتـتـرًا
فـأحـدق الـخـوف بـالإنـسـان والحـذر

فـمـا أعـدوهُ لـلـويـلاتِ إن بـقـيـتْ
لا بـدّ يـومًـا مـن الأيـامِ تَـنْـفَـجِـر

ولا مـجـالَ لأمـنٍ مـن مـخـاطـرهـا
مـا لـم تَـزَلْ فـهْـي لا تُـبـقـى ولا تـذر

قـلـبُ ابـن آدم صـلـبٌ فـي تـعـامـلـه
أو قـلْ إذا شـئـتَ وصـفًـا إنَّـه الحـجـر

فمـا الــذي كــان يـرجـو أن يــعـودَ لـه
مـن صـنـع أسـلـحـةٍ تـفـنـى بـهـا الـبشـر
صــنــعُ الــسِّــلاح جــديــرٌ أن يـحـقـقـه
لأنــــهُ غـــايـــةٌ أو أنَّــــهُ الـــوَطَـــر
إنَّ المـــلايـــينَ ممـــن ســـاءَ طـالـعـهـم
في العيش أو شُـرِّدوا في الحـرب أو هجروا
ديـــارهُـــمْ فـقـدوا المـــأوى وقــد لجــأوا
فــمـــاتَ أو ضـــاعَ مـــن جـــرائـــه أُسَـــر
لــو خـصـصـتْ نـفـقـات الـكـتـلـتـين لـهـم
عـونًـا لـصـارتْ عـلـى الـفـاقـات تـنـتـصـر
وســـادَ فـــي الــكــون حُـــبٌّ مــن تـعـاظـمـه
يَـفْـنـى الــعــداءُ فــلا يـبـقـى لــه أَثَـــر
لـكـنْ هـوى الـنـفس بـات الـيـوم مـنـتـصـرًا
عـلـى الـعـقـول فـكـادَ الـعـقـلُ يـنـتـحـر
وبـــــاتَ عـــالـــمُـــنـــا ممـــا يـــهـــدده
عـلـى شـفـا جُـــرُفٍ يـهـفـو بــه الخـطـر

****

(١٢)

دار الفتاوى

[البسيط]

عقدت لجنة الفتوى الإسلامية في العاصمة التشادية أول مؤتمر لها حضره ممثلون من شتى أنحاء المحافظات للجمهورية وكان الهدف من وراء ذلك إتاحة الفرصة للمؤتمرين لمعالجة القضايا المتعلقة بالدين وأهمها مسألة ثبوت الهلال في رمضان ومسألة التربية في الطرق الصوفية، فكانت النتائج إيجابية وقد قرئت هذه القصيدة في دار الإذاعة التشادية من قبل اللجنة.

دارُ الفتاوى ودارُ المجمع الباني
تألفتْ من بني قومي وأوطاني
إنَّ الذي قدَّمتْه اليومَ من مِنَحٍ
ثمينةٍ لذوي دينٍ وإيمان
كانت وما بَرِحَتْ تبدي نتائجها
على الورى دون إجحافٍ وحرمان
تعطي الرُّدودَ بفضل الله وافيةً
عبر الأثير بإيضاحٍ وتبيان
عون المدبر ترجو أن يحالفها
في أمرها فهو حقًّا خيرُ مِعْوان
واليوم قد عملت في عقد مؤتمرٍ
أتى نتيجةَ تفكيرٍ وإمعان

شـعـارُهُ أن يـقـومَ المـؤمـنـون بما

يـرضـي الإلـه فـيـرضـيـهـم بـغـفـران

وتـركْ مـا أضـعـفَ الإسـلامَ مـن حسدٍ

ومـا إلـى ذاك مـن غـلٍّ وإضـغـان

المسـلـمـونَ جـمـيـعًـا فـي تـآلـفـهـم

وفـي الـتـوادُدِ فـي سـرٍّ وإعـلان

كـالـعـضـو يـؤلـمُـهُ داءٌ فـصـار لـه

جـسـمُ الـفـتـى مـنـه فـي غَـمٍّ وأحـزان

والـلـهُ قـال بـحـبـل الـلـه فاعتصموا

فـالـكـلُّ مـا بـين إخـوانٍ وخـلّان

ومـن بـرامـجـه مـوضـوعُ تـربـيـةٍ

كـمـا تـنـاول مـن مـوضـوع رمْـضـان

الـصـومُ قـاعـدةُ الإسـلام نـعـلَـمُـه

أو أنـه الـرُّكـن مـن مـجـمـوعِ أركـان

لـه مـزايـا تـزكـي نـفـس مـحـتـسـب

مـن الـخـطـايـا وتـنـشـيـطٍ لأبـدان

تـفـتـحـتْ فـيـه أبـوابُ الـجـنـانِ وذا

شـهـرٌ يُـسـلْـسَـلُ فـيـه كـلُّ شـيـطـان

ولـيـلُ قَـدْرٍ لـديـه بـاتَ مـكـتـمـنًـا

لـيـلٌ تـعـطـرَ مـن روحٍ وريـحـان

ولـلـمـلائـك تـجـوالٌ بـلـيـلـتِـهِ

لمـطـلـعِ الـفـجـرِ فـي أرجـاءِ أكـوان

تَحـتَّـمَ الـصـومُ فـي أمـريـن إن وجـدا

رؤيــا تَحــقَّــقُ أو إكــمــالُ شـعـبـان

لـلاخـتـراعـاتِ دورٌ لـيـس يـنـكـرُهُ

عـقـلٌ وقــد سـهـلـتْ شــأنًـا بـإمـكـان

فـالـطـائـراتُ الـتـي عـمَّـتْ منـافـعـهـا

وآلـــةٌ أرســلــت صــوتًـا لآذان

ومـا إلـيـهـا فـقـد أبــدى وأنجـزهـا

لـلـنـاس عـصـرُ صـنـاعـاتٍ وعـمـران

وكـلـهـا نِـعَـمُ الـبـاري إذا حُـسـبَـتْ

عَــدًّا وذا لـم يـكـنْ فـي وسـع إنـسـان

تـلـك الـوسـائـلُ قـد أضـحـتْ مـقـرّبـةً

وجـهَ البـسـيـطـةَ فـي قـاصـيـه والـدَّانـي

لـذا فـلـو أنَّ فـي أقـطـارنـا ثـبـتـت

أهـلَّـةٌ وكـفـى فـي الـشَّـرْعِ عـدلان

أو أنّ فـي المـغـرب الأقـصـى تـشـاهـدهـا

جـمـاعـة أو بـدت فـي شـرق سـودان

فـمـا عـلـى المـرءِ إلا أنْ يـصـومَ بما

تـقـرُّه ســادةٌ تـفـتـي بـبـرهـان

ولا يـجـوزُ لـشـخـصٍ أن يـفـنـدَهُـم

أو أن يـسـيءَ فـيـرمـيـهـم بـبـهـتـان

أمَّـا الـتَّـصـوفُ فـالـقـرآنُ مـرجـعُـهُ

وسـنّـةٌ نـسـبـوهـا لابـن عـدنـان




فمن أرادَ الهدى فليُمسِ متَّبعًا
ما أوضحَ الشَّرعُ في آياتِ قرآن
فتلك صوفيةُ الإسلام واضحةً
بنى عليها أولو علم وعرفان
إذ قسموا النفس سبعًا في مراتبها
في كلِّ طورٍ لها ما ليس في الثاني
أمارةٌ وهْي أوليها منسقةٌ
وهذه هي نفسُ الفاجرِ الواني
وعُدَّ لائمةً منها وملهمةً
بذي مكارمِ أخلاقٍ وإحسان
ومطمئنةُ إيمانٍ وراضيةٌ
أحكام ذي الطول من حُلوٍ وأشجان
مرضيةٌ وهي من نالت بطاعتها
من المهيمن في الدُّنيا برضوان
واستوفِ عدّك تتميمًا بكاملةٍ
فتلك نفس تخطّت كُلَّ ميدان
ومنْ يَدَعْ ملةَ الهادي وسنّتَهُ
أو شرعَهُ باءَ في الدُّنيا بخسران

****

(١٣)

ساحة المسجد

زار الملك فيصل جمهورية تشاد وعلى إثر الزيارة قرر بناء أكبر جامع في أنجمينا العاصمة التشادية، فوافته المنية قبل إتمامه.

ثم أتم المشروع الملك خالد بن عبد العزيز كما هو مقرر وبمناسبة افتتاحه اشترك عدد كبير من مختلف الدول الإسلامية ومن المشتركين فيه الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، وبهذه المناسبة كتبت هذه القصيدة والتي نشرت في مجلة الدعوة الإسلامية التي تصدر بالسعودية، وقد نشرت القصيدة في عدد ٦٦٥ في رمضان عام ١٣٩٨ هجرية.

[البسيط]

يا ساحةَ المسجدِ الميمونِ مركزهُ
ومعهدًا لفنونِ العلم والأدبِ

أصبحتَ مَقْصِدَ ركْبِ الوافدين إلى
رحابِ أرضٍ وقاها اللهُ من كَرَب

نستقبلُ اليومَ في أبهى مظاهرنا
طوائفًا من بقاعِ الموطن العربي

شكرًا لرابطةِ الإسلام إذ بعثَتْ
للاحتفالاتِ وفدًا خيرَ منتدب

كما يشاركنا في عيد مسجدِنَا
وإن يرى فيه وَضْعَ الدين عن كَثَب



فمرحبًا بقدومٍ طالَ موعدُهُ
فقد رجوناهُ وقتًا غيرَ مقترب
ما أنتمو يا حماةَ المسلمينَ سوى
مواطنينَ أتَوْا في ثَوْبِ مغترب
أواصرُ الدين والتاريخ تجمعُنَا
في ركنِ حصنٍ منيعٍ غير مضطرب
والدِّينُ جسرٌ ودار الناس قاطبةً
يَضُمُّ مختلفَ الأجناس والنَّسب
من كان في المغرب الأقصى مساكنه
ومن يقيمُ بأرضِ الصِّين أو حَلَب
تَضُمْهُمْ في رحابِ الله رابطةُ الْـ
إسلام لا عروة الأنسابِ والحَسَب
إذ لا يرى الدِّين فرقًا في مبادئِهِ
فزال ما كان بين الناسِ من حُجُب
وهكذا أثبتَ الإسلامُ قوتَهُ
في الأرض راسخةَ الأركانِ والطَنَب
يا قلبَ أفريقيا السوداءِ يا وطني
أرضُ الجدودِ حماكِ اللهُ من عَطَب
ساقتْ إليكِ يدُ الأقدارِ عارفةً
فَنلْتِها دون جهدٍ منكِ أو تَعَب
إذ زاركِ الفيصلُ الميمونُ طلعتُهُ
محقِّقًا لك ما ترجوهُ من أرب
لمَّا رأى ذلك العملاقُ أنَّ لنا
ما كان في غايةِ الإلحاحِ والطَّلب

أرادَ فـي الحـالِ أن يـبـنـي مـسـاجـدَنَـا

وأنْ يمـدَّ يـدًا بـالـعـونِ والـرَّحْـب

أكـرمْ بـه مـن زعـيـمٍ لا مـثـيـلَ لـه

كـانـت مـواقـفُـهُ تـدعـو إلـى الـعَـجَـب

دعـامـةٌ ظَـلَّ لـلإسـلام حـين غـدا

يـوهـي دعـائـمَـهـا هـونٌ مـن الـنَّـصَـب

وذَبَّ عـن ديـنـهِ المسـتـهـزئـينَ ومَـنْ

يـرنـو إلـيـه بـعـينِ الـسَّـخْـطِ والـغَـضَـب

لـكـنَّ فـاجـعـةً كـبـرى مـروعـة

تمـسـي الـقـلـوب بـهـا فـي غـمـرة اللَّـهب

إنَّ المـنـيـةَ لـمَّـا حـانَ مـوعـدُهَـا

قـد سـارعـت وبـشـيءٍ غـيـر مـرتـقـب

رحـمـاكَ يـا ربِّ رمـسًـا ضَـمَّ أعظمه

واكـتـب لـه يـا كـريمًـا حُـسْـنَ مُـنْـقَـلـب

لـمَّـا أتـى خـالـدٌ مـن بـعـده أخـذتْ

تـزولُ عـنَّـا دواعـي الخـوفِ والـرِّيَـب

إذ تمـم الـيـوم مـشـروعًـا وسـاقَ لـه

مـسـاعـداتٍ مـن الأمـوالِ والـنـشـب

أضـفْ إلـيـهـا عـطـايـا لـيـس يَـحْـصُـرُهـا

مـا جـاء فـي قـالـب الأوزان والخُـطَـب

جـزاهُـمُ الـلـهُ خـيـرًا عـن تَـفَـرُّغِـهِـمْ

لـديـنِـهِ ووقـاهُـمْ شَـرَّ مُـحْـتَـرب

****

(١٤)[1]

[الوافر]

صـــيـــاحـــاتٌ تـــوالـــتْ أو مــكــاءُ
بِـــعَـــبْـــراتٍ يـهـيـجـهـا الـبـكـاءُ

لـــتــنـدبَ فـــي كــآبــتـهـا فـقـيـدًا
وتحـــــــزنُ حــــين آلمـــهـــا الـــبـــلاء

تَـــــوَارى فـــي حـمـى الـرحـمـن نـوحٌ
ولاقـــــى حـيـثُ طـــالَ لـــه الـلِّـقـاء

بَــكَــتْــهُ بـــأرض أبــشـــيٍّ رجـــالٌ
وأطـــفـــالٌ وتــتــبـعـهـم نـــســاء

أصـــابــهُــمْ الــــذُّهـــولُ فـيـا لخـطـبٍ
أمـــاطَ الـصَّـبـر فـانـقـطـعَ الـعـزاء

لـفـاجـعـةٍ تـلـمّ بـهـم فـأوحـتْ
بـــأشـــجـــانٍ قـــرائِــنُــهــا عَـــنــاء

أتـيـت لـهـم أيـــا عَــلَــمًــا تـسـامـى
بـــإنجـــاز يـــحـــقُّ لــــه الـبـقـاء

ولـــيـــسَ مـــن الـغـريـب ولـيـس بِـدْعًـا
إذا ارتـــاعـــوا ولـــيـــس لــهــم هـــراء

لأنـــك كــنــتَ ركـــنًـــا قـــد تـداعـى
فـــأوشـــكَ مــنــهُ يــنــهـدمُ الـبـنـاء

---

(١) رثاء الشيخ نوح محمد الأمين (من علماء مدينة أبشى).

ومـنـهـلُ طـالـبـي الـتـعـلـيـم حـقًّـا
«وبـحـرٌ لا تـكـدِّرُهُ الـدِّلاء»
ونـبـراسٌ تـزولُ بـه الـدَّيـاجـي
ونـورُ الـبـدر تَمَّ لـهُ رواء
حَـمَـلْـتَ لـواءَ نـشـر الـديـن حـبًّـا
لـوجـهِ الـلـه فـارتـفـعَ الـلِّـواء
وراحـتُـكَ الـسـخـيـةُ كـم أنـالَـتْ
ثـراءً لا يـضـارعُـهُ ثـراء
ثـراءُ الـعـلـمِ لا أعـنـي حـطـامًـا
عـلـى كـفٍّ يـبـدِّدُهُ الـعـطـاء
فَـلـلـعـلـمـاءِ بـيـن الـنـاسِ فـضـلٌ
فـكـان مـن الإلـه لـهُـمْ ولاء
وأن لـهـم قـيـادةَ كـلِّ أمـرٍ
وإرشـادِ الأنـامِ وهُـمْ رعـاء
وفـضـلـك بـيـن أربـابِ الـتـفـانـي
وأهـلُ الـعـلـم لـيـسَ لـهُـمْ خـفـاء

****

(١٥)[1]

[البسيط]

قلبي تُخالجُهُ الأحزانُ والكَدَرُ
ولوعةٌ بات منها الدَّمعُ ينهمرُ

فقدتُ خلاًّ وفيًّا كنتُ معتمدًا
عليه فانتابني الأشجانُ والضَّجَر

ماتَ الذي حَسُنَتْ في الناس سيرتُهُ
فكان بالحلمِ والأخلاقِ يَشْتَهر

ماتَ التقي الذي لم يسعَ في عملٍ
إلا وكان له التفكيرُ والنَّظَر

طَلْقُ المحيا قويٌّ في إرادتِهِ
وفي المكارِهِ والضراءِ يَصْطَبِر

قد كانَ في الخير ركنًا يستعانُ به
واليومَ أصبحَ هذا الرُّكنُ ينكسر

وكانَ للحق عونًا في مواقفِهِ
لا ينثني عنه مهما ناله خَطَر

إن قال في النصح قولاً غيرَ مكترثٍ
فطالما صاحبتْ أقوالُهُ الفِكَر

ففارقَ الأهلَ والأصحابَ عن مرضٍ
قد طالَ فيه وأوهى جسَمَهُ الكبر



---

(١) رثاء المرحوم عبد الله يونس المجيري، وهو شاعر ليبي الأصل عاش في مدينة أبشى – تشاد وكان رئيسًا للجالية الليبية في هذه المدينة، وافته المنية في أواخر رمضان عام ١٣٩٨هـ.

إن المنيّةَ جسرٌ فوقَ هاويةٍ
فكلُّ ما فوقها لا شَكَّ ينحدر

فيابن يونسَ كم أظهرتَ موهبةً
عظمى وحالفَكَ التوفيق والظفر

تركت للقوم آثارًا مخلدةً
في الشِّعرِ إذ في معاني الشِّعر تَبْتَكر

ففي مدارس (أبشيٍّ) ومعهدها
بانت قصائدكَ الغراءُ تنتشر

فصارَ ذِكْرُكَ فينا خالدًا أبدًا
وإنَّنا بكَ بين الناسِ نَفْتَخِر

قضيتَ نَحْبَكَ في شهر الصيام لكي
تنالَ ما كنتَ عند الله تَنْتَظِر

ندعو لكَ اللهَ أن يعطيكَ مغفرةً
وجنّةً مُدّ فيه الظِّل والثَّمر

لكي تجوسَ وترعى في خمائِلِها
وأنتَ عن كلِّ ما تخشاهُ مغتفر

من كان في هذه الأوطانِ مسكنُهُ
أو كان في ليبيا قد جاءَهُ الخبر

عن موتِهِ فأنَا حقًّا أشاطرُهُ
ذاكَ الشعور الذي ما زال يَسْتَعر

آهٍ أُرَدِّدُ آهاتي مكررةً
إذ لا مَرَدَّ لِمَا قد ساقَهُ القَدَر

****

(١٦)[1]

[الكامل]

لـــــذوي المـــكــــارم شــيــمـــةٌ وإبــــــاءُ
وفــضــيــلــةٌ وســـمـــاحـــةٌ وســـخـــاءُ

ورجـــاحـــةُ الــعــقــل الــســلــيــم فــهــذه
هـــبـــةُ الإلـــــــه وكـــلُّـــهـــا آلاء

أثــنـــي عــلـــى أهـــل الــضــمــيــر لأنــهُــمْ
لــلــبــائــســيــنَ مـــســـرةٌ ورجـــــاء

وأخـــــصُّ مــنــهــم بــالــثــنــاءِ مــحــمــدًا
رجـــــلًا تـــداعـــى عـــنـــدهُ الــضــعــفــاء

والـــــوافـــــدونَ مــتـــى أقـــامـــوا عــنــدَهُ
لا يــشـــعـــرون بـــأنَّـــهُـــمْ غـــربـــاء

يــقــري الــضــيــوفَ فــكــل ركـــنٍ شــاهــدٍ
لــلــبــيــت فــيــه مـــن الــطــعــام إنــــاء

رجـــلُ الــســمــاحــةِ والــديــانــةِ والــوفــا
تــبــدو عــلــيــه الـــشَّـــارَةُ الــبــيــضــاء

ولــــه مـــزايـــا لا تُـــعَـــدُّ لــحــاسـب
ومـــزيـــد فـــضـــلٍ لــيــس فــيــه خــفــاء

---

(١) محمد إدريس كنانة (هو أحد التجار المشهورين والمعروفين بالكرم والسماحة في التشاد).

الـكـلُّ يـعـلــمُ مــا شـمـائـلُـهُ كـمـا اعْــ

ــتـرفـتْ بـفـضـل ســخــائِــهِ الأعـــداء

هـــو خِـــلْـــقَـــةٌ تــركــتــه آبــــــاءٌ لــهُ

فـــتـــوارثـــتْـــهُ بــــدورهــــم أبــنـــاء

✱✱✱✱

عيسى عبد الله

عيسى عبد الله شاعر تشادي معاصر مجدد ولد سنة ١٩٤٨ [١] في مدينة أبشة شرق تشاد، وعاش فترة كبيرة من حياته في السودان وليبيا، وحصل على الشهادة الثانوية في السودان، والتحق بكلية الآداب جامعة الخرطوم سنة ١٩٦٨، إلا أنه لم يكمل تعليمه الجامعي، فانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني التشادي المعروفة باسم «فرولينا»[٢].

وله العديد من القصائد الشعرية المبعثرة، وجمع جُلّها في غلافين الأول تحت عنوان «باقة من لباقة» والآخر تحت عنوان «حذو ما قالت حَذَام» إضافة إلى ملحمته الإسلامية «كشف المطمورة عن أبيات مغمورة في نجوى نور المعمورة» وهي في باب المديح النبوي.

ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي لغةً وصورًا وموسيقا، وذكر لي الشاعر في إحدى جلساتي معه في النادي الأدبي:

«أنا دائمًا أحاول أن أكتب الموضوع في القالب الذي أظنه يناسبه أكثر، ولكن هناك أشياء يناسبها شعر التفعيلة وأشياء يناسبها الشعر الحر، لكن في التجديد أبواب كثيرة وحاولت أن أطرقها، وعندما أفكر في الموضوع أفكر جيدًا في القالب الموسيقي الذي أحبه للعمل الأدبي، وأنا أعتقد أن الخليل بن أحمد قد وجد اثنين وعشرين بحرًا ستة منها للبحور المهملة وستة عشر للبحور المشهورة. أما البحور المهملة فأنا أستخدمها.

---

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في النادي الشعبي التشادي بأنجمينا في ٢٠٠١/١/٢٤م.

(٢) ثورة فرولينا: وتسمى جبهة التحرير الوطني التشادي أسست عام ١٩٦٦ وهي حركة تحريرية لمقاومة النظام القائم وانخرط فيها معظم الشباب التشادي وتغنوا بها وبأهدافها.

أما كشف المطمورة فهي على «المتدارك/ فاعلن» وأعطيت نفسي فيها بعض الرخص وأعني الناحية العروضية، حيث اعتبرت فَعْلن مساوية لفعِلن بكسر العين». فالشاعر صاحب جرس موسيقي جذاب اكتسبها من نشأته البدوية.

على أية حال فإن شخصية الشاعر الثورية التحررية، وتركيبته السوسيوثقافية وكثرة ترحاله في عديد من الدول، كل ذلك صنع شاعرًا فريدًا استحق أن يكون رائد التجديد في الشعر التشادي.

وذكر لي في لقاء آخر معه أن ثمة عوامل ساعدت في تكوينه الشعري وميله للتجديد أهمها[1] «المحفوظات المدرسية، والمكتبات، وعشقه للغة العربية، وحضوره الحفلات والمناسبات الرسمية، والجمعيات الأدبية، وثورة فرولينا».

ويغلب على شعره النزعة الفكرية لكثرة كتاباته عن الثورة والوطن والمجتمع وما فيه من آمال وآلام، فهو يشبه العقاد شعرًا وحياةً، يفكر بالشعر ويشعر بالفكر.

(من ديوان «عيسى عبد الله» – حَذْو ما قالت حَذَامِ! – «ديوان شعر») من كلمات بين يدي ديوان «حذو ما قالت حذام» للشاعر عيسى عبدالله.

ليست بمقدمة

إذا رغب القارئ الكريم في أن يبدأ مطالعته بمقدمة مني لهذا الديوان، فعليه أن ينتقل إذًا إلى القصيدة القصيرة التي تحمل اسمه فإنها أصلح لتقديمه – بل لتقديم شعري كله! – من هذه الكلمات ... بالرغم من أن الترتيب الألفبائي الذي آثرته لما جمعته هنا من قصائد قد قضى لها بالموضع الذي هي فيه.

أما هذه الكلمات التي بين يدي القارئ الكريم فإنما هي محاولة مني للقيام بحق له – أو لها – أحسّه عليّ: هو الحق في شيء من التوضيح، فإن كان هو – أو كانت

---

(١) لقاء تم في النادي الثقافي الشعبي بيني وبين الشاعر. مارس ٢٠٠١م.

هي – ممن يرون هذا الحق مضيا في قراءتهما إياها، عسى أن يجنيا منها بعض الفائدة وفق ما يهويان: فالقارئ، والديوان بين يديه، هو الحاكم بأمره (أعني بأمر نفسه أو نفسها).

الجمع

ظللت أنظم الشعر منذ فترة مبكرة من عمري، ولكنني لم أسع قط من قبل إلى جمعه في شكل ديوان، بل كان لي موقف سلبي من هذه المسألة – حتى في وجه مساعٍ بذلها إخوة تشاديون وسودانيون وليبيون فيما سبق – مفضلًا أن أتركه مبعثرًا هكذا، ليجمع – إن كان فيه نفع – عقب وفاتي. ولم يكن هذا الموقف يمنعني من نشر بعضه في بعض الصحف والمجلات، خاصة في تشاد وليبيا، أو من تقديم شيء منه أمام التجمعات ومن خلال الإذاعات فيهما؛ كما لو يسقني إلى التردد في مد من يطلب نسخًا من قصائدي المحفوظة بما طلب.

هذا الموقف السلبي من الجمع ربما اتخذته حرصًا مني على ألا يطغى الأدبي في حياتي على الثوري (مع إدراكي أنهما متكاملان وليسا متناقضين)، أو لعله يعود إلى نزعة تطهرية ساذجة كامنة في أعماقي، أو إلى رواسب أخرى يعلمها الله وحده! أو قد يكون مرده ببساطة إلى التهرب من النقد، أو حتى من مواجهة النفس!.. مهما تكن علة ذلك الموقف فقد ظللت به متشبثًا إلى وقت قريب «رغم إيماني بأن إنتاج المبدع ينبغي أن يوضع في خدمة مجتمعه»، ولكن عوامل طرأت تضافرت مع أخرى تصاعدت وثالثة تصاعد الإحساس بها لتدفعني دفعًا إلى العدول عنه كما يبرهن إخراجي هذا الديوان، ومن هذه العوامل:

– أنه قد استحكم أمر أزمة «الندرة»: أعني قلة المتوفر من الإنتاج الأدبي التشادي باللغة العربية بين أيدي قرائها؛ وهو أمر لا يخفى ضرره المزدوج: إشاعة «القحط» الثقافي وتعميقه من جهة، وإضعاف حجة القائلين بأصالة العربية لغة وحضارة وواقعًا في هذه الديار من جهة أخرى.



– أنه قد استفحل أمر الغثاثة. فقد تكاثر الغث من المواد المنشورة فيما يعرف في تشاد مجازًا بالصحافة العربية؛ وتلك المقدمة عبر البث الإذاعي المحلي بالعربية، ومن خلال وسائط تعميم أخرى؛ وهي أمور ينتج عنها – من بين ما ينتج – أثران لهما خطورتهما البالغة: عرض صورة هزيلة مشوهة لثقافتنا في مواجهة ثقافة متفرنسة أرقى مظهرًا وأقوى حضورًا؛ وإبراز نماذج بائسة يتأثرها ناشئتنا في غياب البديل الذي يقتدى به.

– أنه قد تجلت بصورة أوضح، بعد الاستقرار النسبي الذي تحقق في تشاد، ضرورة التعجيل بإعادة إدماج هذا القطر في محيطه الثقافي العربي الواسع: فاعلًا ومنفعلًا، مؤثرًا ومتأثرًا، آخذًا ومعطيًا؛ ولن يتم ذلك إذا كتم كل من أهله العربية في تشاد ما عنده من علم أو إبداع: واجبهم هو – على الأقل – أن يسايروا دور الإخوة من العرب الآخرين في إغناء الحياة الثقافية والتعليمية والفنية العربية بالبلاد (وهل تخفى المجهودات المشكورة المصرية والسودانية والسعودية والخليجية الأخرى والليبية والمغربية والجزائرية؟).. وأن يعتبروا ذلك واجبًا عينيًّا على كل فرد، كي تتسارع خطا النهضة المرجوة، فإن من لوازمها التفاعل الصحي مع بقية أجزاء الوطن العربي؛ وأقل ما يفعله الفرد من أهل العربية في تشاد – إن كان مبدعًا – هو العمل على جعل الحصول على إبداعه متاحًا أمام دائرة أوسع!

– أنه قد بدأ، منذ سنوات، في جامعتي انجمينا والملك فيصل بانجمينا توجه محمود نحو الاهتمام بدراسة الأدب العربي التشادي. وقد أسس لمادته فيهما الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله، وساهم في ريادة الطريق معه الأستاذ الدكتور/ محمود العزب، ثم سار على خطاهما ثلة من الأساتذة الأجلاء. منهم الدكتور/ محمد فوزي مصطفى صاحب أول كتاب مطبوع عن الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي... وقد قام المذكورون – وزملاء لهم آخرون لا يقلون عنهم دأبًا وتجردًا – بالإشراف على عشرات البحوث الجامعية في الأدب العربي بتشاد ومناقشتها إلى جانب إخوانهم من

الأساتذة التشاديين. نصوص الأدب العربي التشادي قد أصبحت إذًا موضوع دراسة وتحليل ونقد في جامعات تشاد، فهل يستقيم ذلك مع بقاء هذه النصوص مبعثرة غير مجموعة وغير محققة؟

– أنه قد كان من آثار ذلك التوجه توجيه الطلاب إلى أن يجعلوا مواضيع بحوثهم الأدبية واللغوية – في الجامعتين المذكورتين، وفي ثالثتهما، إن شاء الله، ذات الاسم الذي تفتخر به الثقافة العربية في تشاد، عندما تصل إلى تلك المرحلة – مواضيع تشادية. ولما كنت مهتمًا بأنني رائد الاتجاه التجديدي في الشعر التشادي المعاصر فلقد انعكس ذلك التوجه عليّ نموًّا كبيرًا في طلب نسخ من قصائدي تتنوع بتنوع البحوث، ويتزايد الطلب بتزايد الطلاب في مرحلة التخرج ومراحل الدراسات العليا.. فكان لابد، توفيرًا للوقت والجهد والمال على الجانبين، من أن أسعى إلى جمع شعري إسهامًا مني في هذا الجهد المبارك الذي ترعاه إدارتا الجامعتين وأساتذتهما وطلابهما.

– أنه قد تبين، مع ازدياد المدارس العربية وتلك التي تدرس باللغتين ومع الارتفا ع الملحوظ في عدد الجمعيات الثقافية وفعالياتها، قوة تعلق الأجيال الجديدة بالأدب عمومًا والشعر منه على وجه الخصوص، لتبرز حركة شعرية متوثبة في تشاد. ومن حق هذه الحركة الشعرية المتوثبة على الجيل «المخضرم» من الشعراء والنقاد وسائر الدارسين أن ييسروا لها سبل الاستفادة من رصيدهم الإبداعي والمعرفي كي تبنى عليه وتتجاوزه.

إن توفر الإنتاج الأدبي الوارد من بقية أجزاء الوطن العربي ظاهرة إيجابية وعامل مهم في تغذية الحركة الشعرية الراهنة في تشاد، ولكنه لا يلغي ضرورة الاستفادة من الرافد المحلي إلى أقصى حد: فإن هذه الحركة لا ينبغي لها أن تنبتّ من جذورها، بل يجب عليها أن تنطلق من «خصوصيتها» و«محليتها» لكي يكون لها طعم ولون هما من مبررات وجودها أصلًا، ومن عناصر تحولها – إن شاء الله – إلى مصدر إثراء للأدب والثقافة العربيين على النطاق القومي.

حينما صح العزم مني، بناء على ما قدمت، على أن أشرع في المهمة، جابهتني صعوبتها .. بل تعذَّرُ الوفاء بها على الوجه الأكمل: ذلك أنه يفترض فيما يُجمع أن يكون موجودًا في حال تشتت، والواقع أن هذه الصفة لم تكن تنطبق إلا على جزء مما نظمت؛ ويبقى الكثير منه مفقودًا، فلا هو في الذاكرة، ولا هو مقيد في وسائل الحفظ الأخرى! أما ذاكرتي فلا تعينني مطلقًا على حفظ أشعاري، ولا تكاد تستحضر إلا ما نظمته منها في ظروف خاصة – كظروف السجن حيث تحظر الأوراق والأقلام – وحتى هذا فإنما تستحضره في الغالب جزئيًا. وأما وسائل الحفظ الأخرى – وهي أساسًا الأوراق عندي – فلقد عَدَتْ عليها العاديات وأضاعتها سني النضال والمطاردة لاسيما أثناء عهدي طاغيتي السودان وتشاد: نميري وهبري، لا سقى الله أيامهما.

لذا كانت حصيلة مسعاي: الكثير مما نظمت خلال العقد الأخير إلى جانب القليل القليل مما نظمت قبله، وذلك لأن اعتمادي في الجديد كان على الأوراق المحفوظ جلها، أما في القديم فقد كان على الذاكرة المضيِّعة!.. ولقد كانت تسعفني أحيانًا بالبيت والبيتين أو السطر والسطرين ثم تحرن، وتجود أحيانًا بأكثر من ذلك، وقلّما تكملها قصيدة. فرأيتُ أن أصرف النظر عمل قلَّ عن خمسة أبيات أو أسطر؛ وأن أختار مع ما زاد عن ذلك أحد سبيلين: إما أن أورده كما هو، وإما أن أقوم بما يشبه عملية ترميم الآثار عليه.

ولا ريب في أن النتيجة – في الحالة الأخيرة – لا تنطبق على الأصل انطباقًا تامًا، ولكني أجتهد في أن أجعلها أقرب ما يمكن إليه. وقد عقّد من هذه العملية أنه يكون لديّ – ساعة الكتابة الأولى للنص الشعري – أكثر من تصور مبدئي، فربما أختار تصورًا ما وأسجله على الورق بينما تختزن الذاكرة أو اللاوعي غيره. وربما أكتب البيت أو السطر بصورة معينة ثم أجري عليه تعديلاً مرةً ومرتين وثلاثًا حتى تكون صورته الأخيرة مختلفة تمامًا عن صورته الأولى؛ ويختلط الأمر عليّ عندما أحاول استحضار ما قرّ قراري عليه ما لم يكن مسطرًا أمامي!

الاختلاف إذًا واردٌ بين صورة القصيدة هنا وصورتها المنشورة من قبل إلا إذا توفرتُ على نسخة من الإصدارة التي نُشِرَتْ فيها لدى شروعي في الجمع؛ وهو ما كان مستحيلًا في أغلب الأحيان. فمن استطاع الحصول – مثلًا – على عدد مجلة «سلام» التشادية الذي ظهرت فيه «إجهاض» عام ١٩٨٠م لمس فرقًا ولا بد بين صورتها هناك وصورتها هنا؛ وهي نفس الملاحظة التي سيلاحظها من يقارن بين «يا أسمرا» في هذا الديوان و«يا أسمرا» المنشورة في أحد أعداد مجلة «البلاغ» اللبنانية عام ١٩٧٤م أو ١٩٧٥م. وهذان مثالان فقط لما تسببه عملية إعادة البناء المشابهة – كما أسلفت – لعملية ترميم الآثار من تغيير.

إن العمودي عندي ينقسم إلى عدة أصناف:

١- فهناك العمودي «المحض»، الملتزم بالقواعد العروضية، المندرج تحت بحر من البحور الستة عشر المعروفة، وهو كثير في الديوان.

٢ – وهناك العمودي الذي يوافق الصنف الأول في كل شيء عدا الالتزام بالقواعد العروضية، متمردًا على قاعدة منها أو أكثر، كما هو الحال في «آي صحو».

٣ – وهناك العمودي الخارج على البحور الستة عشر في صورها المستقرة، المنظوم على الصورة النظرية المفترضة لبعضها؛ تلك الصورة التي «اكتشفها» أوحد العربية ومنشئ العلمين الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما صمم الدوائر الخمس، مبينًا أن العرب لم تنظم عليها. فهذا الصنف خارج عن البحور ولكنه ملتزم بالدوائر، مثل قصيدتي «ما لم» و«بلا إذن».

٤ – وهناك الصنف الذي يشاركه في خروجه على البحور المعروفة وفي كونه ضمن الدوائر الخمس. أعني الصنف المنظوم على أوزان البحور المهملة التي «اكتشفها» الخليل، رحمه الله، من خلال عملية فك الدوائر، وبيّن أيضًا أن العرب لم تنظم عليها. ومثالها في هذا الديوان قصيدة «وداعًا للرواغ».

٥ – وهناك «العمودي» خارج على البحور والدوائر معًا، الملتزم رغم ذلك نظامها الموسيقي من وزن وقافية. وهو كثير في هذا الديوان.



والمسافة بين أول هذه الأصناف وآخرها قد لا تقل عن المسافة بين آخرها وشعر التفعيلة؛ فلماذا اعتبر إحدى المسافتين ولا اعتبر الأخرى؟ يكفي أنه – عندي – شعر كله لكي أضمه بين نفس الغلافين!

السطور الفارغة والهوامش

يلاحظ القارئ الكريم وجود سطر فارغ يفصل بين الأبيات في كل القصائد: يفصل أحيانًا بين مجموعتين من الأبيات، وأحيانًا بين بيتٍ وآخر أو بين بيتٍ وعدة أبيات أخرى.. فلا يسبقن إلى ظنه أن في الأمر «سنسرة» أو أن ذلك دليلٌ على سقوط أبيات أو سطور من القصيدة.. كلا، وإنما هو نظامٌ أتّبعه يشير إلى اكتمال جزئية معينة من الفكرة أو المعنى يحسن الوقوف عنده هنيهة أطول من هنيهة الوقوف بين كل بيتٍ وآخر، أو بين كل سطرٍ وآخر؛ وقد وجدت أن ذلك يساعد على إيضاح المعنى المراد في ذهن القارئ، وأنه يساعد أكثر في إلقاء القصيدة. وآمل – وأنا أتّبع هذا النظام – ألا يساهم، من حيث لم أرد، في إغلاق «الاحتمالات المفتوحة» التي ينبغي أن يكون فضاء القصيدة المعنوي محملًا بها! ولو لم أكن حريصًا على إبقاء هذه الاحتمالات لناقضت نفسي وأنا أحاول أن أجوب «الممكنات التي لم تتحقق» – أو لم تتحقق على نطاق واسع – في دنيا الأوزان كما أجوب الممكنات التي تحققت فأصبحت بحورًا مألوفة (والتي يحسب البعض أن ذلك يمنحها قداسة لا تجيز المساس بها أو الزيادة عليها).

وفقنا الله وإياهم، وسخرنا – مأجورين بإذنه – لخدمة هذه اللغة التي نحبها، ونحب أفصح من تكلم بها، صلى الله عليه وآله وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!.

أنجمينا، يناير ٢٠٠٤

****



١ - رَدُّ فِعْلٍ

[المتقارب]

ومَــنْ لـم يَـخَـفْ مـن زئـيـر الأُسُـودْ

فَـمَـا بـالمـبـالـي طَـنِـينَ الـذُّبـابْ؟

وإنّـي لَـروحٌ لمـعـنًـى يـسـودْ

بـهـذا الـتُّـراب وفـوق الـسَّـحـابْ!

وإنّـي لـقـلـبٌ وفـيٌّ ودودْ،

وإنّـي لـعـقـلٌ فـتـيٌّ عـجـابْ!

سـخـيٌّ كـدنـيـا تـضـمُّ الحـشـودْ،

وحَـيٌّ كـكـونٍ تحـدّى الخـرابْ!

وإنّـي لأُعْـيـي لـسـان الحـسـودْ:

فـأَنَّـي أُعَـنَّـى بـأدنـى اضـطـرابْ؟

خور طقت الثانوية

(قرب الأبيض)، ١٩٦٦م.

****

٢ - إجهاض![1]

يتوازَنُ أَطلس[2] فوق الحوت، يُقلُّ الدّنيا كالتّابوتْ...

... رغم المستنكرِ أطلسُ باقْ!

والحمل ثقيلٌ مثل الذّكرى عند الثّكلى في الأعماقْ؛

بطر الإنسان يزيد الحمل فيرفسُ أطلس ظهر الحوتْ؛

والحوت الطّافي وسط اليمّ يعيش النّفيَ مع الإرهاق...

ضجرًا إذ ينفث – كالنّافورة – في الدّنيا حمم الكبريت

وشعور اليأس مِنَ الأنساق!

.. فتخذُّ النّفثة في المعمورة هذا الطَّلِّسْمَ المنحوت:

«لا إنسانيّة في الإنسان سوى المرصودة للإغراق!»

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

ترقب الغِربانُ – في الأجواء – أنْ يستحكمَ الطّاغوت

شأن مسعى غرفة التّجّار باسم الدّين والأفكار والأجناس والأعراق

والألى قد شرّعوا التّطفيف في المكيال والميزان: كلّ الطّاقم المقوت...

---

(١) المناسبة: خلال حرب الأشهر التسعة يونيو ١٩٨٠م.

(٢) أطلس: الثور الأسطوري الذي يحمل الأرض على قرنه.

كلّه يدعو بما يرويه عن هاروت أو ماروت[1]...

راجيًا أنْ تُصبح الأعياد ميدانًا لبيع مراسم التّأبين والتّكفين والإحراق...

ثم تُدْحَى أعينُ الأطفال أحجارًا من الياقوت...

☆☆☆☆

حيث البارودُ جوار القوت متاحٌ في كلّ الأسواق!!

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

ساد مسٌّ يشمل الأيّام والأهواء والأحداق...

مُذْ بِيعَ الجوعُ في الحانوت!

..مُذْ تعرّتْ نُخبَةٌ عاشت مدًى مستورةً بالتّوت...

واستطابت حجّ أوروبا لأجل الجنس والأوراق:

منهم الآتي خبير القطر في القانون.. والأستاذ في اللاهوت!

في تعرّيهم بأن الكُلَّ جزّارٌ للحم الكادح المبهوت...

☆☆☆☆

وبلا إشفاق!

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

يا لوعدٍ كافي الإهلال بدرًا لوَّنَ الآفاق...

كان عند النّاس مثل الماء...مثل القوتِ:

بشرى أُجهِضتْ بالصّاعق الموقوت:

---

(١) هاروت وماروت: الملكان ببابل، المذكوران في القرآن الكريم، اللذان يعلّمان الناس السحر.

بضع أفراسٍ من الأخشاب جالوتيّة[١] الألوان باريسيّة الأشداق!

فلنباشر بحثنا عن غوثنا طالوت...

عن سنا شمسٍ بظهر الغيب يصحو ضوؤها المكبوت...

كي ننَقّى – إنْ وجدناها – من الإذعان والإملاق...

من نهار الحاضر المستوحش المبتوت

منْ فِرارٍ في اللّيالي ينشد السّلوى بواق الواق...

مبتغانا سلّم المستقبل المنعوت...

.. في معاني تلكم الأسطورة السّحريّة الإشراق!

....

امض بلّغ كلّ بازوكا غدًا: «كُفِّي عن الإطلاق!»

☆☆☆☆



وستستغني

عن أطلسَ ثَمَّ ظهرِ الحوت..

عضلاتُ انْجمّينا وقُوى بيروت!!

✱✱✱✱

---

(١) جالوتية: نسبة إلى جالوت الذي قتله نبي الله داود عليه السلام. وطالوت: معروف في نفس القصة.

٣ - إلى مَتَى؟!

حياتنا ... إلى متى ..
نعيشها تماوتا:
فندمن التلفّتا،
ممكّنين مَنْ عتا؛
ودائمًا مؤقّتا!..
إلى متى؟ .. إلى متى؟؟.

إلامَ نبدأ السُّرَى بمُصلحٍ
فننتهي – لدى الضُّحى – بطاغيه..
..."معظَّمٍ" و"ملهَمٍ" ولا يطيـ
ـق مِنْ حناجرِ الجموعِ لاغيه؟
وأين في وُلاتنا مَنِ استوى
فلم يعد يصول كي نناغيَه؟
و"فرقة النّجاة"[1] – إن تهيّأت
لها كتائب الشّراة مصغيه...
إذا بها – بُعَيْدَ بذل جهدهم –
مضلّةٌ مِنَ الفئات باغيه
مليئةٌ تعنّتا!
إلى متى؟ .. إلى متى؟؟

(١) فرقة النجاة: إشارة إلى الفرقة الناجية الوارد ذكرها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الشراة: هم المعروفون في التاريخ الإسلامي بالخوارج.

مِــنَ المحــيــطِ لــلــخــلــيــجِ كــم ســرى،
وكــم أتـــاكَ، مــن حــديــثٍ غــاشــيــه...
بـــأمّـــةٍ قـــدِ اســتــقــرَّ بــؤســهــا
لأنّــهـــا تجــنّــبــت تــلاشــيـــه!
وثَـــــمَّ حـــاكـــمٌ عـــلا بـــثـــورةٍ
يـــلـــوحُ - بـــعـــد مــــدَّةٍ - بـــلا شــيــه:
مـــلامـــح الـــصّـــلاح مــثّــلــتْ بــهــا
طــبــيــعــةٌ تــنــرجــســتْ وحــاشــيـــه...
تــصــايــحــتْ بــرســمــه مــفــكّــرًا،
فــصــيّــر المــفــكّــريــن مــاشــيــه...
ليعلفوا التّهافتا!
إلى متى؟ ... إلى متى؟؟

وتمــضــغ الــكـــلام فـــي تحــذلــقٍ
جــمــاعــةٌ عــلــى «الــيــســار» راســيــه...
عــن «المــكــاســب الــعــظــيــمــة الــتــي...»
لــعــلّــهـــا لخـــادمـــات آسِــيــــه!
ويــطــرب الــزّعــيــم - فَــهْــوَ، دائــمًــا،
وجـــالـــدُ عُـــمَـــيْـــرَةً[1] ســواسِــيــه -
فــتــعــتــري «يــســـارهـــم» زيـــــادةٌ،
تُحــجّــر الــقــلــوب وَهْـــيَ قــاســيــه...
فـــلا يُــكَــفْــكِــفــونَ دمـــعَ شــعــبــهــم،
ولا تــعـــي عــقــولُـــهــم مــآســيــه
وقد تَفَرْعَنَ الفتى!
إلى متى؟ ... إلى متى؟؟



(١) جالد عميرة: ممارس العادة السرية.

ويظهر الفتى لكم، مُتلفزًا،
إذا فتحتم الجهاز ثانيه!...
وقد يَحُلُّ في جدار مسجدٍ،
وقد يُطِلُّ من إزار زانيه
ويوم مهرجانه يرى مُمَثْـ
ـينًا على سواعد الزّبانيه
فإنّه - وحقّه! - لَمُولَعٌ
بوجهه، مطالعُ معانيه!..
لذا تمثّلَتْ رسومه له
مرائيًا[1] على الدّوامِ دانيه..
وحيثما تلفّتا!
إلى متى؟... إلى متى؟؟
وَرُبَّ جاهلٍ يلي كعاهلٍ،
فيأخذ البلاد نحو هاويه...
فلا يزيدُنا المآل حكمةً،
ولا نُصيخ للدّروس داويه:
ولم يزغْه أنّ قلبه عمٍ
ورأسه - كما استبان - خاويه!
وكم (ذوي فضيلةٍ!) تجمَّعوا
وكلّهم مهيَّئٌ فتاويه...
فبايعوا المغفرتا!
إلى متى؟... إلى متى؟؟

(١) مرائيا: جمع مرآة.

ومـثـلـمـا تـعـالمـوا تـشـاعـروا،

فـكـل واحـد أبـو الـعـتـاهـيـه!

وجـلـهـم تـطـرقـوا - تـصـوفًـا!-

ورغـم ذاك فـالـقـلـوب لاهـيـه..

وهـمـهـا الـنـقـودُ دون وازعٍ

تـلـمـهـا حـريـصـةً مـبـاهـيـه:

فـكـثـرةٌ عـلـى الـهـوى تـنـافـرتْ،

وقـلـةٌ عـن الـضـلال نـاهـيـه...

لـيـفـتـح الـصّـفـاء سـكّـةً بـلا

سـيـولـةٍ، وشـارع الـكَـراهِـيَـه...

مُعبّدًا مسفلتا!

إلى متى؟ ... إلى متى؟؟؟

(نظمت - أولًا - بانجمينا في ١٩٩٨/٥/٣٠م

ثم روجعت بانجمينا ودربالي في مارس/أبريل من عام٢٠٠٠م)

****

٤ - رفاقي[1]

[الوافر]

رفاقي يولدون ضحَى..

وفورًا تُلْهَمُ الأطيار ذاك الشّدو والمَرَحا،

ويغفو البرعم الوسنان – لم تمسح نداهُ اليدْ –

ولكنْ يوقظ الإشراق جَفنَ الكادح المجهدْ:

فقد آن الضّحَى فصحا

لِيُفْنَى يومُه في كدٍّ..

كأنَّ الكدّ غولٌ قد نفى أيَّامه ومحا..

كما قد غال – أيضًا – ليله المُسْوَدَّ

وأمسى يطحنُ المخضرَّ من أحلامه كَرَحَى

– وفيها مشهدُ الآلاف آلت أنّها لابدَّ..

لها من أن تذيق الظّلم ما اجْترحا..

ليبقى عدلُها الأوحدْ! –

وجاء الغولُ مكتسحا

صلاة العيد في المشهدْ

ليقتاد الغد المرجوّ نحو المحبس الموصدْ،

وبابُ السّجن ما انفتحا:

---

(١)(مقدمة قصيدة طويلة تمجد نضال الشعب الفيتنامي وشعوب كمبوديا ولاوس في وجه الإمبريالية، ولم يبق منها في الذاكرة – بعد ضياع النص المكتوب – إلا هذه السطور!).

فما من مهجةٍ تستنشق الفرحا،

وما من مخرجٍ يوجدْ..

سوى السِّندان والمبردْ..

سوى كدٍّ عدا الآلام ما منحا:

فقط نحو القنوط نحا!

ولكنْ فجأةً يولدْ..

منِ اشْتاقت إليهم خضرة الدّنيا لتنشرحا

وملح الأرض أيضًا والسَّحاب ليبدأا في العدِّ!

....

رفاقي يولدون ضحى،

وظهرًا يطلقون الغدْ!

(المنطقة الرئيسية)

في الريف التشادي المحرر. ١٩٧٢م

****

٥ ـ النّوم في عَيْنَيْ وَطَنٍ

كان آدمو عبد الرحمن أحد أبطال الثورة التشادية. ولد البطل الراحل عام ١٩٤٩م ثم نشأ بالسودان، حيث التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني التشادية (فرولينا FROLINAT) قبل أن يبلغ الثامنة عشرة، فكان من الرعيل الأول من فدائيي فرولينا الذين واجهوا النظام الدكتاتوري الرجعي العميل المدجج بالسلاح في الستينيات مسلحين بالإيمان والرماح والسكاكين وقليل من البنادق الأثرية! .. وظل الفقيد مناضلًا صلبًا أكثر من ٢٦سنة حتى قضى نحبه قبل شهرين بعد صراع مرير مع المرض: مات فقيرًا – إلا من الإيمان! – لأنه آثر الباقية على الفانية فلم ينضم إلى قطيع الحذاق وأغنياء الحرب رغم استطاعته ذلك لو أراد! وظل عمره كله يعض بالنواجذ على مبادئ الثورة الشعبية: معتصمًا بحبل الله، مؤمنًا بالجماهير، متمسكًا بتوجهه العروبي الواعي المنفتح.

توفي في ٦ أكتوبر– اليوم ذي الدلالات في تاريخنا القومي المعاصر – بطرابلس الغرب؛ بينما توفي المناضل الفلسطيني خالد الحسن (أبو السعيد) في اليوم التالي بالمغرب الأقصى بعد صراع مرير أيضًا مع المرض... وقد ظل الفقيد – الذي كان أحد مؤسسي «فتح» – رافضًا اتفاقية غزة/ أريحا وما تمخضت عنه حتى قضى نحبه: فكان من خير أعماله خواتيمها.

ألا رحم الله الراحلين الخالدين، النائمين في عيون الوطن، واللذين غادرانا في زمان الحصار والانكسار!... وليرحم الله تعالى أمتنا التي قضى عليها بأن تعيش هذا الزمن!!

(١)

هل من زرادشت النّبوءات التي هزّتْ زمانًا فاجعًا سمْج المزاحْ؟

أم هل أتتْ من قول صوفيٍّ وقد أضحى مع المكنون سرًّا واحدًا في «كنْ!» توارى لا يُباحْ!

أم من كتاب الكشف مخطوطًا بدمع القهر مفتوحَ الكُوى لمّا يُسَد؟

أم هل سواهم – واهمًا، مهما يكن! – قد قال إن الفجر في إفريقيا أو في بلاد الشّرق لاحْ؟

أنَّى له؟... إنّي أرى غردون[1] إذ يسعى إلى الخرطوم – كالأفعى – بحبلٍ من مسدْ...

كيما يشلّ الرّوح أو يقتادها مسبيةً سبيًا كما كان الجسدْ!!




إنّي أرى!.. والنّاس – أهل الكدح – في بغداد[2] صيدٌ مستباحْ...

من خلفهم «قلب الأسد»[3]!...

فالأفق سمٌّ سدّه دفق النّباحْ!

أما صلاح الدّين فالسّوّاح قد باعوه من سادات أحياء الحمى تعويذةً ضدّ الحسدْ:

إذ كان ملقًّى في أريحا شلو تمثال هوى مسترجعًا عهد البطولات الّذي ولَّى وراحْ...

---

(١) غردون هو تشارلز جورج قوردن أو غردون باشا عسكري بريطاني خدم في الإدارة الاستعمارية بالسودان إبان العهد التركي وهو آخر الحكام التركيين/ الخديويين على السودان في تلك الحقبة الاستعمارية المنتهية بمقتله وانتصار الثورة الشعبية الإسلامية تحت قيادة الإمام محمد أحمد المهدي وخليفته السيد/ عبد الله بن محمد تورشين عليهما رضوان الله.

(٢) الإشارة هنا إلى معاناة الشعب العراقي من جزاء استمرار الحصار المفروض عليه.

(٣) المعنى هو ريتشارد قلب الأسد «العاهل» البريطاني المشهور بمشاركته في الحملات الصليبية.

حتّى شراه الآلُ بالدُولار بَخْسًا... (وفق آليّات سوق الانفتاحْ!)...

مِنْ أجل أنّ الحقّ في الدّنيا كسدْ!!

إنّي أرى!.. والقدس ظلٌّ كامنٌ في ظلمة الإمكان ظلَّ اليأس يقصي عنه طاقات الصّباح:

فالعالي يعلو فوق رأس العُرْب مأذونًا له، نشوان، موعودًا بحقّ الاصطباحْ!!

إنّي أرى!.. لكنّ بنغازي تظلّ اليوم أيضًا دونها في الجوّ[1] سدٌّ ثُمّ سدْ:

فالشّاطئ المزعوم للفاشست شطًّا[2] رابعًا قد صار محظورًا على الأطيار خطًّا للرّواحْ...

والطّائر المخضرُّ مقصوصُ الجناح!!

إنّي أرى!.. أمّا جنوبًا، بعد هاتيك الذُّرَى، فالماء في شاري[3] – نهير الجنّة الأحلى! – فسدْ:

منسوب بول العسكر الإفرنج[4] أمسى ثُمّ أعْلى من نُفاياتِ البِطاحْ...

والنّهرُ طفلٌ جائعٌ: مهما دنا ثَدْيٌ لَسَدْ!

لا غرو أنّ العصرَ عصر الانبطاحْ!!!

(٢)

يا مُحصيًا أوراق[5] أمريكا.. أيا مستقصيًا – في التّوّ – فتواها لدى أيّ اقتراحْ...

---

(١) الإشارة هنا إلى الحصار الظالم المفروض على الشعب العربي الليبي.

(٢) كان الفاشيون الطليان يزعمون أن الساحل الليبي هو الشاطئ الرابع لإيطاليا والذي لابد من إعادته إلى بيت الطاعة!

(٣) شاري: هو أهم أنهار تشاد والمغذي الرئيس لبحيرتها.

(٤) إشارة إلى القوات الفرنسية المرابطة بتشاد.

(٥) الإشارة هنا إلى الجملة الزاعمة أن ٩٩٪ من أوراق الحل بيد أمريكا.

زُوِّجْتَ خضراء الدِّمَنْ؟

أم أنتما خدنان لمَّا في سفاحْ؟؟

إن تعتزم نيلاً بها شيئًا[1] من الحقّ المتاح اليوم يخطئْكَ الفلاحْ،

أو تَشْكُ أنّ الطّالبين الحقّ كُلًّا كاملاً هم أمّةٌ من غير أصحاب الفِطَنْ...

فاللهُ خيرٌ حافظًا؛ لا يأخذ المولى وسَنْ!

(٣)

يا خالدًا رغم الرّدَى – مثل المُنادَى «آدمو»!– : دُمْ في تحدّي القلب أغلال الكُساحْ!

دُمْ في دمٍ يَروي فِلَسطين الّتي أحببتَها لا يَسْأَلُ النّاسَ الثّمنْ!

دُمْ في رهانٍ رابحٍ: راهنتَ في إيمانك المعصوم بالرّؤيا على أنّ الزّمنْ...

في صالح الحقّ المُزَكّى بالرّوايات الصّحاحْ:

عن ناسفٍ للنّفس وسط الغاصبين الشُّقْرِ عن طفلٍ وأحجارٍ رماها في مُحيطٍ قد أسنْ...

عن عالَمٍ قد كان ديومَ التّنامي مدمنًا حتّى تَمطّى فيه صَحْوٌ باضطراد الإندياحْ!!

نَمْ رابحًا، نَمْ... ما على مَنْ أحسن المسعى ختامًا من جُناحْ:

إذْ بعدما سَجَّلْتَ سطرًا خاتمًا: «ليست أريحا غايتي، بل بُغيتي كلّ الوطنْ!»...

استدرك التأريخ سطرًا: خالدٌ، يا خالدًا نجل الحسن!...

ثُمَّ استراحْ!!!

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر المبدع الراحل أمل دنقل في درته الرائعة «**لا تصالح**»...:

(... فخذ – الآن – ما تستطيع: قتيلًا من الحق... في هذه السنوات القليلة...).

(٤)

الحقُّ مضمونُ التّقاضي...(أفصح المظلوم قولاً أو رطنْ!)...

ما دام مسودًّا بأبطالٍ وداناتٍ فِصاحْ!

ما دامت الخُطْوات تقفو آدمو النَّوّاهَ في أنْقَى لُسُنْ:

«أوطاننا إنْ تفغر الجُلَّى لها يومًا فمًا، لو لم لكن نحن الفِدا عنها فمن؟!»

لكنّ عبد الحق[١] – شيخ العلم – مُذْ أمَّ العلا مستشهدًا لم يعتنق ذكراه نوطٌ أو وشاحْ!...

إيهٍ، أيا مستصرخًا، إيهٍ! أليس العصر عصر الانبطاحْ؟؟

(٥)

كَلاَّ ورَبِّ النّاس! بل عهدٌ لتأجيج الوغى؛ ليس الوجعْ...

إلا مخاضًا: فالغد الآتي سيبدو رأسه المرجوّ حتمًا بين طيّات الجِراحْ!

العهد – والأيّام حُبلى! – عهد شاكا[٢]: جاء والمختار والقسّام بشرى هَبَّةٍ مثل الرّياحْ...

في مرّها كلّ المآسي تُقتلعْ،

(لله درُّ الواهبين العمر مهرًا في سَماحْ!)

بل عهد جيلٍ غاضبٍ لمّا رأى الإفرنجَ في الحارات آلى جاز ما ألاّ يُدَعْ...

راياتُ جيل الانبعاث الحاضر المقفوِّ تُنسى أو تقعْ،

---

(١) المعنى هنا هو الشيخ الشهيد عبد الحق السنوسي الترجمي؛ أحد علماء تشاد الأفذاذ وشاعرها المجلي الذي قتل شهيدًا على يد الاستعمار الفرنسي إلى جانب عشرات العلماء الآخرين في مذبحة «الكبكب» الشهيرة وذلك في إطار حملة المستعمرين الرامية إلى القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في تشاد وتصفية رموزها: بغية نفي تشاد نهائيًا من الوطن العربي الذي هي جزأ لا يتجزأ منه.

(٢) شاكا: ملك الزولو الذي سار على خطى دنقسوايو فبنى أول دولة حديثة وطنية في جنوب أفريقيا أما المختار فهو شيخ الشهداء الغني من التعريف وكذلك عز الدين القسام.

راياتُ روّادٍ روَوْا أوطانهم مجدًا، وفيهم آدمو النّئي لدى وقت الطّمعْ...

لكنّه السَّبَّاق فزَّاعًا إذا ضجَّ الصِّياحْ!

هل آدمو المقدام في وقت الوغى يُلقِي السِّلاحْ؟...

(وهو الّذي قد كان يَلْقَى جيش أعداء الحمى والرّاجمات الصُّمِّ تَصمي بالدّواهي والهلعْ...

... يلقاهُ في صحبٍ له ما عندهم غير الرّماحْ!!)

هل آدمو المقدام قد ألقى السّلاحْ؟؟

لمّا رأى السّاحات - والأيّام حبلى! - منجباتٍ للبدعْ؛

لمّا رأى إسراع دار العُرْبِ - تطبيعًا، فتتبيعًا! - إلى الكفر البَواحْ؛

(فالدّار - كلّ الدّار - بيروتٌ، وصدعُ الصّفّ كم يغري العِدَا بالاجتياحْ!)...

لمّا رأى المنظومة الشّرقيّة الحمراء جثمانًا مُسَجًّى ليس يحييه النّواحْ؛

والقلب - قلب الثّائر المهموم - حسّاسٌ: لئن أعيا الجزع...

فالغمُّ قد أعياه جدًّ، فاضطجعْ!

نَمْ يا أبا المصريّة[1] المصروع من همٍّ على الإنسان والأوطان، نم لا تخش أن يُرخى الكفاح!!!

طرابلس، في ديسمبر ١٩٩٤م

****

(١) «المصرية» هو اللقب الذي أطلقه البطل الفقيد آدمو على وحيدته.

٦ - مُسْتَفَادِي

[الرمل]

اهْـمـلـونـي إنْ دُعـيـتـم لارتـفـادِ:
يـومُ مـثـلـي لـيـس إلا يـوم فـادي!
إنّمـا الجـوع احـتـجـاجـات المـعِـي
هـيّـنٌ إخـراسـهـا بـالإعـتـفـاد[1] !
لا يـبـيـتُ الحـرّ مـدفـوعًـا بـهـا:
إنَّ مـن حـرّيّـة الحـرّ الـتّـفـادي!

وانْـطـلاقـي فـي جـهـادي لـم يـكـن
- مـطـلـقًـا - مـن أجـل أدنـى مـسـتـفـادِ،
مـا أردت الـغُـنْـم نَـيْـلـي شـهـوةً
مـن طـعـام أو شـرابٍ أو سـفـادِ
.. لا! .. ولا لـبـسـي «قـرنـبـوبـو»[2] كما
شـرّ طـيـرٌ ريـشـه بـعـد الـصّـفـادِ

كـلُّ هـذا مـسـتـفـادٌ مـنـقـضٍ!
إنّمـا الـغُـنـم الّـذي فـوق الـنّـفـادِ
مـن لـدنّ الـلـه فـضـلاً مُـنـجـيًـا
يـوم لا خِـلَّ يـحـامـي أو يُـفـادي!

انجمينا، ٢١/١٢/٢٠٠٣م.

****

(١) الاعتفاد: أن يغلق أهل البيت بابهم على أنفسهم حتى يموتوا جوعًا وهو أمر كان في العرب من يفعلونه إذا ضاقت عليهم سبل العيش.

(٢) قرنبوبو: زي فضفاض معروف موطنه الأصلي غرب إفريقيا لكنه انتشر في تشاد أيضًا ولبسه يدل في العادة على النعمة والشرف.

٧ - للمفتدى أبدًا...؟[١]

[البسيط]

طالتك - مثل ذراع الأخطبوطِ - يَدُ
حتى شُلِلْتَ، وعزَّ المُدُّ والمددُ
تلك العجاف من الأعوام كم سحقتْ
من مهجةٍ، ومشت بالكيِّ تتَّئِدُ
سامتْ ربوعكَ تجريدًا ومخمصةً
ماذا - بربِّك - أبقت منك يا بلدُ؟؟

جاءَتْكَ بالعَلَق المكثار فانغرستْ
يأجوج تفصد إذْ مأجوج تزدردُ...
مستعمرون أتَوا مِنْ كلِّ ناحيةٍ
كي يُرْكِعوك... وأنتَ الصَّامد الصَّمدُ!
يا ليتهم رحلوا حين انتفضتَ ولمْ
تأخذْ أماكنهم (بِشمركةٌ[٢]) جُدُدُ!

لا حبّذا فئةُ الأخلافِ من فئةٍ
تهوَى الغُلولَ، سَدَاها الغِلُّ والحَسدْ!
عُمْيُ القلوبِ كمَن للشَّرِّ يدفعهُمْ
حكمُ الغريزةِ أو ما تفرز الغُدَدُ،

---

(١) وهي أول قصيدة ينظمها الشاعر عقب عودته إلى تشاد في نهاية اغتراب دام خمسة عشر عامًا.

(٢) بشمركة: القوات الكردية في شمال العراق، استخدمت هنا كناية عن قوات الفئات والأجنحة المتناحرة في تشاد.

مِـنْ بـعـض مـا سـرقـوا أقــواتُ عـائـلـهـم،
والـعـيـشُ فـي ثِـقـةٍ مـن بـعـضِ مـا وأدوا:
أعـيـا مـوائـدهـم إنـتـاج بـيـدرنـا
لـكـنّ مـطـعـمـنـا الإحـراجُ والـكَـبَـدُ!
صـرنـا ضـيـوفَ ثـرانـا، نـشـتـهـي كِـسَـرًا
مِـنْ خـبـزنـا، وهـمُ الـعـادون، قـد جـحـدوا!
جَـوْعـى نُـعَـلَّـلُ بـالآتـي وقـد بَـطِـنـوا:
بـئـس المـخـدَّر لـلـمـسـتـضـعـفـيـنَ غَـدُ!

لـكـنَّـكَ الجـبـلُ المـوهـى قـرونـهـمـو
لـمَّـا نـطـقـتَ ولـم يـمـحُ الـصّـدى أحـدُ...
فـاسـتـنـهـضـتْ لـبَـنـيـكَ الـذِّكـريـاتُ رؤى
مـاضـيـكَ يـمـلـؤُهُ الإيـمـان والجَـلَـدُ:
مـاضٍ مـضـتْ عَـزَمـاتٌ مـنـك فـيـه، فـمـا
لانـتْ قَـنـاتُـكَ أو أوهـاكَ مـضـطـهِدُ،
لـمَّـا هُـديـتَ تَـهـادَى الأمـس مـنـبـعـثًـا
.. طُـوبَـى لمـن سَـلَـكوا المِـنـهـاجَ حـين هُـدوا!

غَـرُبْـتُ عـنـك زمـانًـا لـم يَـكَـدْ يَـرنـي
إلاّ حـلـيـف عـنـاءٍ يـومُـه الأبـدُ،
والـيـوم يُـرجِـعـنـي شـوقـي، فـهـأنـذا
- مـسـتـدركًـا عُـمُـري، مـسـترجعًـا - أَفِـدُ!!
بـعـدَ الـغـيـابِ أنـا آتٍ وبـي مَـقْـتـي،
آتٍ بـأَجْـوِبـتـي... آتٍ ومُـجْـتَـهِـدُ،

آتٍ إلـيـكَ كـمـا يـأتـي الخـريـفُ وبـي
شـوقٌ ووعــدُ عـطـاءٍ مـثـلـمـا يَـعِـدُ!
فـالـعـودُ أحـمـدُ، والآمــالُ لـيـسَ تَـهـي
مـا دُمْـتَ مُـشْـتَـعِـلَ الـوجـدان تـتّـقـدُ...
...تـرنـو إلـى زمـنٍ يُـدنـي مَـطـامـحـنـا:
لا عَـيْـشَ يـهـنـأُ والأحــلامُ تـبـتـعـدُ!

لـهـفـي عـلـيكَ - وأنـتَ المفـتـدى أبـدًا -
إذ يـعـتـريـك عـلـيـنـا الـهـمُّ والـكـمـدُ،
لـسـنـا - بـدونـكَ - إلاّ وهْـمَ بـاصـرةٍ!
نـحـن الـظّـلال، وأنـتَ الـرُّوحُ والجـسـدُ!
أنـتَ الـمُـجـسِّـدُ لـلإنـسـان مـنـطـلـقًـا
والـمُـنْـجِـبُ الـنُّـجَـبـاءَ الـغُـرَّ إذ تـلـدُ
تـبـقـى وأهـلُـكَ لا تُـلْـقَـى بـبـارقـكـم
مـهـمـا جـرى، وجُـفـاءً يُـذْهِـبُ الـزَّبـدُ،
أُسُّ الـيـقـين بـأنَّ الـلـه نـاصِـرُنـا
راسٍ عـلـى سُـنَـنٍ لـلـه تـضـطـردُ!
انجمينا في ١٩٩٩/٣/٣م

****

٨ - تَمَادٍ!

[الرجز]

هــل نــحــنُ فــي بــلادِنَــا نَــقــودُ؟
أم، يــا تُــرى، تــقــودُنــا الــنّــقــودُ؟
قــد أسْــلَــمَ الــقــيــادَ مَــنْ تَحَــرَّى
عــونًــا... وإنْ تــلــطَّــفَــتْ عــقــود:
مــا لازم الإعــانــةَ اشْــتــراطٌ
إلا اسْــتــوى الــمُــعَــانُ والــمَــسُــود!

والمــســتــمــدُّ جَــيْــشَ مــســتــبِــدٍّ
جُــنــدًا لــهــا بِــذِقْــنِــه الجــنــود،
مــا مِــنْ حــمــايــةٍ تَــقِــيــهِ ذُلاًّ
يــســخــو بــه الــعــريــفُ والــعَــقــيــد!

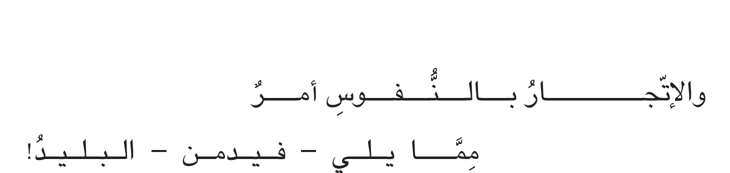
والــقــاصــدونَ – مــثــلــنــا – أخــاهُــم
كَــمْ عــومِــلــوا كــأنَّــهُــم عــبــيــد!
...ثُــمَّ اسْــتــفــزَّهُــمْ – كــمــا كــوانــا –
مَــنٌّ يــزيــدُ مــا لَــهُ حــدود!

كَـــمْ غــرَّنــا، بمـــالٍ غــيــره، مِــنْ
مُــبـدٍ صـفًـا وقَـلْـبُـهُ حـقـودُ...
سَـرعـانَ مـا اسْـتـبـانَ فاكتشفنا
أَنَّـــا لِـــغـــاي[1] غـيـرنـا وَقُـــوْدُ:
بـــاغٍ يُـــريــدُ سـلـبَـنَـا بـقـايـا
حُـــرِّيَّـــةٍ هــي الّــتــي نــريــدُ،
والـبـغـيُ كـالـسَّـمـومِ: لا قـديمٌ
يـغـذو، فـيُـجـتـنـى، ولا جـديـدُ!

لـكـنّـمـا الجـديـدُ إنْ أتـانـا
مِـــنْ قـــابِـــلٍ فـجُـلُّـنـا يَـعـودُ:
لـو بعضنا اجْـتَـلاهُ جِـلـوَ صحوٍ
فـالأكـثـرونَ دائـمًـا رُقـودُ،
يُـغـريـهُـمُ الـعـمـيـلُ بـالـتَّـمـادي
وهـمًـا بـأنَّـهُ سـيـسـتـفـيـدُ؛
والـنُّـصـحُ فـي الـعـمـيـلِ مستحيلٌ:
إنَّ الـعـمـيـل بـالـعـمـى مَـقُـودُ!
مَـنْ بـاعَ بـعـضَ روحـه فـأثْـرَى
لَـيْـسَ الـذَّكـيُّ، بـل هـو الـمَـكِـيـدُ...
يمـضـي عـلـى خُـطـا عـجـوزِ سـوءٍ
لا تـتـركُ الخـنـا ولا تَحِـيـدُ...
قـد أنـفـقـتْ شـبـابَـهـا تـبـاغـي
حـتّـى ذَوى، فـلـم تَـزَلْ تـقـودُ،

---

(١) غاي: جمع غاية ومثلها آي جمع لآية.


والإتّجارُ بالنُّفوسِ أمرُ
مِمَّا يلي - فيدمن - البليدُ!

ويْلٌ لكلّ بائعٍ وشارٍ
سعرُ الضّميرِ منهما زهيدُ!
والويلُ للشُّعوبِ حينَ تعنو
للمغرياتِ!... إنَّها القيودُ!!

انجمينا، في ٢٠٠٣/١/٣٠م

****

٩ - مددا!

[المتدارك]

..في عين الأبعدِ خمسٌ مثل نصال[١] مُدَى!

..خمسٌ في عينٍ أضمرَ صاحِبُها الحسدا!

بلد البدويِّ - ورأسُ الحربة أزهرها - نجبتْ،

ومضيُّ الأعصرِ لم يَمنعْها أبدا...

أنْ تحتضن الأيتام، وأنْ تلدا...

...أنْ تفتحَ نافذةً للوافد، أو أن تمنح أو تعدا؛

وبحقِّ رواق صُلَيْحٍ[٢] ما كذبتْ:

وهَبَتْ وحبتْ، فَسبتْ وصَبَتْ،

وَأَبَتْ لعقيدةِ أُمَّتها إلاّ الرَّشَدا...

وأبت لثقافتها المرضا

فَسَخَتْ بضمائرها ومنائرها وحرائرها وعمالقةٍ ملأوا الأَرَضين صدى

برضا

لتمصَّ معاديَها مضضا

وتمدَّ مُرابطنا مددا

مددًا... مددًا... مددا!!

---

(١) خمس مثل نصال مدى: إشارة إلى القول الشعبي المصري «خمس في عين العدو» والذي يقال إذا خيفت العين.

(٢) صليح: إشارة إلى رواق الصليح التشادي في الجامع الأزهر الشريف.

وبهيّة[1] ملءُ مُلاءَتِها بركات عطاءٍ آثَرَ واضطردا
– كعطاء الغيثِ النَّافعِ – يرفدُ مجتهدا
فَيَضانَ النّيل، ليَتّحدا
مع فِعْل قوى حيويّتها، فَتُخَلَّدُ ملحمةً كُتِبتُ:
هي ملحمةُ الإيمان: فإنّ حفيدة حتشبسوتَ على الإيمان ربت
مُذْ كان العالَمُ في الظُّلُماتِ يفتّش، مفترضا..
أنّ الأرواحَ إذا خرجتْ من عالَمِنا تحتاج الخدمةَ والعُددا!
... وإلى التّوحيد – لباب ديانة أخناتون – طبت..
متفرِّدةً، ومجرَّدةً للرّبِّ قصائد حُبٍّ فوق ولاءٍ قد مُحِضا!
.. وبهيّة قدّمتِ الأبناء من الرُّهبانِ لملكةِ الحمل الموعودِ فِدا!
.. ثُمَّ احْتملتْ علم الإسلام مجاهدةً، ومجدّدةً، وبه وثبتْ،
وإلى العلياءِ سعتْ لتثبته، فَعَلا وثبت!!
مددًا ... مددًا ... مددا!

بلد البدويّ – وأعشقُها بلدا،
فكنانةُ أرض مكوّننا عُشِقتْ، كالجنَّة، واجتذبتْ! –
نثرتْ مكنون كِنانَتها، وتخيّرتِ النّبلاء نبال هدى،
وعلى ثقةٍ رمت العربيّةَ في وطني بمُفردَها، فشدا..
وبعالِمِها، فأضاء معاهدنا أمدا!
مددًا ... مددًا ... مددا!
أرأيتَ الغرسَ، ربيب الضوء، وكيف نبت؟
... أو كيف منابته تتطلّع للإشراق غدا؟؟

(١) بهية: إشارة إلى مصر تابع في استعمالها شاعر العامية المصري المبدع أحمد فؤاد نجم.

مددًا ... مددا،

سعي (العزب المحمود)[1] سيبقى سرَّ تفتّقها زهرًا، وثمار متابعةٍ، وندى،

لكنْ نَغَماتُ قصائده ومودّتنا وسماحةُ نفسٍ عن إحساسٍ ما حُجِبَتْ..

وسنا خُلُقٍ وتُقًى بمرابعنا زمنًا ومضا..

في عزّ تألُّقِها ذهبتْ:

أتراهُ تأبَّطها ومضى؟

.. فليحصِ إلى ما يحمل تمجيدًا من قومي قاطبةً يتجاوز كلّ مَدَى،

فجميعُ عشائرنا لَهَجَتْ بالشُّكْرِ، وما نَشَبَتْ

أنْ لاذتْ بالمحروسةِ مُلْتَحَدا:

كَبَلَى وقُلا وبني حسنٍ وكَشامرةً ورُنقا وعِمَرْ[2] وتِدا؛

ولْيُخْبِرْ أمَّ الدنيا أنَّ بلادي قد طلبتْ ..

منها عنه عوضا،

ومواصلةً - بِتجرُّدِها - لزيادتنا مددا!

مددًا ... مددًا ... مددا!!!

انجمينا، في ١٩٩٧/٧/٢٧م

****

---

(١) د.محمود العزب: أستاذ مصري أوفد للعمل في جامعة تشاد.

(٢) أسماء قبائل وبطون وعشائر تشادية.

١٠ - صَبُوحُ

[المتقارب]

(نظمت تحية لرفاق المعتقل الذين نقلوا من «حوش الطوارئ» إلى «المديرية» - وكلاهما من أقسام سجن كوبر - وأرسلت إلى المعنيين عبر الجدار الفاصل بين القسمين) السجن العمومي بالخرطوم بحري ١٩٧٦م.

صَبُوحُ المساجين[1] ما عاد خمرًا
فما لي أراهم يفيضون بِشْرَا؟
وما بالهُمْ يرقبون الثُّريَّا
مدى كلِّ ليلٍ .. أيرجونَ أمرا؟

أجَلْ! إنّهم - في سواد اللّيالي -
يغضّون عينًا ويُبْقُونَ أُخْرَى..
لِئَلاّ يناموا فيُقْضَى عليهم
بأنْ يُحْرَموا نفحةَ الخير فجرا:
ففيها صبوحٌ وفَوْحٌ زكيٌّ
ألا ما أُحَيْلاهُ فوحًا ونَشرا..
يروِّي أوامًا، ويشفي سقامًا،
ويحيي عظامًا، وينداح طُهرا،

(١) المساجين: ليس المراد بهم المعتقلين السياسيين فهؤلاء اعتبرهم أسرى بل عنى بالمساجين المحكومين في جرائم الحق العام الذين كان بعضهم في نفس السجن وكان بعضهم يقوم بخدمات التنظيف ويختلط بالمعتقلين السياسيين.



تـــزيـــدُ «المــــديـــريّـــةُ» الخــــيــــرَ فيه
- كـمـا قـد تـزيـدُ الـيـنـابـيـعُ نـهـرا -
بِــــذكـــــرٍ وقــــــــرآنٍ فــجـــرٍ عــجـــابٍ
ســرى فــي قـلـوب المـسـاجـين ذِكْـــرَى!

فـيـا إخـــــوةً مـــن وراء الجــــدار:
هُـــديــتُـــمْ وفــــــزُتُمْ دعـــــاةً وأســـــرى..
وإنّ الأســـــــارى لــــذلٍ ســــواكُـــم!
بــإيمـانـكُـمْ يُـــرْغِـــمُ الــلــهُ كـسـرى!

بــقــيـتُـمْ ظــهــيــرًا لحـــقٍّ تــعــدّتْ
عـلـيـه الـطّـواغـيـتُ حـتّـى يُـقَـــرّا!
ودمـــــتُــــمْ حـــمــــاةً لمــجــدٍ تـلـيـدٍ
وبـــنــيــانَ عـــزٍّ ســمــا واســـتــقـــرّا..
بـــرغـــمِ الأعـــــــادي! فـطـوبَـى لـبــانٍ،
وطـــوبـــى لحــــامٍ، ومـــذخـــور بُـــشْـــرَى!
أيـــا حـــامـلـي دعــــوةَ الــلـــهِ: لـــوذوا
بـــقـــرآنِـــكُــــمْ إتّـــــكــــالاً وصــــبــــرا،
وكـــونـــوا لـنـا - بـالـدُّعـاء المـرجَّـى -
عـــلـــى كـــلِّ شــــرٍّ مـعـيـنًـا وظــهــرا:
فـأنـتـم - لمـشـهـود بـــرٍّ وفـضـــلٍ -
لــكــم دعــــوةٌ بــالإجــابــة أَحْــــــرَى!!
سجن كوبر «السجن العمومي بالخرطوم بحري»، ١٩٧٦م

****

١١ - يا أسمرا![١]

(تحية تجلَّةٍ وتقدير للثورة الإريترية، على أمل بزوغ النصر الوشيك!)

يا أسْمَرَا

يا قريةً جميلةً .. يا أجملَ الْقُرَى،

يا مهبط الرّبيع .. بل يا جنّةَ الذُّرَى:

إليك – يا جميلتي! – أقدّم السَّلامْ،

من بقعةٍ شقيقةٍ أسطِّرُ السّلامْ،

أخطُّ أسطرا..

في صفحةٍ قد سوِّدَتْ – من أبلغ الكلامْ

مستفهمًا – بجملةٍ تليق في المقامْ

بجملةٍ – يا أسمرا –

كأنّها صاروخ «سَامْ»:

(مَنْ ظنّنا بضاعةً بالمال نُشْتَرَى؟)

فأصبح السّؤالُ إذْ سرى

أنشودة الورى

– عريضةَ اتّهام –

في وجه مَنْ يَرَى

تلالُكَ الأبيّة الشّمّاء لقمةً تُرامْ

في حلمه الحرامْ!

---

(١) واضح أنها نظمت قبل الاستقلال.





النّار تنتشرْ
فتعقمُ البذورُ بينما يُحْرَقُ الشّجَرْ،
النّار تنتشرْ
لا شيء إلاّ النّارُ والرّمادْ
على مدى البصرْ:
فقد أشْعَلَ الجنودُ كلَّ وادْ،
وصادروا المَطَرْ
من أجل أن يستنبتوا بـ «أُمْ حَجَرْ»
أوهام اتّحاد ..
من بعده ضُمَّ لإلغاءٍ، فهل يمرْ؟

الغدر والعقوقْ ..
بحثًا عن السّرابْ،
هل تذهب الحقوق
- عندَ اسْتدامة الحريقْ -
دخان قشٍّ لا يُرَى بعد الذّهابْ؟
ليتَ النّجاشيّ القَديم آبْ ..
فأمّنَ المهاجرين خشية العذابْ،
وأطفأ الحريقْ،
وعالج الحروق؛
لكنَّه - واحسرتاه! - في غيابْ،
وغابَ حكمُ العقل عن خَلْفٍ له يسوقْ
أجمل القرى إلى الخرابْ!

يا أسمرا:

سلامْ! ..

إلى الرّعاة والمزارعين أطيب السّلامْ ..

فصيلةً فصيلةً، معسكرًا معسكرا:

فالحُرّ لن يُضامْ

ما واجه العدوَّ ثائرًا مخطّطًا وفاتكًا غضنفرا!

وقصّةٌ جديدةٌ تحيط بالحريقْ

وَقُودها الشّبابْ

في بلدةٍ عدوّها رأى لها التّبابْ

لكنّها تفيقْ:

يهزُّها ثوّارها بالنّار والبروقْ،

فيقهرون البرد والصّعيقْ،

ويفتحون ألف مدخلٍ لألف ألف شاب

وقد دَعَوْا: (يا فاتحًا أيلول[1]: لن يسدَّ أيّ باب!)

وأمرهم مجاب:

(فلتصبحوا رفاقنا من مبدإ الطريقْ

– من أوّل اكْتتابْ –

رفاقَ مَنْ تنادَوْا ليعمروا اليبابْ:

فإنّهم هناك في ارْتقابْ

– ما بين لحظة القرارِ والمروقْ –

(١) فاتح أيلول: أول سبتمبر ١٩٦٣م تاريخ انطلاق الرصاصة الأولى في مسيرة الثورة الإرترية.

هناك عوّاتي[1] والصّحابْ،

وجبهةٌ تحرّرُ التّرابْ،

وموطنٌ تحريره شروقْ ..

يخطو إلى تحقُّقٍ في غاية الوثوقْ!)

النّارُ تنتشرْ

تدفِّئُ المنى ومن يرونها دمًا لِيُضْمَنَ الحصادْ!

النّار تنتشرْ

وإخوتي تعاونوا فجمّعوا الرّمادْ

في موكبٍ أغرٍّ

لأنّه السّمادْ

لموسمٍ، يرونه – مبشّرٍ ومزنةٍ ستنعش الشّجَرْ

فترجع البلادْ

مخضرّةً سعيدةً؛ وتحت ضحكة القمرْ

سيفرح البشرْ!

يا أسمرا

يا قريةً جميلةً .. يا أجمل القرى،

يا ساحةً – لا يُخيفها الصِّدام –

تزهو بتأريخٍ، وتحفظ العُرَى:

حيّي فمًا يقول للنّيام:

(لا وَقْتَ للكَرَى!)

---

(١) عواتي: الشهيد حامد إدريس عواتي قائد المجموعة المقاتلة الأولى لجبهة التحرير الإرترية.



.. وأنه لابدّ أنْ تُرَى
في كلِّ صبحٍ خطوةٌ إلى الأمام
تعزّزُ المؤشّرا:

سيسقط النّظام
لِيُبْتَنَى نظام
– يا أجمل القرى –
يقدّسُ النّظامْ
مصداقه حرّيّةُ الورى
في جنَّة الذُّرى!

طرابلس، ١٩٧٤م

✷✷✷✷

١٢ - إمام (١)

[الهزج]

إمامُ البلْعِ والهبْرِ
يبيعُ الدّينَ بالتّبرِ:

فلا في الزُّهد مذكورٌ،
ولا في العلمِ بالحَبرِ؛

وذو بطنٍ بلا قاعٍ
ولا شِبْعٍ ولا صبرِ،

إذا ما أُودِعَتْ سُحْتًا
ثَوى منها إلى قبرِ!

إمام الغِشِّ والزَّيفِ
حوى الألوان كالطَّيفِ:

نفاقًا عندما يبدو
فلا تسأَلْ عنِ الكيفِ؛

وإنْ تسمعْ فلا تطربْ
لطبلٍ فارغ الجوف،

أحقُّ الإنس أنْ يُرمَى
بفحوى آية السَّيفِ!

إمامُ الخبثِ والمَكرِ
يُرائي النّاس بالذِّكرِ،



ولِلحُكّام روّاحُ:
يسومُ الرُّوح أو يُكري..
ويُفتي أنّهم أعلى
رشادًا من أبي بكرِ:
لهم بالحمد فيّاضٌ،
وينسى سجدة الشُّكرِ!

إمامٌ جاءَ بالمَيْلِ
وبالتَّطفيفِ في الكَيْلِ:
يجافي القِسْطَ مُذْ يصحو،
ويُقصيه العمى الّليلي!
يقول: «الرّأس لي وحدي!»
وقد وافَى مع الذَّيلِ!
لِجَنْيِ الشّكرِ حمَّادٌ،
وحرَّ الجَريِ للخيلِ!

إمامُ الطَّعنِ في غدرِ
هَوى مِنْ حيث لا تدري
... على ظهرٍ قدِ اسْترخَى
لودِّ الضّمّ للصَّدرِ:
يهوذا يُسْلِمُ المغدو
رَ، مطبوخًا على قِدْرِ،



إذا اسْتَنْجَزْتَه عهدًا
ترى الشَّيطان في بدرِ!

إمامُ اللّوّ واللّيْتِ
على ما كان من فَوْتِ،
وكلٌّ فَائتٌ ... إلاّ
زكاةَ النِّفْطِ والزَّيْتِ
فما مِنْ مَوْسمٍ ولّى
ولا سِجّادَ في البيْتِ؛
لوِ اسْتجدى ولم يُلحِفْ
فللتّهديدِ بالموتِ!

إمامٌ لا يَرى عَيْبا
سِوى إفراغه الْجَيْبَا!
عنِ التَّصريف مصروفٌ
برغم بلوغه الشَّيْبَا..
ويتلو السّعر - صرَّافًا،
لأدنى عملةٍ! - غَيْبًا!
وأمّا النَّحْوُ والفصحى
فلم يكتمْهما الرّيبا!!
انجمينا، في ٢٨/٦/١٩٩٩م

****

١٣ - سنكرا

[المتدارك]

دمعُ (واقادقو)[1] لم يزل دفقًا مثل سَيْلٍ جَرَى،

فَهْيَ – في كلّ يومٍ – تَرَى ..

ذكرياتٍ غدتْ من أساطير مأساتها أسطرَا:

في الصباح الموشّى خيوطًا سماويّة للّمع في مثل لون الذّهبْ،

أسطرا:

عند مرِّ المساء الأثيريِّ، أو عندما يستحيل الكَرَى ...

حين تشكو غياب المثيل المْجاري – على الأرض – تلك الشّهُبْ ..

عينُ (داقادقو) أوآنئذ لا ترى ماردًا من أساطيرها يلتهبْ:

بل ترى وجه قدّيسها (إذ وجوه النّبيّين لا تُنْتَحَلْ!)

فتنادي شرايينها في انْعكاسٍ لنبض القلوب التي ردّدتْ، لم تَهَبْ:

«سَنْكَرَا! سنكرا! ..

يا بْنَ إفريقيا! سنكرا!

يا منادًى إلى قمَّةِ الخالدين الّتي تلتقي في زُحَلْ!

بل سليل المغنِّين للشَّمس، يا سنكرا!»

غير أنَّ المُنادَى ارْتحلْ،

فاستقرّت على الأرض، من بعده، حول واقا سِنِيُّ المَحَلْ ..

والجفاف اعْترى ..

---

(١) وقادقو: أو واقا عاصمة جمهورية بوركينا فاسو (فولتا العليا سابقًا).

جُلَّ ما كان مخضوضرا ..

ضمن سوح القُرى ...

فالّذي قد ذهب ..

كان معنى (لُمُمْبا)[1] الّذي أدركته السُّحبْ ..

يومَ صبّتْ على عهده - وحده! - الْكَوثرا

(عهده؟ .. يا له مِنْ مَدًى مختزل!)

ثم صارت دخانًا. فما بلَّ - مِنْ بعدُ - ذاك الثَّرَى..

غيرُ دمعِ الُجماهير إذ تنتحب:

«سنكرا! ..

يا هِرَقْلَ الّذي لم يَزَلْ..

باقيًا مِنْ مُهمّاته نصفُها، واعْتزلْ! ..

يا حُضورًا تكثّف منذ الأزل ..

في غيابٍ نزل ..

بالملايين منّا نزولَ النُّوَبْ!»

كنتَ يا سنكرا

- يا دليل الأُلَى يَعْشَقونَ الذُّرَى -

كانبثاق المُنى في فؤاد الضّليل الّذي بالرِّمال اكْتحَلْ ..

فوق صحراءَ كُبرى ترامتْ سُؤالاً بدا، آنفًا، دون حل!

كنت يا سنكرا

بعض ترياق إفريقيا ضدّ سمِّ الدَّجلْ:

وَعْيَ مستضعفي عالَمٍ راكضٍ، في غرورٍ، إلى حيثُ لا مُنْقَلَبْ!

كنتَ يا سنكرا

---

(١) لمبا: باتريس لمبا رئيس وزراء الكونغو كنشاسا عند استقلالها وزعيمها الشعبي الذي اغتاله الاستعمار والخيانة.

في اعْتِراك المساكين[1] عند الحدود الكَذُوبات روحًا سرى ..

من بطولات أجدادهم، ثائرا،

ما اعْتراكَ الوَجَلْ ..

لا! ولم يعْمِ إيمانك الوحدويَّ الْغضَبْ!

كنتَ يا سنكرا

.. في بناء الطريق الحديديِ[2] رمز الجهادِ الّذي قد تحدّى الأَجَلْ!

.. في قلوبِ الْمَقُودِينَ للخلف مستقبلاً إنْ يدوروا له يقتربْ!

.. في لجان الدّفاع[3] المَسيحَ الّذي أمْرُه المُرتجلْ ..

كان يُحيي مَواتًا وَمَوْتَى، ويستنطق الأعصرا ..

عن معادٍ أجلْ ..

لا عنِ الثّأْرِ، يومًا، إذا ما صُلِبْ!

كنت فينا ومازلت يا سنكرا

عُنفوانًا إلى اليوم...

ما تُنادِ القضايا يُجِبْ:

ما فقدنا سِوَى وجهك المحتجب ..

والرُّكونِ المريح إلى قدسيّةِ ما بيننا من عُرَى ..

ثُمَّ بعضِ البراءة أيضًا! مَضَى كلُّ ذا في عجل ..

تاركًا موضعًا في الحنايا بإفريقيا مستقرًّا لبعض الخجل،

بينما صرتَ يا سنكرا ..

فوق كيد الإخاء وفوق التّناسي، وفوق العجب ..

---

(١) اعتراك المساكين: الحرب الحدودية بين فولتا العليا ومالي وكانت أول ساحة يشتهر فيها النقيب توما سنكرا على نطاق واسع.

(٢) الطريق الحديدي: طريق القطار الذي بني بالجهد الذاتي والمبادرة الشعبية تحت توجيه سنكرا.

(٣) لجان الدفاع: التنظيم السياسي الذي أنشأه سنكرا باسم «لجان الدفاع عن الثورة».

من موالين قد أنكروك ثلاثًا وما صاح ديكٌ صحا بعد، بل وانْبَرَى ..

ناطقٌ باسمهم «يَشْجُب» الضّعف – يعني الأسى! – في الرّجل!

دمتَ مستنهضًا من بكى، داحضًا من «شجب» ..

دمتَ يا مَنْ حفظناك تجسيدَ حُلمٍ عزيزٍ على الرّبِّ أنْ يُقْبَرَا:

وهْجُه سَرمدِيٌّ يلفُّ الورى ..

عزفُ قيثاره[1] توأمٌ للحداء المحرِّض طاقاتِ كلِّ النُّجُبْ ..

أو قسيم الزّجل! ..

فعله فعل جيشٍ لَجِبْ ..

يومَ يقتاد قومي مِنَ الإستكانة مهما جرى ..

في انْطلاقٍ جريءٍ إلى ما يَجِبْ!!

انجمينا

(بدئ في كتابتها أغسطس١٩٩٧م

ثم أكملت في فاتح يونيو ١٩٩٨م)

****

---

(١) كان سنكرا يعزف على الجيتار وفعل ذلك أمام الجموع ليعلم المطربين كيف يغنون للوطن بدلًا من الاستغراق في الغناء للحبيبة.

١٤ - آيُ صَحْوٍ

[الرمل]

مـا بـقـصـرٍ كـان فـخـري واعْـتـزازي،

بـل بـيـوت الـطّـين ذخـري «والـكـوازي»[١]

حـيـث تـلـقَـى كـلَّ ريـفـيٍّ عـزيـزٍ

مـؤمـنٍ بـالـبـذل مـن قـومٍ عـزاز

يـعْشـقـون الـوحـدةَ الـكـبرى خـيـارًا،

لا شـعـارًا تحـتـه تُـخـفَـى الـمخـازي

يـلـمسـون الـحـقَّ مِـنْ خـلـف الـدَّعـاوَى،

بـيِّـنٌ فـي سـمـعـهـم وقـعُ الـنّـشـاز!

مـا اسْـتـوتْ تِـرْبـان فـي عـين فَـحْـلٍ:

هـذه عـجـزاء، والأخـرى تُـبـازي!

رغـم تـلـفـازٍ لجـوجٍ لـم يَـفُـتْـهُـمْ

أنَّ أمـريـكـا لَـوَتْ رأسَ الجـهـاز!

إنَّ واشـنـطـنْ وقـد رَبَّـتْ عُـجـولاً –

أُشْـرِبَـتْ فـي الـقـلْـب عـجـل الإنْـحِـيـاز:

.. فـاسـتـمـالـتْ ثُـلَّـةً، لـكـنْ لـقـومـي

فِـطْـرَةٌ لـم يَـعْـرُهَـا أيُّ اهْـتِـزاز:

مـا فِـلَـسْـطـينُ الّـتـي يَـهـوون أرضًـا

عـنـدهـم، بـل إنّـهـا مَـغْـزى الـمـغـازي

---

(١) الكوازي: جمع «كوزي» بالعامية التشادية ويعني كوخ.

.. والألى قد حاصروا الأقصى رُماةً

ثَمَّ بالقُفَّازِ في وجه الحجازِ،

هم - وإنْ كانوا كأهل القصر شكلاً -

أنكروا تطبيع سِربٍ بُرجوازي!

لو ليالٍ بالملمَّاتِ ادْلهمَّتْ

فاختبرْ - إذْ أنْتَ في ضعفٍ - ورازِ:

أسرعُ الآتين هم، أمَّا سِواهم

فالعجالَى عند غُنْمٍ وانْتِهازِ!

ضلَّ سعيًا مَنْ تَحاشَى ظلَّ طُورٍ

مستظلاًّ مِنْ هَجيرٍ بالحَرازِ!

هؤلاء الخضرُ هم مِلحُ الأراضي،

هم - إذا ارْتَجَّتْ - أساسُ الارْتكازِ:

هم فدائيّون في وجه الأعادي:

يَحرسون الرَّبْعَ مِنْ عادٍ وغازِ!

لا تسلْ عن سرِّهم! فالسِّرُّ حبٌّ

يجعل الإنسان حيًّا بامْتيازِ!

للحياة الأصل ماءٌ .. غير أصلٍ

- يقتضيه الحيُّ في الدنيا - مُوَازِ:

دونما حرِّيَّة ما مِنْ حياةٍ،

بينما اسْتغنت عن الماء الجوازي!

إنْ يكن في النّاس مَنْ يرضَى بضيمٍ

فالأبِيُّ الحُرُّ يَأبَى أو يجازي:

شأْنَ زِلزالٍ طوى مغزى أريحا،
وانتفاضِ الأرض ضدَّ الانْغرار!

أدعياءٌ في بني يعقوب جاءوا
مِنْ شَتاتٍ لانغراسٍ واحتزاز:

هل لإسرائيلَ من نَسلٍ رَمَتْهُمْ
في فجاج الأرض حمّى الاكتناز؟

لا! .. ولا صنّاع صهيونيّةٍ مِنْ
قاتلي الأطفالِ قصْدَ الاحترار!

ليس مِنْ أسطورةٍ تكفي كحكمٍ
بالرَّدَى أو غصبُ حقٍّ واحْتِياز..

إنّما المستعمر الأرض ادّعاها
ملجأ الشُّذَّاذِ مِنْ أفران غاز..

ثُمَّ بثَّ الغرب - في فحوى حقوقٍ
قيل للإنسان! - فتوى بالجواز:

تلك فتوى الاغتصاب الفظِّ جاءتْ
ضمن آليّات فنّ الابتزاز!

لا يسمّى المرءُ إلاّ ما تراءى
ماثلاً حقًّا له أو في المجاز،

نحن أطلقنا على الإحسان اسمًا،
هل نَحَتْنا نحن أم هم لفظ «نازي»؟

إنّ مَنْحوتًا على الأحجار أبقَى
مِنْ نقوشٍ فوق لوح الأُرْدُوازِ!

حسبهم يومان في التّأريخ ذكرى
فيهما درسان من بين المغازي:

ما تلا الأحزاب درسٌ مستفادٌ...
كالّذي أبقته بدرٌ في الطّراز:

ذاك يـــومٌ كـــان فـــي الأيّـــــامِ بـــدرًا

فـيـه ســـوقٌ لا كـمـعـنـى ذي الـمـجـاز!

يـا أبـا سـفـيـان: لا مَـنْـجَـى لـعـيـرٍ،

والـنّـفـيـر الـيـوم، أيـضًـا، لـلـبـوازي!..

وانـتـفـاضـات الأراضــي أيُ صـحـوٍ،

مـسـتـحـيـلٌ وضـعـه فـي الاحـتـجـاز!

.. فـالـجـهـادُ الـمـسـتـمـرُّ الآن روحٌ،

والـخـلـود الـحـقُّ مـوتُ الـكـامـكـازي[١]

انجمينا – في١٣/٢/٢٠٠١م

****

(١) الكاميكاز: المتطوع الانتحاري الياباني الذي يموت وهو يدمر هدفًا معاديًا.

١٥ - عصا موسى

[المتدارك]

(ألقيت في الأمسية الشعرية التي تخللت أعمال ندوة «الدراسة التقابلية والمقارنة بين اللغة العربية ولغات الساحل الإفريقي» وهي ندوة نظمتها منظمة الجامعة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية متعاونتين مع جامعة انجمينا، في الفترة من ٢٨: ٣٠/١٠/٢٠٠٢م بوزارة الخارجية والتكامل الإفريقي في انجمينا).

أوَ نُعطي الآخَرَ تقديسا... ويحاكي الآخرُ (نرسيسا)؟

هو طبعٌ صاغ رُؤَى كلٍّ، وغدا في الرّوح تضاريسا!

ستفيضُ الكأسُ بما تحوي، ويزيدُ المفلسُ تفليسا!

ونظلُّ الدهرَ تأسّينا بإمامٍ عانقَ قسّيسا!

نتعاطَى ألسنةً تثري، ونعيشُ الوحدةَ ناموسا...

زرعَ المستعمرُ في خُبثٍ جِيَلاً تستلهم إبليسا

فجموعٌ تُبْهَرُ بالكوكا، ودروسٌ تحمل فيروسا



وَغَـــدٌ قــد بــيــع فِــــدًا قـــرضٍ
وَجِـــلَ الـتّـكـشـيـرة مـهـووسـا،
وطـبـيـبٌ يـحـتـلـب المـرضَـى
وبـيـسـرٍ يُـرْسَـمُ قـدّيـسـا؛
وصـلـيـبٌ عُـلّـقَ تـأْلـيـفًا،
ويـنـافـي الـفـعـل هُـدى عـيـسـى!
قِـيَـمٌ تـسـتـهـدف تـكـيـيـفًا
لـنُـغَـذّي المـنـطـق مـعـكـوسـا!
مـعـكـم لـن تـسـقـطَ أو نـنـسـى،
وسـيـأبـى الـبـيـرق تـنـكـيـسـا:
فَـلأنْـتُـمْ مِـنْ فـئَـةٍ جـاءت
بـجـواب الـنّـهـضـة مـدروسـا؛
فـأرتْـنـا عَـوْلَمَـةً تجـدي،
وأَرَتْ في الـعَـوْلَمَـةِ الـسّـوسـا:
صـدقـتـنْـا الـرّؤيـة والـرّؤيـا،
وَدَنَـتْ كـي تـبـعـد كـابـوسـا!
ولـئـن، فـي الـشّـرق زَهـتْ شَـمـسٌ
بـعـروسٍ قـد «نـفـض الـكـيـسـا»[١]..
فـهـنـا لـلـضّـادِ بـكـم عُـرسٌ
وضـيـاءُ كُـرِّسَ تـكـريـسـا!
شـعـراء الـبـلـدة قـد لاقـوا
ألـقًـا فـي الـنّـدوة مـحـسـوسـا..

---

(١) نفض الكيسا: يطري العروس في السودان بقولهم «العريس نفض الكيس» كناية عن كرمه ومبالغته في توزيع العطايا.

ببيانٍ، أُبْدِعَ، سحريٍّ
يدع المُستعصيَ مأنوسا!
وبموسيقى سمقت نسقًا
كصروحٍ تُدْهشُ بلقيسا![1]
فسمعنا الْخُلّص: لا روما
وفرنسيّين، ولا روسا!
سيُباحُ اليوم إذا قمنا
بحديثٍ يبدأ مهموسا:
«هِمَمٌ هبّت وسعت حتّى
قرعتْ بالنّدوةِ ناقوسا،
عملٌ قد ماثَلَ نيّاتٍ،
فسقى ما خُلِّدَ مغروسا!»
ويضيف القائل: «ما أسْمَى
سَرَيانَ الشّعر إذا قيسا!..
وقصيد اللّيلة باقاتٌ
ضمنتْ للصّامت تنفيسا:
فأتى الحادون بآياتٍ؛
وأتى عيسى بعصا موسى!»
انجمينا، في ٢٩/١٠/٢٠٠٢م

****

(١) بلقيس: ملكة سبأ زمن نبي الله سليمان عليه السلام.

١٦ - دعوا هؤلاء!

[الطويل]

شبابٌ عَناهُمْ – بعد خُلقٍ – تخصّصُ،
وبعضُ قضاياهم خمورٌ ومَرْقَصُ:

فريقٌ على دينٍ ودرسٍ ودعوةٍ،
ولِلآخَرِ الإدمان ثُمَّ التّلصُّصُ؛

هنا الالتزامُ الْحقّ حبًّا وغيرةً،
وتُهْوَى، هناك، القهقرَى والْتَملُّصُ..

فأيُّ الفريقين المرجَّى لنهضةٍ
إذا البوق نادَى .. والقدامَى تقلَّصوا؟

سؤالٌ «رجال الأمن» أخفَوْا جوابه
بهمسٍ عنِ «الإرهاب .. يعني» وبصبصوا!

فما لِلْغَيارَى يا «حماة الشّعب» – أمرُهم
على رأس مشبوهاتكم ليس ينكصُ؟

لماذا نراكم حيثما سار مُلْتَحٍ
وأنتم على آثار من سار شُخَّصُ؟

.. ومندوبكم ساعٍ إلى كلِّ مسجدٍ،
وقرب الزَّوايا في الّليالي مقرفِصُ؟

كأنَّ الّلحَى تخفي سلاحًا يخيفكم!
تعالَوْا بأمشاطٍ إليها لتفحصوا..

فــإنْ شَــذَّ شـكـلٌ غـيـر مــرضٍ فـشـذِّبـوا،
وإن رابَـكُـمْ طـولٌ فـحـفُّـوا وقـصِّـصـوا!
.. ولا تـسـتـعـيـدوا مـسـرحـيّـاتِ أعـصـرٍ
خـلـت، فـالـتـزام الـنَّـصِّ أرخَـى وأرخـصُ!
وأمّـــا الـحـجـاب المـسـتـحـيُّ فـخِـرقـةٌ:
خذوها، فجسّوا، واغسلوها، ومصمصوا ..
وقــومــوا بـفـحـصٍ مـعـمـلـيٍّ مـكـرّرٍ
عـلـيـهـا، يـرعْـكـم كـيـف طـاش الـتَّـربُّـص:
فَـمَـنْ جُـلْـنَ فـيـهـا نـاشـئـاتٌ عـلـى تـقًى،
وديـعـات طـبـعٍ، لـسـن مـمّـن يـنـغّـصُ؛
فـخـلّـوا بـزيـئـاتٍ يـراهـنَّ جـنـده
- كـإخـوانـهـنَّ الـغـرِّ - حـقٌّ محصحص
دَعُــوا هــؤلاء الـرَّهـط، إذْ إنَّـهـم دَعَــوْا
إلــى أفـضـل الـغـايـات، لـكـنّـهـم عُـصُـوا!
فــإنْ يُـكْـتَـشـفْ لـلأمـن خــرقٌ فـغـيـرهـم
بـتـدقـيـقـكـم أحــرَى: تـحــرَّوْا ومـحِّـصُـوا!
أَجُــنَّ الّــذي ظـنَّ الـغـيـارَى عـصـابـةً،
وأنَّ الـسَّـكـارَى عـلـى الأمـن أحـرصُ؟
ألــم يــأْنِ لـلإيـمـان أنْ يـسـتـمـيـلـه؟
بـلَـى! فَـهْـوَ فـي الإنـسـان يـنـمـو ويـنـقـصُ!
ومَـنْ كـان، قـبـل الـصُّـبـح، سـربـالـه الـدُّجَـى
فـإنَّ الـسَّـنـا، بـعـد الّـلـيـالـي، يـقـمِّـصُ!
وَمِــنْ فـضـل مـولانـا، تـعـالَـى، قـبـولـه
مـتـاب الّــذي يـأتـيـه والـقـلـب مُـخْـلِـصُ!
انجمينا، ٢٠٠٣/١٢/٢٤م

****

١٧ - مالم

(في ذكرى رجل المبادئ والمواقف المعلم الراحل/ أمينو كانو، المثال السياسي النيجيري - بل الإفريقي - الفذ!).

بَلـيّتُنـا ذئــابُ تـطـبّـعٍ! مَـعِـطُـوا،
فـعـمّ الأفْــق - مـن فَـتَـكـاتـهـم - قَـحْـطُ
إداريّــــــــونَ أو مـتـسـلّـطـونَ ذوو
نـفـوذٍ، أصـلـه الإفــــرنجُ، أو شُـــرَطُ
وقـــادةُ عـسـكـرٍ، وحُـثـالـةٌ - بُـعِـثـوا
جـبـاةً - لا يــؤدّون الّــذي اخْـتـرطوا
ومِــنْ زعـمـاءَ - مـزعـومـين - مـبدؤهـم
مـتـاجـرةٌ، وكــلُّ حـديـثـهـم سَـقَـطُ..
ومـنـحـرفـينَ كـانـوا فـي شَـغـاف قلو
بِـنـا، زمـنًـا مـضـى.. لكنّهم شَـحَـطُوا..
إلــى خـلـفٍ بُـــداةٍ كـم يـحـيّرنـي
تـبـجُّـجُـهُـمْ بمـا سـقـفـوا ومـا بطلـوا!
لأوربّـــــا، إذا حـجّـوا، تـيـمّـمـهـم:
فـفـيـهـا تُـوضَــع الأســـلابُ والخُـطَـطُ
يـرومـون الأمـــان لــدى مـصـارفـهـا،
عـلـى أنّ الأمـانـة عـنـدهـم غـلـط!!

وفـــاحـــتْ ريــــحُ نــفــطٍ مــن مــنـابـعــنــا،
فَــكَــالــوَرمِ الــخـبـيـثِ إذا بــهــم نـفـطوا
إذا لاقـــوكَ إذْ لـلـرحـلـة انْـطـلـقـوا
بَـــدَوْا وكـأنّـهـم خـلـف الأغـــا[1] أُرَطُ!
فـإنْ سـرقـوا فـهـم فـي الـسـرقـة اعْـتـنـقـوا
ديـانـتـهـم، فـأمـر أبـرّهـم فُـــرُط
وإنْ غـــدروا فـتـلـك سـجـيّـةٌ شُـهِـروا
بـهـا، لا فـلـتـةٌ طـــرأتْ ولا فَـلَـط!
وحـــول فـجـورهِـمْ حـــدّثْ ولا حـــرجُ:
ســدومُ لـهـم وعـامـورا[2] هـمـا الـنَّـمَـط!
لحـاهُـمْ والـعـمـائـمُ شـابـهـوا بـهـمـا
أئـمّـتـهُـمْ، وتُـسْـبَـغ كـلّـمـا جـلـطـوا:
فـتـلـك عـمـائـمُ الـفُـسَّـاق، واقْـتُـطِـعَـتْ
لـيُـخـفـىَ تحـتـهـا الخـسـران لا الـشَّـمَـط،
وقـد خُـلِـطـوا، كـمـا سـيـطتْ أئـمّـتـهـم،
بمِـسـواط الـفـضـائـح ثَـمّ، فـاسْـتَـوَطـوا!
هـم الـقـطـط الـسِّـمّـان المـــزدراة أتـت،
وقـد خـرجـت مـن الـصّـفَـحَـات، تـسـترط
ومُـنـذئـذٍ تـعـدّوا رســمَ مـسـخـرةٍ
تـشـكّـلـه خـطـوط الحـبـر والـنُّـقـط:
تـنـمّـرت الـدُّمَـى قِـطـطًـا وقـدوتـهـا
«دَرَاكُــــولا»، ولـكـنْ صـوفـهـا قَـطَـط

(١) الأغا: لقب تركي. أرط: جمع أرطة وهي تسمية تركية بمعنى فرقة عسكرية.

(٢) سدوم وعامورا: قريتان تذكر التوراة أن الله تعالى دمرهما عقوبة لأهلهما المفسدين وهما قريتا قوم لوط.

وفــي الـوطـن الّــذي ذبـحـوه فـانْـفـضـحـوا

يمــوت الـكــادحــون لـتـسـمـن الـقِـطَـط!!

أَسِــفْــتُ عـلـى ضـمـائـر لـم تَـعُـدْ ذممًـا

إذا مُــسَّــتْ بِمَــرّ الـرّيـــح تَـنـكَـشِـط:

ضـمــائــرُ بـعـضـهـا عـربـيّــةٌ نَـتَـنَـتْ،

وإفــريــقــيّــة بــالــطّــين تـخـتـلـط...

فَــرُحْــتُ أجــوب ذاكــرتــي أسـائـلـهـا:

«أمّــا فينا – حديثًا – سـيّدٌ مَـخِـط؟...

وهــل عَـقِـمَـتْ – عـلـى أيّـامنـا – دُوَلٌ

ورثــنــاهــا، فـمـا نَجُــبَـتْ لـنـا خُـلُـط؟»

فـــلاحَ «أمــيْنُ كـانـو» لــي، فـمـن وجـعـي

بكيتُ وكم بكتْ «مالْم»[1] – أسًى – خِبَط:

«فـمـالـم» كـان فـي «كــانـو»[2] مُـعَلّـمـهـا

ومَـعْـلَـمَـهـا الّــذي يـزهــو بــه الـوَسَــطُ

زعــيــمُ الــقـوم إيـــثـــارًا، وتـضـحـيــةً،

وبـــــذلاً دائـــبًـــا: يـعـطـي ويـغـتـبـط!

قَـد اسْـتَـوْحَـى «الـتَّـلاكـاوا»[3] ، فمثّلها،

وهـــمّ الآخـــريــن تـكـسّــبُ حَــبِــط...

كــحــدّ المــــاس قــد كــانــت بـصـيـرتـه

وهـــم عُــمْـــيٌ، غـشــاء قـلـوبـهـم زلــط!

---

(١) مالم: لقب أصبح رغم شيوعه في شمال نيجيريا كالعلم على الحاج أمينو كانو رحمه الله واللفظ تحريف لكلمة «معلم».

(٢) كانو: أو كنو أكبر المدن في شمال نيجيريا وأكثرها راديكالية سياسية وهي معقل الفقيد الذي ما كان ينافسه فيه أحد.

(٣) تلاكاوا: البسطاء الكادحون بلغة الهوسا وكان «مالم» – المدافع القوي عن حقوقهم – كثير الترداد لهذه الكلمة.

تحــدّى، لـم يَــخَــفْ، مسـتـعـمـرًا شـرسًـا
ومــا أثــنــاه، فــي إقـلـيـمـه، الـسّـخَـط!!
ولّمــا نـيـلـتِ الحــرّيّــــةُ ارْتـفـعـتْ
عـقـيـرتـه بــــــرأيٍ قـلّـمــا يَـــبِـــطُ:
فلم يفهمْهُ أهـلُ الحكم – من عُـقَـدٍ –
شِـمـالاً أو جـنـوبًـا: وَفْـقَ مـا ارْتـهـطوا
فـقـاد مـخـالـفـوه الاتّحـــاد إلـى
شَفا جُـرُفٍ ... كذلك يصنع الشّطَطُ!!
وجـاء الـعـسـكـر الحـكـام فـامْـتـخـطو
ه، بين الأسْـيُفِ القُضْب الّتي امْتخطوا!
وقُـلِّـدَ سـلـطـة الأرزاق حــين جـرت
بـنـيـجـريـا سـيـول المــال تـنـهَـبِـط:
فـلـم يـرْهـا غـنـيـمـتـه الـتـي كـسـبـتْ
يـــداه! فـإنّمـا هُـوَ خـــادمٌ نـشـط...
وسـيّـده هـو الـشّـعـب الّــذي، أبــدًا،
يـــراه كـمـا رأى أسـنـانـه الـمُـشُـطُ...
فـمـا أثــرى! ومــا أَلْــهَـتْـهُ عـن مُـثُـلٍ
عَـقـــاراتٌ، ولا دورٌ، ولا خِـطَـطُ!!
... ولـم يَـتَـقـاضَ يـومًـا نِـسـبـةً مِـئَـويْـ
يَــةً لِـيُـجِـيـزَ عـقـدًا شـابَـهُ رَقَـــطُ..!
ولــم يُـنْـفِـقْ، لمـتـعـتـه، الـنّـقـود على
شـريـكـةِ مـوبـقـاتٍ فـرعُـهـا سَـبِـطُ!

فلمّا غادر الكرسيّ غادره
سجالٌ للعلا - بالحقّ! - مُفْتَرَطُ!

وظلَّ على مبادئه يجسّدها
وينشرها، وبالمعروف ينبسط!

إلى أنْ طلّتِ الأحزاب ثانيةً
وثمّةَ حزبه الجذريَّ منخرط:

يناضل للتّلاكاوا بلا كللٍ..
لكي يسترجع الحقَّ الّذي غُمِطُوا!

وفي التّرشيح كان «أمينٌ» فارسهم
بمِضْمار الرّئاسة ساعيًا يَخِطُ..:

ترشّح للرّئاسة كي يسخّرها
لمجتمعٍ تكاد عراه تنفرط!!

فأعيا الطّعن فيه منافسيه عدا
تجنّبه الضّرائب حسبما لغطوا..

فلمّا فُتِّش الموضوع بان لهم
أمينُ القوم كيف يلي وينضبط:

فممّا تُقْتَضَى عنه الضّرائب لم
يكُنْ في مِلْكِه سَقَطٌ ولا لَقَطُ!..

وما ملكت يداهُ سوى ضرورته،
كأيِّ مزارعٍ ممّنْ بِهِ ارْتبطوا..

فلم يدفع عُشُورًا فوق ما دفعوا،
وما هضم الحسابَ، ولا هُمو قسطوا!

ومـــا لــم يــرتــهــن مــا لَـــمْ قـضـيّـتـهـم
فــكـيــف يــلـــمّ أمــــــــوالاً ويـلــتـقــط؟
بــــخٍ!... لـلـهِ أنـــت! فـقـد ضَـــرَبْـــتَ لنا
مــثــالاً يـحـتـذيـه الـــعُـــرْبُ والــنَّــبَــط:
فَـنَـلْ - وعـلـيك رحـمـة ربّـنـا - مِـنَـنًـا،
فـقـد ألجـمـتَ نـفـسك إذْ كَـفَـتْـكَ «قَـــطُ!»
ولـــو أنّـــا تمـثّـلـنــاك مـــا ارْتحــلـــتْ
رؤوس الحـكـم لـلإحـسـان تَـخْـتَـبِـطُ،
ولا اسْـتَـبْـقَـى بـه - سـفـهًا - سياحتهم
هــنــا وزراء ســـوءٍ دأبـــهـــم نُـــطُـــطُ..
يـــحـــوزون الــكــمــالــيّــات فـــي بــذخٍ
ومـــيـــزانـــيّـــةُ الـتّـعــلـيـم تـنـضـغـط!
مـضَـى «مـــالـــم» ولـــم يــأخـذ بمسلكهم
ومـــا اسـتـهـوتـه أســـفـــارٌ ولا بُـــسُـــطُ...
ومـــات أمـــينُ كــانــو زاهـــــدًا وَرِعًـــــا!
غيابك - يا أمـينُ - حـضـور مَـنْ سقطوا!
ولـكـن كـيـفـمـا غـصـبـوا أَوِ انْـتـبـهـوا
فـلـيـس تـشــابِــهُ الأمـــثــولــةَ الـــفُـــوَطُ:
لـئـن أخـلـــوْا بـيـوت المـــال مـن عَـــرَضٍ
فـفـي «مـــا لـــم» لأهـــل مــــروءةٍ فَـــرَطُ!..
ومـنـهـجـه سـيُـنْـصَـرُ! فـالـرّحـيـم يَــرَى،
ويـنـشـر لُـطْـفَـهُ مـن بـعـد مـا قـنـطـوا!
انجمينا، في ١٦/٨/١٩٩٧م

****

١٨ - دالٌ بَعْدَها نُقْطَة

[المتدارك]

دكتوراهُ! يا لُقْطَهْ

حيث النّاس مُشْتَطَّهْ!

فيكِ الْبعض كم غالَى

سعيًا... أو فَبِالنَّطَّه..

فاحتازتْكِ أفرادٌ

في التّصنيف هم خَلْطَه!

أهلُ الدَّالِ أنواعٌ:

منهم نافعٌ رَهطه..

علمًا فوق أخلاقٍ

أعلَى فيهما ضَبْطَه

لا يختالُ في تيهٍ،

سمحٌ، نادرُ السَّقطه

إنْ أفتَى فترجيحًا

كان المحتوى شرطه

لم يجعلْ «أنا عندي

في هذا ...» له خُطَّه!!

والإنتاجُ عنقودٌ

زكّى الْمجتنِي خَرْطَهْ!

... أيضًا منهمو (مسيو)

عقَّ العنق بالرَّبطه

قالوا: «سيّدٌ!» ، قلنا:
«تتلوها، هنا، قِشْطَهْ!»[1]

أمّا الآية العُظمى
فالمغرور كالقِطّه...

ملء النفس تعقيدٌ
والأخلاق منحطّه

حتّى الاسم قد أمسَى
«دكتورًا» بلا حِطّه!

إنْ تحططْ فساديٌّ
قد سعّطتَه الشّطّه

لو ناديتَ لم تذكرْ
دالاً بعدها نُقطه...

أضحَى عاريًا حتّى
دائي الموت بالجَلْطه!

لو صحّحتَه يومًا
تلكم عنده الغلطه

فَهْوَ العالم الأولَى
بالمفتاح و«الشّنْطَه»:

لا تجروْ فتستفهمْ
عن أمرٍ قدِ اخْتطّه!

هل في العلم ألقابٌ
قامت دونه شُرْطَه...

فالزُّلَفى لها حكرٌ
لكنْ للورَى ورطه؟

---

(١) سيد... قشطة: يدعى القرد بالعامية المصرية «سيد قشطة».



لا تحـــفـــلْ بـتـقـيـيـدٍ
إنّ الـقـيـدَ ذو سَـخْـطَـه...
إلاّ فـي فـرنـسـا إذْ
قـيـدُ أضـحـك الـبـطّـه[1]!
رُبَّ الـقـيـد - فـلـتـدركْ
مـعـنَـى هـذه الـضَّـغْـطَـه -
لـيـس الـعـلـمُ مـرمـاهُ
أو مـا فـيـه مـن غَـبْـطـه:
فـالأبـحـاثُ أجـراهـا
فـي بـحـثٍ عـن الـسّـلـطـة؛
مـا زادتـه فـي الـرّؤيـا
أو فـي الـعـلـم مـن بَـسْـطَـه،
فَـهْـوَ الآن فـي أُفْـقٍ
صـنـوُ الـصّـانـعِ «الأُسْـطَـه»...
أو كـالـسَّـارح الـراعـي
أو بـيّـادة الأَرْطَـه!
هـاديـنـا وإيّـاهـم
لا تُـعْـيـيـه «سَـلْ تُـعْـطَـهْ!»
فـلـنـسـألْـهُ تـخـلـيـصًـا
الـتّـيَّـات مـن خُـلْـطَـه:
إخـلاصًـا يـقـي المـسـعَـى
- مـهـمـا نُـمـتـحـنْ - حَـبْـطَـه!

انجمينا، في ١٥/٨/٢٠٠٢م

****

---

(١) قيد أضحك البطة: إشارة إلى الدورية الفرنسية الساخرة «لو كانار انشيني» أي البطة المقيدة.

١٩ - لحقّ الرّضيعة؟![1]

(١)

[المتقارب]

كوابيسُ – أمستْ مِنَ الواقعِ الآن فينا – فظيعَهْ:

ففي كلّ يومٍ تحومُ الصّقور السّريعه[٢]...

تغطّي المْدَى؛ والطّرائدْ ...

نساءٌ ترمّلنَ، أو أمنياتُ البنات الوديعه؛

ومستشفياتٌ، وروضات طفلٍ تغنّوْا بحُلْوِ الْقصائد ..

وما لُقّنوا أنَّ من فوقهم شرُّ صائدْ:

فلم يحتموا من زمان الفجيعة:

كما لم يَفِدْهم لجوءٌ إلى مجلس الأمن مِنْ بعدُ أدنَى فوائدْ؛

فهل ثَمَّ من ملجأٍ يُرتَجَى غيركم سنّةً – في اعْتقادٍ – وشيعه؟

كفافُ الْموائدْ ...

عفافُ الْخرائدْ ...

مَصيرُ الْمجدّين في مصنعٍ للنّضائد ...

---

(١) (ألقيت في حفل التضامن مع شعب العراق الذي أقامته رابطة الطلبة التشاديين خريجي العراق بانجمينا في مبنى وزارة الخارجية).

(٢) الصقور السريعة: طائرات «التحالف» التي تحلق فوق منطقة حظر الطيران بالعراق.

وحقّ الرّضيعه ...

– على صمتِها – في حليبٍ وبعضِ الوسائدْ ..

ومعنَى مُصَلّى وحوزات علمٍ وديرٍ وبِيعه ...

ونهجٌ يفي بانْدحار المكائد ...

ألاَ كلّ هذا سَيبقى لديكم وديعه:

فإمّا حَفِظْتُم – برغم الشّدائد –

وصنتم، فكنتم – كأجدادكم – في الطّليعه...

وإمّا رَوَتْ عنكم الألسن الشّامتاتُ الْحدائد:

(تخلّت قريشٌ، فذَلّتْ ربيعه؛

وكانت قريشٌ إذ ما نَوَتْ نَصرَ إخوانها مستطيعه!)

(٢)

على بُعْدِ ميلٍ منَ البصرة اليوم كم من صريعه ...

ومن ياسرٍ مبتلًى يشتكي صارعيها إلى الله! كم من سُمَيَّهْ ...

تعاني صنوف العذاب المُريعه ...

ولم تشترك في اجْتياحٍ ولا في وقيعه،

كما أنّها لم تبايع أميّة ...

ولم تَدْعُ يومًا إلى غيرهم: لم تكن فاطميّة ...

ولم تتخذ من أبي مسلمٍ مَرشدًا. لم تَصِرْ ذات يومٍ صنيعه،

ولكنّها اسْتهدفتْهَا الصّقور الّتي أطلقتْها الْحَمِيَّه!

ومن هؤلاء السّميّات، من بينهنَّ، انْبَرتْ في انْفعالٍ سميّه ...

بفحوى مقالٍ ونجوَى سؤالٍ مُحالٍ إلى إخوة السّالميّه:



(أشِقّاءَنا منذ ما قبلَ أنْ يظهر النّفطُ أو أنْ نُضيعَهْ ...

وقبلَ اخْتراع الورَى طائراتٍ على حاملاتٍ منيعه!...

وإخوانَنا بعد ما قد تُرَى خُردةً في مهاوٍ وضيعه!...

بني أمِّنا ما رَوَى الدّهر: «يا دار ميّه..»!

هَبُوا الحاكم الفرد ضلّتْ به الحاكميّه.

فهل لانْتقامٍ من الحاكم الفرد تُلغى العُرَى الآدميّه؟

وهل هوجة الرّيح في قسوةٍ مرّةً حجّةٌ لاغْتيال الطّبيعه...

وتبخيس كلّ المعاني الرّفيعه؟؟)

مجافٍ لفطريّةِ الْعدل وأد الولائدْ،

وليل اجْترار التّشَفّي سوى طوطميّه!...

كشأن الحديث الّذي ردّدَتْه المذيعه...

مرارًا عن المُلهَمِ المُفتدَى والجموع السّميعه...

أوِ الْمَجْلس المُصْلتُ الحظر عن حكم شرعيّةٍ من كلام الجرائد:

فشرعيّة المجلس الفظّ إمّا عَرَتْها عَمِيّه...

وإمّا اعْترتها بقايا جنوحٍ إلى أكل لحم الأَناسِيِّ بائد!

فيا أيّها المبصرون الّذين استشفّوا الخديعه...

خيوطًا بدت عنكبوتيّةً من وراء الذّريعه...

وخلف الّذي يُدَّعَى من عقائد:

إذا ما انْعتقتم، لدى الاستجابات، من عقدة الموسميّه...

فقد توقفون الدّموع الّتي تغرق الأعظميّه!!

ويا مَنْ رأوا أمنهم في موالاة مَنْ لا يوالي الشّريعه ...

مِنَ الطّغمة الأعجميّه:

إذا خائفٌ رامَ شيطانةً بُغْيَةَ الأمنِ يومًا ضجيعه ...

على شِرعةٍ قمقميّه ...

فما رامَ أمنًا إذن لو تقصّى ولا لذّةً، بل سرابًا بِقِيعَه ...

وباع القضايا بلا أيّ عائد!

فعودوا - هُدِيتُمْ! - إلى سكّةٍ ليس فيها مصائد

وَأَنْهُوا القْطيعه!!

انجمينا، في ٢٠٠٠/١/١٦م

****

٢٠ - خَلَفُ الصَّحَابَةِ!

[الكامل]

أتُــرَى الــزّمــانُ وعــى الحــوادث أم غَفَا
فــرأى الــزّواهِــرَ قــرنَ أفضــلِ مصطفَى..

يـتـسـابـقـون إلـــى الـفـدا بـنـفـوسـهِـمْ
فَـسَـهـا وسـطَّـر شـأنـهـم مـتـلـهّـفـا..

فـحـسـبـتَـهـم فِـئَــةً مـعـاصـرةً قَـفَـتْ
خُـطُـوات مَـنْ رسـمـوا الـطّريـق ليُقتفى..

وطـفـقـتَ تـعـجـب مـن فَـلاَح شـبـيـبـةٍ
تَبِعوا الـوجوه على الـصّـراط.. وهـم قفا؟

فـلـشـدَّ مـا بـعـدتْ ظـنـونُـكَ نجـعـةً
بـك أن تـرى خَـلَـفَ الـصّـحـابـة خُـلَّـفـا!

أتجـــود، بــعــدُ، بمـثـلـهـم فَـتَـراتُـنـا؟
تَـرِبَـتْ يَـداك! دعِ الـتَّـمـنّـي، قـل: «كفى!»

وَهِـــمَ الـــزّمــان! فـكـذّب الحُـلُـمَ الّـذي
حَـفِـظَـتْ صـحـائـفـه الـغـداةَ تعسُّـفـا!

قـسـمًـا لـقـد صـدق الـزّمـان! ومـا حكى
قـصـص الـبـطـولـة لحـظـةً مـتـكـلِّـفـا!

ولـئـن رمـقـتَ صـفـوف إخــوة «سـيّـدٍ»
لحضـرت ساعـة جيـش أحـمـد أو جفا..

وسمعت قول: «بخٍ بخٍ!» وتشهّدًا،
وشهدت هرولةً تذكّرك الصَّفا..
فشهدتَ، ثَمّ، على الصّحائف أنّها
كتَمتْكَ من نبأِ القبيل مشرّفا!
ولعلَّها خَشِيَتْ عليك تندُّمًا،
وعلى عيونك أن تعود فتذرفا:
فَلَرُبَّ منفطرٍ فؤاده رقّةً،
ونجيّ معركةٍ يموتُ تأسّفا!
ولأخسرُ العبرات ما سلب الحِمَى
بَصرَ المرابط والثّغور على شَفَا!
فَصُنِ المدامِع: إنّ هذه ثلّةٌ
يرث التُّرابَ جنودُها ليريّفا..
ويُساق مَنْ لَقِيَ الشّهادة منهمو
متضمَّخًا جهة الجنان مضيِّفا..
فَتُرَى مفتَّحَةً لهم غرفاتُها
وتقول: «هَيْتَ لكم جناي!» تلطّفا
ثكلتْكَ أمُّكَ إنْ تركتَ سبيلهم
وسلكت من طُرُق الضّلالة مدلفا:
فلأيّ وسوسةٍ تراك مجانبًا
أثر الّذي تبع «المعالم» واكتفى:
كسبَ النّهار مباركًا، فإذا مضى
سجد اللّيالي راجيًا متخوِّفا؛

ويعودُ في ثبج الأحبّة قاهرًا

حِيَلَ العِدا: متحيِّزًا، متحرِّفَا!

فيواصلون، وفي الإله تواصلوا

سُبُلَ السَّلام مضتْ لتَنْصُرَ مصحفا؛

ويكبّرون.. فكم تصاغرتِ الدُّنا!

ويهلِّلون .. فهل ترى وثنًا نَفَى؟!

.. وَلَكَمْ تَلَوْا! فإذا السّكينة أُنْزِلَتْ

ذكر المهيمنُ حزبه المتزلّفا..

فإذا دعا الثّقلين ربَّهُما وقد

سعد الدُّعاة بشارةً وتشوّفا..

هتف المعاند: «ويْ كأنّ صنيعنا

أثرٌ تقادم! وي كأنّه قد عَفَا!»

صدق الرّسول! وفرقة الجبروت لن

تدع العناد قُبَيْل ذلك موقفا

فهلُمّ خندقك المُعَدّ على تقًى

ولدفعٍ أمر الهدى أن يَقْصِفا

مع فتيةٍ قَدَروا المهيمن قَدْره:

وبذاك ما اتّخذوا الوسيلة زخرفا

فعساك تُمْنَحُ – لا أبا لك – ودّهم

فتزور كوثر مَنْ دعاك لتغرفا

خسئَ المخالفُ إذ يعارض أمرَهُ

ويرومُ يدخل دين ربّك متحفا!

فـمـحـمّـدٌ عـلـنًـا دعــاك لِـمـا مَـعَـا
شَــكَ دونــه أبــدًا يـظـلّ مـزيّـفـا ..
أتُــراك مـسـتـمـعًـا نــــداءَهُ تـابـعًـا
فـئـة الـدّعـاة؟ بـهـم، إذنْ، تـتـشـرَّفـا!
فَـمَـنِ الْمُــجـدّدُ لـلـرّسـالـة بـيـرقًـا
خَـلِـقَـتْ سـوى نـفـر الـهـدى لـتـرفـرفـا؟
مـتـكـاتـفـين عـلـى الـنّـوائـب فـطـرةً،
مـتـآلـفـين سـلـيـقـةً وتـثـقُّـفـا ..
مـتحـالـفـين عـلـى الـكـتـاب، فـلـم يُـرَوْا
مـتـجـانـفـين لمـا يـريـب تَجـنُّـفـا!
بـهـم الـتّـقـدّم لـلـبـلاد وأهـلـهـا،
فَـلِـمَ الـتَّـأخُّـر والـنُّـكـوصُ كَـمَـنْ جـفـا؟
أَوَ بـعـد مـا حـكـم الـعـزيـزُ بـعـزِّهـم؟
تـعـس المـفـضَّـلَ أن يـظـلَّ مـزعـنـفـا!!
سجن كوبر «السجن العمومي بالخرطوم بحري» ١٩٧٦م

****

٢١ - فديت العيون!(١)

[المتقارب]

«ثـــوانٍ!» .. ومـــدّتْ إلـى الـهـاتـفِ
يـــدًا بــضَّـــةً، قـلـتُ: «بـــل سَــوِّفـــي!

سـأبـقـى شـــهـــورًا هــنـا كـلّـمـا
حـبـانـي زمـانـي بـعـذرٍ يـفـي:

فـمـا كـان يُمْـلِـي قـدومـي سـوى
مـحـيّـاكِ هـــذا!.. ألـم تـعـرفـي!»

وكـم لـوحـةٍ شـدّت الـنّـاسَ مِـنْ
ديـارٍ تـنـاءَتْ إلـى المـتـحـفِ

وتـلـك اضْـطِـنـاعٌ وهـذي دمٌ
وروحٌ أضـاءت لمـسـتـكـشـف

وعـيـنـان مـا فـيـهـمـا جـنّـتِـي
فـقـطْ، بـل ونـاري ومـا قـد خـفـي!

حـنـانـيـك يـا فـتـنـتـي لـوِّمِـي
بـيـانًـا: فـهُـدْبـك ذا مـتـلـفـي

وإنّـي ضـعـيـفٌ أمـام المـهـا
فـلا تـقـتـلـيـني جـزافًـا!.. قـفـي!

قـتَـلـتِ الـشَّـكـاوَى بـإهـمـالـهـا
فـكـان احْـتـكـامـي، فـلـم أُنْـصَـفِ

---

(١) (طلبت إليّ موظفة الاستقبال الجميلة المهذبة أن أجلس، ثم رفعت سماعة الهاتف كي تتصل بالأستاذ لتبلغه بوصولي، مخاطبة إياي أثناء ذلك: «ثواني فقط، وسامحنا يا أستاذ!

فيمّمْتُ حسنًا عليًّا - طغى

يريد الوغى - رافعًا مصحفي

وسلّمت أمري لعينيك، لا

نجت منهما عين مستعطفِ!

فديتُ العيونَ المراض الّتي

تُغَنِّى فؤادي، ولا تكتفي

ورغم العناء التزمت الهوى:

شبابي معيني على موقفي!

وإنَّ الصِّبا - لو نعى! - لحظةً

سريعًا - كمرِّ الصَّبا - تنطفي

وتبقى لنا ذكرياتٌ، فهل

تريدينها مُرّةَ المرشف؟

دعينا لِعَيْشِ الصِّبا بهجةً

معًا، لا تصدِّي وتستنكفي!

طرابلس ١٩٧٤م

****

٢٢ - تفوّقوا

[الكامل]

زيـــنُ الـــشّـــبـــاب نجـــابـــةً وتـــفـــوّقـــا
يـــا مَـــنْ قَـــلَـــوْا عـــبـثًـــا أعـــاق وعـــوَّقـــا:
جـيـد الـنّـجـاح زهـا بـكـم وتـطـوَّقـا!

بـشـبـيـبـةٍ، وهُـــمُ الـنّـجـوم، تـألّـقـوا
بــدأوا الـصّـعـودَ مـن الـسّـحـاب وحلّـقـوا
والـقـلـب ثَـمَّـتَ بـالـعـطـاء مـعـلَّـقُ:
لا خـــامـــلٌ مـعـهـم ولا مـتـسـلّـقُ
هِـــمَـــمٌ مَـــآثـرهـا الأصـــالـــة مـطـلَـق
ولـذلـك اجـتـنـبـوا الـدخـيـل وطـلَّـقـوا
إنّ الـــهُـــوِيّـــةَ لا تُـــنـــال تـــســوّقـــا!

بـبـلادِنـا انْـتـفـض الأصـيـل تمـرُّدا
لمّـا أُريـد لـهـا الـتّـفـرنجُ مَـــوْرِدًا!:
أبـــتِ الخُـــضـــوعَ، وقـــاومـــتْ لـتـغـرّدا
عـربـيّـة لُـغـة، فـأعـجـزَتِ الـــرَّدَى!
لـم يُـلْـقَ، قَـطُّ، شـبـابـهـا مـتـشـرّدَا
بـل ظـلّ ممـتـلـئَ الْـقُـلـوب تجـرُّدَا
ولـــبـــذل كـــلّ جـــهـــوده مـتـشـوِّقَـا!

فـتـفـوَّقـوا... وإلـــى الأمـــام تـقـدّمـوا

وإذا تـكـاثـرتِ الـسّــدودُ فـهـدّمـوا:

مَـهْـر الـعـلا عَــــرَقٌ تـدفّـق أو دَمُ

لا تـبـخـلـوا بـهـمـا الـغَـداةَ فـتـنـدموا

يُـبْـنَـى بـكـم وطـــنٌ ويُـنْـقـذُ مـعـدمُ!

فتفـوَّقوا ... لتعمَّقوا ... ولتخدموا:

نُـصِـرَ الـمـؤصَّـل حـيـث عـالـج أو وَقَـى!

انجمينا، ٢٠٠١/١٢/٢١م

****

٢٣ - كيد الفرنجة[١]

[البسيط]

الغيثُ يوسِعُ رمل (امْ كاملٍ)[٢] بللا
في كلِّ موسمٍ خصبٍ، كلّما انْهملا

ينثالُ منهمرًا بالدَّمع يمطره
كي لا يجفُّ دَمٌ في عمقِهِ ارْتحلا

قد رمّلتْهُ يد المستعمرين به
والدَّار رمَّلها أنَّ المسيد[٣] خلا...

من ظاهرين تُقاةٍ، كلّهم عَلَمٌ
بالعلم والأدب العالي رسا وعلا..

تاقوا إلى الملأ الأعلى مجاوَرَةً
واسْتصحبوا سِمَتَيْنِ: الْوجد والوجلا!

نحو السّماء سَعَوْا، راجين رافعها
مرقًّى بمغفرةٍ تكفيهم السُّبلا!

(بامْ) كاملٍ تركتْ تلك الدماء ثرًى
- سالتْ عليه خميس المرتقى[٤] - خَضِلا..

بَيْنَا هُناكَ غدت مسكًا، ومصدرها
في جَنّةٍ تَخِذُوا فردوسها نُزُلا؛

---

(١) ألقيت بمناسبة الذكرى الثالثة والثمانين لمذبحة «الكبكب» في الاحتفال الذي أقامه النادي الثقافي الشعبي التشادي تحديدًا لها بمشاركة اتحاد الجمعيات النسائية التشادية الناطقة باللغة العربية واتحاد شباب المستقبل مساء ٢٠٠٠/١١/١٥م بمقر النادي وذلك في إطار التعبئة لأجل المؤتمر الجامع الأول حول وضع اللغة العربية في تشاد.. وروجعت القصيدة فأدخل فيها شيء من التعديل في ٢٠٠١/٨/٢١م.

(٢) ام كامل: وينطق بهمزة وصل: وادٍ في أبتشة على ضفته قتل شهداء الكيكب وفيه دفنوا رحمهم الله تعالى.

(٣) المسيد: وفيها لغتان أخريان: المسيك والمسيج: الكتّاب أو الخلوة حيث يدرس التلاميذ القرآن ولعلها محرفة عن «المسجد»

(٤) خميس المرتقى: كانت المذبحة يوم الخميس ١٩١٧/١١/١٥م.

قد شارفتْ حِجَجًا تسعين مذ سُفكتْ
فَاسْتنجزتْ عِدَةً ... واسْتوقدت مُثُلاَ..

ما جرَّ كُبكب «جيرارٍ»[1] جرائره
إلاّ ليطفئها فيهم فتنخذلا!

لكنّها حَفَزَتْ من بعدهم هِمَمًا
ما سفّهته فقط، بل زادت الشّعَلا!

خَتْمُ المحرّمِ[2]، شهر الله، كان لهم
ختمًا، تبارك مولًى قدَّر الأجلا:

حصْدًا تلا دورة العام الّذي بدأوا:
في ستّةٍ وثلاثين الحصاد غلا!

كانوا الكواكب في أبّشَةَ اجْتمعت
أنوارهم لمعتْ، لم تعرفِ الْمللا

لو جُودِلوا فكما قد جودِلتْ رسلٌ
والنّاسُ أكثرُ شيءٍ في الدُّنا جدلا!

فيهم أئمَّتُهَا دينًا بما رُحِمُوا
لينًا، وأوحدهم فنًّا إذا هدلا:

يبكي ليالِيَ سلطان[3] مضى فمضت
حينًا، وينشد برقاويّةً غزلا...

---

(١) كبكب جيرار: الكبكب أو الساطور هو الأداة التي استخدمت في المذبحة وجيرار هو الضابط الفرنسي الذي أمر بها.

(٢) ختم المحرم: ٣٠ صفر ١٣٣٦هـ هو على الأرجح تاريخ المذبحة، قصيدة «الرمي» تجعله بحساب الجمل يوم ٢٧محرم ولكن يوم ٢٧ محرم من ذلك العام يصادف يوم إثنين كما أنه لا يوافق ١١/١٥، الذي جاءت به الوثائق الرسمية والخطأ في حساب أيام الشهر الهجري أقرب منه في أيام الشهر الإفرنجي مع تأريخه بالقمري؛ فافتراض الخطأ في الأخير أقرب أما إذا أيد تحديد اليوم من أيام الأسبوع التاريخ الإفرنجي فإنه يكون من القوة بحيث لا يقاوم.

(٣) ليالي سلطان. برقاوية. دولاب الزمان: إشارة إلى أبيات من مطولة الشهيد/ عبد الحق السنوسي الرائعة المعروفة باسم النونية الكبرى.

أو شـــاديًـــا - بــأسًــى - يــرثــي مـعـلّـمـه
حــيــنًــا، فــيــلــهــج[1] بــالــنِّــبْــراس مُــنْــفَــعــلا
يـــا شـــاعـــرَ الـــزّمـــنِ الــقــاســي وســابــقــه:
طـــالـــتْ بـــنـــا حـــقـــبٌ نــســتــرفــد الأمــــــلا...
راجــيــن - مــثــلــك - دولابَ الـــزّمـــانِ عــســى
يـــأتـــي بــهــم - وبــكــم! - لــكــنّــه مــطــلا!
لــلــغــيــر مـــا ارتـــهـــنـــوا، ربُّـــوا ومـــا وهـــنـــوا
فـــي الـخـيـر، وامـتـهـنـوا مـا يـبـعـث الـــدُّوَلا؛
مِـــنْ بـعـدهـم لُـغْـةُ الـضّـاد الّـتـي عَـهِـدوا
لــم يُمْــسِ مـعـهـدهـا نِـسْـيًـا ولا طـلـلا...
بـــل ظـــلَّ يـكـلأُ فـــي الأجـيـال ذاكــــرةً:
إنَّ الـلّـسـان هُـــوَ الإنـســانُ مـخـتـزلا!
إنْ عُــوِّضَــتْ بـأُخَـيْـرَى كِـلْـيَـةٌ مرضت
فـــالـــذّات ممـتـنـعٌ تـعـويـضـهـا بِـكِـلَـى!
لـيـس الـــوُجـــودُ ســـوى ذاتٍ مُــوطّـنـةٍ
تُـثْـرَى أصـالـتـهـا، لـم تُـلْـتَـمَـسْ بَــدلا...
مِــنْ غـيـرهـا تـتـوخّـى خَـيْـرَ مـا اخْـتـرعـوا
أمّـــا الـهـيـام بـكـلِّ الأجـنـبـيِّ، فــلا!!
إنّـا - كما احتضن الـحـاسـوبُ حـاضـرَنا -
نَـهْـوَى الـنّـفـيـرَ وحـفـظَ الـلَّـوح[2] وَالـكَـوَلاَ:

---

(١) فيلهج بالنبراس: إشارة إلى سينية الشهيد/ عبد الحق السنوسي في رثاء شيخه/ محمد النبراس.

(٢) النفير: قيام الجماعة بمساعدة فرد أو أسرة في عمل يخصهم كحرث أو حصاد وبناء بيت..إلخ. حفظ اللوح: استظهار القرآن عن طريق كتابته على ألواح خشبية وترديده. الكول: أقراص تصنع من أوراق نبات يحمل نفس الاسم بعد تخميرها ثم تستعمل في الإداء ولها طعم ورائحة مميزتان وفائدة غذائية كبيرة.

فــي الـنّـفْـس لا عـقـدٌ، والْـقَـلْـبُ مـتّـحـدٌ،
مـن «كَـوْلَـخٍ» «فـنـواديـبـو»[1] إلـى «كسـلا»،
إذْ قَـبْـلَ أنْ يَـفِـدَ الـتّـنـمـيط عـولـمـةً
مـا كـان عـالَـمُ عـبـد الـحــقِّ مـنـعـزلا...
لا مــن ســـواه، ولا مــن أمــر مـجـتـمـعٍ
حـاشـى!.. ولـم يَـرَ شـأن الـعـيش مُـبْـتَـذَلاَ!
لـلـوحـدةِ انْـغـرسـتْ فـيـهـم - ومـنـذئـذٍ
فـيـنـا - مـغـالـبـة الـوِسْـواسِ لـو فـعـلا:
فـعْـلُ الـوَسـاوِسِ فـعـل الـسـوس منتهكًا
معنى الأخـوّة في «أبـدي»[2] و«دار سـلا»..
فـعـل الـدّسـائـس بـالأمـس الّـذي اصطنعت
فـيـه الْـفِـرنْجَـةُ قـبـل الـكـبـكـب الـخـلـلا!
كـم هـيّـجـتْ إبــلُ «أبـــدي» بمـهـلـكـهـا!
والمـعـتـدي مــرضٌ قـد سـمَّـمَ الإبِـلا
الـشَّـكُّ مـقـتـلـنـا ظـلَّ شــكَّ أخٍ
فـي إخـوةٍ مـحـضـوه الـودَّ مـتَّـصـلا
لـكـنْ ألـيـس نـرى جـنـدًا وقـاعـدةً
أحـرى بـذاك؟ تجـيـب الـطّـائـرات: «بـلـى!»
إلْـفـانِ حـولـهـمـا ألـفٌ يـكـيـدهـمـا
هـل مـؤمـنـان هـمـا حـقًّـا إذا اقْـتـتـلا؟

(١) كولخ: المدينة المعروفة في السنغال؛ نواديبو: المدينة الموريتانية المشهورة؛ كسلا: المدينة المعروفة في شرق جمهورية السودان.

(٢) أبدي: بلدة في شرق تشاد؛ دار سلا: إقليم في شرق تشاد... وكان قد حدث فيهما سوء تفاهم بين البدو والسكان نتيجة نفوق إبل البدو بكميات كبيرة وشك هؤلاء في أن السكان يقومون بتسميمها ثم تبين بعد حدوث مصادمات أن السبب يعود إلى عدوى وبائية أثبت التحليل المعملي في «فرشا» وجودها.

إنْ كـان مِــنْ أرَبٍ فـي الاحْــتــراب لنا
فَـلْـنُـجْـلِ مَــنْ زعـمـوا أنَّ الـعَـدوَّ جـلا!
... ولْـنُـعْـلِ مِــنْ لـغـة رسـمـيّـةً زُعِـمَـتْ
حـتّــى تـعـود غـــدًا رســمــيّــةً عـمـلا!
... مـن واقـــعٍ قَـلِـقٍ هـيّـا إلــى ألــقٍ:
فـالسّـعـيُ مَـعْـبَـرُنَـا مـا بـين «مـن» و«إلــى»!
إذْ ذاك تحـتـفـل الأرواح فــي فــرحٍ:
«مـرحَـى!.. فثأر ضحايا الكبكب اكتملًا..
كيـد الـفـرنجـة شـهـر الـنّـون، مُـنْـتَـصَـفًـا،
مـن عــام سـبـعـةَ عَـشْــرَ الآن قـد بـطـلا!!»
انجمينا، في ٥/١١/٢٠٠٠م

****

٢٤ - لكرفي

[المتقارب]

أشَـــهْــدٌ مُــصَــفًّــى رقــيــقٌ يــســيــلُ؟
أمِ الـــــدُّرُّ إذ يــشــتــهــيــه الــفــصــيــلُ؟

أمِ الـــرّيـــقُ: ريـــق الّــتــي لــم تــنــوّلْ
مُــحِــبًّــا غــلــيــلاً، فــجُــنَّ الــغــلــيــل؟!

ألا مـــا حـــلا لــيــس هـــذا ولا ذا
ك، بـــل مـــاء وادٍ، جـــرى سلسبيل:

مـــيـــاهُ لآزومَ[1] تجـــري بـــكَـــرْفـــي:
فـتـسـقـي دلـيـبًـا فـــداء الـنّـخـيـلُ،

وتَحْـــبـــوهُ مـــن سُـــكَّـــرٍ ذابَ فـيـهـا،
وممَّــــا حـــبـــاهـــا دعـــــاشٌ بَــــــذُول..

فــشــا نــكــهــةً حُـــلْـــوَةً مــا لــهــا في
ســوى هــذه الأرض - حــصــرًا - مثيل!

رعـــى الـــلـــهُ آزومَ! كـــم مـــن فـنـونٍ
بـشـطـآنـه الخُـــضْـــرِ لـيـسـت تَحُـــول:

شـــذًى - كـالـخـزامَـى - لـطـيـفٌ، وحـسْـنٌ
بـــدا فـــي خــــزامـــيّـــةٍ[2] يـسـتـمـيـل،

(١) آزوم: واد عريض يجري من السودان عابرًا شرق تشاد إلى جنوبها الشرقي؛ كرفي: وتنطق بكاف مفتوحة وراء ساكنة مرققة وفاء مكسورة؛ قرية ذات سوق كبير وإنتاج زراعي وفير ومناظر طبيعية خلابة ومراع ممتدة وهي ملتقى مهم للبدو والحضر تقع على ضفاف آزوم وتتبع إداريًا لإقليم دار سلا وترتبط سكانيًا أيضًا بإقليم سلامات وهي حاضرة قبيلة دقل.

(٢) خزامية: فتاة تنتمي إلى قبيلة خزام وهي قبيلة عربية معروفة في تشاد وفي عدة دول عربية أخرى.

وريفٌ وريفٌ، ونَوْرٌ طريفٌ

ومرعًى عطوفٌ، وصيدٌ يجول،

و«قندولُ عيشٍ»[1] طريٌّ ينادي

إذا ذقته: «لا يُمَلُّ الملِيل»!

ومِنْ تحته قامةٌ في فصوصٍ

لذيذٌ سَدَى لبِّها، تستطيل!

ويغدو الأهالي لجَنْيٍ نهارًا

وعند اللّيالي تُدَقُّ الطُّبول:

تَلِمُّ القُرَى قرب أهل البوادي

فتهتزُّ - قبل الشّباب - الْكهول!

وتُسْقَى لدى البدوِ مشروبَ خِضْبٍ

يصون الحجا، أين منه الكحول؟

بلادي جلالٌ، وسحرٌ حلالٌ

وماءٌ زلالٌ، وطرفٌ كحيل!

هي الرَّمزُ عندي، ومعنى المعاني:

غنًى في سخاءٍ، وفقرٌ نبيل!

وفيها نعيمٌ (ولي منه ريمٌ!)،

وشعبٌ كريمٌ، وحظٌّ بخيل!

وما قد حَوَتْ أرضها - من مهاها

إلى قِرْدِها - في عيوني جميل:

فعشقي قُراها كعشقي الصحارَى:

مقيمٌ، ولا يعتريه الذُّبول،

---

(١) قندول عيش: القندول هو السنبلة والعيش هو الذرة عند أهل في الريف والبادية التشاديين وفي السودان أيضًا.

عــلا عــن أنــانــيَّــةٍ، فَــهْــوَ عــنـدي
لأهـــل الـــقـــرابـــات، طــــــرًّا، مـيـول؛
فـــإنْ يَــعْــلُ «شـــاري» بـقـلـبـي مـكـانًـا،
فـفـي الـقـلـب، أيـضًـا، فــراتٌ ونـيـل!!
لـحـبِّــي بـــلادي سـأسـخـو دوامًـــا
بـجـهـدي وفـكـري ومـا قـد أقــول...
فـمـا الـعـمـرُ إلاّ جـنـاهـا! فـفـيـهـا
تُـرَى كـالـثّـواني، وتُـعـطَـى، الـفـصـول!
وإعــجــاز أبّــتْــشــةَ[1] الْـمـفـتـدي - في
رفـــاقٍ - ثـراهـا أمــامـي دلـيـل...
وبــونــو الّـــذي خـــطَّ بـرنـامـجًـا مـن
نـــقـــاطٍ ثـــمـــانٍ إلـيـهـا نَـــؤُول:
فـنـقـفـو جـــلاءً، ونـرضَـى ابْـتِـلاءً
- ولاءً - إلــى أن يُـتـاحَ الـوُصـول
... وإلاّ فـكـالـبـاقـلانـيِّ نـمـضـي
فـــداءً، فـقـد مـهّـدَ الــــدَّرب جـيـل:
بـكـنـجـي وكـرفـي وأوزو ومـلـفـي
وبـــالا[2]... وصـــفٌّ، تَـوالَـى، طَـوِيـل؛
وإنّـــي - ومـثـلـي جـمـوعٌ تـنـامـتْ -
دعــانــي، فـلـبَّـيْـتُ، ذاك الـرّعـيـل...
ولـــمّـا انْـتـفـضـنـا تـداعـتْ صـروحٌ
بـإفـريـقـيـا، ثُـــمَّ فــــرَّتْ فـلـول!

(١) أبتشة: هو الشهيد إبراهيم أبتشة ١٩٣٨- ١٩٧٨م؛ بونو: هو الطبيب والسياسي التشادي الذي اغتيل في فرنسا عام ١٩٧٣ وكان من قادة الاتحاد الوطني التشادي وذا الأثر الأقوى في صياغة برنامج هذا الحزب بنقاطه الثماني والذي أصبح فيما بعد برنامج فرولينا السياسي كما أصبح الحزب نواتها رغم أن بونو لم يلتحق بها؛ الباقلاني: الزعيم الثوري التشادي الذي توفي في حادث مرور بليبيا في مارس ١٩٧٧م وقد كان من أبرز مؤسسي فرولينا... رحم الله الجميع.

(٢) كنجي وأوزو وملفي وبالا: بلدات في غرب تشاد وشمالها ووسطها وجنوبها على التوالي.

وإنَّـــا عـلـى الـعـهـد، حُـبًّـا وصـدقًـا
مـع الأهــل: هُـوتـو وتُـتْـسـي وزُولُــــو[1]،
ويــزكـو الـتّـآخـي مـع الـشَّـرقِ فـيـنـا:
ذوو الـضّـاد هـم قـومـنـا والـقـبـيـل،
إذا عُــدَّ مَـــنْ يـصـطـفـيـهـم عـمـيـلاً،
فـإنّـي إِذَنْ، دون شــكٍّ، عـمـيـل!
وإيــثــارُهـم لـيـس أمـــرًا مُـحـالاً:
وِدادي فـرنـسـا هُــوَ المـسـتـحـيـل!
أحـاكَـى هـواهـا لـديـنـا أُنـاسٌ؟؟
مـع المـعـتـدي هـل تمـاهَـى قـتـيـل؟؟
وكـم قـد – عَـدَتْ – مـنـذ كـادت فـسـادت –
عـلـى أمـسـنـا الحُـرِّ شـرًّا يـصـول!
فـأشـرارهـا لا يـحـبُّـون فـيـنـا
مُـضِـيًّـا عـلـى مـا اقْـتـضـتْـهُ الـعـقـول!
هُـمُ اسْـتـعـمـرونـا فـعـاثـوا فـسـادًا
كـمـا عـاثَ وسـط الـبـسـاتـين فـيـل!
مـع المـعـتـديـن الـتّـعـاطـي حـرامٌ،
وأمّــا الـتَّـمـاهـي فَــدَاءٌ وبِـيْـل،
مـوالاتـهـم كَـاحـتـضـان الأفـاعـي!
وتمـديـنـهـم شـائـعـاتٌ تـهـول:
فـهـل نـال أجـدادُنـا غـيـرَ حَـزٍّ؟
وهـل أحـسـنـتْ غـيـر ذاك الـنّـصـول؟

(١) هوتو وتتسي: القبيلتان المعروفتان اللتان تقطن أغلبيتاهما في رواندا وبوروندي؛ زولو: القبيلة الكبيرة التي تسكن بالذات في إقليم الناتال وكذلك بعض أقاليم جنوب إفريقيا الأخرى.

وإنّـــي – مــع المـسـتـقـلّـين فـكــرًا –

لمـــاضٍ أُعَـــــرِّي، فـمـا أسْـتـقـيـلُ؛

ولا شـــأن لــي بـالــدُّمَــى حــين قـالـت:

«إذا الحـــالُ حـالـت ومـالـتْ فـميلـوا!»

إن اسْـتـهـدفَـتْـني مـسـوخُ الـنّـصـارَى

فـحـسـبي إلـــهــي، ونِـــعْـــمَ الـوكـيـلُ!

سـتـبـقـى بـــلادي رؤًى فـــي فـــؤادي،

ويَـفْـنَـى الأعـــادي، ويُـجْـلَـى الـدّخـيـلُ!!

انجمينا، في ١٩٩٧/٧/٢٩م

****

٢٥ - إمام (٢)

[الرجز]

الــــدِّيـــنُ لا رأيٌ ولا نُــقُـــولُ

فــي قــريـــةٍ يــؤُمُّـــهـــا جَــهــولُ:

لــكــنَّــه الإبــــعـــادُ والــتَّــجــنِّــي

والإحــتــكــارُ الــفــظُّ والــغُــلُــولُ!

... فالشّيخُ - في الأهواء - دُنْيَوِيٌّ

مستأثرٌ... مستكثرٌ... عَجُولُ...

والمِنْبَرُ المرقاة: لا لأعلَى،

بل للمَهاوي!... والهوى ذَلُولُ؛

فالقريةُ الحيرَى تهابُ مَنْ لا

يأتي سِوَى ما عابه الرَّسولُ!

تبكي ضياع سِيبَوَيْهِ - مهما

أصْغَتْ لخطبةٍ له - فحولُ!

لولا أبو جهلين ليس يُدْرَى

فأرٌ لَدَى المقال وَهْوَ فيلُ!

قالوا: «أصوليٌّ!» فقلت: (كلاَّ!

هذا وصوليٌّ!... فلا يصولُ...

...إلاّ لجمع المال في سعارٍ:

غير «المصاري» ما له أصولُ؛

يُــدْعَــى إلــى حــقٍّ فــلا يُـلـبِّـي
إلاّ ومــال الحــقِّ يـسـتـمـيـلُ!
والـشَّـيـخُ - رغـم بِـطْـنَـةٍ - حـسـودٌ:
صِـلٌّ يـضُـخُّ الـسُّـمَّ وزنَ كـيـلـو!!
مـا فـي أبـي جـهـلٍ زيـادةٌ مِـن
غِـلٍّ عـلـى «صِـلٍّ» ولا فُـضُـولُ،
أمّـا أبـو جـهـلـين - لـو عـرفـتـم -
فـالمـقـتـفـي إبـلـيـس، لا يـحـولُ...
المـدمـنُ الأَيْمـانَ، مُـسـتـحـلاًّ،
إذ أكْـذبُ الأقـوال مـا يـقـولُ...
والمـغـلِـقُ الأفْـواهَ مـنـذ دهـرٍ
مـا لـم يَـبِـيـنُ عـنـدهـا دلـيـلُ...
كـي تـسـتـحـيل الـدّارُ دارَ عُـمْـيٍ،
لـلـعُـورِ فـيـهـا رِفْـعَـةٌ وطـولُ!
فـي كـلِّ أرض الـلـه هـل رأيـتـم
دارًا كـسـاهـا نـورَهـا المـغـولُ؟
... (أم) - ثَـمَّ - مـقـمـوعًا كـقـريـةٍ قـد
أمَّ الْـوَرَى فـيـهـا الـغـداةَ غـولُ؟
يـا حـبّـذا لـو أبـعـدتْـه ريـحٌ
لـلـعـيـش حـيـثُ تُـعْـبَـدُ الْـعُـجـولُ!
... إذ لـم يَـعُـدْ لـه هـنـا نـصـيـرٌ
ممّـن لـهـم، قـبـل الـهـوى، عـقـولُ:

أمّـــا الّـــذيـــنَ اسْـتـنـفـعـوا فَـعِـيـرٌ،
حـتّـى وإن لـم تـظـهـرِ الـــذُّيـــولُ!
مـــا مـــسْـــخُـــهُـــمْ إلا لحـــقّ عـلـمٍ
قـــد ضـــيّـــعـــوهُ عـنـدمـا أُنِـيـلـوا،
رانــــتْ عـلـى شِـــبْـــهِ الـقـلـوب فـيـهـم
أوزار إصــــــرارٍ؛ وقــــد تــــزولُ!
... فـالـتُّـوبـةُ الـنّـصـوحُ نـرتجـيـهـا
مـنـهـم، وإلاّ جُــــرِّدَ الـصّـقـيـلُ!
آمـــنـــتُ بـــالـــهـــادي إلـــى صـــراطٍ
فـــي غـــيـــرِهِ الخُـــسْـــرانُ والـنُّـكـولُ!

انجمينا، في ٢٠/٧/١٩٩٩م

****

٢٦ - حَذْوَ «مَا قَالَتْ حَذَامِ»!

[مجزوء الرمل]

شَلَّ قومًا، في انهزامِ،
ضربُهم تحت الحزامِ:

نبوةُ السّيفِ الهُذامِ:
علَّها ليستْ بذامِ!

غير أنّي، خوفَ ربِّي،
مُستمرٌّ في التزامي!

أحتفي بالشّعب طُرًّا،
لا بعبسٍ أو جُذامِ؛

واتّخذت الحقَّ أرضًا
لي «فما حُمَّ اعتزامي»[١]!

واهمٌ، بل خاسرٌ، مَن
ظنَّها أرضَ الجذامِ!

فاسمعوا منّي - وُقيتم
سُبَّةً تبقى لَزامِ! -

كلَّ ما يرويه شعري
(حَذْوَ «ما قالت حَذَامِ»!)[٢]

انجمينا، في ٢١/١/٢٠٠٣م

****

(١) فما حم اعتزامي: تضمين من أبي الطيب المتنبي:

«فإن أمرض فما مرض اصطباري ... وإن أحمم فما حم اعتزامي.

(٢) ما قالت حذام: تضمين من وسيم بن طارق وقيل ديسم بن طارق وقيل لجيم بن صعب:

«إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام!»

٢٧ - حزيران سِتٍّ وستِّين

[المتقارب]

عيونُ اليَتَامَى...

نُحيباتُ صحوٍ، ولكنَّ عين المداراتِ عن شجوها غافله...

فكان التَّعزِّي لِزاما!!

عيون اليتامى - بحبٍّ تَنامَى -

روت أرضنا، والدَّمُ الحُرُّ من قَبْلُ أيضًا رواها سِجاما

لأجل اخْضرارٍ يحطُّ الرّؤى الْجافله...

بكنجى وفي شطِّ اَزومَ أو حول «جارا» وفي دار تاما[1]!!

عيون اليتامى بِحُبٍّ تَنَامَى لجيل القُدامَى...

رأتهم شموسًا بدت من نيالا[2] وشعّتْ ثلاثين حولاً تماما،

فكم بالبطولات كانت عقود السّنا حافله!

وكم تضحياتٍ لتذليل دربٍ ترامَى...

مدى الطّرف يعلو! وكم خطوةٍ جندلتْ مُستهاما!

على أنّ كيد المنايا ضلالٌ، فليستْ هي الكافله...

نضوبَ الْمُنَى: إنّ ينبوعها في صدور اليتامى...

كما في نُهَى وارثي ثورةٍ لن تضاما

إذا ردّةٌ غازلتهم تَناهَوْا ومرّوا كراما...

---

(١) كنجى: بلدة في غرب تشاد؛ جارا: بلدة في إقليم «قيرا» وسط تشاد؛ دار تاما: منطقة القبيلة المسماة «تاما» الواقعة في الشرق قرب الحدود التشادية السودانية.

(٢) نيالا: مدينة في غرب السودان انعقد فيها مؤتمر ١٩٦٦/٦/٢٢، الذي أسس فرولينا.

وظنّوهُ فرضًا، فليسَ امْتِلاك الهوى عندهم نافله!

شُمُوسُ البطولات ظلّتْ دليلاً هداهم ثلاثين عاما...

وتَبْقَى دليلاً دواما...

لِتُهْدَى لمستقبلٍ أخضرِ اللّونِ آتٍ خُطَى القْافله!

سَتبقى دليلاً برغم السُّكَارَى بغشِّ النَّصارى ومهما تَعَامَى...

موالو فرنسا خصومُ العلا سالكو الوِجْهة السَّافله...

ومَنْ لم يدانوا حزيران ستٍّ وستّين إلاّ نياما...

وأحلامهم في ثيابِ الْعَمَى رافله!

حزيران ستٍّ وستّين أذكَى شموسًا تحدّتْ حدود اللّيالي فداما...

وشَمس السّكارى هِيَ الآفله!!!

انجمينا، ١٩٩٦/٦/١٧م

****

٢٨ - باب محنة

[مجزوء الرجز]

الفاتناتُ فُتْنَهْ،
تكفيه تلك فِتنه!

لو فوتهنَّ أَدْمَى
فالموت لو أَحَطْنَهْ...

بالمغرياتِ حتَّى
لم ينتفعْ بفطنهْ...

ثُمَّ امْتطينَ يومًا
– دونَ البِغالِ – مَتْنَهْ!

مَنْ عاش بعد لحظٍ
كالسَّيْفِ يَمْتَخِطْنَهْ؟

... أو صار للغواني
والغيد غيرَ بدْنَهْ؟

... قد يستفيدُ عيشًا،
لكنْ بِنَوعِ هدنهْ...

سرعانَ ما تَقَضَّى:
فالطَّبْعُ إنْ يكِدْنَهْ!



إنْ كان في «انْبسطنا»[1]

مُستَنْزَفًا بَسَطْنَه...

... للذّبح كالأضاحي،

والجلد حان عَطْنَهْ!

... أو مِنْ بنات «شَقْوَا»

أشْقَيْنَهُ وشُقْنَهْ،

فاعتلَّ، لا بلوحٍ

يُشْفَى ولا بحقنهْ!

... أو كنَّ من «رضينا»

أرضينهُ... فرُضْنَهْ:

حتّى يَبِعْنَ، سرًّا،

للأفعوان حِضْنَهْ!

... أو في جنان «فَرْشَا»

مسترخيًا فرشنه،

فاقتيد «كِنْزَوِيًّا»[2]

مِنْ بعدما احْتوشْنَهْ

سل من ترهَّبوا، ومن

مَنْ صِدْنَ أو ربطنه:

«هل في النّوى دواءٌ؟

أم في النَّوالِ بِطْنَهْ؟»

---

(١) انبسطنا وشقوا ورضينا وفرشا: من أحياء مدينة انجمينا.

(٢) كنزويا: يطلق على العسكري المتقاعد من الخدمة لفظ «كنزا» المنحوت من المقابل الفرنسي لكلمتي خمسة عشر وذلك لحدوث التقاعد غالبًا بعد ١٥ سنة من الخدمة العسكرية.

يـــأتـــي الجــــــــــــواب: (كــلــتـــا

حـــالـــيـــكَ بــــــابُ مِـــحـــنـــهْ،

والأفـــــــضـــــــل الـــتّـــنـــائـــي

مـــا دُمْـــــــــــنَ يـــحـــتـــرجـــنـــه؛

خـــــــلّ الحــــــســـــان خِــــــلًّا!

وَلْـــتَـــنْـــسَ مـــا يُـــبِـــحْـــنَـــهْ!:

لــــلــــكــــهــــربـــاء جـــــــذبٌ،

والمـــــــسُّ صـــعـــقُ شُـــحـــنـــهْ!)

انجمينا في ٢٠٠١/١١/٢٧

(١٢رمضان ١٤٢٢هـ)

****

٢٩ - للسّودان[١]

[الهزج]

حـنـيـنـي الْـيَـومَ نـاداني
- مما قرَّ الـطّـريـدانِ! -
لـمـغْـنـى عـزّة[٢] الـغـالـي
ومـثـوى خـيـر أخـداني!
فـيـا مـسـرَى ابْـتـهـالاتـي
ومـعـراجـي لـغُـمـداني..
ومـنـطـادًا لـروحـي إذْ
أنـا شـادٍ عُـمُـدَّاني..
لـمـاذا صـرتُ مـحـجـوبًا
أُرَى مـن خـلـف أسـدانِ؟
ألـسـتُ الـنِّـضـوَ مـن شـوقٍ
قـنـوع الـغـاي مـبـدان؟
وإنّـي مـنـك فـي يـسـرٍ
إذا نـيـلاك مـدَّاني..
وأغـنـى الـنّـاس عـن «يـنٍّ»
و«دولارٍ» يُـعَـدَّانِ:

(١) (جزء من قصيدة «لمغني عزة» ألقى في أمسية شعرية نظمت ضمن فعاليات القافلة الثقافية السودانية بانجمينا عام ٢٠٠١ في النادي الثقافي الشعبي التشادي)

(٢) عزة: اسم علم مؤنث جعله الشاعر والمغني والمثقف السوداني البارز المرحوم/ خليل فرح رمزًا للسودان فتبعه هنا في ذلك.



ففي «ديمِ القنا»[1] بنكي،

و«بيتِ المال» أفداني،

ولي في «الملتقى» كنزٌ،

وفي «بحريِّ» مزادانِ !

أنا لم أنأَ هِجرانًا:

بَلِ السُّودان أهداني

إلى آلي الأُلى آلَوا

إلى نفيٍ وفِقْدانِ،

وشعبٍ كادحٍ كدحًا،

وأُفْقٍ يستزيداني،

فما أُنْسِيتُ أهدافًا،

ولم أسقطْ بميدانِ..

لأنّ الضّادَ والرّؤيا

بأعماقي يقوداني:

هما إلهام ما آتي،

فكم للصّبر ردّاني!

وإشعاعاتك الأسنى

سَرَتْ من فوقِ عيدانِ..

أعِيها، لا بعينٍ لي

وأُذْنٍ قد تُسَدَّانِ..

ولكنْ بانفعالٍ في

تلافيفي ووجداني!

---

(١) ديم القنا: من أحياء الخرطوم؛ بيت المال: من أحياء أم درمان؛ المزاد: من أحياء الخرطوم بحري؛ والملتقى: هو «المقرن» أي ملتقى النيلين الأبيض والأزرق حيث يكونان نهر النيل وهو أهم المعالم الطبيعية للعاصمة المثلثة (كما يطلق على المدن الثلاثة المذكورة).

وقـولٌ منـك يشجيني،

ويرويه الجديدان:

(أنا السّودان: مجدي والـ

ـهدى عندي أكيدانِ)

ففي إفْريقِيا أسعى

بزيتونٍ وعفدانِ،

وفيها ربَّما أُنْمَى

إلى عُرْبٍ وكلدانِ!

وجلّ العُرْبِ قد أضحوا

– مع القربى – كبعدانِ!)

فيا سودان: دُمْ عذبًا

تعالَى عن إمِدّانِ،

فإنَّ المجد – لو يُعزَى

إلى قومٍ – لسوداني!

ويا سودان: أنت الوجـ

ـهُ إذ للوجه خدّانِ!

ويا سودان: دُمْ جسرًا

إلى الخضراء أدّاني!

فمهما – بعدُ – يعروني

ستبقى أنت نِشْدَانِي

.. ومهما ألقَ من خَلْقٍ

وأخلاقٍ وبُلْدانِ

.. فنادٍ ليس كالنّادي!

ومرعًى لا كسعدانِ[1]!!

انجمينا، في ١٩٩٧/٧/٦م

****

---

(١) التعبير مأخوذ من المثل العربي «مرعى ولا كالسعدان».

٣٠ - ضوضاء!!

[الرمل]

تُدْفَعُ الموجات للآذان – فالضّوضاء فوضى لولبيّه،

دون إيقاعٍ ونسْقٍ – كانْدفاعاتِ الْحُشَيْرات الغبيّه...

في أنوفٍ أو عُيونٍ من زوايا جانبيّه!

سوقُ هرْجٍ مثلَ برجٍ بابليٍّ خاصم المعنى دويَّه،

باخْتِلاطٍ لم يجدْ في العقل حيّه،

فيه رجمٌ بالشّعاراتِ الْوَحِيّه،

ثُمَّ زخّاتٌ نشازٌ ليس في الذُّكران تُحْصَى، وهي ليستْ أنثويّه!

همهماتٌ ضيَّعتْ جنسيّةً أخرى ولم تصبحْ تمامًا يعربيّه!

همهماتٌ هائماتٌ باحثاتٌ عن هُويّه!

همهماتٌ علّهم قد ترجموها عن لغاتٍ أجنبيّه!

(ليت شعري ما دهاهم هيّأوها كالهَوِيّه؟!)

ذلكم إبليسُ يدعو حزبَهُ للنخبويّه!!

عندنا – في هذه الأرض الضَّحيَّه –

عُقدةُ الإفرنج باضَتْ نحو بليونَيْ دُحَيّه...

فُرِّخَتْ كتّاب نظمٍ ... بل نصوصٍ بنيويّه:

استمع حينًا إليها في رويّة...

وَهْيَ تبدو في خيالٍ – لا علومٍ! – صِنْوَ متن الشّاطبيّه...

يظهر الْمبنى ركيكًا، والمعاني الطُّحْلُبيّه...

هرطقاتٍ فوضويّه:

خلطةٌ إنْ يستَمِعْ شيخُ إليها أو صبيّه...

لم تحرّكْ فيه شيئًا!: كيف تُحْيي وَهْيَ لَيْسَتْ، قَطُّ، حيّه؟

ثَمَّ قانونٌ إلهيٌّ كشأن الجاذبيّه:

(لا نفاذٌ عبر أقطار السّماوات العُلَا في مِرْوَحِيّه!)

... ليس غير الشّعر معراجًا إليها ما روى حسٌّ رويّهْ

– مِنْ هوى الحرّيّة الأسمَى، ومن طُهْرِ الطّويّه –

في هوى الأرض المسمّى، كلّ عصرٍ شاعرًا فحلاً نبيّهْ،

في عيونٍ مُشْرَعاتٍ من وراء المشربيّه،

أو شفاهٍ ضارعاتٍ حين يُلْقِيْنَ التّحيّه،

في قضايا مطلبيّه،

في جمالٍ مشتهًى... في عزّة النّفس الأبيّه،

في ظلام الظّلم... في آلام شعبٍ... في احْتدام المصلحيّه،

في جناياتٍ تفشّتْ بالصّفوفِ الثّانويه[1]،

في الرّؤى... في كلّ ما يستوقد الوجدان نارًا معنويّه،

خامة الشّعر الحياةُ اسْتدعتْ الإبداع حفزًا واسْتجاباتٍ سويّه...

لا الشّعارات الّتي تُحْظَى، هنا، بالأولويّه...

للدّواعي التّعبويّه!

(إذ بها صار الطّغاة الهوج معشوقي الجماهير السّبيّه...

وفق دعوى الكائنات المكتبيّه!)

هل صَدَى سبتمبر[2] الدّاوي بنورنبرج رأيُ الأغلبيّه...

---

(١) إشارة إلى انتشار العنف – بما فيه جرائم القتل – في المدارس خاصة الثانوية.

(٢) كان النازيون في ألمانيا يقيمون مهرجانهم السنوي في أول سبتمبر بمدينة «نورنبرج».



أم هم المبثوث من حالات هستيريا قويّه؟
هل قلوب النّاس، في الخرطوم، كانت مايويّه[1]...
أم تراها كذبةُ الثّعْبان في تكريس حيّه...
- فجأة - قدّيسةً أو مهدويّه؟؟
كلُّ ما يجري عيانًا ليس إلا مسرحيّه!:

إن يسمّوها جماهيريةً فالأمر، حقًّا، كسرويّه:
لا ولاةُ الأمر صُلاّحٌ، ولا ألواحهم بالموسويّه!

يا لبؤس القول لو أضحى صكوكًا بالياتٍ من تراث البابويّه...
تمنح الغفران مَنْ ضحّوا - لغاياتٍ غويّه -
بالملايين الضّحايا! يا لبؤس المنفقين العُمْرَ أسرى الدنيويّه!!
انجمينا، في ١٩٩٨/٤/٧م

****

(١) مايوية: نسبة إلى نظام مايو البائد الذي حكم السودان من ١٩٦٩ إلى ١٩٨٥م.

٣١ - يا حُماة العربية[1]

[مجزوء الرمل]

جـــــاءكُـــــمْ كـــــلُّ ضـحـيّـة

ســـائـــلًا - بـعـدَ تحـيّـة -

كَـيْـفَ وَالـعـزمـة حـيّـة

فـي حـمـاة الـعـربـيّـة

كـيـف تُـقْـصَـى كسبيّة؟

أجـــــدرُ المـــؤتمـــراتِ

بـــالـــرُّؤى والـــثَّـــمـــراتِ

عَـــنْـــوَةً مـــنـهـمـراتِ

إذ يـخـوض الـغـمـراتِ،

جـــامـــعًـا لـلـقـدراتِ

مـــن شُـــداةٍ وسُـــراةِ...

كـالْـكُـنـوزِ الـذَّهـبـيّـة

لانـعـتـاق الـعـربـيّـة!

لـم تـصـر - قـطُّ - قـويّـة

وحـــدةٌ دون هُـــوِيَّـــة،

---

(١) نظمت في إطار التعبئة للمؤتمر الجامع حول وضع اللغة العربية في تشاد.

فـــادعـــمــــوهـــا بـــرويَّـــة
لا بـــدعـــوى الأَبَـــوِيَّـــة
فـــي تـــشـــادَ الـــقـــرويَّـــة
والمـــراعـــي الـــبـــدويَّـــة
ابـعـثـوا الـــرَّوح أبـيَّـة:
أصِّـــلـــوا لـلـعـربـيَّـة!

لـــيـــس تُـــغْـــنـــى الـــكـــلـــمـــاتُ
أنـــتـــمُ الـــيـــومَ حُـــمـــاة!
إِنْ عَـــرَتْـــهـــا أزمـــاتُ
هـــدَّدَ الـــكُـــلَّ مَمَـــاتُ..
لا يـــداريـــه صُـــمـــاتُ:
فـــالـــعـــرى مـــتَّـــهـــمـــاتُ!
والـــعـــدوُّ: الـعـصـبـيَّة ...
فـــي سـبـيـل الـعـربـيَّـة!

وحـــــدةُ الـــــدَّارِ مـــهـــمَّـــه،
مَـــنْ تُـــرَى يـــشـــطُـــرُ أمَّـــهْ؟
إن تـــصـــدَّتْ لـــلـــمَّـــه
تُـــنْـــقِـــذِ الْـــوَحـــدةَ أمَّـــة!
وحـــــدةٌ دون مـــــذمَّـــه،
عـــهـــدهـــا أوثـــق ذمَّـــه:
إنَّـهـا - بـعـدُ - صـبـيَّه...
تحـــت عـــين الـعـربـيَّـه!

انجمينا، في ٢٠/١٠/٢٠٠٠م

****

٣٢ - والنصر لنا !

[مجزوء المتدارك]

صُفُّوا المَنكِب   حَذْوَ المَنْكِبْ:

نُحْيِي ذِكْرَى   يَوْمَ الْكُبْكُبْ،

لَنْ نَجْعَلَهَا   دَمْعًا يُسْكَبْ،

لَكِنْ قُدُمًا   يَمْضِي المَوْكِبْ...

يَمْضِي حَتَّى   نَصِلَ الْكَوْكَبْ

مَعْنًى وَسَنَا
وظُهُورَ مُنَى
وَالنَّصْرُ لَنَا!

صَرْعَى كَتَبوا   بِدَمٍ طِرْسَا،

وَشَهادتُهُمْ .   كَانَتْ عُرْسَا..

عِنْدَ المَوْلَى   نِعْمَ المَرْسَى!

فَلَقَدْ فَازُوا   وَجَنَوْا غَرْسَا،

وفرنْسَا مَا   وَعَتْ الدَّرْسَا:

زَرَعَتْ فِتَنَا،
فَجَنَتْ إِحَنَا!
وَالنَّصْرُ لَنَا!



هُـــمْ فــي الــدُّنْـيَــا أيْــضًــا نُــصِـــرُوا:

قُـــتِــــلُـــوا، لـكِـنْ لَـــمْ يَـــنْـــدَثِــرُوا..

نَــبَــتــوا قِــيَــمًــا لــمًّــا بُـــــذِرُوا...

وَالْــــيَــــوْمَ بَــــدَا مِــــنْـــهُــمْ أثَـــــرُ..

فــــي مُـــــؤْتَمَـــــرٍ وَمَــــنِ ائْـــتَــمَــرُوا

كَـــــيْ لا يَـــزِنـــا
صِـــفْـــرًا غَــدُنَـــا!
وَالــنَّــصْـــرُ لَــنَـــا!

عَرَبِيَّتُنا لَــيْــسَــتْ قِــشْـــرَا!

وَهُوِيَّتُنَا مَـــا إنْ تُـــشْـــرَى!

هِـــــــيَ إيمَـــــــانٌ فــهـنَــا اسْــتَـشْـــرَى،

وَسَنَنْشُرُهُ أَبَـــــــدًا نَـــشْـــرَى،

هـــــــذا عَـــهْـــدٌ يَــبْــقَــى بُــشْـــرَى

لَـــنْ تَــخْــذِلَــنَــا:
فَــالْــبَــعْــثُ دَنَـــا!
وَالــنَّــصْـــرُ لَــنَــا!

يـــا مَـــــنْ أنْـــتُـــمْ هِــمَــمٌ شَــمَــخَـــتْ:

هَـــيَّـــا نُـــنْـجِــي بَـــلَـــدًا مُـــسِــخَـــتْ..

– وَثَــقَــافَــتُــهـــا – حَـــيــنَ امْــتُــسِــخَـــتْ



مِـــــــنْ دُنْـــيَـــاهـــا لَــــغَــــةٌ رَسَــــخَــــتْ

– مُــــتَــــجَــــذِّرَةً – دَهْــــــــرًا وَسَــــخَــــتْ

بِــالْــعِــلْــمِ هُــنَــا..

قَــــدْ طَــــابَ جَــنَـى

وَالــنَّــصْــرُ لَــنَــا!!

انجمينا،

٭٭٭٭

٣٣ - أسئلة

مِنْ كُلِّ مَنْ يَنُوء تَحْتَ الصَّلْبِ أَوْ يَمُوتْ...

(فِي قَرْيَةٍ مَصْلُوبَةٍ مُشْتاقَةِ البُيُوتِ...

لِلْمطَمْئِنات مُذ غِيلَتْ) أَنَا أُرِيدْ...

رَدًّا سِوَى السُّكُوتْ...

عَلَى سَؤالٍ بَلِيدْ:

(هَلْ تَقْبَلُون نَفْيَكُمْ كَحُوتْ...

مُلْقًى بِمَهْمَهٍ بِلاَ حُدُودْ...

يَبْكِي الخيال الحرَّ وَالدُّعَاء وَالْقُنوتْ...

يبكي بلا دَمْعٍ ولا تصبّرٍ .. ودونَ قُوتْ؟

... هَلْ تَقْبَلُون صَلْبكُمْ كعبيد...

لَوْ طيِّبَ الصَّليبُ بِالْعُطورِ وَالزُّيُوتْ؟؟)

ما لَدْغَةٌ من أفعوانٍ مَسّ سُمّه رَدًى حَثِيثْ...

كَرضعةٍ إذْ يَجْتَنِي لِبَانَهَا الوَلِيدْ!

وَالْجَمْرُ إنْ تُرِدْ لَهُ الإبْقاءَ كَيْ يَعيثْ

فِي أيِّ تُحْفَةٍ فَسَادًا دونَ أنْ يَبيدْ...

فَلْتَخْلِ جَوْفَهَا مِنْ المياهِ والْجَلِيدْ،

وَامْلأْهُ كَوْمَ رَوثْ:

«أَيْ مِثْلَمَا أضحى يعلّم الطُّغاةُ نَشْأَنَا الْجَدِيدْ!»

أَطْفالُنَا عجينةٌ فِي مَخْبَزٍ خَبِيثْ...

وَالإمَّعَاتُ – قَبْلَهُمْ – مليون كوم دُودْ؛

هَلْ نَتْرُكُ الْعَجِينَ نهبًا للْيَدِ الْحَقُودْ...

تَلْهُو بِصَوْغِها كَمَا شَاءَتْ – فَلاَ بُحُوثْ

فِيمَا تعمّدتْ ولا حَدِيثْ –

لأنّها قد بدَّلَتْ بِكَلْبِها الْعَتِيدْ...

جرويُّها الْوَرِيثْ؟؟

يَا أَلْفَ أَلْفِ بِذْرَةٍ فِي أَبْرَكِ المروجْ!

يا أَنْجمًا تَوَهَّجَتْ فِي حُلْمِنَا الْبَعِيدْ!

يَا مُزْنَةً مَبْذولة العَطَاءِ .. وَالأريجْ!

يَا أَلْفَ أَلْفِ برْعُمٍ يَدْعُونَهُ الشَّهِيدْ!

يَا مَنْ سَقَتْ أَرْوَاحُهمْ شُجَيْرَةَ الْخُلُودْ...

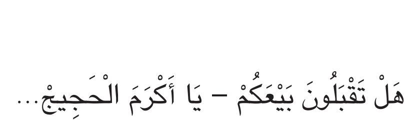
فَأَخْجَلُوا الضَّجِيجْ!:

(قَدْ جَاءَ مِنْ مَدِينَةٍ تَسْتَوْرِدُ الْعَبِيدْ...

قَوْمٌ إلى بلادنَا وَقَدَّمُوا النُّقُودْ...

– يَشْرُونَكم! – فَلَوْ نَعُوجْ...

عَنْ دَرْبِكُمْ وَنَدْفِنُ الْعُهودْ...


هَلْ تَقْبَلُونَ بَيْعَكُمْ – يَا أَكْرَمَ الْحَجِيجْ...

لغير ربّ البيت واهب الحياة صادق الوعود...

– هل تقلبون ذلكم منّا... وفي جمود؟؟)

طرابلس الغرب – في أبريل ١٩٧٥م

****

٣٤ - عيدًا سعيدًا[١]

[الرجز]

حـاشـاكـمـا أنْ تـسـكـتـا أو تـقـعـدا

بـل غـــرَّدا بـالـشّـعـر حـلـوًا واشــهـدا

فـالمـنـتـدى - يـرعـاهُ ربِّـــي - قـد رعـى

حــفــلاً ثـقــافــيًّــا وأولاهُ الـــنَّـــدى!

يــا صـــاحـــبـــيَّ: الـــيـــوم عـــيـــدٌ أمّـــه

- فـي وحـدةٍ - جـمـع إلـى الخـيـر اهـتـدى

أهـــلٌ: ســـــواءٌ مــن جـنـوب الـقـطـر أم

مـن شـاطـئ الـبـطـحـا أتـوا أم مـن فـدا:

جـمـع الـشَّـبـاب الـمُـحْـتَـفِـي لـم يختلف

واسـتـوعـبـوا درسًــا غـدا يـبـنـي الـغـدا:

إنّ الحــــزازات الــتــي تـفــري الحــشــا

فـي الـمُـسـلـمـينَ اسْـتـلـهـمـتْ فـعـل الـمُـدى!

بـلـدانـهـم فـيـهـا الخـــلافُ اسْـتـحـكـمـتْ

حُــمّــاهُ حـتَّـى خـالـف الـصَّـوتَ الـصـدى

فـاسْـتـحـدثـتْ مـنـهـم مـثـالاً جـارحًـا

لـلـمـال والـطَّـاقـات إذْ تُـفـنـى سُـدى!

فــي الــصَّـــومِ قـد أضـحـى لـكـلٍّ يـومُـهِ!

والـعـيـد لـمّـا جـاءهـم مـا وحَّــدا!



---

(١) (أعدت كي تلقى في الأمسية الثقافية التي نظمها المنتدى الإسلامي/ مكتب تشاد بمناسبة عيد الفطر المبارك في ثالث أيامه عام ١٤٢٤هـ).

يـا حـبَّـذا لـو كـان عـيـدًا جـامـعًا

يُـدْنـي لأهـل الـقـبـلـة المـسـتـبـعـدا

.. أو أنّـه كـانـتْ لـه إطـلالـةٌ

عِـيـشـتْ بـوحْـدانـيَّـةٍ كـي يـشـهـدا

.. إذ ذاك قـد يـأتـي إلـيـهـم عـائـدًا

والـقـدس والأقـصـى لـهـم لا لـلـعـدا!

يـا لـيـتـهـم عـادوا إلـى حـكـم الحـجـى

واسـتـبـعـدوا عـنـهـم هـوًى مـسـتـعـبِدا

واسـتـنـتـجـوا أنْ لـيـس مـنْ مـعـنًـى لِمـا

أدمـى سـوى تـعـطـيـل عـقـلٍ جُـمِّـدا

كـم مـن هـلالٍ، يـا تـرى، فـوق الـثّـرى

يـجـري إذا ذاكَ اخْـتـفـى هـذا بـدا

.. كـلٌّ لـقـطـرٍ لا يُـرى فـي غـيـره؟

يـا قـوم! سـبـحـان الـذي مـنـه الـهـدى!

نـرجـوه - بـعـد الحـمـد آلافًـا - لـكـم

عـيـدًا سـعـيـدًا يـا ضـيـوف المـنـتـدى

والـلـه يـهـديـنـا إلـى مـرضـاتـه:

إنّ الـهـدى ذخـرٌ لِمـا بـعـد الـرَّدى!!

انجمينا، في ٣ شوال ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٠٠٣/١١/٢٧م




****

٣٥ - منية الحادي[1]

[الوافر]

صُرُوفُ الدَّهْرِ – فيمَا أَنْشَدَ الْحَادِي –

صنوفُ القَهْرِ قَدْ بَاضَتْ عَلَى شَارِي:

غَزَتْ تَيَّارَهُ الغَادي..

ليبقَى النَّهْرُ في جُوعٍ لِغَيْماتٍ وأمْطارِ؛

إلى أنْ صارَتِ الشُّطْآنُ سَهْلاً جُلُّه عَارِي،

وعَمَّ الغَمُّ في النَّادِي:

فبعضُ القومِ لاهٍ ثمّ بالتَّحْديثِ لَهْوَ الطِّفْلِ بالنَّارِ،

وظّلَّ البعْضُ مَشْلُولِينَ في غَارِ..

حَيَارَى بين مَتْنٍ فاسدِ الْمَعْنَى وتصحيحاتِ إسْنادِ،

وبعضٌ زاغَ جِدًّا رَغْمَ أحزابٍ وأورادِ..

فما يَلْقَى سؤالُ الشّاعِرِ الأعمَى بتَاتًا أيَّ إنكارِ:

«ألاَ مَنْ يَشْتَرِي دِينًا بِدِينارِ؟»..

وعَدَّ الْبَيْعُ في العادِ!

.. إلى أنْ أقبلَ الثُّوَّارُ وانْصَبَّتْ مساعيهِمْ بإصرارِ..

تُقِرُّ الْمَبْدَأَ الْهادِي:

زواجٌ بين عصْريٍّ لَهُ أُسٌّ ومَوْرُوثاتِ أَجْدادِ..

---

(١)(نظمت في مناسبة توديع الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله)

طَلاقٌ مِنْ صِراعِ الحَيْرَةِ الضَّارِي
هُوَ المَنْجَى، فيا مَرْجُوَّةَ الْحُرِّيَّةِ اخْتاري...
أَوِ انْقادِي!

فهبَّتْ كلُّها عَجلَى بعزمٍ غيرِ مُعْتادِ؛
وهبّتْ نَسْمَةٌ حُبْلَى مِن النِّيلَيْنِ وَالْوَادِي..
زَكَا مِنْ خَيْرِها السَّارِي..
دَعَاشٌ ينشرُ الْبُشْرَى، وغيثٌ يغمرُ الصَّادِي..
بفيضٍ مِنْ عَطَاءٍ دُونَ مِيعادِ،
بَرِيكِ الدَّفْقِ مِدْرَارِ،
بِلاَ ضَنٍّ وَتسويفٍ، ولاَ مَنٍّ وتَعْدادِ..
هَمَى مِنْ عَزَّةَ الْخَضْراءَ في حُبٍّ وإيثارِ!

فلمّا اخْضَرَّتِ الشُّطْآنُ بالضَّادِ
حَمَدْنا اللهَ جهرًا بعد إسرارِ،
وأَثنينا عَلَى جُودِ الأخِ الْجارِ!

عَلاَ التَّصْفِيقُ، ثمّ اسْتَأنفَ الْحادِي:

غدتْ مُذْ ذاكَ أسرى عَزَّةَ الخضراءَ أشْعارِي...
ومِنْ عِيدانِ (إِيدِا) لنيِّلِ مِزْمارِي..
وسُكْرِي مِنْ أبي داوُودَ إذْ يشدُو: «أنا الشّادي!»..
ومِنْ نَقْرٍ عَلَى الطَّارِ؛
فعِشقي في الحَشا وارِي،

وبي مِنْ عَزَّةَ الْمَكْتُومُ والبَادِي..
وإيمانٌ بِتَعْقادِ!
وبي حزنٌ عَلَى مَسْرَى فَتَاها الْفَذِّ مِنْ دارِي:
لأَنّا – يشهدُ الْبارِي! –
بضيف الله مشغوفون، لم نشبعْ، وسَرَّاجٍ وعَقَّادِ..
بدا في مُفْرَدٍ مقصودِ وُرَّادِ!..
بعقلٍ يُدْمِنُ التّفكيرَ نَقَّادِ،
وفكرٍ يقرِنُ السَّطْحيّ بالْعارِ..
لأنّ السَّطْحَ خَدَّاعٌ، وفي الْعُمْقِ الغِنَى الْجارِي!

فَيَا غوّاصُ إنْ شَرَّقْتَ مُنْضَمًّا إلى أهْلٍ وأولادِ..
فلا تترُكْ هنا أهلاً بلا زاد!:

أليسَ الشَّمْسُ تأتي الْغربَ مِن شرقٍ لإمدادِ...
بطاقاتٍ وأنوارِ..
على تأبيدِ تَكْرارِ؟
فَدُمْ – يا مثلَها! – الْمِعْطاءَ والفَادِي..
تُحقّق مُنْيَةَ الحادِي!
فحقّقْ مَنْيَةَ الْحادي!

انجمينا ٢٠٠٢/٦/٢٤م

****

٣٦ - خِدنُ المَعَالي

[الرجز]

أهــــلاً بـعـبـدِ الــلــه، فَــهْــوَ زائــرُ
هــلّــتْ لــه، فــي دارِنـــــا، الـبـشـائـرُ

إنَّ ابْــنَ عـبدِ المحـسـنِ[1] الّــذي همَى
إحـسـانُـهُ هـامـتْ بـه الـسَّـرائـرُ..

.. فـالـعـالِـمُ الـتّـركـيُّ غـيـرُ مُـغْـلِـظٍ
قـــولاً، ولا مِـــنْ دونــه ســتـائـرُ!

مـا اسْـتـوحَـشَ الـدُّكـتـورَ مِـنْ معاصرٍ
فـي الخَـلْـقِ إلاّ الـظُّلـمُ والـصَّـغـائـرُ،

عـــلاَّمـــةٌ، فــي صــدرِه عـلـومُـه:
مـا لـيس فـي الـصَّـدرِ الحـفـيظِ طـائـرُ!

مـا إنْ دنـا، والـصَّـحـبُ، مِـنْ مقرِّنا
حـتّـى شـعـرْنـا أنّـهـم مـنـائـرُ!

الـــرِّفـــقُ فـــي أخـــلاقـــه ديـــانـــةٌ،
أمّــا الــهـوى فـي سـوقـه فَـبَـائـرُ!

خِـــدْنُ المـعـالـي؛ زانـــه تَـــوَاضُـــعٌ،
تـهـفـو لــه الأبــصـارُ والـبـصـائـرُ؛

وهـــو الأمـــينُ الحـــقُّ فـي أمـانـةٍ
كـم صـيـتُـهـا فــي الـعـالـمـينَ سـائـرُ!

---

(١) عبد المحسن: هو الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عند زيارته النادي الثقافي الشعبي التشادي بإنجمينا في ٢٢/١/٢٠٠٠م.

مـــا هـــمَّـــهُ إلاّ رضـــــــاءُ ربّـــهِ

إذْ هَـــمُّ مَـــنْ تَـفَـرْنَجـوا الـشَّـطـائِـرُ:

شـــتَّــانَ بـــينَ الـقــابـضـــينَ ديـنَـهـم

جـمـرًا ومَـــنْ مـقـبـوضُـهـم سـجـائـرُ!

يـا مـحـسـنَ الأعـمـالِ: مـرحـبًـا!.. هُـنا

يــدعــو لــك الـحــــــرابُ والحـــرائـــرُ

إزرعْ بِـــسُـــوحِ الجـامـعـات وحـــدةً

.. أنـــت الّـــذي لـلـجـامـعـات ثـائـرُ..

.. وَارْبــطْ – وُقِـيـتَ الـشَّـرَّ – خيرَ أمَّـةٍ

بـــالـــودِّ حـــتّــى تـسـلـــمَ المـصـائـرُ..

.. إذْ ذاك، فـيـنـا، لـن تـقـومَ دولـــةٌ

لـلـبـغـي، مـهـمـا دارتِ الـــدَّوائـــرُ!

وأقْـبَـلْ – أخـا الإســلام – حـبَّ نخـبةٍ

مِـــنْ بـلـدةٍ فـيـهـا الـشُّـعـور ثـائـرُ..

تـرنـو إلـــى مَـــنْ شـاركـوا لـسـانَـهـا

والإرْثَ. نِـعْـمَ الـقـوم والـعـشـائـرُ!

.. ظَـهْـرًا لأهـل الـضَّـاد فِـي انْبِـعَـاثِـهِـم،

لـم تُـثْـنِـهِـمْ، عـن دعـمـهـم، خـسـائـرُ!

دامـــتْ أيـــادي الخـيـرِ مـسـتـمـرّةً،

يُـسـقـى بـهـا جــذرٌ، هـنـاك، غـائـرُ!

انجمينا، ٢٠٠١/١/٢٢م

****

٣٧ - والملتقى يتسع[١]

[مجزوء الرجز]

نَجَاحُكُنَّ بَاهِرُ ... كَكُلِّ مَنْ يُسَاهِرُ

وَمُلْتَقَى يَشِعُّ مِنْ ... هِدَايَةٍ لَزَاهِرُ:

تُجَمْهَرُ الرُّؤَى لَهُ ... فَوَقْعُهُ جُمَاهِرُ،

يَرَى بِأَعْيُنٍ صَفَتْ ... كَأَنَّهَا الْمَجَاهِرُ..

فَهَلْ يَرَى ذوا قِلًى: ... مُضَلَّلٌ وَعَاهِرُ؟

عَلَى خُطَا مُحَمَّدٍ ... يَسِيرُ وَهْوَ طَاهِرُ..

بِمَخْبَرٍ مُمَيَّزٍ، ... وَمِثْلُهُ الظَّواهِرُ؛

كَدَوْرَتَيْنِ فَاتَتَا: ... فَهَذِهِ تُظَاهِرُ!

وَلُطْفُكُنَّ إِنَّهُ ... لَمُحْدَثٌ وَدَاهِرُ!

فَضَيْفُكُنَّ لاَهِجٌ ... بِشُكْرِهِ يُجَاهِرُ

ثَنَاؤُهُ يَفُوحُ مَا ... تَوَهَّجَتْ أَزَاهِرُ..

.. أَوِ انْتَشَتْ، فَأَطْرَبَتْ ... وَأَدْهَشَتْ، مَزَاهِرُ!

فَإِنَّكُنَّ طَاقِمٌ ... لِمَا يَعُوقُ قَاهِرُ،

لَدَى الْمَسِيرِ حَازِمٌ، ... وَفِي الرُّسُوِّ مَاهِرُ،

---

(١) المناسبة: نُظِمَتْ كي تلقيها الفتاة التشادية المشاركة في الدورة الثالثة لملتقى الشارقة العالمي للفتيات المسلمات الذي تعقده أندية الفتيات بالشارقة تحت رعاية رئيستها صاحبة السمو الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي؛ حرم صاحب السمو حاكم الشارقة.

مُــتَــوْأَمٌ مَــعَ الــنَّــدَى، وَذَا لِــذَا مُـصَــاهِــرُ؛

فَــيَــا لَـــهُ لآلِــئــا تَــقُــودُهــا جَــوَاهِــرُ..

.. لِجَــوْهَــرِ الأُمَــورِ لاَ تَــغُــرُّهــا الــمَـظَـاهِــرُ!

لَــكِــنَّ حُــبَّــنَـا - كَـمَـا تَــرَى الْـعُـيُـونُ - ظَـاهِـرُ:

عَـلَـى الـصَّـفَـاءِ قَـدْ نَمَـا، وَلِــلْــوَفــاءِ شَــاهِــرُ!

انجمينا، في ٣٠/٣/٢٠٠٢م

****

Moh1.indd 264 3/14/13 12:13 PM

٣٨ - يا صباح الاخضرار

[مجزوء الرمل]

جـاءَ مِـنْ تِـلْـقـاءِ شَـارِي   صَـوْتُ أَوْلادٍ صِـغـارِ...

رَدَّدُوا لَحْـنًـا شَـجِـيًّا   رَدَّ رِجْـلِـي عَـنْ مَـسَـارِي،

فَـاسْـتَـجـاشَ الْـقَـلْـبَ نَـظْمٌ   مُـسْـتَـقِـيـمٌ لاَ يُــدَارِي..

صَــاغَــهُ الأطْـفــالُ لَمَّــا   قَـلَّـدُوا سَـجْـعَ الْـقَـمَـارِي:

(يَـا صَـبَـاحَ الإخْـضِـرارِ   فِــي زَمــانِ الإنْـكِـسـارِ:

أَنْــتَ نُــورِي! أنْـتَ نَـارِي!   فِـي مَـعَـانِـيكَ انْـصِـهَـارِي!

أنْــتَ طَــوْرًا كَـالْـمَـنَـارِ،   ثُـمَّ طَــوْرًا ذُو الْـفِـقَـارِ..

فِـي يَـدِي يَـوْمَ الْـحِـصَـارِ...   عِنْدَمَا تَسْعَى الـضَّـوَارِي)

رَاعَـنِـي الـقَـوْلُ الْـمُـقَـفَّـى   لُــؤْلُــؤِيًّــا كَــالْـمَـحَــارِ..

جَــاءَ عَـفْـوًا وَارْتِـجَــالاً،   بَـلْ عَـلَـى غَـيْـرِ انْـتِـظَـارِي!

لَـكِـنِ اسْـتَـكْـثَـرْتُ فِـيـهِمْ   فَـهْـمَ مَـا غَـنَّـوْا جُـوَارِي،

عِـنْـدَ ذَا سَــاءَلْـتُ طِـفـلاً:   «مَـا صَـبَـاحُ الإخْـضِـرَارِ؟»

قَـالَ: «صُـبْـحُ الْـفَـاتِـحِ الْمَعْ   ـروفِ، فَـجْـرُ الإنْـتِـصـارِ!»

قُـلْـتُ: «تَـعْـنِـي نَـصْـرَ أَدْ   نَـى دَوْلَــةٍ مِـنَّـا وَدَارِ؟»

قَـالَ: «بَـلْ أَعْـنِـي انْـتِـصـارًا   عَــمَّ فِــي كُـلِّ الـدِّيَــارِ..

فَــهْــوَ فَــتْــحٌ عَــالَـمِــيٌّ   قَـصْـدَ تَـحْـرِيـرِ الْـقَـرَارِ..



لانْـعِـتـاقِ الـنَّـاسِ طُـرًّا   مِـنْ إسَـارِ الإضْـطِـرارِ!»

قُلْتُ: «فَـاضْـرِبْ لِـي مِـثَالاً   مِـنْ فِـعَـالٍ أَوْ شِـعَـارِ!»

قَـالَ: «بَـلْ أُعْـطِيكَ زَوْجًـا   دَافِـعًـا لـلإنْـبِـهَـارِ..

مِـنْ مَـسَـاعِـي فَـاتِـحٍ لَـمْ   يَـأْلُ يَـوْمًـا فِـي الْـبِـدَارِ:

فَـهْـوَ نَـادَى أُمَّـهَـاتِـي: (قَدْ مَضَى عَصْرُ الْجَوَارِي!)

ثُـمَّ كَـالَ الْـعَـوْنَ لِلْـعَـا   نِـي عَـلَـى رَدِّ اعْـتِـبـارِ..

... أحْـصِ كَمْ مُسْتَعْمَرَاتٍ   فُـكَّ عَـنْـهَـا قَـيْـدُ عَـارِ!»

قُـلْـتُ: «فِـي هَـذَا حُـرُوبٌ   وَانْـتِـشَـارٌ لِـلـدَّمَـارِ!»

قَـالَ: «إنَّ الْـحَـرْبَ أَمْـرٌ   عُـدَّ فِـي حُـكْـمِ الـطَّـوَارِي..

لَـمْ تـقـرِّرْهـا شُـعُـوبٌ،   بَلْ قُـوَى خَلْفَ الْبِـحارِ!...

..فَـاتِـحُ الـثَّـوْرَاتِ جَـهْـدٌ   – قَصْدُهُ التَّغْيير – جَارِي،

لـيْـسَ حَـرْبًـا وَاغْـتِـيَـالاً،   بَـلْ حـلُـولٌ بِـالـجِـوارِ...

بـذْرُ فِـكْـرٍ مُـسْـتَـنِـيـرٍ   بُـثَّ فِـي ضَـوْءِ الـنَّـهَـارِ؛

رُبَّـمَـا الـثَّـوْرَاتُ أُفْـقٌ   ثُـمَّ مَـشْـرُوعٌ حَـضَـارِي...

هـيَ إيـمَـانٌ قَـوِيٌّ   صَـدَّ طَـاقَـاتِ الـنُّـضَـارِ،

ذاك – يا عَمِّي – يَقِينِي   فِـي عِـبَـاراتٍ قِـصَـارِ!»

قلـتُ: «مَـا سِـرُّ الّـتـي غَـنْـ   ـنَـيْـتُـمُـوها فِـي ابْـتِـكـارِ؟»

قـالَ: «بِـالـذِّكْـرَى ابْـتَـهَـجْـنَـا   مِـثْـلَ أفْـرَاحِ الـكِـبَـارِ!...:

مِـثْـلَ عـيـدٍ فَـاتِـحِـيٍّ   دَأْبُـنَـا تَـرْكُ الـشِّـجَـارِ..

الـعِـنَـاءُ الـعَـذْبُ يَـغْـ   دُو – كُلَّ عِيدٍ – فِي ازدِهارِ..

الــثَّــلاثِــيــنــيُّ هَــــذّا عِـيـدُ عِــزٍّ وافْـتِـخَــارِ...

قــدْ يَـــرَى إفـريـقـيـا تَـعْـ ـلُـو إلــى أعْـلَـى مَـــدَارِ!»

قلتُ: «فَاسْلَمْ يَا صَغِيرِي مِــنْ سُـقُـوطٍ أوْ عِـثَـارِ...

فــي مـتـاهـاتٍ أصَــابَـتْ صَـانِـعِـيـهـا بِــالـــدُّوارِ،

فـلْـتَـدُم ثَــــوْرِيَّ فِـكْـرٍ، ثَـــــوْرَةً بِـالإخْـتِـيـارِ..

انجمّينا، ١٩٩٩/٩/٧م

****

٣٩ - بَلِ الْخَيْرُ مِنْ سُلْطَانِه[١]

[الطويل]

شَـذًى أمْ شُـعَـاعُ الشَّـرْقِ مَـا شَـاعَ مُنْعِشَا

عَلَى شَـطٍّ شَـارِي فَاشْتَفَى الشَّـطُّ وَانْتَشَـى؟

بـلِ الخـيْـرُ مِـنْ سُـلْـطـانِـهِ فَـاحَ، مُـرْسَـلاً،

سَـرِيْـعَ السُّـرَى مِـنْ مَـشْـرِقٍ لَـيْـسَ أطرشَـا..

يُـلَـبِّـي نِـــدَاءَ الْمُـسْـتَـغـيـثـينَ مُـقْـدِمًـا،

وَهَــلْ يُـحْـجِـمُ الإشْـعـاعُ حَـتَّـى يُـحَـرَّشَـا؟

وأمَّـــا الْـقَــنــاةُ الْـمُــنْــتَـقــاةُ فَـلَـجْـنَـةُ

إغـاثِـيَّـةٌ صَـــارَتْ هِــيَ الـقَـلْـبَ وَالْـحَـشَـا

.. هِـيَ اللَّجْنَةُ المَشْهود فِـي الغَوْثِ غَيْثُها،

إذَا مَـا هَـمَـى عِـنْـدَ الـمَـجَـاعـاتِ أَدْهَـشَـا:

طَـعَــامٌ و «فـيـتـامـيـنُـهُ» مِــنْ بَـشَــاشَـةٍ

بِـهَـا يُـغْـتَـذَى قَـبْـلَ «الـبـروتِـين» وَالـنَّـشَـا!

وآبَـارُهـا فِــي الــرِّيْــفِ أَحْـيَـتْـهُ بَـعْـدَ أنْ

بَــلاَ غُـبْـرَةَ الـصَّـحْـرَاءِ حِـيـنًـا فَـأَوْحَـشَـا!

يَـجِـيءُ الْـجَـــدَا مِـنْـهـا بِــلاَ مَــنٍّ اوْ أذًى،

وَتَـأتِـي هِـبـاتُ الـبـعْـضِ فِـي هَـيْـئَـةِ الـرُّشَـا:

(١) المناسبة: افتتاح مخيم لعلاج العيون في انجمينا ٢٠٠١/١٢/٢٨ ضمن المشاريع الخيرية للجنة الإغاثة لصاحب السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز.



ومَــنْ كـانـتِ الأخــلاقُ فِـيـهِ اسْـتِـعـارَةً
فَـمَـا جـادَ بـالإحْـسـانِ إلاَّ مُـشَـوِّشَـا..

عَـلَـى سُـنَّـةٍ غَـيْـرِ الـتـي لَجـنـةُ الأمِـيـ
ـرِ سُلْطانَ سَنَّتْها .. فَـرَاشَـتْ، وَرَشْـرَشَـا!

هنيئًا لَـهـا بـالـنَّـصْـرِ والأجْــرِ سُـجِّـلا؛
وبِالشُّكْرِ مَكْسُوبًا، وبـالـذِّكْرِ قَـدْ فَـشـا...

وبِــالأصْــدِقــاءِ الآخَــريــنَ الّــذيــنَ هُــمْ
حَـلـيـفٌ لَـهَـا ضِـدَّ الأعـــادِي تَجَـيَّـشَـا:

فَـمِـنْ أرضِ بـاكِـسـتـانَ جَــاءَتْ بِـنُـخْـبَـةٍ
مَـشَـتْ فِـي تَـصَـدٍّ لِـلْـعَـمَـى حيْثما مَـشَـى..

تَــرَى أن تَــرَى الـعَـيْـنـانَ حَـقًّـا وواجِـبًـا
لِـكُـلِّ عَـلَـيْـهَـا: كُـلِّ أعْـمَـى وَأعْـمَـشَـا!

فَـحَـظُّ الـعَـمَـى مِمَّــا هُـمَـا قَــدْ أعَـدَّتـا
زَوَالٌ وشـيـكٌ بَـعْـدَمَـا كـانَ عَـشْـعَـشَـا،

وَمَــا زالـتـا فـي الإنـتِـصـاراتِ ضِــدَّهُ،
وَمَــا زالَ يَـوْمًــا بَـعْـدَ يَــوْمٍ مُـهَـمَّـشَـا:

فــإنَّ الـعِـيـاداتِ الّـتـي قَــدْ تَـعَـدَّدَتْ
غَـدَتْ تمنحُ الْخُـفَّـاشَ عَـيْـنَـيْنِ كَـالـرَّشَـا!

صـنـوفٌ مِـنَ الـتَّـطْـبِـيبِ فـي مُـعْـجِـزَاتِـهـا
عِـلاجٌ لِـمُـعْـتَـلٍّ وأعْـشَــى وَأَخْـفَـشَــا...

عَـنِ الـصَّـدْرِ تنْفي كُـلَّ يَـأْسٍ وظُـلْـمَـةٍ،
وَتَـسْـتَـبْـدِلُ الإبْـصــارَ لِـلْـعَـيِن بـالـعَـشَـا!

.. فَكَمْ مُقْلَةٍ قَدْ أُرْجِعَتْ ضِمْنَ مَحجِرٍ

ومَا إنْ ثَوَتْ حَتَّى اسْتَعَدَّتْ لِتَرْعَشَا..

ومِنْ قَبْلُ كانتْ دُونَ حِسٍّ ولا رُؤًى

فأضْحَتْ تَعِي المَسْموعَ وَعْيًا مُبَرْقَشَا!

وكَمْ مِنْ عجوزٍ تُبْصِرُ النُّورَ -بَعْدَها-

وَبِنْتًا لَها.. كَيْ تَضْحَكَا ثُمَّ تجْهَشَا:

فإنَّ المسَرَّاتِ المُكِرَّاتِ فَجْأَةً

يُعانِينَ مِنْ جهدِ التَّبَارِي تَعَطُّشَا...

فَيَطْلُبْنَ عَيْنًا في عُيُونٍ سَرَرْنَها،

فيُسْقَيْنَ مِمَّا جُدْنَ مَحْضًا وأغبَشَا!

وَكَمْ مِنْ كفيفٍ ضَاعَفَ الضُّرُّ فقرَهُ

تَعَافَى عَلَى أَيْدٍ أَكَبَّتْ فَرَيَّشَا..

.. فأمْسَى - وكنَّا قَبْلَه ثَمَّ - قلبُهُ

يَشِي مِنْ شعورِ الحُبّ فيكُمْ بِمَا وَشَى..

ويَدْعُو لأهْلِ الخَيْرِ مِنْكُمْ بِجَنَّةٍ

أُعِدَّتْ لَهُمْ، طابَتْ رِيَاشًا وَمَفْرشَا،

وَفيها لَهُم مَا لاَ عَيونٌ رأتْ ولاَ

خَيالٌ رَوَى يَوْمًا ولاَ نَحْوَهُ اعْتَشَى!

انجمينا، ٢٨/١٢/٢٠٠١م

****



٤٠ - لسابع مرة؟[١]

[الوافر]

إلــى الـشَّـهَـوات بـعـضُ الـنّـاسِ مـاضٍ
كـمُـفْـتَـرِسٍ سـريـعِ الإنـقـضـاضِ

يـطـاردُ لَـذّةً تَـفْـنَـى وتُـفْـنِـي
وَجِـدَّتُـهـا دوامًـا فـي انْـخِـفـاضِ!

وحـينَ يَمَـلّ صِـنْـفًـا مـا ويـسـعَـى
إلـى عِـوَضٍ يـعـانـي فـي اعْـتـيـاضِ..

يُـضَـيِّـعُ مـالَـه، والـعـمـرُ يـجـري
بـمـثـلِ خُـطـاهُ نـحـوَ الإنْـقـراضِ،

فـيـتـرك هَـذه الـدّنـيـا مـديـنًـا،
مِـنَ الْحَـسَـنـاتِ مـطـويَّ الْـوفـاضِ،

.. ويـذهـبُ حـيـثُ لا تـكـلـيـفَ يمحو
بـه خَـطَـأً، ولا يـسـهـو الْـمُـقَـاضِـي!

ويـنـطـلـقُ المـعـزُّونَ انْـطِـلاقًـا:
فـلـم يَـتَـبَـقَّ غـيـرُ الإنـفـضـاضِ!

تجـنَّـبَ ذلـك الْمَـهْـوَى لـبـيـبٌ
يُـقـارِضُ رَبَّـه أَرْجَـى قِـرَاضِ،

---

(١) (ألقيت صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/١٢م في الحفل الذي أقامته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) بقصر ١٥ يناير افتتاحًا لبرنامج البصر (القافلة السابعة).. وهو برنامج تنظمه اللجنة كل عام بالتنسيق مع مؤسسة البصر الخيرية العالمية تحت إشراف وزارة الصحة العالمية بجمهورية تشاد).





وأدركَ أنَّـــــه ربٌّ غـنــيٌّ
تَـــنَـــزَّه عــن ظـــنــونٍ وافـــتــراضِ
وأنَّ عِـــيـــالَـــهُ فـيـهـم جـيـاعٌ،
وأنَّ بـدايــةَ الـكُـفْـرِ الـتَّـغَـاضِـي
فـــهـــبَّ يـســاعـدُ المحــتـــاجَ بـــرًّا
يُـــنَـــالُ فَـيُـتَّـقَـى شَـــرُّ انْـتِـفَـاضِ!
يُـــقَـــلِّـــدُ لجـنــةً لـلـخـيـرِ خـاضـتْ
إغـاثـتُـهـا الـتّـقَـى حـــقَّ الْخِـيـاضِ.
حَـــبَـــتْ بمـخـيــم إحـــدى وعـشــريـ
ــن مـنـطـقــة فـعـــادت لانـتــهـــاض
بـــأمـــرِ أمـيـرِهـا سـلـطـانَ ظَـلَّـتْ
تــــذودُ عَـــنِ الأيَـــامَـــى وَالْمِـــــرَاضِ
وقـد وصـلـتْ إلـى أَقْـصَـى الْـفَـيَـافِـي
قـوافـلُـهـا بــلا أدنـــى انْـقـبـاضِ!
ومـــــاءُ بــئـارِهـا يُـحْـيِـي رعــاةً
«تـتـبّـر» لـلـمـواشـي فـي الحـيـاضِ
وتـــبـــذلُ لـلـيـتـامَـى فـضـلَ مـــالٍ
فَـتَـكْـفُـلُ بـعـضَـهـم مـنـذُ الْمَـخَـاضِ!
وهـــا هِـــيَ تـفـتـحُ الـيــومَ احـتـفـالاً
يـــبـــشّــرُنـــا بــــآمــــالٍ عِـــــرَاضِ
أعَـــادَتْــهـــا عـيـونًـا مِـــنْ عَـمَـاهـا
إلـى الـلَّـفَـتَـاتِ - تحـلـو! - والـغـمَـاضِ
فَـمِــنْ خــبــراءِ بـاكـسـتـانَ جــاءتْ
بـأنـبـغِـهـم.. ومِـــنْ كُـــلِّ الأَراضـــي



.. لسابع مرَّةٍ مِنْ أجل حربٍ
تُشَنُّ على العمَى وَالإِبْيِضَاضِ،
وبالثَّمَرَاتِ مِنْ هذي المساعي
مؤسِّسُها الأميرُ الشَّهْمُ راضٍ،
مُوَفَّقَةً!.. جزاها الله خيرًا
عَنِ الهِمَمِ المُجِدَّاتِ المَوَاضِي!
لمكتبِها ولِلْقَرْنِيِّ شكرٌ:
فقد تَعِبَا هنا دونَ اعتراضِ!
وبوركَ في عطاءٍ قد تَنَامَى
مِنَ الْحَرَمَيْنِ يَهْمِي والرِّيَاضِ
فتلكَ مرابعُ الخيراتِ مَدَّتْ
أَيَادِيَها بَيَاضًا في بَيَاضِ،
وثَمَّ دماثةٌ تنسابُ منها:
فما عَرِفَتْ شعورَ الإمْتِعاضِ!
نعاهدها بأنَّا سوفَ نُبقِي
على صِفَةِ التَّآخِي والتَّراضِي..
فنحنُ أشعَّةٌ مِنْ شمسِ نجدٍ،
ونحنُ أحِبَّةٌ في عينِ ماضِي!!
انجمينا – في ١٢/٩/٢٠٠٣م

****

٤١ - الضَّادُ تَنْدُبُهْ![1]

[الرجز]

فـــرضٌ عـلـيـكِ، أوجـــبُ الـــفــروضِ،
يــا أعـــينَ الـــرّجـــالِ أنْ تـفـيـضِـي!

... الـــيـــومَ لـــن يـــهــمَّ أنْ تـــوارِي
دمــعًــا هــمــيـتِ، بـل عـلـى الـنّـقـيـضِ:

فـلـيـسـقِ دمــعُــكِ الــغــزيــرُ أرضًــا
لـلـحـزنِ يـــومَ مُـلـكِـه الـعَـضُـوضِ!

مَـــنْ غــيــرُ دامـــعٍ تَـــرَيْـــنَ أَنَّـــى
عـايـنـتِ فــي الـــتّـــلالِ والخُـــفُــوضِ؟

هـــذي الـــوهـــادُ أهـلُـهـا دهــاهــمُ
هـــولٌ هـــوى بـسـهـلِـهـا الأريـــضِ،

فـالـقـومُ - كـالـعـلـومِ - فـي ذهـــولٍ،
لا تـكـتـفـي الـعـيـونُ بـالـبـضـيـضِ!

والـــشِّـــعــرُ طــائــرٌ بــلا حَـــــرَاكٍ،
بـــاكٍ عـلـى جـنـاحِـه الـمَـهـيـضِ:

مـــاتَ الّـــذي حـبـاه لحـــنَ «وارا»!
وارى الـتّـــرابُ مَـعْـلَـمَ الـنّـهـوضِ!

الـعـالِـم الـتّـقــيَّ فـــي تــفــانٍ،
والـسّـمـحَ إنْ قـضـى وإنْ تُـقـوضِـي!

[1] (في رثاء العلامة - المغفور له إن شاء الله تعالى - عباس محمد عبد الواحد) وعباس محمد عبد الواحد شاعر تشادي من رواد المحافظين وله ديوان شعري من الحجم المتوسط عنوانه «الملامح ط.بغداد ١٩٨٣م».



النّاشد الرّقيَّ غيرَ وانٍ،
والفارضَ، المفسّرَ، المَرُوضِي!
بعضُ العلومِ بعدَه بئارٌ
آلتْ - بموتِهِ - إلى مَغيضِ:
فالشّيخُ كانَ واحدًا فريدًا
فيها رَمَى بسهمِهِ الرَّكوضِ،
لم تُعْيِهِ النّجومُ عندَ رصدٍ،
بل أعجزَ النّجومَ في الوميضِ!
قدْ وقَّت الصّلاة فاستبانتْ،
والصّومَ لم يَدَعْهُ للغموضِ..
يرجو رضا الإلهِ في خشوعٍ،
مستغفرًا بهامسٍ خفيضِ!
عبّاسُ! مَنْ تركت للمغازي
والنّحوِ والحديثِ والقريضِ؟
هل قلت للجهالةِ: «اطمئنّي!
فالجوُّ قد خلا لكيْ تبيضِي؟»
أنت الّذي دعوت مَنْ تَآخَوْا
في الضّادِ للسَّداد لا الدّحوضِ...
تبغي لبيرقِ النّبيِّ رفعًا،
والبعضُ يبتغيه في الحضيضِ!
ما جاء عنك - قطُّ - غيرُ برٍّ
- يزهو به الرّوّاةُ - مستفيض..
لم تؤذِ عامدًا، وكيف يؤذي
حَامي ذوي الجراحِ والرّضوضِ؟!

حِـــين انــبــرى الـــكـــرامُ لـلـمـعـالـي
خَـلَّـوْا أذى الأنـــامِ لـلـبَـعـوضِ...
فـالـعـلـم يـغـمـر الـــورى بـنـفـعٍ،
والجـــهـــلُ بـالـتَّـرصّـدِ الـبـغـيـضِ!!
مـــا قـــصـــرتْ يــــداك عـــن عـــطـــاءٍ:
بـالـقـضِّ قـد وصـلـتَ والـقـضـيـضِ!
أثـــريـــتَ مِـــنْ جـــواهـــرِ المـعـانـي
لـكـنْ زَهِـــدْتَ ثَـمَّ فـي الـعُـروضِ؛
أفـشـلـتَ كـيـدَ مَـنْ يـكـيـد، تـعـفـو!
كـم كِـيـدَ لـلـكـريمِ.. ثُـمَّ رُوضِـي!
لـم يـتّـهـمـك بـالـنّـفـاقِ فـعـلٌ
أو تـسـعَ فـي تـزلّـفٍ مـريـضِ...
أوْلـيـتَ سـافـكـي الـدّمـاءِ ظـهـرًا:
فـالـلـهُ جـارُ كـلِّ مـسـتـعـيـضِ!
لـلـنّـفـس قـسـت كـلّـمـا تـشـهَّـتْ:
«لـو قـد أَمِـنْـتِ مَـكْـرَهُ فـخـوضِـي!..»
... بـين الأُلَـى تـلـوّثـوا وبـيـنـي
«لا تـقـربـوا الـنّـسـاءَ فـي المحـيـض!»
لـلـه - وحـده - الـبـقـاءُ!.. إنّـا
سـودًا لـنـا الـغـنـاءُ مـثـلَ بـيـضِ!
والـلـه - لا يـدومُ غـيـره مِـنْ
حـيٍّ - هُـوَ المـلاذُ لـلـمَـرُوضِ،



يـــا ربّ فـــاغـــفـــرَنَّـــه بـفـيـضٍ
يُـغْـنـيـهِ يـــومَ عـــزّةِ الـــقـــروضِ...
واغـفـر لـه الـــذّنـــوبَ! فـيـهِ شَـفِّـعْ
خـيـرَ الـــورى بـجـاهِـه الـعـريـضِ!..
واســـكـــب عـلــى مـحـمـدٍ صـــلاةً
- والآلِ - سـرمـديّـةَ الـفُـيُـوضِ!!
انجمينا ٢٠٠٢/١١/٤م

****

٤٢ - رياح الخير![1]

[الكامل]

ضَحكتْ رياحُ الخيرِ وَهْيَ دوامعُ:
فعيونُها للمُعْصِراتِ منابعُ
وهَبِيبُها لَمَّ الغمامَ وساقَهُ،
فسقى الثَّرى مِنْ عِينةٍ تتدافعُ
فإذا بِهِ في حُلَّةٍ مُتَلألِئًا
وبساطُه المفروشُ أخضرُ فاقعُ
وتزيّنتْ كلُّ السُّهولِ بعشبِها،
وتدفقتْ وديانُها تتقاطعُ
ودنا الفريكُ الحُلْوُ نحوَ هُواتِه،
وبدتْ مِنَ الخيرِ الجديدِ طلائعُ
وتضلَّعَ الأطفالُ مِنْ مَسَرٍ شَوَوْا،
فتسابقوا واستضحكوا وتصارعوا!
سببانِ سرَّاهمْ كما فرِحتْ لنا
بهما قُرًى قد هلّلتْ وشوارعُ -
وهما الخريفانِ اللّذان توافقا
زمنًا!.. إلهي.. إنّ فضلَكَ واسعُ!

---

(١)(ألقيت في الحفل الذي أقامته وزارة العمل الاجتماعي والأسرة بالاشتراك مع لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) في قاعة وزارة الخارجية بانجمينا صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/٥م بمناسبة استلام الأولى من الثانية مساعدات غذائية لتوزيعها على المحتاجين وانطلاق قافلة اللجنة السادسة عشرة).

فـخـريـفُ غـيـثٍ، ثـمّ آخــرُ مـثـلُـهُ

– شبعت بـه الجـوعـى هـنـالـك – راتـع

حـمـلَـتْـهُ أعـتـى الـطّـائـرات هَـدِيّـةً؛

وبـهـا الـغـيـاثُ الـنّـاجـزُ الـمُـتـسـارِعُ!

وتـواصـلَ الخـيـرُ الـعـمـيـمُ مضـاعـفًا،

ومـضـى نـدى سـلـطـانِـهِ يـتـتـابـعُ

.. بـيـدٍ تـوالـى خـادمَ الحَـرَمَـيْنِ في

سُـنَنِ الـكـرام الـغُـرِّ لا تـتـراجـعُ

.. وولـيَّ عـهـدٍ ظـلَّ رمـزَ مـروءةٍ

وَهُـوَ الأمـينُ المخـلـصُ المـتـواضـعُ

.. وبـلـجـنـةٍ مـا لـلإغـاثـةِ فـوقَـهـا

أحـدٌ عـلا: فـالآخـرونَ تـوابـعُ

بـذلـتْ قِـراهـا لـلـورى عـلـنًـا، فقد

بَـشِـمَـتْ عـيـونٌ بـالـقِـرى ومسـامـعُ!

.. وبـأمـرِهـا سـارتْ قـوافـلُ جـمَّـةٌ،

وتـعـدّدتْ لـلـرّاكـعـين جـوامـعُ

وعـلـتْ خـلاوي الـقـارئـين، ووّزِّعَـتْ

كـتـبٌ، ومُـدّتْ بـالمـيـاهِ مـزارعُ،

ومـضـتْ إلـى الـبـيـتِ الحـرامِ جـمـاعـةٌ،

وَمِـنَ الـيـتـامَـى كـم تُـعُـوهِـدَ ضـائـعُ!

وعـطـاؤهـا المـخـفـيُّ لـيـس بـضـائـعٍ:

أتـضـيـعُ عـنـدَ الـكـاتـبـينَ بـضـائـعُ؟

مِـنـحٌ هَـمَـتْ مِــنْ مـحـسـنـيَن نَـحَـتْ بـهـم
جــهــةَ المـســاعــي الـطّـيـبـاتِ نـــوازعُ!
فــوقــاهــمُ الـــــرَّبُّ الــرّحــيــمُ عــذابَــهُ
وحـــســـابَـــهُ يــــومَ الـحـديــدُ مَـقَـامِـعُ
وأحــلَّــهــم دار الـــمُـقــامَـةِ مُـنْـعِـمٌ
مـتـفـضِّـلٌ – يـفـنـى ســـواه! – ورافـــعُ!
.. وهَـــدى الإلـــهُ المسـلـمـينَ بـهَـدْيـهِ
وأعــــادَ فـيـهـم ريـحَـهـم لِـيُـقــارِعُــوا
ولــئــنْ شَـــكَـــوْا يــومًـــا إلــيــه ذَهــابَــهــا
أفـمـا تـنـاسَـوْا نَـهْـيَـهُ وتـنـازعـوا؟
وعـــدوُّهـــم إرهـــابُـــه مـتـصـاعـدٌ،
ونـصـيـبُـهـم – فـي ظـلِّ ذاك – فـظـائـعُ
فـإن اهْـتَـدَوْا واسـتـعـصـمـوا بـكـتـابـهـم
وتـغـيَّـرتْ نـفـسٌ.. تَـغَـيَّـرَ واقـــعُ!!
انجمينا – في ٢٠٠٣/٩/٥م

****

٤٣ - وَيْلُ العَمَى[1]

[الوافر]

حُـلُـولُ الـغَـوْثِ فِـي أيْـدِي الـضِّـعـافِ
هُـطُـولُ الـغَـيْـثِ مِـنْ بَـعْـد الْجَـفَـافِ!

كِـلا الخَـيْـرَيـنِ يُـنْـمِـي حَـيْـثُ يَـرْمِـي،
وَيَـحْـمِـي - حِـينَ يَـهْـمِـي - أَوْ يُـعافِـي!

لَـئِـنْ هُـدَّتْ مَـعَ الأمْـطـارِ بِـئْـرٌ
فَـقَـدْ لا يُـعْـجِـزُ الْـغَـوْثَ الـتَّـلافـي...

وَلَـكِـنْ فـي الـمُـغِـيـثـينَ اخْـتِـلافٌ:
فَـلَـيْـسَ الـكُـلُّ جَـوَّابَ الـفَـيـافِـي،

وأمَّـا الـعَـوْنُ فَـالـمُـعْـطَـى صُـنُـوفٌ:
مُـلَـبٍّ لاحْـتِـيَـاجٍ، أَوْ جُـزَافِـي؛

وبَـعْـضٌ طَـيِّـبٌ حِـسًّـا ومَـعْـنًـى،
وَبَـعْـضٌ شِـيـبَ بِـالـسُّـمِّ الـزُّعـافِ!

عَـلَـى أنَّ الأمِـيـرَ الـشَّـهْـمَ نَـبْـعٌ
لِخَـيْـرٍ دُونَ شَـكٍّ أَوْ خِـلافِ:

فَـعَـبْـرَ الـلَّـجْـنَـةِ انْـثَـالَ انْـثِـيـالاً
بِـغَـوْثٍ... لاَ شِـعـارٍ أوْ هُـتـافِ!



---

(١) المناسبة: ألقيت صباح الجمعة ٢٠٠١/٧/٢٧ بقصر ١٥ يناير في انجمينا خلال حفل افتتاح مخيم لعلاج أمراض العيون نظمته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة بالتعاون مع مؤسسة البصر العالمية ضمن برنامج مكافحة العمى في تشاد، تحت رعاية وزارة الصحة ... وقد أضيفت إلى القصيدة عدة أبيات في نفس اليوم عقب انتهاء الحفل ضُمِّنَتْ هنا.



غِــــذاءٍ أوْ بِــنــاءٍ فِــي نَمَــاءٍ،
وَمَــاءٍ - مِــنْ بِئـارِ العُـمْـقِ - صـافِـي..
وَهَــــذِي الـلَّـجْـنـةُ المِـعْـطـاءُ تـدعُـو
إلــى أَوْلَــــى عِــــلاجٍ كُـــلَّ عَـافِـي،
فَــوَيْـــلٌ لِـلْـعَـمَـى مِمَّـــا أَعَــــدَّتْ
لَـــهُ مِـــنْ قُـــوَّةٍ مِـثْـلِ الْمَـطـافِـي:
أَطِــبَّـــاءُ الـعُـيُــونِ الـعَـالَمِـيُّـو
نَ، أَرْقَــى الـقَـوْمِ أهْــلِ الاِحْـتِـرافِ،
رَعَـــوْا بَـرْنـامِـجَ الإبْـصــارِ! بُـشْـرَى
لِـمَـنْ يَـشْـكُـو! وَرَبُّ الـنَّـاسِ شَـافِـي!
رأيْـــتُ الـنَّـاسَ صَـــوْبَ المـالِ تَـعْـدُو
لجَــمْــعٍ وَاكْــتِــنــازٍ وَاخْــتِــطــافِ
..وعِـــزْرائـــيـــلُ مَـــا بـالَـى بِمــالٍ،
وَلاَ فِـي الـقَـبْـرِ مَـــرْءٌ غَـيْـرُ حَـافِـي:
إذَنْ فـالـــمَــالُ أوْراقُ اخْـتِـبـارٍ
إذا اسْـتَـعْـصَـتْ فَـلاَ وَقْـتٌ إضـافِـي،
وَلَـــكِــنْ بِـيْـنَـمَـا تَـعْـمَـى قُـلُـوبٌ
تَـعِـي أُخْـــرَى مَـــآلَ الإنْجِـــرافِ!
كـأنَّ الـنَّـاسَ - فِـي التَّـصْـنِـيفِ - نَـفْـطٌ
- هُـوَ المِـصْـفـاةُ - مِــنْ بَـرٍّ وَجَـافِـي!
.. وَلِــلإنْـســانِ بـالإحْـســانِ فَــرْزٌ
فَــفَــرْزُ الْخَـــامِ رَهْـــنٌ بِـالْمَـصَـافِـي!

ألاَ يَـــا لَجْــنَـــةً لِــلْـــغَـــوْثِ أَحْــيَـــا
بِـــهَـــا سُــلْــطَـــانُ أَيْـــتَـــامَ الْمَــنَــافِـــي:
بَـقِـيـتُـمْ تَحْــتَ حِـفْـظِ الـلـهِ ذُخْـــرًا،
وَمَـــا انْـفَـكَّـتْ أيَـادِيـكُـمْ تُـوافِـي..
.. ألـوفًـا نَـحْـوَكُـمْ مَـــدَّتْ كُـفُـوفًـا،
وَلاَ تَـرْنُـو إِلَـى غَـيْـرِ الْـكَـفَـافِ!
جَــزَاكُــمْ رَبُّــنَـا الـوَهَّـابُ خَـيْـرًا:
فَـمَـا تَجْــزِي عَــنِ الْخَـيْـرِ الْـقَـوَافِـي!
ألاَ فِـي الـنَّـاسِ كُـونُـوا أَهْـلَ صِــدْقٍ،
فَـــأَمْـــرُ الْـــغَـــشِّ دَوْمًـــا لانْـكِـشَـافِ
وَأَنْــتُــمْ مِــنْ بِـــلادِ الــوَحْــيِ رَهْــطٌ
شَـغَـلْـتُـمْ مَـوْضِـعَ الإِسْـمِ الـمُـضَـافِ
... بِـــلادٌ خَـصَّـهـا فَـضْـلٌ، فَـمَـا فِـي
سِـواهـا مِـنْ وُقُـوفٍ أوْ طَـوافِ
كَـمَـا شَـعَّـتْ هُـدًى يَـدْعُـو فَـشِـعُّـوا
دُعَـــاةً لِـلـتـآخِـي وَالـتَّـصَـافِـي
انجمينا – ٢٠٠١/٧/٢٧م

****

٤٤ - هِيَ العَشْرُ

[المتقارب]

هِـــيَ الـعَـشْـرُ لا غَـيْـرَ: عِـقْـدُ خَــلاَ،
وعِـــقْـــدٌ يُـــزَيِّـــنُ مُـسْـتَـقْـبَـلاَ

وَعَـــقْـــدٌ مَـــعَ الْحَـــقِّ أَنْ يُـقْـتَـفَـى
فَـــأوْفَـــى، وَبِـالــمُـعْـجِـزاتِ انْجَـلَـى!

هِـيَ الـعَشْـرُ، في الـمُنْجَـزاتِ انْقَضَـتْ:
هُـــدًى، أوْ فِـــدًى، أو غَـــدًا مُـعْـجَـلا

.. ونِـفْـطًـا إذَا الـنَّـاصِـرُ اسْـتَـبْـشَـرَتْ
بِـتَـصْـدِيـرِهِ زَغْــــرَدَتْ دُنْـقُـلا

كَـــهَـــذِي تَـــكُـــونُ الـسُّـنُـونَ الّتـي
تُحَـــيَّـــا وتُحْـــيِـــي... وإلاَّ فـلاَ

هِـــيَ الـعَـشْـرُ: أنْـعِـمْ بِـعَـشْـرِيَّـةٍ
حَـمَـتْـهَـا قُـلُـوبٌ غَـلَـتْ مِـرْجَـلا،

شَـــبَـــابٌ تَحَـــــدَّوْا قُـــوًى رَثَّـــةً
وَطُـــغْـــيَـــانَ رَجْـــعِـــيَّـــةٍ مُـخْـجِـلا

.. وَمُـسْـتَـكْـبِـرِيـنَ اعْـتَـدَوْا بَـغْـتَـةً
وَفِـــي خِـــسَّـــةٍ دَمَّـــرُوا مَـعْـمَـلا

.. وَدَبَّــــابَـــــةً لِـــلـــرَّدَى أُحــــدِثَــتْ
بِـــدَبَّـــابِـــنَـــا.. دَبَّ مُـسْـتَـبْـسِـلا
سَـــأَلْــتُ الــثُّــرَيَّـا: «أَلَــمْ يَـطْـبَـعُـوا
خُـطَـاهُـمْ عَـلَـيْـكِ؟» فَـقَـالَـت: «بـلَـى!
..وَلَـــكِـــنَّ أَقْـــدامَـــهُـــمْ تَـعْـتَـلِـي
مَـقَـامًـا لِـتَـرْقَـى إلـى مَـا تَـلاَ»
فَـيُـبْـلُـونَ – كَـالـشَّـمْـعِ – أَجْـسـادَهُـمْ
وَتَـبْـلَـى الـلَّـيـالِـي بِـهِـمْ رُحَّـلا
.. سِـراعًـا إلـى جَـنَّـةٍ – عَـرْضُـهـا
كَـعَـرْضِ الـسَّـمَـاواتِ – بَـعْـدَ الـبِـلَـى
وَهُـــمْ وَحْـــدَوِيُّـــونَ، فِـــي مَـعْـشَـرٍ
تَـوَلَّـوْا نَـبِـيَّ الْـهُـدَى الـمُـرْسَـلاَ

رِفَـــاقُ الـشَّـهِـيـدِ الـزُّبَـيْـرِ انْـتَـقُـوا
لِـيَـهْـمُـوا عَـطَـاءً قَـدِ اسْـتَـرْسَـلا
بِـرَغْـمِ الأُلَـى أَرْجَـفُـوا مَـوْهِـنًـا
مِـنَ الـلَّـيْـلِ وَاسْـتَـعْـمَـلُـوا الْمِـعْـوَلا
يَـقُـولُـونَ: «سُـودَانُـنَـا قَـدْ غَـدَا
رَهِـيـنَ الخُـصُـومَـاتِ أَوْ مُـبْـتَـلَـى
... وفِـي عَـهْـدِنَـا كَـانَ مُـسْـتَـعْـصِـيًـا
عَـلَـى الـنَّـبْـذِ لَـمْ يَـغْـتَـزِلْ مَـحْـفِـلا
أَلَــنْ يَـصْـدُقُـوا، قَـطُّ، فِـي مَـزْعَـمٍ
كَـمَـا بِـالأَكَـاذِيـبِ جَـابُـوا الْـفَـلا

فَـــأَنَّـــى لِـــسُـــودانِ أيَّـــامِـــهِـــمْ
بـــأنْ يُـــدْمِـــنَ الـــسَّـــيْـــرَ نَـــحْـــوَ الـــعُـــلا
وأيْـــنَ الخِـــيـــاراتُ كَـــانَـــتْ... إذَا
بِـــهِـــمْ كَـــانَ بَـــابُ الـــعُـــلَـــى مُـــقْـــفَـــلا
نُـــطـــيـــح بـــحُـــكَّـــامِ عَـــجْـــزٍ لَـــهَـــوْا
إلـــى رُكْـــنِ مَـــا بَـــاحَ وَاسْـــتُـــبْـــدِلا!
فَـــطُـــوبَـــى لَـــهـــا يَـــوْمَ أنْ أرْكَـــبَـــتْ
عَـــلَـــى الـــفَـــوْرِ سُـــلْـــطـــانَـــهُـــم ثَـــيْـــتَـــلا!

وشَـــقَّـــتْ - لِـــئـــلاَّ يُـــبَـــاعَ الحِـــمَـــى -
طَـــرِيـــقَ انْـــبِـــعـــاثٍ لَـــهُ مُـــذْهِـــلاَ..
وشَـــعْـــبٍ وَجِـــيـــشٍ عَـــلَـــى كِـــلْـــمَـــةٍ
سَـــوَاءٍ قَـــدِ اسْـــتَـــلْـــهَـــمَـــا الـــمُـــنْـــزَلاَ:
ومَـــهْـــمَـــا يُـــعِـــدَّاهُ مِـــنْ قُـــوَّةٍ
يُـــعِـــدَّا مَـــعَ الـــدَّانَـــةِ المِـــنْـــجَـــلا..
ورغْـــمَ الـــوَغَـــى لِـــلـــسَّـــلامِ ابْـــتَـــنَـــوْا
مِـــنَ الـــدَّاخِـــلِ الـــصَّـــرْحَ حَـــتَّـــى عَـــلاَ:

وإنْ مَـــنْـــقَـــلاَ وَاخْـــضِـــرارٍ زَهَـــا
.. إلَـــى الـــثَّـــغْـــرِ مُـــسْـــتَـــرْفِـــدًا مَـــنْـــقَـــلا،
ومِـــنْ سَـــنْـــجَـــكٍ رَنَّ طَـــنْـــبُـــورُهُ
.. إلـــى سُـــومِـــي فِـــي رَقْـــصَـــةِ الـــكَـــمْـــبَـــلاَ
شُـــعُـــورٌ - وَجِـــسُّ الـــهَـــوَى وَاحِـــدٌ -
بِـــفَـــجْـــرٍ جَـــدِيْـــدٍ بَـــدَا مُـــقْـــبِـــلاَ:
دمًـــا، ثُـــمَّ دمْـــعًـــا وَنِـــفْـــطًـــا مـــعًـــا -
لِـــيُـــرْسِـــي وِفَـــاقٌ وَحُـــلْـــمٌ غَـــلاَ..



وفـــاقٌ لِـفَـجْـرٍ – فَـرِحْـنـا بِـهِ،
عَـلَـى بُـعْـدِنا – إنْ رَسَـا أُكْـمِـلاَ،
فـلّـمَـا انْـتَـبَـهْـنـا لأنَّــا – وقَـدْ
نَـأَيْـنَـا – اشْـتَـبَـهْـنَـا بِـحِـبٍّ سَـلا..
بَـكَـيْـنَـا كَـمَـا قَـدْ بَـكَـى شَـاعِـرٌ
فِـراقَ الـمَـوَلِّـي مِـنَ الأسْـكِـلاَ!

وأمَّــا فِـرَاقِـي لَـكُـمْ – إخْـوَتِـي!
فَـمَـا عَـنْ نُـفُـورٍ، ولاَ عَـنْ قِـلَـى..
وَلاَ عَـنْ تَـأَسٍّ بِمَـنْ كُـلَّـمَـا
نَـفِـيـرٌ دَعَـا صَـدَّ وَاسْـتَـمْـهَـلاَ..
وَلَـكِـنْ رِبَـاطًـا عـلَـى فُـرْجَـةٍ
وَيَـبْـقَـى ولائِـي لَـكُـمْ أَوَّلاَ!!
انجمينا – ١٩٩٩/٨/٥م

✱✱✱✱

٤٥ - أتيناكم

[الهزج]

أَتَــيْــنَــاكُــمْ... أَتَــيْــنَــاكُــمْ،
فَــحَــيُّــونَــا نُــحَــيِّــيــكُــم

وَلَــوْلاَ الحَــبَّــةُ الــسَّــمْــرَا
ءُ، لَــمْ نَــحْــلُــلْ بِــوادِيــكُــمْ!

أَتَــيْــنَــاكُــمْ نُــرِيــدُ الْــوَصْــلَ
وِفْــقَ الــشَّــرْعِ وَالــسُّــنَّــة

فــرغــمَ الــنَّــأيِ وَالأَنْــوَا
ءِ، وَالأَشْــوَاقِ وَالْــفِــتْــنَــه

عَــلَــى عَــهْــدِ الــهَــوَى الْــعُــذْرِيْ
يِ لَــمْ نَــبْــرَحْ بــلا ظِــنَّــه

لــعــلّ الــعَــهْــدَ يــعــطــيــنَــا
بِــوادِيــكُــمْ غَــدًا جَــنَّــه

فَــحَــيُّــونَــا لِــكَــيْ نَــحْــيَــا
بِــسِــلْــمٍ فــي مَــغَــانــيــكُــمْ!

أتــيــنــاكــم فَــهَــلْ نَــلْــقَــى
سَــلاَمًــا مِــنْ فــتــاةِ الْحَــيْ؟



فَـــــإِنْ حَــيَّـــتْ صَــحِــبْــنَــاهَـــا
بِــهَـا نَــطْــوِي الــصَّـــحَـــارَى طَــيْ
نـــــزفُّ الــــرَّكْــــبَ لا يَــقْــطَــعْ
عُـــــرَى قَــيْـــسٍ وَلَـــيْـــلَـــى شَـــيْ
وَإِنْ تَــسْـــكُـــتْ عَـلِـمْـنَـا مِـــنْ
حَـــيَــــاءٍ ذَاكَ لا مِـــــنْ عَـــيْ
فــحــيُّــونـــا عَـــــنِ الْـحَـــــــوْرَا
ءِ، وَلْـــتَــكْـــثُـــرْ أمَــانِــيــكُـــمْ!
أتــيــنــاكــم وَلَـــــــولاَ الْـحَـــبْـــ
ـــبَـــةُ الـــسَّـــمْـــراء لَـــمْ نَــــأتِ!!

... فـــإِنَّ الحُـــسْـــنَ وَالإِشْـــــرا
قَ، فِـــي الأَزْهَـــــارِ والـــنَّـــبْـــتِ...
... وَكُــــلَّ الخَـــيْـــرِ وَالإِنْمَــــا
ءِ، وَالــبُــشْـــرَى مَــــدَى الْـــوَقْـــتِ،
وَجِــــئْــــنَـــاكُــــمْ بِـــأَوْفَـــانَـــا:
فَــتًّـــى يَــعْــلُــو عَــلَـــى الــنَّــعْــتِ؛
فــحــيّــونـــا يَـــتِـــمُّ الـــسّـــعْـــ
ـــدُ والـــنُّـــعْـــمَـــى تُحَــيِّــيــكُــمْ!

دار كجاسة، في ريف تشاد – ١٩٧٣م

****

٤٦ - لِيَخْلُدَ مَا تُشَيِّدُ!(١)

[الوافر]

بـــقـــاؤُكَ لا يمـــــــدِّدُهُ مُـحـــامـــي:
فـعـمـرُكَ لـلـتّـنـاقـصِ بـانْـتـظـامِ!

وعـــجـــزُك عـــن شـــــراءِ دقـيـقـتـيـنِ
يـسـاوي عـجـزَ طـالـبِ الـــفِ عـــامِ!

وتَـفْـطِـمُـك الحـيـاةُ ولـسـتَ تُـدلِـي
بـــرأيٍ فـــي الــرِّضـــاعِ ولا الـفِـطـامِ..

وإنْ بَـنَـتِ الـيـدانِ قـصـورَ دنـيـا
بـدا فـيـهـا الـقـصـورُ عـن الـتّـمـامِ:

مـتـى اسْـتَـوَتِ الـقـواعـدُ راسـيـاتٍ
سـرى الـسّـوسُ المـؤسّـسُ لانْـثِـلامِ!..

وحـيـث تـنـاطـحُ الـسّـحـبَ المبـانـي
تـــؤولُ الـنّـاطـحـاتُ إلـــى حُـطـامِ:

فـمـا رفـعَ المـقـاولُ غـيـرَ وهـمٍ،
ومـا اصـطـنـع الـبـنـاةُ سـوى رُكـامِ!



(١) المناسبة: أعدت لكي تلقى في حفل للجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) بمناسبة الأحداث الثلاثة المشار إليها ضمن القصيدة.

ففيمَ - إذنْ - تُصِرُّ على سرابٍ؟
وأين الخلدُ؟ خلفَكَ أمْ أمامي؟
يسارعُ بعضُ مَنْ جَهِلوا فضلُّوا
إلى بحرٍ من الشَّهَوات طامي
وآنئذٍ يلوذُ مَنِ اسْتجابوا
لربِّ النِّاسِ بالهممِ العظام!

ليخلُدَ ما تشيِّدُ رُمْ مَقَرًّا
لَهُ دارُ الحقيقةِ والمُقامِ
تأسّ بلجنةٍ بيدٍ أغاثتْ،
وبالأخرى أَرَتْ سُبُلَ السّلام

تُمَهِّدُ للمئات سبيلَ حجٍّ،
وتأتي، في المجاعةِ، بالطَّعامِ
وفي صلةِ الأراملِ واليتامى
- وللخيراتِ - تسبِق أو تسامي
وفي رمضانَ أَطْعَمَتِ الْبَرَايَا
فطورًا بالتُّمُورِ وبِالإدَامِ

إذا اقتتلَ الأحِبَّةُ حَوْلَ بئرٍ
سَقَتْ مِنْ راشدٍ وإلى خُزامِ
بمكّةَ والمدينةِ تُحْفَرَانِ،
وفي البئرينِ مقبرةُ الخِصَامِ!

وهَا هِيَ تبدأُ الفَقَرَاتِ حَفْلًا
بأعمالٍ مقدّمةِ المرامي
فجامعُ فَيْصَلَ العَلَمُ المُعَلَّى
تجلَّى الآنَ في بُسُطِ الكرامِ
ومَنْ فَرَشَ المساجدَ نالَ حظًّا
مِنَ الرّحمنِ فوقَ مُنَى الأَنامِ!

وثمّتَ جامعٌ، فتحوا، جديدٌ
على تقوى تأسّسَ للقيام
دَعَوْهُ تيمّنًا، وبدونِ شركٍ،
أبا ذرٍّ؛ فبوركَ في الأسامي!

وتُفْتَحُ للعلاجِ ثلاثُ دورٍ:
عيادات مكمّلة النِّظامِ
جزى الملكُ المهيمنُ مَنْ بناها
ثوابًا لا يكفُّ عن التَّنامي!

شعورُ قلوبِنا فرحٌ وشكرٌ،
وبعضٌ منه يظهرُ في الكلام
وفي كَلِمي سأنْظِمُه عقودًا؛
فهل تُعْفَى إذا صمتتْ، حُزَامِ؟

فيا مِنَحَ الرضا بتشادَ: زيدي،
ويا أيّامَها القَلِقَاتِ: نامي!

أكِـــنَّ لجـابـري الـعَـثَـراتِ حـبًّـا،

وسـلـطـان الأمـيـرِ لَـهُ احْـتِـرامـي

ويــا قــرنــيُّ دُمْ سَــنَــدًا لـبـالـي

رســولِ الــبِــرِّ مِــنْ أرضِ الإمــام

مُــنَــفِّــذِ أمــرِ مَــنْ هـطـلـت يــداه،

وأَنَّــى ســارَ قــوبــلَ بــاهْـتـمـامِ!

أُذَكِّــرُكَ اسْــمَ مُــؤْتَمَــرٍ نَــنَــادِي

إلــى ثــانــيــهِ عُــطِّــلَ بِـالـلـجـامِ

وأشــكــرُكــم كـمـا فـعـلـتْ ألــوفٌ،

بَـقِـيـتُـمْ مـفـلـحـينَ عـلـى الــدّوامِ!!

انجمينا، في ٢٦/٤/٢٠٠٢م

****

٤٧ - خيوط الجريمة!؟[١]

[الطويل]

تَــلاَقَــتْ عَـلَـى غَــدْرٍ بِمَـعْـنًـى وقـيـمـهْ،
قــلــوبٌ كــأحــجــارٍ وأيــــدٍ أثــيــمــهْ:
وطــاويــطُ لـيـلٍ خَـطَّـطَـتْ ثُـمَّ نَـفَّـذَتْ،
وَلِـلَّــيْــلِ آفــــاتٌ، هــنــا، مــسـتـديمَـه!
جَـنَـتْ مـا جَـنَـتْ، مـثـلَ الأفـاعِـي، فَـبَـيَّـنَـتْ
مـتـى يـصـبـحُ الإنـسـانُ دونَ الـبـهـيـمـه!
بــلا أيّ ذنــبٍ أَطْـلَـقَـتْـهـا رصـاصـةً
- على الـرأسِ، تعني القتلَ عمدًا - يتيمَه!
وســاعٍ إلــى بـعـضِ الـزَّوايَـا يـزورُهـا،
صـلاحًـا ونــورًا[٢]، قـد أعـاقـتْ قُـدُومَـه؛
فـلـمّـا هَــوَى مـسـتـشـهـدًا مــاتَ مـحـسـنٌ
كـــريمٌ أخـــو ذكـــرٍ لَـــهُ الْـــبِـــرُّ شِـيـمَـه
.. يـرى نـفـسَـهُ الْمَـعْـنِـيَّ بالفعلِ إنْ رأى
«نــداءً لأصـحـابِ الـقـلـوبِ الـرحـيـمَـه[٣]!»
وأنَّـــى لــه الـتَّـسـويـفُ والـخـيـرُ وافــرٌ
وإيــثــارُهُ الْـيُـسْـرَى وطـيـبُ الأَرُومَــــه؟
فـمـا اغـتـالَ مَـنْ أرْدَوهُ نـفـسًـا بـريـئـةً
فـقـطْ: إنَّـمـا اغـتـالـوا فُـيُـوضًـا ودِيمَــه!

---

(١) (في ليلة الجمعة ٢٦/٩/٢٠٠٣م جرى بانجمينا اغتيال رجل الأعمال والبر والإحسان السوداني الشيخ ابن عمر إدريس يوسف، رحمه الله).

(٢) إشارة إلى زاوية الشيخ/ صالح النور التي كان الفقيد متوجهًا إليها حينما تم اغتياله.

(٣) إشارة إلى باب في بعض الصحف يخصص لطلب المساعدة لذوي الحاجات.

وإبليسُ غشَّاشٌ[1]، نَعَمْ، لكِنِ الْوَرَى
عقولٌ؛ أيرضى العقلُ ألاَّ نَلُومَه؟
تَنَاءَى زمانٌ طالما صبَّ لَوْمُهُ
عَلَى صوتِ غِرْبانٍ وإبصارِ بُومَه!
وما العمرُ إلاَّ مَرَّةٌ عاشها فتًى
إلى اللهِ يمضِي مؤمنًا ذا عزيمَه
.. ومِنْ بَعْدُ يَلْقَى خصمَهُ دونَ عصْبَةٍ:
قريبًا، أمامَ اللهِ، فصلُ الْخُصُومَه!
.. على أنَّ للأحياءِ حقًّا يصونهم
قصاصًا وتأمينًا، فأين الحكومَه؟
أليستْ عَنِ المشروعِ[2] مسؤولةً هنا
ومَنْ هَمُّهُ المشروع حتَّى يقيمَه؟
وشعبٍ يعيشُ العمرَ صيدًا مطارَدًا:
أمَا آن أن يُلْفَى فَيُكْفَى هُمُومَه؟
ومَنْ، ثَمَّ، قد يكفيهِ إلاَّ حكومةٌ
عساها - بِجَدْوَاهَا - تفوقُ التَّمِيمَه!
ولا خيرَ فيها دونَ عطفِ الأمُومة!
وغطَّتْ - على عِلْمٍ - خيوطَ الجريمه
.. أوِ اسْتَهْتَرَتْ بالأمر، أو فيه ماطَلَتْ
كَصُنْعِ الْمُداري طفلَهُ كي يُنْيمَه:
فلا نومَ فينا بعدما عيل صبرُنا
ولا في مآلاتٍ، تراءتْ وخيمه

(١) «غشني إبليس» هو اعتذار كثيرا ما يردده مرتكبو الخطايا.

(٢) إشارة إلى مشروع مصفاة انجمينا الصغرى التي تعمل في إتمامها شركة الفقيد.

وليست دروبُ الحكمِ إلاّ لعينةً

تلوَّتْ وأخرى، تُحْتَذَى، مستقيمه!

إنِ الْحُكْمُ - حقَّ الحكمِ - إلاّ لربّنا،

ونعماؤه ظلَّتْ علينا عميمه،

سألناه رضوانًا يغطّي فقيدَنا،

ومسكًا - على قُرْبَى - يروّي كُلُومَه،

ويا أهلَ قطرينِ اسْتَعَانوا بدمعِهم

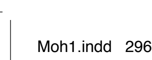
وصبرٍ على إحدى الرّزايا الأليمه:

كما وحَّد الحزنُ الشقيقينِ وحِّدوا

مصيرًا.. مضى عهدُ الْحُدُودِ القديمه!

انجمينا - في ٢٠٠٣/٩/٣٠م

****





٤٨ - رنيـن

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
يرنُّ، يرنُّ كمطرقةٍ؛ ويرنُّ، يصلصلُ ليس يَكِلُّ!
يرنُّ كما تتصايحُ جِنُّ:
دوائرَ مِنْ صخبٍ وصداهُ: يَطِنُّ فتكبرُ حينَ يطنُّ..
وتتّسعُ الْحَلَقَاتُ: يظلُّ يُجاوِبُهَا وتَظَلُّ؛
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
يرنُّ بجعبةِ مَمْتَحِنٍ ويَصِلُّ،
يرنُّ وبِالصَّدَمَاتِ يَشُدُّ
عَلَى الْقَلِقِينَ تَوَتُّرَهُمْ: فيثورُ فَتًى ويخرُّ مُسِنُّ،
وبينَ مكالمتينِ يُضَيِّعُ حَلُّ..
فيرسبُ ذو كسلٍ ومُجِدُّ!!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
ونجلسُ مجتمعينَ مَعًا فيرنُّ،
يرنُّ بصلصلةٍ متسلسلةٍ فنكادُ نُجَنُّ؛
يرنُّ، فَتُرْبَكُ جَلْسَتُنَا ونُشَلُّ:
فنحن – بفعلِ حراكِ ذَوِيهِ – أَقَلُّ،
يقومُ مَنِ الْتَصَقَتْ أُذْنَاهُ بهاتِفِهِ ويَنِدُّ..
تُلَوِّحُ منه يَدَانِ وتضحكُ سِنُّ؛



فَنَرْجَعُ دونَ نِصابِ لوائِحِنا ونُرَدُّ..
نلوكُ دقائِقَنا، نترقبُ مَنِ جلسوا ونُعِدُّ
لكيْ نتعهّدَ جلسَتَنا، فإذا بجهازِ سواهُ يرنُّ!
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..
كما يَتَنَحْنَحُ فوقَ يدٍ تتراعشُ غُلُّ!
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..
نقيقَ ضفادعَ: تتعبُ واحدةٌ فتصنُّ
فتنطلقُ الْعَشَراتُ كأنَّ تَعَاقُبَهُنَّ قَضَاهُ سِجِلُّ
وصولتَهُنَّ على الْمُتَسَمِّع حَدُّ!!
وتذهبُ جلستُنا بددًا وتضلُّ
يُراوِحُ موعدُها – لِتُعاوِدَ – بينَ «أُوَكِّدُها» و«أَظُنُّ»!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
كأنَّ مِنَ الزّملاءِ هنالكَ مَنْ هُوَ ضِدُّ:
جيوبُ ملابسِهم تتحوّلُ أغمدةً، وتكنُّ
سيوفَ دِمَقْلِسَ إذْ يتنازلُ عدُّ..
ثَوَانِيَ؛ ثمّ تصلُّ؛
هواتفُهم تتبادلُ دَوْرَ مقتّلِنا، وتظلّ تصلُّ؛
تقسِّطُ مهلِكَ سائرِنا بِتَلاحُقِها، ولذلكَ فنُّ
– بمصلحةِ العقلاءِ يخلُّ! –
عليهِ بأرضٍ تَشَادَ بَنو مَدَرٍ نَشَأُوا ومَعَدُّ:
ففي الْوَطَنِ العَرَبِيِّ نُعَدُّ،
وللأزماتِ هُناكَ صَبَاحَ مَسَاءَ محلُّ!!



يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!

يرنُّ يفاجئ مُحْتَضَرًا، فيئنُّ؛

يرنُّ خلالَ جراحتِهِ ويزنُّ،

يرنُّ مُدًى تتخلّلُ غفوتَهُ وتقدُّ،

تهزُّ سَكِينةَ ما حقنوهُ فخدّرَهُ وتهدُّ:

كأنّ جهنّمَ ثَمَّ تُطِلّ..

لها صخبٌ يتجلَّلُها، ومِنَ الدَّرَكاتِ يُشَنُّ؛

فأينَ نجاةُ مَنِ اخْتَرَقَتْهُ مباضعُ؟ كيف يقيهِ مصَدُّ

وما صَخِبَ الْعَمَلِيَّةَ سدُّ؟؟

وليسَ مِنَ الصّخبِ الْمُتَمَوْسِقِ ثَمَّتَ ظِلُّ:

فها هُوَ هاتفُ بعضِ مَنِ اصْطَحَبُوه يرنُّ!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..

كما شَحَذَ الشَّفراتِ مِسَنُّ؛

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ ..

يرنُّ كما تتصايحُ جِنُّ؛

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ !!

(انجمينا ٢٠٠٢/٧/٩م)

****

٤٩ - يَاسينُ فيهمْ؛[1]

[المنسرح]

سِيقوا إلى حيثُ البِشْرُ والفرحُ،
واهًا لهمْ! إنَّ القَوْمَ قد ربحوا!

عند الّذي ما ضاعتْ ودائعُهُ،
قد زايلوا عهد الموت واطّرحوا!

واللهِ أحياءٌ عنده أبدًا:
يكسوهمُ الاطمئنان والفَلَحُ!

أُوتوا طيورًا خُضْرًا حواصلُها
مأوًى لأرواحٍ كم بها سَمَحوا!

ياسينُ فيهم - إنْ شاءَ خالقُنا -
شيخٌ شهيدٌ، والصّدرُ منشرحُ!

أرضَى ويُرضَى: فالشّيخُ أحمدُ لم
يطمحْ إلى دنيا شأنَ مَنْ طَمَحوا..

بل كان أستاذَ الباذلينَ دمًا،
للحقِّ ما أعطَوْا ثُمَّ ما سفحوا!

يمضي إليك، اللهمَّ، في ثقةٍ؛
أنت الّذي منك المَنُّ والمِنَحُ..

يَمضي وقد أدَّى فيك واجبَه:
ربّي الأُلَى حينَ البأسِ ما بَرِحوا،

---

(١) (في رثاء الشيخ المجاهد/ أحمد إسماعيل ياسين مؤسس حركة «حماس»)

غـايـاتـهـم إحـــدى الـحــسـنَـيَـيْنِ فـقـطْ

إذْ تـنـجـلـي رؤيـــاهـــم وتــتّـضِــحُ!

فـــاضـــوا حــمـــاسًــا لــلـدّيـن كلّـفـهـم

ريًّــــــا لأرضٍ كـــــلٌّ بـــه فَـــــــرِحُ!

إنْ تـكـفِ أقـــداحٌ فـالـقـلـوبُ كَـفَـتْ،

والـقـدسُ فـي الـقَـلْـبِ الـقُـدْسُ أو رَفَـحُ!

تَـسـقـى «حـمـاسُ» الأرضَ الـدّمـاءَ، فلا

مـلّـتْ «حـمـاسُ» الـسّـقـيـا ولا الـقـدحُ!

أمّـــــا وقـــد زفّـــتْ روحَ قـائـدهـا

لـلـخـلـدِ فــالـثّـأر الآن مـقـتـرحُ:

ردًّا عـلـى اسـتـفـسـارِ المُـسَـائـل: «هـل

خـافـوا مـن المـحـتـلّـين أم صـفـحـوا؟»

وَالْـعُـمْـيُ – لا فـي الإبـصـارِ – أسكرهـم

– لمّـا رمـوا شـيـخًـا مُـقْـعَـدًا – مَــرَحُ!

فـــي سـبـعـةٍ مـــن أحـبـابـه نُـثِـروا

غـــدرًا، عـلـى بـاب المـسـجـد انـطـرحـوا

فــجـرًا وقـــد نـالـوا بـالـصّـلاة رضًـا

مـن ربّــهــم! مـا بـعـد الـرّضـا تَــرَحُ!

راحــــوا ضـحـايـا عـــدوان طـائــرةٍ

مـن صـنـع أمـريـكـا، قـد رمـت فَـمُـحُـوا!

صـــيـــدوا كــــآلافٍ لا ســــلاحَ لـهـم

مـن قـبـلـهـم غِـيـلـوا ثَــمَّ أو جُـرِحـوا!

مـــا هـــذه أخــــلاقَ الحـــــروبِ ولا

آيــــاتِ سـلـمٍ يـا مَــنْ لـهـا جـنـحـوا!

«هــل دولـــــةٌ أم هــل دولــتـــانِ هنا

نـبـنـي غـــــدًا؟» والـــبـــازار مـنـفـتـح!

أقـوالــهــم – لـــولا أنّـهــا طَــرَقَــتْ

مـوضـوع جـدٍّ – قـلـنـا: «هِــيَ الـمُـلَـحُ!»

أســـرى الـــعـــروشِ الـوهـمـيِّ أكـثـرُهـا

لــن يــدركــوا أبــعــادَ الّـــذي شــرحــوا!

حُـكَّـامُ ضـعـفٍ – يـا شـيـخُ، ضِـقْـتَ بـهـم –

بـالـحـرب ضـاقـوا، لـلـصُّـلـحِ مـا صَـلَـحُـوا!

لا نـــقـــصَ فـــيـــهـــم إلاّ إرادتـــهـــم

– يـا شـيـخُ – شُـلَّـتْ فـالأمـر مـفـتـضَـحُ

مـا كـنـتَ مـشـلـولاً، بـل هُـمُ انـحـصـرتْ

آفـاقُـهـم حـتّـى أنّـهـم كَـسِـحـوا!

ثَـبَّـتَّ وارتـاعـوا، فـزتَ وانـتـكـسـوا،

والـيـوم سـابـقـتَ الـضّـوءَ وانـبـطـحـوا

تـفـدى فـلـسـطـين الـلاّجـئـين، وهـم

يـفـدون وهـمًـا؛ مـعـبـودهـم شَـبَـحُ!

والمـسـجـدُ الأقـصـى لا يـحـرِّرهُ

إلا امـتـثـالٌ لـلـحـقِّ إذْ يَـضِـحُ

مـثـلَ الّـذي نـرجـو – دون تـزكـيـةٍ –

أنْ قـد بَـلاَ شـيـخٌ سِـرْبُـهُ رُجُـحُ!

يـا ربِّ فَـامْـنُـنْ واقْـبَـلْ شَـهَـادَتَـهُ،

وانْـصُـر جـهـادًا قـد عـاشَ يَـجْـتَـرِحُ!

انجمينا – في ٢٤/٣/٢٠٠٤م

****

٥٠ - كشف المطمورة عن أبياتٍ مغمورة في نجوى نور المعمورة

الْبَادِئُ بِاسْمِكَ مُؤْتَجِرُ[١]
وَبِحَمْدِكَ يَلْهَجُ مَنْ ذَكَرُوا؛

مِنْ ذَيْنِكَ[٢] يَصْحَبُنِي شِوَرُ[٣]
فَعَسَى يَأتِي مِنْكَ الْفَجْرُ[٤]

وَعَلَى الْمَذْكُورِ بِهِ مُضَرُ
صَلَوَاتُك مُزْنٌ تُعْتَصَرُ[٥]!

بِوُجُودِكَ تَعْتَرِفُ الفِطَرُ:
فَلِلُطْفِكَ فَيْضٌ مُنْتَشِرُ!

وَتُسَبِّحُ بِاسْمِكَ - طَائِعَةً -
أُمَمٌ لاَ يَعْرُوهَا[٦] ضَجَرُ:

طَيْرٌ، وَبَهَائِمُ هَائِمَةٌ،
وَجَمَادٌ أَخْرَسُ، أَوْ شَجَرُ؛

وَكَوَاكِبُ تَسْبَحُ فِي فَلَكٍ،
وَمَعَادِنُ تَفْتَأُ[٧] تُحْتَفَرُ

---

(١) مؤتجر: يطلب الأجر من الله تعالى.
(٢) ذينك: مثنّى ذاك.
(٣) شِوَر: متاع البيت.
(٤) الفَجَر: الجود، العطاء، كثرة المال.
(٥) مزن: سحب؛ تعتصر: تمطر، وهي المعصرات.
(٦) يعروها: يعتريها، يصيبها.
(٧) تفتأ: تظلّل.

وَدَقَائِقُ[١] لَيْسَ نُشَاهِدُهَا
بَيْنَا هِيَ فِينَا قَدْ تَكِرُ[٢]
.. كُلٌّ – إلاَّ الثَّقَلَيْنِ[٣]! – سَعَوْا
فِي الطَّاعَةِ، تَعْصِمُهُمْ أُسُرُ[٤]!
أَمَّا الثَّقَلانِ فَمَا رَغِبَتْ
نَفْسٌ: يَسِرَتْ[٥] أَوْ تَتَّزِرُ؛
فَهُمَا فِي دَارِ بَلاَءٍ، إنْ
مَحَضُوكَ[٦] عِبَادَتَهُمْ أُجِرُوا،
وَمَصِيرُ الأَشْقَى هَاوِيَةٌ،
حَيْثُ المُلْقَى مَعَهُمْ صَخَرُ:
يَبْقُونَ وَقُودًا لاَ يَفْنَى،
وَتُحَرِّقُهُمْ – أَبَدًا – سُعُرُ؛
لاَ مَوْتَ يُرِيحُ ولاَ مَنْجَى،
وَلَظَى تَشْوِي.. بَلْ تَهْتَبِرُ[٧]..
.. لِيَعُودَ الجِلْدُ يُغَذِّيهَا:
مَا يَنْبُتُ فَوْرًا يَنْصَهِرُ!
فَمَعَاذِي ثُمَّ مَلاَذِي لُطْفُ
ـكَ يَا رَبِّي، فَهُوَ الْعَصَرُ[٨]!



(١) دقائق: كائنات دقيقة.
(٢) تَكِرُ: تسكن، تتخذ وكرًا.
(٣) الثقلين: الإنس والجن.
(٤) أسر: قيود.
(٥) يَسِرَتْ: يُسِّرَتْ لليسؤى، تتّزر: ترتكب إثمًا وتكسب وزرًا.
(٦) محضوك: أخلصوا لك.
(٧) تهتبر: تقطّع.
(٨) العصر: الملجأ.

وَلَئِنْ أَعْدَدْتَ عَذَابَ لَظَى

فَلِوَازِرَةٍ، وَبِمَا تَزِرُ؛

كَمْ مِنْ قَرْنٍ عَجَّلْتَ لَهُمْ

لَوْ رَاعُوا الْقَصْدَ لِمَا ثُبِرُوا[1]

.. لَجُّوا فِي طُغْيَانٍ حَتَّى

عَنْ عَفْوِكَ أَقْصَاهُمْ زَوَرُ[2]!

فَبِعَدْلِكَ - رَبِّي - هُمْ هَلَكُوا،

وَمَضَوْا، لَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَثَرُ

فَبَوَائِقُهُمْ[3] وَطَرَائِقُهُمْ

صَرَعَتْهُمْ عَائِدَ[4] مَا فَجَرُوا

وَظَلامُ الشَّكِّ تَقَدَّمَهُمْ

فَلَئِنْ وَرَدُوا فَكَمَا صَدَرُوا!

لَكِنَّ الرَّحْمَةَ قَدْ سَبَقَتْ

- بِالفَضْلِ - عَذَابًا يَسْتَعِرُ

فَلَكَ اللَّهُمَّ الْحَمْدُ عَلَى

هَذَا وَلَنَا الفَرْحُ الأَمِرُ[5]

فَبِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ

فَبِذَلِكَ يَفْرَحُ مُدَّكِرُ!

أَبْدَعْتَ الكَوْنَ بِكَلْمَةِ «كُنْ!»،

وَتُقَدِّرُ فِيهِ وَتَقْتَدِرُ

---

(١) ثبروا: أهلكوا.

(٢) زور: ميل وانحراف.

(٣) بوائقهم: آثامهم والمهلكة.

(٤) عائد: جزاء.

(٥) الأمر: الكثير.

وَمَــــــلأتَ الــصَّـــنْــعَــةَ آيَـــاتٍ

تَـــهْـــدِي الــثَّـــقَـــلَـــيْنِ إذا بَـــصُـــرُوا

فَـــالـــــذَّرَّةُ أَصْـــغَـــرُهَـــا شَـــيْـــئًـــا،

وَالـــــذَّرَّةُ - أيـــضًـــا - تَـــنْـــشَـــطِـــرُ..

.. فَـــتُـــوَلِّـــدُ طَـــاقَـــاتٍ قُـــصْـــوَى

خَـــيْـــرًا أوْ شَــــــرًّا تُـمْــتَـــصَــــرُ[1]

تَـــبْـــنِـــي - إنْ شَـــاءُوا ذَلِـــكَ! - أَوْ

فَـــتُـــدَمِّـــرُ أَشْـــنَـــعَ مَـــا دَمَـــرُوا

فَـــتَـــكُـــونُ زَوَابِــــــعُ مِـــنْ نَـــارٍ

إذْ يَـــلْـــتَـــهِـــمُ الـــكِـــبَـــرَ الـــصِّـــغَـــرُ!

آمَـــنْـــتُ بِـــكَ الـــلَّـــهُـــمَّ، وَفِـــي

آلَائِـــــكَ[2] تُـــدْهِـــشُـــنِـــي فِـــكَـــرُ!

والــطَّـــاقَـــةُ أَنَّـــى يَـــأخُـــذُهَـــا

- فِـــي حَـــالِ تَحَـــوُّلِـــهـــا - مَـــعَـــرُ[3]؟

مَـــا آلِـــيَّـــاتُ تَحَـــوُّلِـــهـــا

مَـــا غَـــايَـــتُـــهـــا[4]إذْ تَـــنْـــشَـــجِـــرُ؟

وذُكَـــــــاءُ[5] إلامَ تُـــوفِّـــرُهَـــا؟

مَـــنْ خَـــزَّنَـــهَـــا، فَـــبِـــهَـــا تَـــقِـــرُ؟

مَـــنْ غَـــيْـــرُكَ يَـــا رَبَّ الـــشِّـــعْـــرَى

عَـــبَـــدَتْـــهُ شُـــمُـــوسٌ أَوْ بُـــؤَرُ؟!

---

(١) تمتصر: تحلب، تستحلب.

(٢) آلائك: آياتك ونعمك.

(٣) مَعَر: قلة وتلاشي.

(٤) غايتها: منتهى أمرها.

(٥) ذُكاء: الشمس.

وَمَـــجَـــرَّاتٍ كُــبْــرَى تَــسْــرِي
فِــي سُــرْعَــةِ ضَــوْءٍ يَــنْــفَــجِــرُ...
.. بِــفَــضَــاءٍ مَــدِّ الــطَّــرْفِ بِــلاَ
حَــدٍّ، فَــإِلَــى أَيْــنَ الــسَّــفَــرُ؟
الْــعِــلْــمُ لَــدَيْــكَ! فَــلاَ أَحَــدٌ
يَــدرِي أيّــانَ سَــتَــخْــتَــدِرُ[1]!
لاَ يَــعْــلَــمُ غَــيْــرُكَ مَــاذَا فِــي
غَــدِنَــا يَــطْــغَــى أَوْ يَــنْــجَــزِرُ[2]!
وَدُنًــى[3] تَــتَــقَــزَّمُ فــي حُــفَــرٍ،
فَــتَــصِــيــرُ قُــوًى تِــلْــكَ الْحُــفَــرُ
لاَ عَــيــن تَــرَاهَــا بَــلْ فِــكَــرٌ
وَحِــسَــابٌ، إِذْ كَــيْــفَ الــنَّــظَــرُ
وَالــضَّــوْءُ أَسِــيــرٌ فِــي جِــرْمٍ
لاَ يُــفْــلِــتُ شَــيْــئًــا أَوْ يَــذَرُ؟
سُــبْــحَــانَــكَ رَبًّــا قَــدْ أَلْــقَــى
بِــالــسِّــرِّ لِــضَــوْءٍ يُــنْــتَــثَــر[4]
وَلِمُــسْــتَــوَيَــاتِ وجــودٍ أو
أَبْــعَــادٍ رَاحَــتْ تَــنْــتَــبِــر[5]!
أَبْــعَــادُ وُجُــودٍ مُــذْهِــلَــةٌ،
لَــيْــسَــتْ فَــوْضَــى، لَــكِــنْ جُــزُرُا!

---

(١) تختدر: تختفي، تدخل خدرها.
(٢) يطغى: يزيد؛ ينجزر: ينقص.
(٣) دنى: جمع دنيا، تتقزَّم: تتضاءل، وبالإشارة هنا إلى ما يُعرف بالثّقوب السّوداء.
(٤) ينتتر: يجذب بشدة.
(٥) تنتبر: تبرز وتعلو.



فَـــقَـــوَاعِـــدُ تَـــسْـــرِي فِـــي بُـعـدٍ
بِـــسِـــوَاهَـــا تَـــنْـــتَـــظِـــمُ الأُخَـــــرُ
لَــــكِـــنَّ الْـــــوَحْـــــدَةَ نَــــامُـــوسٌ
فَـــــوْقَ الأَنْـــــسَـــــاقِ[1] لَــهَــا عَــجَــرُ!
هَـــــذَا عَـــنْ ذَاكَ - وإِنْ قَـــرُبَـــا -
بِـــقُـــيُـــودِ الحَـــــيِّــــزِ[2] مُـحْـتَـظِـرُ
.. إِلاَّ مَـــا شِــئْــتَ - إِلَـــهِـــي - مِمْـ
ـمـا يُـسْـتَـثْـنَـى أَوْ مَـــنْ جَــــدُرُوا!
وَالْـــــكَــــائِــــنُ فِـــي كُـــلٍّ مِـنْـهَـا
لأُلُـــــــوفٍ أُخْــــــرَى يَـــــزْدَفِــــرُ[3]
سَـــــيَّـــــانِ نِــــظَـــــامٌ شَـمْـسِـــيٌّ
أَوْ مَــــا بِـــالْـــمُـجْـهِـرِ يُـجْـتَـهَـرُ
فَـــالْـــكُـــلُّ مُـــــرَكَّـــــبُ أَجْـــــــزَاءٍ
تَحْـــوِيــــهِ كَـــمَـــا فَـــعَـــلَـــتْ أُطُـــرُ
ذَرَّاتٍ أَوْ جِـــيـــنَـــاتٍ[4] أَوْ
جِـــزَمًـــا بِـــالـــقُـــدْرَةِ تَـنْـضَـفِـرُ!
عَـــجَـــبِـــي مِـــنْ كُـــلٍّ فِـــي جُـــزْءٍ
يَـــثْـــوِي، وَيَــغِــيــبُ فَــيُـبْـتَـقَـرُ[5]!
وَتَـــعَـــالَـــى الـــلـــهُ المُـــوجِـــدُ مِـــنْ
عَـــــدَمٍ: لاَ الـــطَّـــبْـــعُ، وَلاَ الـــدَّهْـــرُ!

---

(١) الأنساق: النظم؛ عجر: ظهور وبروز.
(٢) الحيز: المجال المكاني والزماني.
(٣) يزدفر: يجمل.
(٤) جينات: مورّثات.
(٥) يُبْتقر: تشقّ عنه البطن.

سُـبْـحَـانَـكَ - رَبَّ الـعِـزَّةِ - عَـمْـ
ـمَا قَـدْ يَـصِـفُـونَ إذا صَـعِـرُوا[١]!
مَـنْ غَـيْـرُكَ يَـخْـلُـقُ مِـنْ مَـاءٍ
كُـلَّ الأَحْـيَـاءِ، وَيَـبْـتَـكِـرُ
وَتَـدُومُ حَـيَـاةٌ أَبْـدَعَـهَـا،
فَـإِلَـى الأُنْـثَـى يـأوِي الـذَّكَـرُ؟
هَـلْ غَـيْـرُكَ مِـنْ أَحَـدٍ يُـحْـيِـي؟
بَـلْ فِـيـكَ الـقُـدْرَةُ تَـنْـحَـصِـرُ!!
مَـنْ هَـبَّ لَـهُ بَـلَـدٌ مَـيْـتٌ
- كَـالجِـيـفَـةِ - أَوْ عَـظْـمٌ نَـخِـرُ؟
مَـنْ تَـعْـنُـو[٢]طَـيْـرُ الجَـوِّ لَـه،
وَلِـهَـيْـبَـتِـهِ انْـدَكَّ الحَـجَـرُ؟
هُـوَ أَنْـتَ فَـقَـطْ! لاَ شَـيْءَ سِـوَا
كَ لَـهُ الجَـبَـرُوتُ أَوِ الْخَـطَـرُ[٣]!
مَـنْ يُـلْـهِـمُ بَـالاً خَـاطِـرَةً
فَـإذا بِـالْـفِـكْـرَةِ تَـخْـتَـمِـرُ؟
كَـيْـفَ الـرُّؤيَـا تـأْتِـي؟ وَمَـتَـى
غَـافٍ عَـنْ وَعْـيٍ يَـنْـبَـتِـرُ؟
مَـا الـوَعْـيُ؟ وَمَـا الـتَّـنْـوِيمُ؟ وَمَـا
هُـوَ كُـنْـهُ الـرُّوحِ؟ وَمَـا الـسُّـكْـرُ؟
لاَ يَـعْـلَـمُ مَـخْـلُـوقٌ شَـيْـئًـا
مِـنْ ذَاكَ، قُـصَـارَاهُ الـدَّجَـرُ[٤]

---

(١) صعروا: مالوا عن الحق.
(٢) تعنوا: تخضع.
(٣) الخطر: ارتفاع القدر والشّرف والمنزلة.
(٤) الدّجر: الحيرة والاندهاش.



أَمْـــرُ الـــــرُّوحِ اسْــتَـــأْثَــرْتَ بِـــهِ؛
إذْ لَــيْــسَ لِــغَــيْــرِكَ يَــنْــسَــفِــرُ[1]
فَــتَــعَــالَــى جَـــــدُّكَ نَــافِــخُــهـا
فِـــي طِـــينٍ أَفْـــتُـــهُ الْـــبَـــغَـــرُ[2]!
وَنَـــعُـــبُّ المـــــاءَ، فَـــهَـــلْ يَـصْـفُـو
بِـــإرادَتِـــنَـــا أوْ يَــعْــتَــكِــرُ؟
مَـــنْ سَـــيَّــلَـــهُ مِـــنْ غَـــــازَاتٍ،
فَـــهُـــوَ الجـــــارِي والمُـــنْــتَــثِــرُ؟
مَـــنْ ذَا يَــتَــحَــكَّــمُ فِــيــهِ إذَا
فِـــي الجِــسْــمِ تَــغَــشَّــتْــهُ[3] الــدُّثُــرُ؟
مَـــنْ مِــنَّــا يَـــــدْرِي مَـــا يَـــجْـــرِي
فِـــي دَاخِـــلِـــهِ أوْ يَـــعْـــتَـــورُ؟
الـــنَّـــاصِـــرُ أَنْـــــتَ، وَتَـــعْـــلَـــمُـــهُ؛
وَلَــنِــعْــمَ الــعَــالِــمُ، أيْ نُــصَـــرُ[4]!
كَــلِــمَـــاتُــكَ لَــيْــسَ لَــهَــا عَــــدَدٌ:
أَيُـــعَـــدُّ المَـــــاءُ أَوِ الــغَــبَــرُ؟
يَــتَــجَــلَّــى لُــطْــفُــكَ مَـــشْـــهُــودًا
فِـــي كُـــلِّ نَـــوَاقِـــصَ تُجْـــتَـــبَـــرُ[5]
.. فِـــي كُـــلِّ كَـــمَـــالٍ نِــسْــبِـــيٍّ
تُـــبْـــدِيـــهِ لَـــيَـــالٍ أَوْ نُـــهُـــرُ

---

(١) ينسفر: ينجلي ويتّضح.
(٢) البغر: الشّرب بلا ريّ.
(٣) تغشته: غطّته؛ الدُثر: الأغطية.
(٤) أيْ نُصَر: يا ناصر.
(٥) تجتبر: تجبر وتصلح.

مَــا مِــنْ شَــــيْءٍ إِلاَّ خَــضِــلُ[1]

بِـنَـعِـيـمٍ مِــنْــكَ، وَمُـــنْــتَـــوِرُ[2]

وَيَـــكَـــادُ يَــقُـــولُ: «خُـــذُونِـــي شَــا

هِــــدَ إِثْـــبَـــاتٍ، إِنّـــي نَــكِــــرُ[3]!»

وَتَـــكَـــادُ الـنُّـعْـمَـى تَـنْـطَـقُ - فـي

لَـسَـنٍ[4] - بِــوُجُــودِكَ، وَالــعُــذرُ[5]!

فَــبِــمَ الــعُــذْرَى لِمَــنْ ارْتَــكَـسُـوا[6]

وَلِمَــن أَزْرَى بِــهِــمُ الــغَــرَرُ؟!

مَـــعَ أَنَّ رِسَـــــالاَتِ الْمَـــوْلَـــى

ظَــهَــرَتْ فِــي الـعَــالَـمِ مُــذْ ظَـهَـرُوا

مِـــنْ آدَمَ حَـــتَّـــى مُــوسَــى كَــمْ

مِــنْ مُـعـجِـزةٍ لاَ تَـقْـتَـسِـرُ[7]؟!

وَأَتَــــتْ - مِــنْ بَـعْـدُ - إشـــاراتٌ

بِـالـكَـلْـمَـةِ، تَـوَّجَـهَـا بَـكِـرُ[8]

يَـحْـيَـى، وَلِـــدَتْـــهُ - إِذَنْ وَلِـــدَتْ

بُـشْـرَى عِـيـسَـى! - عُـجُـزٌ عُـقُـرُ!

وَوِلاَدَةُ عِـيـسَـى دُونَ أَبٍ،

فَــسِــمَــاتُ نُــبُــوَّتِــهِ الْـكُـبَـرُ

---

(١) خضل: مبتل.
(٢) منتور: مصطبغ ومتلوّن.
(٣) نكر: داهٍ فطن.
(٤) لسن: فصاحة.
(٥) العُذُر: الأحوال.
(٦) ارتكسوا: ارتدّوا.
(٧) تقتسر: تجير وتُكره.
(٨) بكر: صاحب بكور قويّ عليه، مبكر.

إِرْهَـــاصَـــاتٌ لِــبِــشَـــارَةِ أَحْــــ

ــمَـدَ، وَالــبُــشْـرَى لاَ تَـنْـطَـمِـرُ!

وَالْـــوَعْــدُ مِـــنَ الـصُّـحُـفِ الأولَـــى:

هَـــــادٍ أُمِّـــــــيٌّ مُــنْــتَــظَــرُ!

وَأَرَدْتَ كَــمَــالاً لِـلـنُّـعْـمَـى،

وَبَـــلاَغَ الـــنَّــاسِ: فَـقَـدْ سَـــدَرُوا

فَــــأَخَــــذْتَ بِـــأَيْـــدِيـــهِــمْ لَمَّـا

أَهْـــدَيْـــتَ الـــرَّحْـمَــة تـبْـتَـدِرُ

فَـبَـعَـثْـتَ بِـجِـبْـرَائـيـلَ إِلَـى

جَـبَـلٍ فِـيـهِ الـــذِّكْـرُ الْـعَـبِـرُ

إِذْ كَـــانَ الـــرَّحَــمَـــةُ فِـــي غـــارٍ

يَــتَـحَـنَّـثُ ثَـــمَّ وَيَـــنْـحَـدِرُ

(.. وَحِـــرَاءُ الْمَحْـــراةُ - الأحْـرَى

بِـالخَـيْـرِ يُـنَـزَّلُ - والـقُـتُـرُ[١]

... فَـهُـنَـا ظَـلَّ المَـأمُـونُ عَـلَـى

دَأَبٍ بِـالخَـلْـوَةِ يَـجْـتَـمِـرُ[٢])

فَـهُـوَ المُـتْـحَـنِّـفُ[٣]، لَـمْ يَـعْـرِفْ

فَـمَـهُ إشْـــراكٌ أَوْ نَـتَـرُ[٤]!

تَـدْعُـوهُ أَمِـيـنًـا - بِـالـتَّـعْـرِيـ

ـفِ - قُـرَيْـشٌ أَمْـسِ وَتَـفْـتَـخِـرُ!

---

(١) القتر: الناحية والجانب.

(٢) يجتمر: يتبخّر، أي يكثر من الخلوة.

(٣) المتحنّف: المتعبّد على ملّة إبراهيم.

(٤) نتر: فساد



مِـــنْ دَعْـــــــوَةِ إِبْـــراهِـــيـــمَ وبـشْـــ
ـــرَى عِـيـسَـى كَـــانَ لَـــهُ الْــبَـكَــرُ[1]
بَـــــدَأتْـــــهُ الــــرُّؤْيَـــا صَــــادِقَـــةً
بــاسْــتِــشْــفَــافٍ لاَ يَــنْــكَــدِرُ
.. تَـتَـحَـقَّـقُ مِـثْـلَ الـصُّـبْـحِ ذَرَا[2]
فَـــبَـــدَا، حَــتَّــى آنَ الــعَــفَــرُ[3]
فـــأتـــاهُ الـــوَحْـــيُ عَـــلَـــى قَـــدَرٍ،
وَبِــــأمْــــرِكَ يَــــأتَمِــــرُ الــــقَــــدَرُ!
وَأَمَــــــــرْتَ مُـحَـمَّـدًا المُـــهْــدَى
أَنْ يَـــقْـــرَأَ.. فَـانْـبَـعَـثَ الـطُّـهـرُ!
وَبِمَــبْــعَــثِ أَحْـــمَـــدَ قَـــدْ فُـتِـحَـتْ
أَبْــــــوابُ هـــــدَاكَ لِمَـــنْ كَـفَـرُوا
فَـــهْـــوَ المِـفْـتَـاحُ - عَـلَـيْـهِ صَـلاَ
تُـــكَ، ثُـــمَّ سَـــلاَمُـــكَ - وَالـشَّـبَـرُ[4]!
أَشْـــبَـــرْتَ عِـــبَـــادَكَ مِـــنْـــهُ سَـنًـى
وَغِــنًـــى وَمُـــنًـــى لاَ تَـــهْـــتَـــوِرُ!
وَتَــلاَحَــقَ وَحْــيُــكَ فِـــي نُجْـــــمٍ[5]،
وَرَسُـــــولُ الـــرَّحْـــمَـــةِ مُـنْـبَـهِـرُ[6]
آيــــاتٍ تَـــتْـــرَى أَوْ سُـــــوَرٍ
أَمْـــسَـــى يُـــؤْتَـــاهـــا المُـصْـطَـبِـرُ

---

(١) البَكَر: التبكير، المبدأ.
(٢) ذرا: مرَّ سريعًا، ارتفع.
(٣) العَفَر: أول سقية سُقيها الزرع.
(٤) الشبر: العطية والخير.
(٥) نجم: قطع متفرقة.
(٦) منبهر: مبالغ، لم يدع جهدًا.

فَـيُـلَـقِّـنُـهَـا صَـحْـبٌ زُهُـرُ
مِـنْ فِـي[1] مُـهْـدَاكَ لِـيَـنْـجَـبِـرُوا
فَـجَـبَـرْتَ مَـصَـايِـرَ مَـنْ صَـارُوا
بِـكَ أفْـضَـلَ قَـرْنٍ يُـقْـتَـفَـرُ[2]
لِـلـذِّكْـرِ وَعَـوْا، لِـلـهِ سَـعَـوْا
لِـلْـخَـيْـرِ دَعَـوْا مَـهْـمَـا قَـدِرُوا
لِـلْـحَـقِّ رَعَـوْا لِـلْـكُـفْـرِ نَـعَـوْا
إذْ أحْـيَـاهُـمْ كَـلِـمٌ ذَكِـرُ
يَـسَـعُ الأرَضِـينَ – وَمَـا وَسِـعَـتْ! –
مِـنْ آيٍ لَـفْـظٌ مُـخْـتَـصَـرُ!
الْـغَـيْـبُ عَـيَـانٌ فِـيـهِ يُـرَى
وَهُـدَى الْـمُـتَـلَـمِّـسِ وَالْخَـبَـرُ!
قَـصَـصُ الْـمَـاضِـينَ تُـزَيِّـنُـهُ،
وَدَوَاءُ الْـمُـهْـجَـةِ[3]، والْـعِـبَـرُ!
دُسْـتُـورُ حَـيَـاةٍ مُـكْـتَـمِـلٌ،
وَضَـمَـانُ نَجَـاةٍ مُـسْـتَـطَـرُ
وَشَـرِيـعَـةُ مُـجْـتَـمَـعٍ وَرِعٍ
يَـزَعُ[4] الْـمُـعْـوَجَّ، فَـيَـنْـأطِـرُ!
بِـلِـسَـانِ الْـعُـرْبِ أَتَـى دُرَرًا
فَـشَـفَـتْ وَتَـلألأتِ الـدُّرَرُ!

---

(١) في: فم
(٢) يقتفر: يُتَّبع.
(٣) المهجة: الرّوح.
(٤) يزع: يكفّ عن الهوى؛ ينأطر: ينعطف.



حَـــــــارَتْ قَـــــوْمٌ لَمَّـــا سَـمِـعُـوا
جَـرْسًـا يَـسْـبِـي: هَـلْ هُـمْ سُـحِـرُوا؟
بَـــــدَأَ الـــــفـــــاروقُ تِـــــلاَوَتَـــــهُ
بِـحَـمِـيَّـةِ كُـفْـرٍ تمـتَـئِـرُ[1]
وَبِــفِــعْــلِ مَـــــذَاقِ حَـــلاوَتِـــهِ
وَسُـــطُـــوعِ سَـــنَـــاهُ صَـحَـا عُـمَـرُ!
وَمَـــشَـــايِـــخُ مَـكَّـةَ قَـدْ سَـجَـدُوا
لَمَّـــا سَـمِـعُـوهُ، وَمَـــا شَـعَـرُوا
فَـهُـوَ الْمُـتَـحَـكِّـمُ إِذْ يُـتْـلَـى
فِـي الَمـسْـمَـعِ، لَـوْ هُـوَ مُـنْـفَـغِـرُ[2]
وَالـــهَـــادِي الْحَـــقُّ إِلَـــى رُشْـــدٍ
– لَـوْ قَـلْـبُ الـسَّـامِـعِ مُـدَّكِـرُ! –
بِـشَـــهَـــادَةِ عَـــدْلٍ مَـــا زَالَـــتْ
تَـطْـوِي الأحـقـاب، وتَـشْـتَـهِـرُ:
مِـنْ جِـنٍّ قَـدْ صُـرِفُـوا فَـهُـدُوا
لِـلـرَّنَّـةِ[3]، فـانْـزَاحَـتْ سُـتَـرُ!
نَـفَـرٌ مِـنْـهُـمْ سَـمِـعُـوا عَـجَـبًـا،
وَإذِ اسْـتَـمَـعُـوا شُـدِهَ الـنَّـفَـرُ
فَـأَتَـتْ فِـي الـتَّـوِّ شَـهَـادَتُـهُـمْ
قُـرْآنًـا تَحْـفَـظُـهُ الـعُـصُـرُ!!

---

(١) تمتئر: تعتقد العداوة.

(٢) منفغر: منفتح.

(٣) الرَّنة: الصوت الحزين، والمقصود تلاوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بَـــــارَى[١] فُـصَــحَــاءَ الــعُــرْبِ، فَـمَـا
لِـــبَــيَـــانٍ لِـــســـانٍ يُـــحْــتَــضَــرُ؟
بُــهِــتَ الــبُــلَــغَــاءُ فَــمَــا نَــطَــقُــوا:
مِـــنْ مَــأمَــنِــهِ يُــؤتَــى الحَــــذِرُ!
وَالأَلْــسِــنَــةُ الــهــمَــرَى[٢] سَــكَــتَــتْ:
فَــلَــقَــدْ قُــطِــعَــتْ مَــنْــهَ الــعُــكَــرُ[٣]!
عَــجِــزَ الـــعَـــرَبُ الأقْـــحـــاحُ كَـمَـا
أَعْــيَـا نَــفَــسَ الــغَــرْقَــى سَــــدِرُ[٤]!!
لَـــكِـــنَّ عِــــنَـــادًا أَوْدَى بِـــالــ
ــكُــفَّـــارِ فَــمَــا تُــغْــنِــي الـــنُّـــذُرُ
وَمُــعـــانِـــدُ ذِكْـــــرِكَ مَــغْــبُــونٌ،
تَــعِــسَ المُــتَــأخِّـــرُ والأَخِــــــرُ[٥]!
نــتــلـــوهُ، فَــنَــلْــحَــظُ فِــيــهِ رُؤًى،
وَتَــــلُـــوحُ لأعْــيُــنِــنــا صُــــوَرُ
وَنَــــعُـــودُ، فَــيُــحْــدِثُ مُــعْــجِــزَةً
تَــتَــجَــدَّدُ، لَــيْــسَــتْ تَــنْــدَثِــرُ!
لَمَّـــا قَـــــرَأ الــلَّــفْــظَــيْنِ هُــنَــا
- مَــثَــلاً - قَـــوْمٌ سَــبَــقُــوا ذَبِــــرُوا[٦]:

---

(١) باري: تحدّى.
(٢) الهمرى: الصّخّابة.
(٣) العكر: جمع عكرة وهي أصل اللسان.
(٤) الأقحاح: جمع قحّ وهو الخالص؛ سدر: البحر.
(٥) الأخر: الأبعد المتأخر عن الخير.
(٦) ذبروا: فهموا.



غَــــرَفُـــوا، فـــإذا رُوَيَـــــتْ هِـمَـمُ

- مُـتَـضَـلِّـعَـةٌ[1] - بَـقِـيَ الـنَّـهَـرُ!

وَتَـــطَـــوَّرَ عِـلْـمُ مُـكْـتَـسَـبُ

نُـسْـقَـى مِــنْ أَشْـطُـرِهِ الـقُــرَرُ[2]..

.. فَـبَـدَا - عَـرَضًـا! - فِـي «نَنْقُصُـها»

وَ«دَحَـــاهَــــا» مَـعْـنًـى مُـبْـتَـأَرُ[3]!

وَالمُحْـــكَـــمُ سَـــائِـــرُهُ كَـلِـمُ

أبَــدًا عَـــنْ خَـــبْءٍ تَـنْـقَـشِـرُ!

بَــعَــثَ الأمــــواتَ بِـحِـكْـمَـتِـهِ،

فَــوَفَـــاةُ الـقَـلْـبِ لَـهَـا سُــــؤَرُ[4]،

حِـكَـمٌ لَـمْ تُـهْـمِـلْ مِـنْ شَــيْءٍ،

أَيُـفَـرِّطُ فِـي الـكَـشْـفِ الـوَهَـرُ[5]؟

لَـكِـنَّ الـفَـهْـمَ لَـدَيْـنَـا مَـحْـ

ـــدُودٌ فِـي الـشِّـدَّةِ مُـنْـدَجِـرُ[6]:

وَكَــذَلِــكَ يُـنْـسَـبُ نِـسْـبِـيٌّ

لِـلْـمُـطْـلَـقِ: عَـجْـزٌ مُـنْـكَـسِـرُ!

وَكَــأَيِّــنْ مِـــنْ إعْـجَــازٍ فِـي

مَـعْـنًـى وَمَــبَـانٍ يَـنْـسَـجِـرُ[7]!

---

(١) متضلعة: منتفخة أضلاعها من كثرة الشّرب.

(٢) القرر: جمع قرّة، وهي الحسوة.

(٣) مبتأر: مخبّأ، مدّخر.

(٤) سؤر: فضلات وبقايا.

(٥) الوهر: التوهج.

(٦) مندجر: مرخيّ.

(٧) ينسجر: يمتلئ أو يتوقد.

مَـــنْ عَـــدَّدَهَـــا فَـــلَـــسَـــوْفَ يَـنِــي،

وَعَــلَــيْــهِ الــعَــدُّ سَـيَـشْـتَـغِـرُ[1]!

والإعْـــجَـــازُ الـــبَـــادِي أثَـــرُ

فِـــي بَـــدْوٍ جَـــاءَ وَهُـــمْ نَـــشَـــرُ[2]

فَـعَـشَـائِـرُهُـمْ كَـانَـتْ مِـزَقًـا،

فَـــإِذَا عَـــقَـــدُوا صُـــلْـحًـا غَـــدَرُوا

كَـانُـوا فِـــي جَـــهْـــلٍ: فَـالـدُّنْـيـا

تَمْـضِــي قُـــدُمًـــا، وَهُـــمُ الأُخُـــرُ

أمّـــا الـــقُـــرْآنُ فَـبَـدَّلَـهُـمْ

بِـالجَـهْـلِ حُـلُـومًـا[3] لا تـغِـرُ

وسَـــلَامًـــا بِـــالإِشْـــرَاكِ: فـهـم

سـلـمٌ لـك - ربِّـي - قـدْ بـشِـرُوا،

فـــإذا بِـــالــبَــدْوِ لـهـم رأيٌ

خَـضَـعَـتْ لِحَـصـافَـتِـهِ الحَـضَـرُ!

وَمِـــنَ الـــصَّـــحْـــراءِ لِمُـــلْـــكِ الأرْ

ضِ، بـدا فِـي الـرَّمْـلَـةِ مُـنْـفَـجَـرُ[4]!

ذكـــرٌ - والـــلـــهِ! - لـهـم حـقًّـا!

صـدقـتْ كَـلِـمـاتُـكَ فـانْـتَـصَـرُوا!!

وَكِـتَـابُـكَ - ربّـي - سَـلَّـحَـهُـمْ،

بَـلْ أصـلـحـهُـمْ، حـتّـى[5] حـدَرُوا



(١) ينى: يكل ويتعب؛ يشتغير العد: يكثر ويتسع ويعظم.

(٢) نشر: متفرقون بلا رئيس.

(٣) حلوما: جمع حِلم، وهو العقل والأناة، تغر: تمتلئ حقدا.

(٤) منفجر الرمل: طريق يكون فيه.

(٥) حدروا: أسرعوا.



وَعَـجَـائِـبُـهُ مـا زالـتْ فِـيـ
ـنَـا، ذَلِـكَ إعْـجـازٌ حَـضُـرُ[1]!
وَالـيَـوْمَ تـوالـى فـيـه بُـحُـو
ثٌ، تـكـشِـفُ عـمّـا قـدْ حَـزرُوا!
فَـتَـبَـيَّـنَ – مِـنْ إحْـصـاءاتٍ –
إعـجـازٌ حـرْفـيٌّ غُـدَرُ[2]
قَـسـمًـا مَـا كـانَ بِـلاَ حَـاسُـو
بٍ، أوْ إلْـهـامٍ يـنْـسـبِـرُ[3]
فـالأحْـرُف – إذْ تـتـضـاعـفُ فِـي
مَـتنٍ – تَـتَـخَـلَّـلُـهـا سِـرَرُ[4]
أَعْـدَادٌ يُـسْـتَـجْـلَـى مِـنْـهـا
تَـرْتِـيـبٌ، لا وَضْـعٌ نَـثَـرُ[5]
وَعِـبَـاراتٌ لِـتَـكَـرُّرِهـا
نَـسْـقٌ ذُو مَـغْـزًى، أوْ صَـوَرُ[6]
وَإشـاراتٌ لا يَـفْـهَـمُـهـا
عَـجْـلَـى الـقُـرَّاءِ، وَلاَ الـصُّـبُـرُ
فـإلـى أنْ تَـأتِـي كـاشِـفَـةٌ
سَـيَـظَـلُّ بِـهَـا خَـبْـأً ثَـمَـرُ!
سُـبْـحـانَـكَ يـا مـن أنـزَلَـهُ
حُـكْـمًـا عَـرَبِـيًّـا يَـزْدَجِـرُ

---

(١) حضر: الحاضر الجواب؛ ذو البيان.
(٢) غدر: بقية.
(٣) ينسبر: يدرك ويقاس.
(٤) سرر: جمع وجمعه أسارير: وهي الخطوط.
(٥) نثر: مشتّت، منتشر.
(٦) صور: ميل، أي لذلك.

إِذْ لاَ يَـأتِـيـهِ الـبـاطِـلُ مِـنْ
أَيِّ الجِـهَـتـينِ[1]، ولا يَـتِـرُ!
وَيُمَـثِّـلُ إعْـجـازًا سَـبْـقُ
لِـمَـبَـادِئَ أَنْـكَـرَهـا الـغَـمِـرُ[2]
كَـمْ لاَقـاهـا فِـي الـبَـدْءِ أَذىً
أوْ تَـلْـفِـيـقـاتٌ، أوْ سَـخَـرُ!
لَـكِـنَّ كِـتـابَـك مـحـفـوظٌ،
ومـبـادئـه لا تَجْـتَـفِـرُ[3]!!
جَـعَـلَ الحُـرِّيَّـةَ لِـلإِنْـسـا
نِ: أطِـيـعُـوا المَـوْلَـى، أوْ فَـذَرُوا!
جِـنْـسُ الـبَـشَـرِيَّـةِ كَـرَّمَـه:
فـالـواجِـبُ والمُـعْـطَـى دَرَرُ[4]،
بَـلْ حَـرَّرَ كُـلَّ كَـرِيمٍ مـنْ
رِقِّ الأرْبـابِ، وَهُـمْ هَـدَرُ[5]
فَـالـسَّـادَةُ دِيـنـوا فِـي الـنّـدرَى[6]
وَالـقَـيْـصَـرُ أيْـضًـا والـنّـعَـرُ
فَـمُـدَارُ الأمْـرِ عـلـى الـشّـورَى،
وَمَـنـاط الـسُّـلْـطَـةِ مُـؤْتَمَـرُ!

(١) أيّ الجهتين: بين يديه ومن خلفه؛ يَتِر: ينقصه أو يدركه بمكروه.
(٢) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.
(٣) تجتفر: تنقطع، أو تذل.
(٤) درر: متقابلة، على قصد واحد.
(٥) هدر: الذين لا خير فيهم.
(٦) الندرى: فيما بين الأيام.

رَفَعَ القُرْآنُ بَنِي الإِنْسَا
نِ، وَفَضَّلَهُمْ، أَفَمَا فَكَرُوا؟

أَعْطَاهُمْ أَمْسِ حُقُوقًا لَمْ
يَبْلُغْهَا لِلآنَ البَشَرُ!

بِمُسَاوَاةٍ قَدْ بَشَّرَ بَيْـ
ـنَ النَّاسِ، فَإِنْ وَقِرُوا[1] شَطَرُوا!

عَلِمَ الأَخْيَارُ عَجَائِبَهُ،
فَمَضَوْا يَتْلُونَ، بِهِمْ ضُمُرُ[2]

وَتَعَضُّ عَلَيْهِ نَوَاجِذُهُمْ،
فَيُقَرِّبَهُمْ إِذْ هُمْ شُطُرُ[3]

فَتُحَدِّثَ فِي المَلأِ الأَعْلَى
بِتِلاَوَتِهِمْ... عَظَمَ الفَخَرِ!

فَاجْعَلْنِي مِنْهُمْ، مُعْتَصِمًا
بِكِتَابِكَ، تَرْفِدُنِي[4] دِرَرُ

وَاجْعَلْهُ رَبِيعَ فُؤَادِي – يا
رَبِّي – وَلْيَحْدِقْ[5] بِي خَفَرُ

بَرَكَاتٌ فَاضَتْ مِنْهُ عَلَى
مَنْ، صَارُوا أَهْلاً، فَاشْتَكَرُوا[6]

---

(١) وقروا: صمّوا؛ شطروا: صاروا شطّارًا، أي عصاةً مارقين.
(٢) ضُمُر: هزال، أي من عكوفهم عليه وتدبّرهم معانيه وهمّهم بأمر الآخرة.
(٣) شطر: بعيدون.
(٤) ترفدني: تمدّني؛ درر: جمع درّة، وهي هطول الغيث أو كثرة اللبن.
(٥) يحدق: يحيط.
(٦) اشتكروا: نبتوا في أصول ما هو أكبر منهم.

وَاجْـعَـلْـنِـي فِـي أهْـلِ الـقُـرْآ
نِ كَـمَـا لَـزِمَ الْـقَـوْسَ الْـوَتَـرُ:
أَقْـفُـو شُـهَـدَاءَ عُـلاه.. فَـهُـمْ
فُـلْـجٌ حَـاكَـاهُـمْ مُـؤْتَـشِـرُ[1]!
وَلَـئِـنْ أتَـطَـفَّـلْ بَـيْنَ كِـرَا
مٍ، بَـاعُـوا أنْـفُـسَـهُـمُ فَـشُـرُوا
فَـمَـعَ الْـمُـسْـتَـحْـضَـرِ[2] قَـدْ يُـؤْتَـى
رِزْقًـا فِـي المَـأْدُبَـةِ الْـحَـضِـرُ!
وَأقِـرُّ بِـأنِّـي لَـسْـتُ كَـمَـنْ
مُـلِـئـوا بِـالْـخَـيْـرِ.. أَنَـا الـصَّـفِـرُ[3]
هُـمْ شَـعُّـوا إيـثَـارًا، لَـكِـنْ
- بَـدَلَ الإيـثَـارِ - أَنَـا أَثِـرُ[4]
وَإِلَـى لَـهْـوِي مِـنْ سَـهْـوِي لاَ
أَلْـوِي أَوْ يَـرْدَعُـنِـي قَـعَـرُ[5]!
لِـمَـتَـاعِ الـدُّنْـيَـا بِـي شَـرَهٌ،
فَـأَنَـا بَـجِـرٌ[6] مَـجِـرٌ نَجِـرُ
وأغَـالِـبُ شَـيْـطَـانِـي حِـيـنًـا
وَمِـرَارًا ثَـمَّـةَ أَنْـدَحِـرُ!

(١) مؤتشر: متفلّج، يصطنع الفلج بين أسنانه.
(٢) المستحضر: المدعو؛ الحضر: دون دعوة، الطفيليّ.
(٣) الصفر: الخالي.
(٤) أثر: أناني.
(٥) قعر: عقل تام.
(٦) بجر: من يشرب ولا يرتوي، وبجر ونجر مرادفتان أو إتباع.

أَبْــتـــاعُ الــيَــهْــيَــرَّى[١] سَـفَـهًـا

وَالْــبَــائِــعُ خَـصْـمٌ مُـقْـتَـشِـرُ[٢]!

قَــدْ ضَـــاعَ شَـبَـابِـي فِـي عَـبَـثٍ:

أَوَ بَـعْـدَ شَـبَـابٍ مُـعْـتَـصَـرُ[٣]؟

يَـــا وَيْـــحِـــي! أَيْـــنَ أنَـــا مِمَّـــنْ

رَاضُـــوا الأَمَّـــــارَةَ[٤] وابْــتَــهَــرُوا؟!

مَـــالِـــي إلاَّ الــتَّـوْحِـيـدُ عُـرًى

فَــأَمُــتَّ إلَـيْـهِـمْ وَالــذِّكَــرُ

.. وَأَمَــامَــكَ تَـسْـآلـي بِـهِـمَـا

أَسْـتَـسْـهِـلُ[٥] مِـنْـكَ، فَـهَـلْ أَعِـرُ؟

حَــاشَــاكَ - إلَــهِــي! - أنْ تَـأْتِـي

مَــنْ قَــامَ بِـذَيْـنِ، فَـيَـنْـفَـقِـرُ[٦]!

.. وَإِلَــى حُـبِّـي إيَّــاكَ أضِـيـ

ـفُـهُـمـا، فَـعَـسَـانِـي أَغْـتَـمِـرُ[٧]!

فــأُحِــبُّــكَ حُــبًّــا زَلْـزَلَـنِـي،

وَبِــحُــبِّ رَسُــولِــكَ أعْـتَـجِـرُ[٨]

وَأَنَــا - مَــعَ ذَلِــكَ! - ذُو قُــلٍّ،

وَقَــرِيــبُ[٩] الــهِـمَّـةِ، مُـقْـتَـصِـرُ

---

(١) اليهيري: السّراب، الباطل.

(٢) مقتشر: متجرّد، عارٍ، أي ظاهر العداوة.

(٣) معتصر: العمر والهرم.

(٤) الإمارة: بالسّوء أي النفس؛ ابتهروا: جدّوا، أي في العبادة.

(٥) أستسهل: أصلب اليسرى والتسهيل لها؛ أَعِر: أصبح وعرًا، قاسيًا.

(٦) ينفقر: ينكسر ظهره.

(٧) أغتمر: يعلوني الماء ويغطيني.

(٨) أعتجز: أتعمّم، أي أتخذه عمامة.

(٩) ذو قلّ: لا أستكثر من العمل الصالح؛ قريب الهمة: أي في الطاعات.

فَــأَعِــنِّــي - رَبِّ - عَـلَـى نَـفْـسِـي
بِــالــقُــرْبِ إِذَا جَـــاءَ الـسَّـحَــرُ!
وَتَـــبَـــارَكَ مَـــنْ بُـسِـطَـتْ يَـــدُهُ
لِـــيَـــتُـــوبَ مُـــسِـــيءُ مُـــعْـــتَـــذِرُ
فَـــبِـــدُونِ الـــتَّـــوْبَـــةِ لَـــنْ تَـبْـقَـى
حَـــيْـــرِيَّ الـــدَّهْـــرِ[1] لَـنَـا دِيَـــرُ؛
وَالـــنَّـــاسُ - وبِـالـضَّـعْـفِ اتَّـصَـفُـوا -
مَــا إِنْ ضَـعـفُـوا حَـتَّـى خَـسِـرُوا!
إِنَّ الإِنْــــسَــــانَ لَــفِــي خُــسْــرٍ
فَـعَـسَـى إِحْـسَـانُـكَ يَـنْـثَـجِـرُ[2]،
إِذْ نَـحْـنُ بَـنُـو مَـــاءٍ بَـــدْءًا،
جَـافَـانَـا مُـنْـذُ ذَاكَ الْـــيَـــرَرُ[3]!
وَلَــقَــدْ أَسْـقَـطْـتَ لَـنَـا حُـجَـجًـا
بِــالــذِّكْــرِ، فَــرَاحَــتْ تَـنْـضَـمِـرُ!
وَأَقَـــمْـــتَ عَـلَـيْـنَـا حُـجَّــةَ مُـقْـ
ـتَـدِرٍ فَــأَحَــاطَ بِـنَـا حَـصَـرُ..
وَالحُـــجَّـــةُ جَـسَّـــدَهَـــا بَـشَــرُ
مَـــشْـــرُوحُ الـــصَّـــدْرِ وَمُـشْـتَـمِـرُ
خُـلُـقًـا هُـــوَ تَـرْجَـمَـةٌ مُـثْـلَـى
لِـكِـتَـابِـكَ يُـدْرِكُـهَـا الـبَـصَـرُ

---

(١) حيريّ الدهر: أبدًا.
(٢) ينثجر: ينفجر، ينبعث سائلا.
(٣) اليرر: الصلابة.



قَــدْ زَانَ سَــجَــايَــاهُ الحُــسْــنَــى
رِفْـــــقٌ، ونَـــــأَى عَـنْـهَـا خَــــوَرُ
بَــرٌّ بِــالــنَّــاسِ - يُــسَــايِــرُهُــمْ،
إلاَّ فِــي مَــعْــصِــيَــةٍ! - يَــسَــرُ[1]
بِــالــنَّــفْــسِ يُــوَاسِــي لَــوْ مَــسَّــى
أَدْنَـــاهُـــمْ مَــنْــزِلَــةً عُــســرُ!
يَــسْــتَــفْــهِــمُ - قَــصْــدَ مُــدَاعَــبَــةٍ
لِــعُــمَــيْــرٍ -: مَــا فَــعَــلَ الــنُّــغَــرُ[2]؟
فَــيُــلاَطِــفُ - فِــي مِــقَــةٍ[3] - طِــفْــلاً
وَهُـــوَ المُــنْــشَــقُّ لَـــهُ الــقَــمَــرُ!
دَمِـــثُ الأَخْـــلاقِ، فَــلَــمْ يُــسْــمَــعْ
أبَـــدًا لِــلْــخَــادِمِ يَــنْــتَــهِــرُ
لَــمْ يَــرْضَ لَــنَــا عَــنَــتًــا[4] أبَــدًا
فِـــفِـــدَاهُ الأَنْـــفُــس والــبِــــدَرُ[5]!
لِــلْــحَــقِّ تَجَـــرَّدَ.. لَــمْ يَــقْــبَــلْ
بِمُــسَـــاوَمَـــةٍ، مَــهْــمَــا وَأَرُوا[6]
فَـــرَفَـــعْـــتَ قَـــدِيمًـــا قُـــدَمَـــتَـــهُ[7]
لِــيَــكُــونَ مُــقَــدَّمَ مَــنْ عَــبَــرُوا..

---

(١) يسر: سهل، لين الانقياد.
(٢) النغر: طائر، والإشارة هنا للقصة المعروفة حينما كان صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عميرا: يا عمير، ما فعل النُّغَيْر؟
(٣) مقة: محبة.
(٤) عنتا: مشقّة.
(٥) البِدَر: جمع بدرة، وهي الكيس فيه ألف أو عشرة آلاف، والمقصود الأموال.
(٦) وأروا: هددوا وخوّفوا وأرهبوا.
(٧) قدمته: المقدمة هي السابقة في الأمر.

وَحَلَفْتَ لَهُ قَسَمًا حَكَمًا

فِي المُؤمِنِ لَوْ قَوْمٌ سَبَرُوا

لاَ مُؤْمِنَ إلاَّ مَنْ رَضِيَتْ

بِقَضَائِكَ نَفْسُهُ والنَّظَرُ!

مَعْصُومُ حِجىً، قَوَّامُ دُجىً،

بَكَّاءُ شَجىً، لَكَ مُعْتَمِرُ!

فَعَلَيْهِ صَلاَتُكَ – خَالِقَنَا! –

وَسَلامُكَ، مَا تُلِيَتْ سُوَرُ

وَعَلَيْهِ صَلاةُ مَلاَئِكَةٍ

فَرِغُوا لِجَلالِكَ مذْ أُثِرُوا

وَعَلَيْه وآلِهِ مِنْ بَرَكَا

تِكَ أَشْمَلُها، فَهُمُ الغُرَرُ

لَمْ يَسْأَلْ غَيْرَ مَوَدَّتِهِمْ

أجْرًا أَوْ شَيْئًا يُدَّخَرُ

مَعَ أنَّ مَآثِرَهُ العُظْمَى

يَعْيَا أنْ يَحْسَبَهَا الشّكُرُ[1]!

كَمْ مَدَّ عُرًى! كَمْ رَدَّ قُرًى

عَنْ صَولَةِ إشْراكٍ تَحِرُ[2]!

كَمْ حِلْسُ[3] ثَرًى رَبَّاهُ سُرًى

فإذا بِذُرَى وَهِيَ الوَطَرُ!

---

(١) الشكر: جمع الشّكور.

(٢) تحر: يسممها الغلّ والحقد.

(٣) حلس: ملازم.

فـي الأمْـــرِ يُــشــاورُ: لا اسْـتِـبْـدا

دَ، كَـــإمْــرَةِ قــومٍ قَــدْ أُمِـــــرُوا[1]

فـــإذا مَـــا مَــسْــألَــةٌ عَــرَضَــتْ

وَتَـــعُــــمُّ، يُـعَـمِّـمُـهـا الـنَّـضِـرُ

يَـــدْعُـــو لِـــصَـــلاةٍ جـامِـعَــةٍ

- أيْ مُــؤتَمَــرٍ - حَـيْـثُ الخَــيْــرُ[2]..

.. فَـيَـبِـتُّ الجَــمْــعُ - عَــلاَنِـيَـةً -

فِـيـمَـا يَــخْــتــارُ وَيَــخْــتَــبِــرُ!

وَالـــصَّـــادِقُ كَـــانَ يُـعَـلِّـمُـهُـمْ،

ويُـقِـيـلُ الـعَـثـرَةَ إنْ عَــثُــرُوا!

أسْـقَــى فَـــرَوَى، وَوَقَــى، وأوَى،

وَرَوَى فَــحَــوَى، فَـطِـنٌ عَـطِـرُ!

صَـــهَـــرَ الــصَّـــلِـداتِ بِـتَـرْبِـيَـةٍ

وَبِـــهِ الـبُـعَـدَاءُ قَـدِ اعْـتَـشَـرُوا[3]

وأَدَارَ مَــدِيــنَـتَــهُ الـفُـضْـلَـى

بِمُـــؤاخَـــاةٍ لا تَــنْــتَــشِـــرُ[4]

فَـــالـــدِّيـــنُ الحَــــقُّ مُـعـامَـلَـةٌ

تُـــدْنِـــي الـقَـاصِـيـنَ وتَمْـتَـشِـرُ[5]!

(١) أمروا: صاروا أمراء، أي حكموا.

(٢) الخير: المقصود ما يعرف اليوم بالخيارات.

(٣) اعتشروا: تعاشروا.

(٤) تنتشر: تنقطع.

(٥) تمتشر: تجمع الكلأ.





لَـــمْ يَــسْـــعَ سُـــــدًى، بَـــلْ طــمَّ هــدًى
بِمَـــــدًى وَصَـــــدًى عَـــجَـــبٌ جَـــهِـــرُ!
مُـــنْـــجٍ بِـــنَـــدًى - والخَـــلْـــقُ غَـــدًا
غَـــرْقَـــى[1] كَـــمَـــدًا! - لَمّــا جَـــأَرُوا
بَـــسَـــطَ الحَـــرِّيَّـــةَ، فـاسْـتَـغْـشَـى
أَعْـــــــدَاءُ الــفِـطْــرَةِ وانْـــذَعَـــرُوا!
أَعْـــدَى مِـــنْ لَـيْـثٍ إنْ حَـمِـيَـتْ[2]
أنْـــدَى مِـــنْ غَـيْـثٍ يَـغْـتَـدِرُ!
قَـــدْ قـــامَ يُـجـاهِـدُ فِـيـكَ جِـهـا
دًا، ظَـلَّـتْ تَـــرْوِيــهِ الـسِّـيَـرُ
لاقَـــى أعْـــــــداءَكَ فِـــي غَـــزَوا
تٍ، تِـسْـعٍ لَـيْـثًـا يَـهْـتَـصِـرُ
وغَـــزَا مِـثْـلَـيْـهـا دُونَ قِـتـا
لٍ يَـفْـدِيـهِ الـنَّـفَـرُ الـظَّـفِـرُ
لَـــكِـــنَّ بُـــعُـــوثَ عَـــسَـــاكِـــرِهِ
وَسَـــرايَـــاهُـــمْ لَمَّـــا نَـــفَـــرُوا
لَـثَـمَـانِـيَـةٌ مِـــنْ بَـعْـدِ ثَـلاَ
ثِـــينَ، انْـفَـقَـرَتْ[3] فِـيـهـا الـفُـقَـرُ!

(١) غرقى كمدًا: أي غرقى في عرقهم من الكمد، والإشارة لما يحدث في اليوم الآخر حينما لا يجرؤ غير سيّد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال المولى عزّ وجلّ أن يرفع عن الخلق.

(٢) حميت: أي الحرب؛ يعتدر: ينهمر.

(٣) انفقرت فيها الفقر: كثرت فيها الدواهي.



فَـالـطَّـعْـنُ ظِـئَـارُ[1] أُنَـاسٍ قَـطْـ
ـطْ بِـدُونِ طِـعَـانٍ مَـا ظُـئِـرُوا!
كَـمْ جَـالَـدَ عُـبَّـادَ الـدُّنْـيَـا
بِـزَوَاجِـرِ حَـقٍّ فَـانْـزَجَـرُوا!
فَـأَنِـلْـنَـا - رَبِّ - شَـفَـاعَـتَـهُ
فِـيمَـنْ سُـتِـرُوا ثُـمَّ انْـسَـتَـرُوا،
وَاحْـشُـرْنَـا دَاخِـلَ زُمْـرَتِـهِ:
فَـإِلَـيْـكَ تُـسَـاقُ غَـدًا زُمَـرُ،
وَارْزُقْـنَـا خِـدْمَـةَ سُـنَّـتِـهِ
زُلْـفَـى[2] حَـتَّـى يَـقِـفَ الـعُـمُـرُ،
فَـنِـهَـايَـةُ خَـادِمِـهَـا نِـعَـمٌ،
وَنِـهَـايَـةُ هَـادِمِـهَـا سَـقَـرُ!
مِـنْ شَـرِّ عِـبَـادِكَ أَقْـوَامٌ
مَـكَـرُوا بِـالـسُّـنَّـةِ، وَامْـتَـكَـرُوا[3]،
خَـلَـعَ الْـجَـانُـونَ مُـعَـذَّرَهُـمْ[4]،
وَتَمَـادُوا سَـاعَـةَ قِـيـلَ[5]: «قِـرُوا»!
وَكَـأَنَّ الـهَـمْـسَ دَوِيٌّ!.. إِذْ
مَـا قِـيـلَ «قِـرُوا» حَـتَّـى وَقِـرُوا!

---

(١) ظئار: مدعاة للعطف والإمالة؛ ظئروا: عطفوا.. أي أن الحرب ضرورية لتقويم بعض الناس وإرجاعهم إلى جادّة الحق.
(٢) زلفى: قربى.
(٣) امتكروا: تَخَضَّبوا.
(٤) خلعوا معذرهم: أي لم يطيعوا مرشدا.
(٥) قروا: فعل أمر من الوقار.

بِـنِـفـاقٍ كَـمْ غَـرَسُـوا فِـينَـا
مِـنْ مُـبْـتَـدَعـاتٍ أوْ نَـشَـرُوا!

وَعِـبَـادَتُـهُـمْ عَـمَـلٌ نَـزِقٌ
فـإذا رُزِقُـوا فِـرَةً[1] أَفِـرُوا

وإذا رُزِئُـوا يَـوْمًـا فَـتَـرُوا
فَـلَـبِـئْـسَ الـقَـوْمُ وَمَـا خَـتَـرُوا[2]!

هَـجَـرُوا خَـطًّـا مَـحْـمُـودَ خُـطًـى،
وَبِـدِيـنِـكَ سُـمْـعَـةً ابْـتَـهَـرُوا

دِيـنٌ نَـصَـبُـوهُ فَـقَـطْ شَـرَكًـا
لِـلـدُّنْـيَـا، بُـغْـيَـةَ أَنْ يَـفِـرُوا

فَـأضـاعُـوا الآخِـرَةَ الأَبْـقَـى،
وَسَـتَـهْـلَـكُ فـانِـيَـةٌ غُـدَرُ[3]!

رَبَّـاهُ!.. ألاَ جَـنِّـبْـنَـا أَنْ
نُـغْـرَى بِمَـهَـالِـكَ تَـهْـذَخَـرُ[4]!

وَاهْـدِ الـلّـهُـمَ مَـنِ انْـخَـدَعُـوا،
وَاتْـرُكْـهُـمْ حَـتَّـى يَـنْـتَـسِـرُوا[5]

وَلْـيَـخْـتَـرْ كُـلٌّ مـا يَـبْـغِـي؛
فَـهُـمـا هَـدَفـانِ لِمَـنْ خَـبَـرُوا:

دُنْـيَـا أخّـاذَةُ شَـكْـلٍ.. أمْ
زُهْـدٌ وَمَـعـادٌ مُـسْـتَـتِـرُ؟!

---

(١) فرة: وفرا؛ أفروا: نشطوا.
(٢) ابتهروا: اشتهروا دون حق.
(٣) غُدَرُ: غَدّارة.
(٤) تهذخر: تختال وتتبختر.
(٥) ينتسروا: ينفكّوا وينحلّوا مما يربطهم.

وَالنَّاسُ مَذَاهِبُهُمْ شَتَّى،
وَبِسُوقَيْنِ اثْنَيْنِ اتَّجَرُوا
لِلأَوَّلِ دَرْبٌ مَطْرُوقٌ،
والآخَرُ مَسْلَكُهُ وَعِرُ،
فَرِجَالٌ تَتْبَعُهُمْ خَدَمٌ،
وتُؤَرِّخُ سِيرَتَهُمْ زُبُرُ
وَعِبَادٌ غُفْلٌ[1] زُهَّادٌ
بِالحَقِّ سَرَوْا، لِلحَقِّ أرُوا
وَأرَى الحِزْبَيْنِ: فَمُنْطَلِقٌ
- يَدْعُو الرُّوَّادَ - ومُنْشَمِرُ
أفْعَى وَذُبَابٌ[2] فِي مَثَلٍ
لأولِي الأَلْبَابِ... لِيَعْتَبِرُوا!
فَوَضَاعَةُ مَظْهَرِهِ عِسَلٌ،
وَنُعُومَةُ مَلْمَسِها خَطَرُ!
مَا كُلُّ ذَواتِ الدَّرِّ[3] قَرَى:
فَمِنَ اللَّبَنِ المُزْجَى صَبِرُ!
أَإِذَا - رَغَبًا - حُلِبَتْ بَقَرُ
أَكَذَلِكَ يُحْتَلَبُ العُشْرُ؟!
مَا أشْفَى مَنْ لَبُّوا دَعْوَى
أعْداءِ الزُّهْدِ، فَقَدْ جَخِرُوا[4]!

---

(١) غفل: غير معروفين.
(٢) ذباب: ذباب العسل، أي النحل.
(٣) الدر: اللبن؛ قرى: أطعم؛ المزجى: القليل.
(٤) جخروا: امتلأت بطونهم فذهب نشاطهم وانكسروا.

والزُّهْدُ طَرِيقَةُ سَيِّدِنَا:
فَالسُّنّةُ مَصْدَرُهُ الخَضِرُ

والحَقُّ مُبِينٌ لاَ يُخْفَى
- إبْلِيجَاجًا[1] - أوْ يُحْتَجَرُ!

يَكْفِي أمْرانِ لِرَدِّ ذَوِي
لُبٍّ لِلسُّنَّةِ لَوْ فَسَرُوا:

الْبِشْرُ عَلَى وَجْهِ المُحْيِي
دَرْبُ المَعْصُومِ، فلاَ كَدَرُ

وَغِيَابُ الرَّدِّ إذا سَأَلُوا
مُتَنَكِّبَها[2]: لِمَ يَنْتَحِرُ؟!

بِمُحَمَّدٍ الرُّسْلُ اخْتُتِمَتْ،
وَبِسُنَّتِهِ نُسِخَ الضَّرَرُ!

فَلَسُنَّةُ أحْمَدَ مُنْتَجَعٌ[3]
مُغْرٍ، مُثْرٍ، خَضِرٌ، مَضِرُ

يَجِدُ السُّعَدَاءُ مَآرِبَهُمْ
فِيها، وَيُفارِقُهُمْ وَضَرُ!

أنَّى تُسْتَقْصَى رَوْعَتُها
فِي شِعْرٍ أشْطُرُهُ[4] نُزُرُ؟!

وَالأبْيَاتُ المَغْمُورَةُ ذِي[5]
جَهْدٍ مَنْقُوصٌ مُبْتَسَرُ

---

(١) إبليجاجًا: وضوحًا وإضاءة.
(٢) متنكبها: عادلًا عنها متجنبًا إياها.
(٣) منتجع: منزل في طلب الكلأ؛ خضر: غُضٌّ؛ مضر: إتباع.
(٤) أشطره: أبياته أو أثداؤه؛ نزر: قليلات الدر.
(٥) ذي: اسم إشارة؛ مبتسر: في غير وقته، غير مناسب.

فَاغْفِرْ لِعُبَيْدِكَ نَاظِمِهَا،
وَهُوَ الخَطَّاءُ المُفْتَقِرُ

وَارْحَمْهُ بِأَحْسَنِ خَاتِمَةٍ،
كَيْلا يَتَصَيَّدَهُ الشَّرَرُ،

وَاجْعَلْ فِي الجَنَّةِ مَنْزِلَةً
لِذَوِي قُرْبَاهُ، وإنْ غَبَرُوا[1]،

وَاقْبَلْ - بالفَضْلِ! - قَصيدَتَه،
مَعَ أنَّ بِضَاعَتَهُ العَوَرُ!

وَزِدِ الحَسَنَاتِ لِمُنْشِدِهَا،
وَلِسَامِعِهَا، وَلِمَنْ حَضَرُوا!

وَلِسَائِرِ أمَّتِنَا هَذِي:
وَبَرٌ[2] آواهُمْ أوْ مَدَرُ

وَانْصُرْ أهْلَ الإسْلامِ عَلَى
أعْداءِ الدِّينِ إذِ[3] اشْتَغَرُوا

وَعَلَى بِدَعٍ، وَهَوًى خَافٍ،
وَخِلافٍ جَافٍ يَشْتَجِرُ!

وَحِّدْهُمْ - رَبِّ! - على سُنَنٍ[4]
كَيْ يَعْتَدِلُوا، وَلِيَزْدَهِرُوا

لِتَكُونَ - إلَهِي! - غَايَتَهُمْ،
فَإليكَ المَنْجَى والوَزَرُ[5]!

---

(١) وإن غبروا: وإن قدموا.
(٢) وبر آواهم أو مدر: أي بدوًا وحضرًا.
(٣) اشتغروا: تطاولوا وافتخروا.
(٤) السنن: الطريق والنهج والوجهة.
(٥) الوزر: الملجأ.



وَصَــفِــيُّــكَ يُـصْـبِـحُ قُـدْوَتَـهُـمْ
فــي الخَــلْــقِ، لِــئَـلاَّ يَـنْـفَـطِـرُوا
وَاجْــعَــلْ تَـنـزيـلَـكَ شِـرْعَـتـهُـمْ
وَمَــلاذَ الـنَّـفْـسِ إذا حُـصِـرُوا
وَالــهِــمَّــةَ إعْــلاَءَ الـعُـلْـيَـا[1]:
فَــالــكُــلُّ جَــوَادٌ مُــذَّخَــرُ
وَيَــكُــون الــشَّــأنُ جِــهَــادًا فِـيـ
ـكَ عَـلَـى مَــنْ ضَـلُّـوا أوْ دَعَــرُوا
وَاسْــتِــشْــهــادًا؛ حــتَّــى يُـنْـفَـى
أعْــدَاءُ الــدِّيــنِ، وَيَــنْــبَــذِرُوا[2]!
وَقِــهِــمْ بِـكِـتـابِـكَ مِــنْ فِــتَنٍ
كَــثُــرَتْ، وَلْـتُـخْـطِـئْـهُـمْ[3] غِـيَـرُ
ألْــزِمْــهُــمْ سُــنَّــةَ أحْــمَــدَ كَـيْ
تَــتَــعَــهَّــدهُــمْ مـهـمـا صَــبَــرُوا!
هَــذِي حَــاجَــاتِــي أَرْفَــعُــهـا
– مــوْلاَيَ الــفَــرْدُ! – ألاَ فَـمُـروا
بِــزِيَــادَةِ سُــؤْلٍ أرْجُــوهَــا
بَـعْـدَ الحُـسْـنَـى، يـا مُـقْـتَـدِرُ:
بِـجَـلالِ بَـهَـائِـكَ كَـحِّـلْـنِـي،
وَأَقَــارِبَ لِــي بِـالـشَّـوْقِ بُــرُوا[4]



(١) العليا: أي كلمة الله؛ مذّخر: مهيّأ ومعدّ للجهاد.
(٢) ينبذروا: يتشتّتوا.
(٣) غير: أحوال الدهر المتغيرة.
(٤) بروا: رقّوا ونحفوا.



أَبَـــــــوَيَّ وإخْـــــوَانِـــــي وعَــشِـيــرَ
تَـــنَـــا، فـــالأهْـــلُ هُـــمُ الأهَـــــــرُ[١]؛

وَبَــقِـيَّــةَ إخــوانِــي فــي الـلــهِ، فَـهُـمْ -
لِـمَــــنْ اسْـتَـسْــقَــى - هُــجُــرُ[٢]!

لَــكَ فِـــي الأُولَـــــى حَــمْــدٌ يَــهْــمِـي
غَــدِقًـــا، ثَــــرًّا لاَ يَــنْــحَــسِــرُ!

والآخِـــــــــرَةُ الحَـــمْـــدُ الأســنَــى
فِــيــهــا حــكْــرٌ لَـــكَ مُــحْــتَــكَــرُ!

وَصَــلاتُــكَ - رَبِّ - عَــلَــى الــهَــادِي
لِــصِـــراطِـــكَ دعْـــهـــا تَــنْــهَــمِــرُ

وَعَـــلَـــى أسْـــــلافٍ مِـــنْ رُسُــــلٍ،
سَــبَــقُــوهُ زَمَـــانًـــا وَأْتَـــبَــــروا[٣]

وَالـــعِـــتْــــرَةِ[٤]، والأصْــحَــــابِ، ومَــنْ
تَــبِــعُــوا المَــعْــصــومَ ومَـــا فَــتَــرُوا

وَعَـــلَـــى إخْـــــــوانٍ حَــــــدَّثَ عَــ
ــنْــهُــمْ، هُــمْ فِـــي سِــكَّــتِــهِ أُسَـــرُ

غُـــرَبـــاءُ، وقـــدْ قَــبَــضُــوا جَــمْــرًا
طُــوبَــى لَــهُــمُــو، فَــقَــدِ أُنْــتُــقِــرُوا[٥]!

---

(١) الأهر: ما بطن من متاع البيت.
(٢) هجر: أحواض عظيمة.
(٣) إئتبروا: استصلحوا نخلهم واستزرعوا.
(٤) العترة: الآل عليهم السلام.
(٥) انتقروا: اختيروا واصطفوا.

حَــــمَـــــدُوكَ، وأحْـــــمَــــدُكَ الــلــــهُــــمْ[1]

مَ فــــغُـــفْـــرانًـــا يَـــــا مُــــغْــــتَــــفِــــرُ

غُــــفْـــرَانًــــا - رَبِّـــــي - غُــــفْـــرَانًــــا:

فَـــبِـــلاَ غُـــفْـــرَانِـــكَ أُجْـــــتَـــــزَرُ[2]!!

****

(١) اللهمم: اللهمّ، رسمت هكذا لاعتبارات عروضية.

(٢) أجتزر: أقطّع وأنحر، أي أعَذَّب.

عبد القادر محمد أبه[1]

١ - لك الله يا قدس

[البسيط]

أيـن الجـهـابـذُ فـي الإسـلام هـل قُـبـروا؟

أم ابـتـلـوا فـجـأة لـكـنـهـم صـبـروا

صـبـرًا يـكـاد يـكـون الـيـأس شيمـتـه

فـأيُّ صـبـر لـنـا والـهـود إنـتـصـروا

يـافـا، وحـيـفـا، وبـيـت الـقـدس، مقدسنا

قـد دنَّـسـتْـه بـقـايـا الـهـود والـكـفـر[2]

---

(١) عبد القادر محمد أبه: شاعر تشادي ولد في سنة ١٩٦٥ في العاصمة أنجمينا وتخرج من جامعة تشاد المعروفة الآن باسم جامعة أنجمينا سنة ١٩٩٠م بعد أن نال الإجازة في اللغة العربية. ثم نال شهادة التأهيل التربوي «المتريز» من المعهد العالي للعلوم التربوية بأنجمينا، والمعروف بـ «اليوسيد».

ويعمل مدرسًا للغة العربية بالمعهد العلمي الإسلامي، ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي، ومن الثائرين على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في بلاده، وفي العالم العربي.

وله ديوان شعري بعنوان «إعصار في فؤاد» لم يطبع. ويتسم شعر الشاعر بطابع التجديد. يقول: وغالب شعري بالشعر الحر لأنه يسمح لي أن أعبر عن الانفعال بحرية أوسع.

وحيث إن الشاعر نشأ في العاصمة أنجمينا ولم يبرحها إلى غيرها من المدن إلا أن العاصمة – كغيرها من عواصم الدول الإفريقية – تعج بالمتناقضات، من حيث الأيديولوجيات والعادات والعصبيات واللهجات، إضافة إلى الحروب الأهلية الآكلة للأخضر واليابس، وذاقت تشاد وعانت منه في حربها الأهلية سنة ١٩٨٠م، لذلك فإن شاعرنا لم يشعر بالرضا، ولا عرف الراحة والسعادة، فراح يُفرغ طاقاته في كتاباته الشعرية.

ولا غرو أن نجد شعره يتسم بالقلق والتمرد والثورة، فاتسم شعره بالاتجاه التجديدي الثائر.

لقاء بمنزلي مع الشاعر في العاصمة أنجمينا في ٢٠٠٢/٢/٢٤م.

(٢) هكذا ورد في الأصل.

عـــاث الــيــهــود فــســـادًا فـــي مـواطـنـنـا

وقـتَّـلـوا قـومـنـا صـبـرا وقـــد قـهـروا

وشـــــردونــــا وذلــــونــــا وقــــد عـلـمـوا

نـحـن الـذيـن لـنـا الـتـاريـخ مـعـتـبـر

يـا أيـهـا المـسـجـد الأقـصـى الـذي سـجـدت

بــأرضــه جـبـهـة الأصـــحـــاب بـــل عُـمَـرُ

مـسـرى الـنـبـي رســول الـلـه قـد طـهـرتْ

مـر الـعـصـور فـلا الـتـدنـيـس لا الـعـهـر

فـكـيـف نـتـركـهـا لـلـهـود تـرتـعـهـا؟

نـسـل الـخـنـازيـر بـالـتـوراة قـد كـفـروا

قـد نـصَّبـوا الـعـجـل ربًّـا، كـم لـه سـجـدوا

بـنـو الـقـرود بـقـتـل الأنـبـيـا اشـتـهـروا

وكـــيـــف نـتـركـهـا لـلـهـود عـاصـمـة

يـا لـيـت شـعـري مـتـى الـهـيـجـا سَـتـسـتـعـرُ

ولـيـت شـعـري مـتـى تـأتـي الـجـمـوع ضـحـى

بـعـاديـات لـهـا هَـــمٌّ هـــو الـنـصـر

تـثـيـر نـقْـعًـا وتــوري الـقـدح عـاديـةٌ

تـطـارد الـهـود والأوبـــاش مَـــنْ فَـجَـروا

والـيـوم مـاذا تـرى فـي الـقـدس غـيـر دمٍ

يـسـيـل نـــهـــرًا ومِـــقـــلاعٍ بـــه حـجـر

طفلُ الحجارة يا قلب، له عزمٌ

لعلّ عزمك في الإسلام ينتشر

وفي الأزقة آلْيات لها هدرٌ

وتنفث النار تندكُّ بها القُصْر

ونَوْح ثكلى تنادي الولْد تندبه

أو موكبًا صارخًا يبكي له عبر

فتلك إذلالة تُرْدي كرامتنا

تقطِّع القلب إرْبًا وهو منفطر

عبر الإذاعات تنديد له جَلَبٌ

وداخل القاع جمْعٌ وهو مؤتمر

وفي الأخير قرار لا تعدُّ به

وكيف تعتدّ ما لم يجمع النفر

ولم تعدَّ لها خيلٌ مسوَّمةٌ

ولم تناوش لما يظهر الخطر

لكِ اللهُ يا قدس السليبُ على المدى

ها نحن نأسى بدمع ليس ينهمر

ونحن نتلو قول الله نحفظه

أين النفوذ الذي أوصت به السُّور

أين الجهادُ الذي في النصر حقّ لنا

بل أين نجدتُنَا من تملأ السِّير

ماذا أصاب جموع المسلمين عسى

لغيرِ طريق الله قد نفروا

فـغـيَّـر الـلــه نــصـــرًا قــد أعـــدَّ لـنا

لأن فـــي نـهـجـنـا الإبــــدال والـغِـيَـر

نـحــنُ جـيـوش رســـول الـلــه عـــزَّ لـنا

طـــردُ الـيــهــودِ مــن الأقــصــى فـيـا عبر

ومـــا الـيــهــودُ ومـــن مـــا يـأتـهـم مـدد

مــن (الـــولايـــات) إنْ مـــا أزمـــع الـنـفـر

هـيـا نــفــرُّ إلـــى الـــقـــدُّوس نـســألــهُ

نــصـــرًا وعـــونًـــا تـعــالـى فـهْــو مـقـتـدر

عبدالقادر محمد أبه ٢٠٠٢/١٠/٣م

****

٢ - حسرة الفراق

[الرجز]

لـلـه حـمـدًا ربـنـا نِـعْـمَ المـعـين
إلـيـه نـشـكـو وبـه سـنـسـتـعـينْ

إلـيـه نـلـجـا فـي مـلـمـات الـسـنـين
ومـن زمـان دأْبُـه دومًـا ضـنـين

قـد كـان فـيـنـا نـخـبـة مـن عـالِـمـين
مـدرسـين مـتَّـقـينَ واعـظـين

ومـرشـدينَ واهـبـين صـالـحـين
وعِـلْـمـهـم عـذبٌ زلالٌ مـن مَـعـين

مـعـينُ عـلـمٍ خـاتَمِ لـلـمـرسـلـين
فـدرِّسـونـا عـلِّـمـونـا دائـبـين

عـلـى الـصـلاة والـصـلاح كـل حـين
والـعـلـم زانـهـم سَـنًـا عـلـى الجـبـين

والـيـوم جـلُّـهـم غَـدَوْا مـغـادريـن
مـغـادريـن الحـقـل والجـوعُ دفـين

يـا ويْـحَ قـلـبـي فَـتَّـهُ حـزنٌ دفـيـنْ
إيـابـكـم يـا لـيـتـه يـؤْجَـل سـنـين

يـقـول قـلـبـي بـاكـيًـا ومـلـئـه الحـنـين
لـو أنـهـم لـكـنْ ولاتَ حـين

انجمينا/ عبد القادر محمد أبه (٢٠٠٤/٦/٢٤م)

****

٣ - انتصار الروح

[البسيط]

يـا مــيُّ مـهـلًا أهــذا الحــب يشـقـيكِ
وإن شـقـيـت فــأشــعــاري تـواسـيـكِ

أنــا وأنــــتِ خـصـيـمًـا تـلـكـمُ إمــــرأةٌ
كـانـت تجـادِلُــنــا فــي بـيـضـة الـدّيـك

كـانـت تـعـانـدُ أقــــدارًا تُـسـايـرنـا
كــانــت تــنــمُّ لأطــيـــاف تـنـاجـيـك

كـانـت تـقـول إذا مـا قـلـت قـافيـتي
هــذا الـفـقـيـرُ أبــو الـكـلـمـات يقْـريك

نِــعْــم الــرجــال عـطـايـاهـم جـواهـرهـم
لـكـن ذا الــقــوم ألـفـاظـا سـيـهـديك

عِــدِّي كـنـوز سـلـيـمـى مــن أحبّـتـهـا
مـــاسٍ ولـــولـــو ومـــرجـــان تحـديـك

وأنـــت مـا أنــت فــي أوســـاط مجـمعـهـم
إلا كـحـلـمٍ ســرى فــي عـمـق مـاضـيك

أنـــتِ الجـمـــالُ وأنـــتِ الحـســنُ ربّـتُـهُ
أنـــتِ الـعـفـافُ وأنـــتِ رمـــزُ واديــك

والـيـوم عُـــدّت كــؤوس الـسـحـرِ تـنـزعـك

وذا المـشـعـوذ بـالـكـلْـمـات يَـرْقـيـك

ثُـــوبـــي لـــرشــــدكِ فــــالأيـــــامُ مـعـركـةٌ

ودولـــــــــةٌ ثُــــمَّ دهـــــرٌ قـــد يـعـاديـك

إذا طَـلـبْـتِ هـل الألــفــاظُ تـعـطـيكِ

وإن مـرضـتِ هـل الأشــعــارُ تـشـفـيك

ولِّـــي بـلـحْـظِـك فـي الألـــوان واتـئـدي

ذا بـالـقـصـائـد يـهـذي ثـم يـؤذيـك

****

٤ - الطوطم[١]

فلسطينُ

يا نصلًا تغلغلَ في فؤادي

وانكسرْ

يا حجرًا بلهب القلب

ساحَ وانصهرْ

يا لذعةَ الموت المعبأِ في دمي المشنوق

من ملح البحرْ

فلسطينُ

يا داءً تَغَلَّفَني منذ الصغرْ

يا نغم الطبولِ بقريتي في سكون الليلِ

تبكي تنتحبْ

يا وجع الزنوج بغابةٍ

لم تدغدغها السُّحبْ

يا طوطم العرب المُنصب في دواخلنا

يحركه الغضبْ

(١) الطوطم: رمز أسطوري حيواني أو شكل إنساني عند بعض الأفارقة من باب التفاؤل وهي معربة من الفرنسية وتسمى توتام.





يا صرخة البطل المضَّرَّج واقفًا

ما هدّه يومًا تعبْ

يا ثديًا لعمتنا أطعناه

فأرضعنا الأدبْ

فلسطينُ

يا طفلًا صغيرًا عاث رميًا بالحجرْ

يا قصة الحجر الذي وصل القمر

حجرًا تحدى آلة الحرب

وما إن حسبناهُ حجرْ

يا طائر الفينيق في شمم تردى

ثم لملم موته لما تردى واندثرْ

من سبي بابل قد سرت في عزمه بعضُ العبر

وخيالُ خيبرٍ طاقة في يأسه رسمت أثر

وتسللت في عزة تسري به ذكري عمر

فإذا به قد طل منتفضًا ليرمي بالحجرْ

فلسطينُ

يا رعشةَ الصوت المكبل في دواخلنا

تعالى صارخًا حتى انتحرْ

فلسطينُ

يا دمَ الشهداءِ يرسمه خبرْ



يا حزنَ الأرامل والثكالى

يا اهتزاز اليتم من برد المطرْ

يا مأتمًا للعرس – تندبه خطب بمحضر مؤتمرْ

يا قمة الوزراء يا حقًّا يضيعه الهزرْ

يا موكبَ الشهداءِ في ألم يسطره القدر

يا خنجرًا في القلب مغروسًا على مرِّ العمرْ

أقضية الموت الذي قد عاد غرضًا للشعر

يا وصمة العار المكلل في جباه الإنس في هذا العصر

أبكيكَ في سري وفي شعريَ

وأمام الشاشة الصماء والمذياع

حتى في السمرْ

وفي انتظار الأمل يا قدسي

فصبرًا سوف نلعقه الصبر

حتى تنادي شجرة الزيتون في همس:

أيا رامي الحجرْ

هذا يهودي تخبَّى تحت جذعي

فاصنع به ما يصنعُ الإنسان في جنس البقرْ

حتى يحين الوقت يا قدسي

فصبرًا سوف نلعقه الصبر

يا اندحارًا انتصرْ

الأحد ١١/٥/٢٠٠٣م

أنجمينا/ عبد القادر محمد أبه

****

٥ - رجاء وعذر

[مجزوء الوافر]

أُريدكَ ترسمُ القَمرا
لُجينًا يُبْهِر النَّظرا

وتخلطه بياقوتٍ
فيصبحُ لونُهُ التِّبرا

أحبكُ تقطفُ الأزها
رَ، تسكبُهَا شذًى عَطِرا

وتهطلُ عطرها موجًا
فأعصرهُ لنا خمرا

أريدكَ تعزف الألحا
نَ، لحنًا يلهِبُ الجمرا

على قلبي ويحرقهُ
يحيلُ غرامَهُ جهرا

أحبُّكَ تسكرُ الغَيْما
تِ، حتى يسقطَ المطرا

فيغمرني ويغرقني
دوامًا داخلي بحرا

ليخمدَ ذلك الواشي
ويصبحَ حبُّنَا سمرا



أحبكَ تخرسُ الأفوا
هَ، حتى أسمع السحرا

تنظِّمُهُ وتنثرُهُ
جواهرَ جلَّها دررا

أريدكَ تغزل الأنوا
ر، خيطًا طائلةً دهرا

أحبك فاسقني خمرا
من الكلمات كُنْ سحرا

حبيبي ذق معي حبًّا
عفافًا واسقني الطُّهرا

حبيبي وارونـي سحرًا
وفاءً وارسم القمرا

****

عبد الواحد حسن السنوسي(١)

شاعر تشادي ولد في مدينة «فايا» سنة ١٩٦٧م وسط عائلة دينية. إذ كان أبوه داعية لدين الله تعالى.

وانتقل شاعرنا في طفولته إلى مدينة «أجدابيا» في ليبيا، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي فيها، وقضى في مكتبتها الخضراء أوقاتا طيبة، وقد حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشرة من عمره.




وفي سنة ١٩٨٠م عاد الشاعر إلى وطنه تشاد، وهي السنة التي اشتعلت فيها نار الحرب الأهلية، فانتقل إلى مدينة «الجنينة» السودانية مع غيره من اللاجئين. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى وطنه تشاد، وتم ابتعاثه إلى جمهورية مصر العربية ليلتحق بالمرحلة الثانوية في الأزهر الشريف، فنال شهادتها سنة ١٩٨٦م.

ثم رجع إلى وطنه، والتحق بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب جامعة أنجمينا في سنة ١٩٨٧. ثم انخرط في الجيش الوطني التشادي سنة ١٩٨٨م، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتخصص في إنزال المظلات وبعد عودته إلى وطنه سافر في بعثة إلى العراق سنة ١٩٩٠؛ ليتدرب في سلاح الجو.

وبعد هذه الرحلات والبعثات، استقر شاعرنا في وطنه؛ ليعمل في الجيش التشادي وقام الشاعر بعدة أدوار متميزة في مجال السياسة والثقافة من أهمها:

---

(١) اعتمدت الترجمة على لقاء بيني وبين الشاعر في منزلي وقتئذٍ ٢٠٠٢ الكائن في شارع شارل ديجول وانظر جريدة أنجمينا اليوم عدد١٢١، ١٩٩٤/٣/٢٨ ص٤. وانظر: عبد الواحد حسن السنوسي حياته وأدبه للباحث محمد بشير عثمان بحث متريز بجامعة أنجمينا إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٣م.

- عضو مؤسس للمؤتمر من أجل الدفاع عن اللغة العربية بتشاد، حتى أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في دستور البلاد.

- أسس الندوة التشادية للثقافة والفن (اتحاد كتاب وأدباء وشعراء تشاد) ١٩٩٣م.

- وللشاعر نتاج شعري عبارة عن قصائد مخطوطة مبعثرة طاب للشاعر أن يضع لها ثلاثة عناوين:

١ - رفراف قلب.

٢ - طيور البطريق.

٣ - بكائيات قيثارة بلدية.

- وثمة عدة عوامل شكَّلت شاعرية شاعرنا أهمها:



نشأته الدينية، وحفظه للقرآن، والأوقات الكثيرة التي قضاها في المكتبة الخضراء في مدينة أجدابيا الليبية. إذ قرأ «رحلات السندباد» و«قصر الأقزام» و«أليس في بلاد العجائب» و«حذاء السندريلا».

ثم الغربة والضياع، بسبب الحرب الأهلية، وترحاله إلى السودان، ثم الجماهيرية الليبية، ثم مصر. فهذه الأسفار كلها زادت من ثقافته وألهبت شاعريته.

- وتدور جل قصائده الشعرية حول: الغزل، والوطنيات، والاجتماعيات، ثم التأملات. وهو شاعر رومانسي، وتوفر هذا المنحى في جل نتاجه الشعري فهو شاعر الوجدان الذاتي بل والجماعي في آن واحد. ويتميز بطول النفس الشعري، ورسم الصورة الشعرية بكل براعة فنية.

****

تشادي وإن لامني اللائمون

(من ديوان بكائيات قيثارة بلدية للشاعر: عبد الواحد حسن السنوسي)

بلادي أقولُ فهل تنصتين.. بلادي وهل أنت لي تسمعين.. أنا لستُ من ثلة الكاذبين.. أنا لست من عصبةُ الغاصبين.. أنا لست من ثلة المفسدين.. أنا لست من عصبة الطامعين.. وما كنت من ثلة الناهبين، ولا كنت من عصبة الخائنين ولا صرت من عصبة العابثين.. ولا بت من عصبةُ اليائسين..، أنا واحد من بنيك بلادي، بلادي فديتك أمَّ البنين، ليعلو منارُك في المشرقين وتشرق شمسك في المغربين، ويسمو مكانك في العالمين... بلادي هنالك هل تنظرين.. هنالك في الأفق المستبين، هنالك آمال جيل أمين.. عليك على الغد فيك بلادي ليشرق نورًا على الكادحين.

بلادي أمات شبابك.. لا لا .. بلادي أماتت أمانيك لا لا

بلادي أمات نضالك.. لا لا .. بلادي شبابك حي.. ولكن

وحلم عيالك حي ولكن، وتاريخ ماضيك حي ولكن

ولكن لماذا إذًا تحزنين لماذا أراك إذًا تدمعين.. لماذا بلادي إذًا تنزفين.. جداول حزن ودمعًا سخينًا، يقطع في خافقيّ الوتين

ويُـلـبـسـنـي ثـوب عـارٍ دفـين

يـلازمـنـي رغـم كـر الـسـنـين؟؟

بلادي أقول فهل تنصتينْ، بلادي وهل أنت لي تسمعينْ، بلادي وإن لامنا اللائمونْ، لأنّا زرعناك حقل شجونْ، وكنّا نحارب والآخرونْ، يشيدون بنيانهمْ يعمرون، وكنا نحارب والآخرونْ ينقّون أفكارهم يكتبونْ، وكنا نحارب والآخرون يصيغون ألحانهم يعزفون وكنا نحارب والآخرون يربّون أطفالهم يعددونْ، وكنا نحارب والآخرون يديرون آلاتهم يصنعونْ..



وكنا نحارب والآخرونْ ينمون أموالهم يغتنونْ.. وكنا نحارب والآخرون يصفون أعنابهم يشربون وكنا نحارب والآخرون لما زرعت يدهم يحصدونْ.. ونحن زرعناك شوكًا بلادي.. ونحن زرعناك حقل شجونْ.. بلادي وإن لامنا اللائمون، فإنّا عرفنا وما يعرفون.. عرفنا معانيك أنت بلادي وأنك فوق الذي يحسبون.. عرفنا بأنك أنت لنا..

عرفنا بأنك كنزٌ لنا، وأنك في الغدِ ذُخرٌ لنا، وأنك أغلى جواهرنا وأنك للكل أم حنون، بلادي وإن لامنا اللائمون.

(١)

[المتقارب]

تشادي هواكِ جرى في دمي
وأضحى نشيدك ملءَ فمي
تشادي فداك أنا فاسلمي
تشادي فداك أنا فانعمي
تشادي فداك الفدا فاعلمي
فداك المسيح مع المسلم
تشادي شبابك فجر الغد
ورمز التقدم والسؤدد
تشادي بنيك هنا فاصمدي
فدرب هواي هوى الأوحد
تشادي وإنيَ من مولدي
إلى يوم يلْحدني لاحدي
سأبقَى أناضلُ كي تسعدي
وفيًّا وفيًّا إلى الأبد
تشادي وإن لامني اللائمونْ

٢١/٣/١٩٩٤م – انجمينا، تشاد

****

٢ - يا عيدُ ما معناك؟[١]

[الكامل]

زعـمـوا بـأن الـعـيـد أقـبـل زائـرًا
لـيـزيـل عـنـي وحـشـتـي وأسـايـه!!

أوَ جَـاءَ يـوقـظ فـي الـجـراح نـزيـفـهـا؟
أوَ جـاء يـبـعـثُ حـرقـتـي وجـوايـه؟

أو جـاء يـنـبـشُ عـن خـفـايـا غـصَّـتـي؟
أو جـاء يُـذكـي لـوعـتـي وضـنـايـه؟

أو جـاء يـؤلـمـنـي ويـرسـلُ عـبـرتـي؟
أو جـاء يـبـلـو طـاقـتـي وقِـوايـه؟

أو جـاء يـسـخـرُ بـي ويـقـلـقُ وحـدتـي؟
أو جـاء يـرسـم لـلـشـمـاتـة آيـه؟

أوَ لـيـس فـي دنـيـا الـغـريـب مـحـطـةٌ؟
أو لـيـس فـي دنـيـا الـشـريـد عـنـايـه؟

أو لـيـس لـلـسـيـل الـحـزيـن تـوقـفٌ؟
أو لـيـس لـلـدرب الـطـويـل نـهـايـه؟

يـا عـيـد مـا جـدواك فـي زنـزانـتـي؟
يـا عـيـد مـا مـعـنـاك فـي مـنـفـايـه؟

أنـا لـسـتُ أفـرغ فـيـك وهْـمَ تـشـاؤمـي
لـكـنْ سـأبـكـي فـيـك عـهـد صـبـايـه

(١) (قصيدة في رثاء العيد وأيام الصبا والطفولة).



أَوَ لستَ تدري أنّ عهد طفولتي
ولّى وعهد سعادتي وهنايه؟
قتل الزمانُ العيدَ في كبدي أنا
فأتيت في مرثاهُ وا أسفايه
انظر إليّ وقد تعالت زفرتي
وتكحلت بدموعها عينايه
انظر وقد مُزجت حياضي بالأسى
فشكت مرارة طعمها شفتايه
انظر وقد طمسَ الزمانُ مسالكي
فتراعشت فوق الدروب خُطايه
انظر وقد عبثَ الزمانُ بمذهبي
فتحيرتْ في خَوْضه قدمايه
أو بتَّ تعرفني على بُعد المدى؟
حُسنًا.. فلم يكُ من ترى إلاّيه!
قتلَ الزمانُ العيد فيَّ كبدي أنا
فأضاف مقتولاً إلى مَوْتايه
قتلَ الزمانُ العيد في وما درى
أني أفضِّلُ قتله إيّايه
أو ليس يدري الموت أنّي هيكل
غُيّبتُ قبل الموت في مثوايه؟
أم ليس يدري العيدُ أني ضائعٌ
قد ضلَّ عن حوض المنى مسعايه!
أَوَ بات يعرفني على طول المدى؟
حسنًا فلم يك من يراهُ سوايه!

أنـا مـن تـدلَّـلَ فيه حـينًـا فـي الـصّـبى

أنـــا مـــن بـلــغـتُ إلـــى هـــواه ذرايـــه

أنـــا مـــن أُعـــــذَّبُ حـــين يـقـبـل زائـــرًا

أنـــا مـــن أعـــــذَّب فـيــه بـعـد هــوايــه

أنـــا مـــن أُمـــــزّقُ فـيـه فـــوق تمـزُّقـــي

أنـــا مـــن أُمـــيـــتَ الــعــيـدُ فـــي مـعـنـايـه

أوَّاهُ مـــا أقـــســـاهُ فـــي زنــزانــتـــي

أوَّاهُ مـــا أحـــــــلاهُ فـــي ذكـــرايـــه

التاسع والعشرون من يونيو – حزيران عام ١٩٨٤م

الموافق ٢٩ رمضان ١٤٠٤هـ

م – د –أنجمينا، تشاد

****

٣ - صبرًا كويت

صبرًا كويتْ.. صبرًا أيا عُرسَ الخليج، ودُرَّة الغوَّاصِ
يا معطورة الأردان بالريحان والمسك الفتيتْ..

صبرًا كويت..
صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليتْ..
فالصبر من شيم الكرام وأنت منهم يا كويتْ.




صبرًا كويتْ..
صبرًا على الولهى على الثكلى
على الأسرى... على كلّ الذي عانيتْ

صبرًا كويتْ...
صبرًا... وليس تصبرًا بعسى وليت
لكنه الصبرُ الذي يبني له بالجد... في ثكنات هذا الصبح
متراسًا وبيتْ..

☆☆☆☆

يا أيها الطامع في هذا الكويت
قد بؤت إن شرًّا وإن خيرا بما كنت نويتْ..
وتركتنا نحن الكويتُ.. كما لاقيتنا عن الكويتْ
فاكتب لنا يا أيها التاريخ ما أنت رأيتْ..
رأيتْ..



عجبًا أيا رجلاً خانته ذاكرة السنين

أعمت بصيرته فما عاد يرى أو يستبين

أقبلت تغزو بالرجال وبالسلاح وبالسفين

أقبلت كالحجاج تحتصد الرؤوس وبالمحارم تستهين..

وأتيت مُنبتًّا على جرباء من نوق المطامع

قد عقدت خطامها بالغل والحقد الدفين

وبكل ما أسررت في صدرك من شرٍّ وما أوعيتْ..

كم منزلاً دمَّرت.. كم بطنًا فريتْ

كم أعزلاً عذَّبت كم جلدًا كويتْ

ورفعت بهتانا شعاراتِ التقى

وزعمت أنك إنما لحماية الحرمين من شرٍّ أتيتْ

وأعدت للأذهان تاريخًا قديمًا... قد طويتْ

ورجعت مقهورًا... فلا حقدًا شفيت ولا غلاًّ رويتَ ولا

للناقةِ الجربا هنيتْ

غادرت ولدان العراق هناك في وسط الكديد

معفرين وضُرَّجًا بدمائهم

ونكصتَ إذْ «بوشٌ» يصول «ومرغريتْ»

وجحافل الأبطال من جند الكويت

غادرتهم وفخارك المزعوم وهمٌ كالسراب

والرأس منك مطأطأ فوق اليبابْ

أين اعتدادك آنيه؟ ومزاعم العزِّ المنيعة.. اينها والعزّ ميِّتْ..

ماذا كسبت؟ أتستطيع إجابتي؟؟ ماذا جنيت؟؟





ماذا كسبت سوى الشنار ووصمة العار التي بها مُنيتْ
ورجعت تجترّ الهزيمة... عدت بالنكصان والخذلان
عدت يا «زيدًا كأنك ما غزيتْ».

☆☆☆☆

وشرخت في صرح العروبة شرخةً مأمومةً لها نزيفْ
شرخةً كادت تخيف
كادت تزعزع ذلك الصرح المنيف – صرح المكارم والمحامد
والعلا.. تسمو بأجنحة لها دومًا رفيقْ...

☆☆☆☆

عصر الخلائق بالعروبة.. طيبٌ..
عهدٌ يُجسِّد نيلها ويترجم الفعل الشريف..
فعروبة العربيِّ تعني: إنه الحارس للصرح المنيف..
صرح العروبة والإسلام والدين الحنيف
فخيارهم في الجاهلية أصبحوا أخيارهم في دوحة الإسلام
ذي الظل الوريفْ
عهدوك دومًا أيها العربيُّ مِئثارًا.. أبيًّا..
ترفض الظلم ولا ترضى بحيفْ
عهدوك دومًا أيها العربيُّ مضيافًا كريمًا قائمًا
تهبُ القِرى في قرة البرد وفي لهيب الصيفْ
تحمي الذّمار وتطعم الأضيافَ والجيرانَ أكتالَ الشواء
وما طعمتَ وما اشتريتْ
عهدوك مأمون الجوار تجتر من كل ما أوتيتْ
عهدوك معفوف الأزار تغازل المحبوب تحضنه



وفي الحضين تبيتْ
فتبيتُ بين خلاخل ودمالج وجدائل ومراسلٍ
وتقوم عنها ما فجرتَ ولا زنيتْ
إلا الهوى العذريّ والشعرَ الذي ترويه بيتًا تلو بيْتٍ
أبعيد هذا العز تنتهك المحارم تضرب الأخلاق عرض
حوائطٍ شيدتها بالمكرمات وابتنيتْ؟؟
صبرًا كويت.. صبرًا.. وليس تصبُّرًا بعسى وليتْ..
فالصبر من شيم الكرام وأنت منهم يا كويتْ..

☆☆☆☆

المال والبترول... والسيف الصليتْ
لغة لعصرٍ جاهلي مستميتْ..
عادت إلينا الجاهلية من جديد
في آلة صماء من صلب الحديدْ
عاثت فسادًا في جميع حياتنا
عبثت بأقدار الشعوب وصيرتنا كالعبيدْ
ذبحت بنا الأخلاق من أقصى الوريد إلى الوريدْ
أفهل هنالك من مزيد؟؟؟
صبرًا كويت
صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليت..
ذبحوكِ حين غزوكِ أو هم حاولوا أن يذبحوك
لأجل زيتْ
هيهات أن تُذبح صبرًا فوق مذبحة المقيت
صبرًا كويت صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليت

☆☆☆☆



صبرًا جميلًا.. يا جميلًا جمل الحسن وكلَّل صدره بالغار

يا أمةً فازت على بلوائها ومضت على غُلوائها...

بنفائس وكريم أحجار

فاكتب لها يا أيها التاريخ ما كنت رأيتْ

صبرًا كويت.. صبرًا فإن الفجر في عطفيك بشِّر بالغدِ

الآتي بمشهور الفخار...

وبكل ما ستناله من عِزَّةٍ وذيوع صيتْ

☆☆☆☆

صبرًا كويت... صبرًا وليس تصبُّرًا بعسى وليتْ..

لكنه الصبر الذي ابتنى له في ثكنات النصر متراسًا وبيتْ..

شتَّت شمل جموعهم وظفرت إذْ سهم المنون لهم بريتْ

وهَزَمْتهم وأسرت أسرك واستبيتْ

وعَفَوتَ حين قدرت لا ضعفًا عفوتْ

ورددتهم لبلادهم لله درك ما طغيت ولا بغيتْ

أحسنت صنعًا يا كويت وما رميت إذا رميتْ

لكن ربَّكَ قد رمى والرب حيٌّ لا يموتْ

فلك السلام مضمخًا بعطوره

ولك التحية ما حييتْ

(السادس من أكتوبر عام ١٩٩٥م)



****

٤ - هي الدنيا

[الوافر]

تـطـلُّ بـثـغـرِهـا الـبـسـامِ «عــوفــي»[1]
فــأفــرحُ رغــمَ حــزنــي رغــم خـوفـي

لــهــا إطـــلالـــةُ الأنـــســـام تـسـري
عـلـى الأرواح فـــي عـــزِّ الـمـصـيـفِ

إذا مـــا أشـــرقـــتْ جـــذبـــتْ إلـيـهـا
هـــوى الأذواق مــن شـتـى الـصـنـوف

لــهـا عـيـنـانِ نـاعـسـتـانِ حُـسـنًـا
تـخـالـهـمـا مـغـامـدَ لـلـسـيـوف

يـحـيـطُ ســـوادَ عـيـنـيـهـا بـيـاضٌ
كـمـا الأقـــمـــارُ حـاطـت بـالـخـسـوف

لــهـا خـصـرٌ كـمـا الأغـصـانُ رخـصٌ
قـلـيـلُ الــبــذل ذو طـبـع أنـــوف

وشـــعـــرٌ فـــي عـقـائـصـه نـفـورٌ
تـــبـــارت فـيـه ألـــوان الـطُّـيـوف

لــهــا روحٌ تــكــادُ تـــذوبُ لـطـفًـا
كـــروح الـــورد يـعـبـقُ بـالأنـوف

---

(١) عوفي: اسم محبوبته في السوادن ١٩٨١.

يــضـــوعُ ذكـــاؤهـــا كـــالمـسـك طــهْــرًا

فــتـــأنــس مــنــه كــالــطــيــف الأَلـــــوف

هـــي الــدنــيـــا إذا ضــحــكــتْ حـــواهـــا

كـــتـــابُ الـــزهـــر سُـــطِّـــر بـــالحـــروف

تـــــراهـــــا فــــي تــــرائــبــــهـــا قــضــيــبًــا

مـــن الأنـــــــوار يــســطــع فـــي الــكــهــوف

هـــي الآمـــــــالُ إن أَلِـــفَــتْــك يـــومًـــا

تَـــغُـــذُّ الـــسَّـــيـــرَ نــحـــوك بـــالأُلـــوف

****

٥ - دمعة فرح[1]

[الكامل]

عــادت إلــيَّ الـــروحُ بـعـد رجـوعِـهـا
لحـمـاتـهـا أرضـي الحـبـيـبـةِ «فـايـه»[2]

وتَـكـفـكـفَ الـدمـعُ الـهـمـيـرُ وداعـبـتْ
عَـبَـرات تـوقِ ضـمـامـهـا خـدَّايـه

وجـرت دمـاء الـعـزِّ فـي جـسـدي كما
قـد أذرفـت عـبـراتـهـا عـيـنـايـه

وسـجـدتُ شـكـرًا لـلإلـه مُـعَـظِّـمًـا
نجـداتـه الـلائـي ظـلَـلْـنَ خَـفـايـه

يـا وردةَ الـصـحـراءِ يـا ريـحـانـهـا
يـا كـلّ أحـلامـي وكـل مُـنـايـه

صـبـرًا فـسـوف يـظـل فـجـرك حـامـلاً
لمـكـائـد الأعـداء شـر نـهـايـه

ويـظـل بـطـشـك بـالـعـدا مـتـسـطِّـرًا
فـي صـفـحـة الـتـاريـخ أعـظـم آيـه

****

(١) كتبت بتاريخ ١٩٨٢/٤/٤م بالمركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم.

(٢) فاية: موطن الشاعر في تشاد.

٦ - جدران المعتقل[(١)]

[الرمل]

يا رفيقي..

أيها النازل في هذا المكانْ

لا تقلْ أني سبقتُ النازلينْ

حلَّ بالأمس خليطٌ ما هنا

عند مهد الفجر هبّوا راحلين

أنتَ طيفٌ مرَّ في عقد الليالي

أنت فردٌ في قطار البائسين

أنت طيفٌ ضاع من نسْجِ الأماني

أنت صوتٌ أنَّ في لحنٍ حزين

عندما غَنَّتكَ أعوادُ الشجونِ

جرَّكَ اللحن لركب المنتشين

يا رفيقي..

هذه الجدران مثوى بؤسنا

مسرح الآلام والحزن الدفين

كم سجينٍ كان في أحضانها

يرتمي كالطفل يبكي كم سجين؟

كم سجينٍ قام فيها ضارعًا

عائذًا بالله من جيم وسين؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، قصيدة جدران المعتقل، كتبت عام ١٩٨٧م بالخرطوم.

كم بريءٍ ناح في ديجورِها
يشتكي ما يلقى من ضَيْمِ السِّنين؟

يا رفيقي..

هذه الجدرانُ لا تهوى الكلام
شأنُها في الصَّمت شأنُ الصَّامتين
هذه الجدرانُ ظمأى للدموع
فاسْقِها بالله حينًا بعد حين
جُدْ لها بالله لا تبخلْ عليها
جُدْ لها بالله من كأس الحنين

يا رفيقي..

هذه الجدرانُ ميدان الرجالِ
منهل الأخلاق والعزم المتين
من هنا ينسلُّ كل الثائرين
من هنا ينسلُّ كل الرافضين

يا رفيقي..

عندما تنسلُّ يومًا من هنا
تاركًا ليلَ المآسي والأنين
قبِّلِ الجدرانَ واندبْ بُعدها
مثلما تبكي فراق المخلصين
إنما نؤياكَ عن نبعٍ متين
إنما نؤياك عن خلٍّ أمين

****



٧ - بلدي[١]

[المتدارك]

بلدي أقسمت بعزتها وبروحي ألاّ أنساها

كلماتٌ نقشتْ في شفتي وبقلبي يكمن معناها

بلدي مهما بعدت زمنًا ففؤادي يحفظ ذكراها

وحنيني شلالٌ لا يذكر يومًا إلا إياها

وصلاتي ألحان أبدًا لا تدعو إلّاها

سأناديها وأناجيها وسأقسم أني أهواها

بلدي والسُّمرةُ تكسوها كعروس عذبٌ ريَّاها

بلدي بالسمرة تعرفها وبقلب السّمرة تلقاها

☆☆☆☆

بلدي يا بسمةَ أيامي يا رمزَ الحبِّ بأحلامي

بلدي يا بلسمَ آلامي يا كلَّ منابع إلهامي

☆☆☆☆

بلدي إن أنسَ فلا أنسى سمراواتٍ من شاطيكَ

يلبسْنَ جمالًا لا يبلى كجذور النخل بواديك

ونسائمُ صيفكِ ما رقَّت وليالي الأنس بناديك

والسّهلُ الأخضر منسجمٌ بصفاء مياه سواقيك

(١) عبد الواحد السنوسي، السابع من يونيو عام ١٩٨٣م انجمينا، تشاد.

وجبال (تبستي) شامخةٌ و(الشّاري) رقَّ يناجيك[1]

☆☆☆☆

أعوام الهجرة لا تمحو ذكرى أشذاء (أشمُمُها)

فثغاء شياهكِ لا ينسى وخريرُ الماء يلازمها

وحقولُ القمح بسمرتها والطير تودد يضمُمُها

ورمال البيد تململ في قبضات الحُرِّ ليرحمها

والنجمة سارحة حَيْرى والبدر يكاد يكلِّمُها

والقمةُ قد تعبتْ فَجَرتْ تشكو للفجر مظالمها

وثريَّا قد ملَّت سهرًا وسهيلٌ كان يقاسمها

والليل تناهض في كسلٍ يلفظ جُمَلاً لا أفهمها

وزهورُ السوسن ناعسةٌ والطلُّ تَسَاقَطَ يلثمها

ودماء شهيدك عابقةٌ والمجْدُ هناك ينادمها

والشمس تمطَّت في كسلٍ ولها أشكال ترسمها

وأحاسيسٌ قد أعلمها وأحاسيسٌ لا أعلمها

☆☆☆☆

إنّ الأوطانَ لساكنةٌ بحواصلِ تلك الأطيار

فإذا ما حنّت خاطبَها شوقٌ ما صوبَ الأوكار

فتشقُّ الجوَّ مُلبيةً في توقٍ رغم الأخطار

فتعلَّمْ يا هذا منها فالحبُّ سراجُ الأفكار

****

(١) شاري: نهر شاري يمر بالعاصمة أنجمينا ويقع غرب تشاد.

٨ - طقوس رومانسية[(١)]

[مجزوء الرمل]

يـا هــوى الـعـشَّـاق أقــبِـلْ نـحـونـا.. خـذنـا إلـيـكْ

نـحـن مـا عـدنـا نـريـد الـكـأس إلا مـن يـديـك

☆☆☆☆

يـا هـوى الـعـشّـاق يـا عـطـرَ الحـيـاةِ

أنـت عـنـوانُ الأمـانـي والـشّـذا والـذكـريـاتِ

أنـت مـا أجـنـاكَ غـرس فـي ضـمـيـر الـكـائـنـات

أنـت مـا أسـمـاكَ لـيِنٌ لـلـقـلـوب الـقـاسـيـات

فـيكَ سـرٌّ قـد يـسـيلُ الـدمـعَ سـحًّـا مـن عـيـون الـراهـبـات

فـيك طـهـرٌ قـد يـحيل المكـر نـسـكًـا فـي عـيـون المومسـات

عـش لـنـا حـيًّـا سـخـيـا.. لا بـكَـتْـك الـنـائـحـات

☆☆☆☆

يـا هـوى الـعـشـاق يـا رمـز المحـنْ

لا تـقـل إنـي وحـيـد الـدار مـهـجـور الـسـكـن

أو تـقـل إنـي طـريـد فـي مـتـاهـات الـزمـن

أنـت مـا أنـت لـنـا إلا نـديمٌ فـي الـعـلـن

أنـت قـد صـرتَ لـنـا روحًـا تـسـامـتْ فـي الـبـدن

فـدروبِ الـشـوك هـذي سـوف نمـشـيـهـا مـعًـا

وسـنـمـشـيـهـا عـلـى الـدرب كـمـا نـهـوى خـطًـا

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، «طقوس رومانسية» مخطوطة كتبت بتاريخ ١٩٨٣/٦/٢٥م أنجمينا تشاد.

فلتشيعنا المآسي ولتواكبنا الفتن
ولتظللنا الرزايا وليمزقنا الوهن
فسينأى البؤس عنا عندما نُشفى غدًا
فاسقنا بالحب جودًا منك كاسات الحزن
ودع الأرواح تملى من صبابات الشجن
قد أبينا نحن من نهوى مرارات المحن
من فتاة أو فتًى.. أن نذوق الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

ليت شعري قبل أن نلقاك حبًّا كم سعينا
والدياجير التي ضمت معاني الصمت كم فيها اكتوينا
فالفراغات التي خلَّفتْها في خافقينا
طوَّقتْنا فانطوينا.. وانطوى الإحساسُ فينا
ومع الأوهام سِرْنا وإلى الوهم مشينا

☆☆☆☆

بينما نحن حيارى طِبْتَ إذ أشرقت كالفجر علينا
فاستفقنا فرأيناك كحلم يتحدى ناظرينا
وانتصبنا فلمحناك فتًى ترنو إلينا
وعطورٌ منك فاحت أيقظت حسًّا دفينا
فجرى الإحساس في الأعماق كالنبع معينا

☆☆☆☆

وورود منك فاحت ثم صبت نشرها في وجنتينا
واستفاقت عبرة فاغرورقت في مقلتينا
والصَّبا هبَّتْ من الآفاق عطرًا فانتشينا

فاستفاق الشوقُ فيها ومن الشوق جرينا
وعدونا رغم نزف الجرح منا والتقينا
وانكفأنا فوق رجليك انحنينا وارتجينا
وكما الأطفال قلنا وصرخنا وشكينا
فانتشلنا من يدينا.. وعلى صدرك ذبنا وبكينا
وهتفنا: لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

هكذا اخترناك حبًّا واصطفينا

☆☆☆☆

عندما جئت فكفكفت دموع العاشقينا
عندما جئت فنوَّرتَ طريق البائسينا
جئتَ بالآمالِ تُحيي البائسينا
جئت أيقظتَ ضميرا مُستَكينا
فانتقيناك خليلاً ما حيينا
ودعانا عهدنا الماضي ولكنا أبينا
وأمرنا أن نفارقك ولكنّا عصينا
وسمعنا عنك أقوالاً ولكنّا ارتضينا
وارتقى الواشونَ نارًا وارتضيناها حنينا
فاستقينا لا تعتقد أنا اكتفينا
قد نهلْنَا منك لكن ما ارتوينا
إذ شَربنا منك دهرًا وارتوينا منك حينا
غير أنا لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆



كـــم أنقـــنـــا قـبـل أن نـلـقـاك نـسـيـانًـا وذلا

وتجـــرَّعـــنـــا مـــــــرارات الجـــــوى نـــهـــلاً وعـــلاّ

والـــــــــردى مـــن حـــولـــنـــا نـــســـرًا مُـــــدلاّ

قـــد وُلِــدنـــا يـــوم أن أقـبـلـتَ كـالـصـبـح مُـطـلاّ

وصـرخـنـا فـي غـراب الـشـؤم جـهـرًا أن يـفـارقـنـا وإلا

فـــــنـــــأى هـــــاربًـــــا عـــــنّـــــا وولّــــــى

حـيـث أنـــا لا نـــريـــد الـــكـــأس إلا مـــن يـديـك

☆☆☆☆

بـيـنـمـا الــقـــوم حـــيـــارى يـتـشـاكـون الـعـنـاءْ

إذْ بـــصـــوتٍ ســـرمـــديٍّ رنَّ فـــي ذاك الخـــلاء





أيـــهـــا الـــرُّحَّـــل مـــهـــلًا واســـمـــعـــوا هـــذا الـــنـــداء!!

أيـــهـــا الـعـطـشـى أتـــصـــدّون وفـــي الحـــب ارتـــواء؟

أيـــهـــا الجـــوعـــى أتـــطـــوون وفـــي الـعـشـق غـــذاء؟

أيـــهـــا المـــرضـــى تـعـــالـــوا جـــرِّبـــوا هـــذا الـــدواء

أيـــهـــا الـــنُّـــوَّام قـــومـــوا وامـــــلأوا كـــفّ المـســاء

زاحـــمـــوا الأيــــام واقــضـــوهـــا نـعـيـمًـا وهـنـاء

واهـــجـــروا الأكـــــدار كـي يـحـلـو لـكـم هـــذا الـصـفـاء

إنمـــا الــعــيــش بـــلا حـــــبّ لـــكـــالمـــوت ســـواء

حـــبـك الـــدنـــيـــا وإلا فـــهـــي وهْـــــمٌ وريـــــاء

ضــــــاع مــــن عـــــاش لمـــــــالٍ أو نـــســـاء

ضــــــاع مــــن عـــــاش لـــعـــرشٍ أو لـــــواء

إنمــــــــا ذاك نـــعـــيــــمُ الأغـــبـــيـــاء

إنمـــــــا ذاك خـــــيــــالُ الأدعـــــيـــــاء

إنّ فــي أعـمـاركـم حـبًّـا تــوارى خـلـف أسـتـار الـغـباء

وارتــــــدى مــن ظـلـمـة الأوهـــــام والخـــــوف كـسـاء

فـاكـشـفـوا عـنـه ونــــــادوا فـــي ثـبـات الأوفـــيـــاء

☆☆☆☆

نــحــن مـــا عــدنــا نــريــد الــكـــأس إلا مـــن يـديـك

****

٩ - قلب بلا مفتاح[١]

[المتدارك]

الليل الداجي قد ألقى فوق المعمورة ما ألقى

وأنا في محرابي أتلو.. صلواتُ الشكر لمن أهوى

وسكونُ الليل يخاطبني بعيون رقتْ بالنجوى

وشجوني قد عادت تبحث في الليل الهادئ عن مأوى

حتى «الجمّيزة» قد هدأت وكأنْ قد مسَّتها العدوى

☆☆☆☆

فإذا أشواقي تتقدمْ

نحو المحراب ولا أعلمْ

حتى إذ أخذت مجلسها

منّي ولها صدري استسلم

أخذتْ تتوسل إلحافًا

أن أبدي السِّرَّ ولا أكتم

أخذتْ تتوسل لي وأنا

كالطلل الأخرس أتألم

كالجرح الصَّامت أتألم

لكنْ لا بلْ لن يتكلم

☆☆☆☆

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا في التاسع من أغسطس عام ١٩٨٣م/ كتبت القصيدة مرتين فأدخلت فيها بعض التعديلات، فكانت من قبل التعديل بعنوان «سكن الليل».

قــالــت أشــواقــي يــا هــذا
رحــمــاك بــنــفــسـك رحــمــاكَ
لــم تحــمــل فــي نــفــسـك ســرًّا
كــادت تــفــضــحــه عــيــنــاك
وإلــى مــا تحــمــل أثــقــالا
كــانــت أمــسًــا فــي دنــيــاك
تــتــفــطــر فــيــهــا مــنــفــردًا
تــلــجــم فــي الــبــوح بــهــا فــاك
مــا انــفــكَّــت أشــواقــي تــنــبـش
مــا عــنــدي مــن نَــبْــحٍ وجــراح
وتحــاول أن تــســكــن عــبــثًــا
فــي قــلــبٍ لــيــس بــه مــفــتــاح
حــتــى إذ كــلَّــتْ مــن جــدلــي
عــادت تــبــكــي فــي الإصــبــاح

****

١٠ - قلبي يحار[١]

[البسيط]

قلبي يحارُ وصمتُ منكَ يُسْكتني
خوفًا من النفس لا خوفًا من الزمنِ

إني عهدتُ سكونَ النفس يطفئها
لكنْ سكون فؤادي صار يحرقني

فلستُ أدري إذا ما النفسُ قد ذكرتْ
أبكيكَ في السِّرِّ أم أبكيكَ في العلن

ولستُ آمن نفسي حين أطْلقها
أن يأتي منها ملامًا منك يحرمني

أنّي لنفسيَ أن تنساك يا حُلُمًا
في صحوتي ومنامي دمت تشغلني

يا من أسرت فؤادي في تَيَقُّظِهِ
ألستَ تقْدر أن تسبيه في الوسن؟

هلّا تذكرتَ أيامَ الصَّفاء معي
يا من وجودك في الأحياء أوجدني

قد كنت أبكي وكأس الوصل تنعشني
فصرت أبكي وناب الهجر تنهشني

شتان ما بين دمعٍ سال من طربٍ
وبين دمعٍ جرى قهرًا من الحزن

(١) كتبت بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٣م مرجان دفق، أنجمينا تشاد (عبد الواحد حسن السنوسي).

هَـبْـنِـي هــربــتُ مــن الـدنـيـا بـأكـمـلـهـا

فـكـيـف أهـــربُ مــن حُــبِّــي ومــن شـجـنـي

إن كـنـتَ تـنـكـرنـي أو كـنـت تـجـهـلـنـي

فـــاســـأل وقـــوفـــك بـــالأطـــلال والـــدمـــن

فـــالـــدَّربُ والـقِـفْـر والأســـــوار تـعـرفـنـي

والـهـمـس يـشـهـد لـــي والـلـيـل يـعـرفـنـي

إن كـنـت عـذبـت نـفـسـي فـــي تَـقَـوُّلِـهـا

ألـــســـتَ أنـــت الـــذي بـــالـبـين عـذبـنـي

ألست أنت الذي قد أسـال النار في كبدي

دربًـــا مــن الـهـجـر والـنـسـيـان مـزقـنـي

إن كـــان هـــذا عـذابــي فـيـك أو شـجـنـي

فـالـحـبُّ بـــاقٍ وحـــاشـــا الـحـــب أن يـهـن

****

١١ - عودة الطفل العنيد[(١)]

[مجزوء الرمل]

هــا أنَــا أمّــــاهُ قــد عـــدتُ وقـــد طـــالَ غـيـابـي

حـــامـــلاً قـلـبـي عـلـى كـفـي جـــوابًـــا فـــي إيـابـي

هــا أنـــا أمّـــــاهُ قــد عـــدت إلـــى مـــهـدي الـصـغـيـر

بـعـدمـا أيـقـنـتُ أنـــي لـــم أزل طـفـلًا كـبـيـر

☆☆☆☆

هـا أنـا أمـــاهُ قـد عـدت وفـــي ركـبـي تـبـاريـح الـنـدمْ

غـائـرُ الـعـيـنـيـنِ حـانـي الـــرأس مـوفـور الألـم

عـــدت مـــن دنـيـا الأمـــانـــي مـــن وجـــودٍ كـالـعـدم

☆☆☆☆

هـــا أنـــا أمــــاه قـــد عــــدتُ وقـلـبـي يـتـفـطَّـرْ

بـعـدمـا قـد بُـحَّ صـوتـي فـي نـدى مـن لـيـس يـؤمـر

هـــا أنـــا أمــــاهُ قـــد عـــدتُ وحـلـمـي قـــد تـبـخـر

وصـبـاحـي فـــوق شـعـري عـــاثَ فـي لـيـلـي فـأكـثـر

هـــا أنـــا أمّـــــاهُ قــد عـــدتُ وحــيــدًا أتـحـسـر

هـــا أنـــا أمّـــــاهُ قــد عـــدت وذهـــنـي قـــد تـحـيَّـر

لـيـس فـي مـاضـي حـيـاتـي غـيـرُ طـفـلٍ قـد تـكـسـر

هـــا أنـــا أمّـــــاهُ قــد عـــدت وفـــي ظـــهــريَ خِـنْـجـر

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد ١٩٨٣/٨/٣م كتبت القصيدة مرتين فأدخلت فيها بعض التغييرات.



هــا أنــا أمّـــاه قــد عـــدت خــيــالاً لــيــس يــبـصــر

هــا أنــا عـــدت لـعـلـي فـــوق مـــهــدي أتــدثــر

☆☆☆☆

هــا أنــا أمّــاه قــد عــدت رمـــادًا تحـت رايـــات الــريــاحْ

هــا أنــا أمّــاه قــد عــدت خــيــالًا أعـمـلـت فـيـه الـرمـاح

هــا أنــا أمّـــاه قــد عــدت بــشــيء مــن كــيــان مـسـتـبـاح

عـــدت يــا أمـــي ومـــا بـــي غــيــر هــاتــيــكَ الجـــراح

هـــا أنـــا أمّـــاه قـــد عـــدتُ إلـــى دفء يــديــك

عـــدت أســـتـــدركُ مـــا قـــد فـــات مـــن عـــمـــري لــديــك

هـــا أنـــا أمـــاهُ قـــد عـــدت فَـــمـــدِّي ســاعــديــك

هـــا أنـــا أمـــاهُ قـــد عـــدت فـضـمِّـيـنـي إلــيــك

وازرعـــي الإيمـــانَ فـــي روحـــي كــمــا فـــي مـقـلـتـيـك

☆☆☆☆

هـــا أنـــا أمّـــاه قـــد عـــدت فَـــعـــدِّي لـــي فــراشـــي

واحـضـنـيـنـي عـــلَّ أن يــذهــب خــوفــي وارتــعــاشـــي

واســكــبــي الـــنُّـــورَ عــلــى نــفــس تـغـشـتـهـا الــغــواشـــي

☆☆☆☆

هـــا أنـــا أمّـــاه قـــد عـــدتُ وفـــي قــلــبــي حــكــايــهْ

إنـــهـــا قـــصـــة عـــصـــفـــورٍ غـــدا لـــلـــحـــزن غـــايــه

لـــم يـــكـــنْ لـــلـــحـــزن صـــيـــدٌ غـــيـــرهُ مـــنـــذ الـــبـــدايـــه

لـــم يـــكـــن لـــلـــحـــزن صـــيـــدٌ غـــيـــره حـــتـــى الـــنـــهـــايـــه

☆☆☆☆

فـــإذا مـــا خَـــيَّـــمَ الـلـيـلُ عـلـى الـدنـيـا ووشّــاهـــا الـنّـسـيـمْ



فـسـأحـكـي قـصـتـي فـي ذلـك الـلـيـل الـبـهـيـمْ
فـاسـمـعـي أمّـاهُ مـنـي وامـسـحـي الأدمـع عـنّـي
إنـهـا قـصـةُ كـل الـكـادحـين
إنـهـا قـصـة كـل الـبـائـسـين
إنـهـا قـصـة كـل الحـائـريـن
إنـهـا قـصـة كـل الـضـائـعـين
إنـهـا قـصـة أبـراج الـنـجـوم
قصة الإنسان هذا باحثًا عن مصدر النور بأعماق السديم

☆☆☆☆

عـنـدمـا غـادرت وكْـري وعـلـى ثـغـريَ بسمه
ثـابـت الخـطـوة مـخـتـالًا وفـي عـيـنـيّ همّه
والـنّـدى يـقـطـر مـن ثـوبـي وفـي إثـريَ نسمه
أحـسـب الأحـلام صـيـدًا سـوف أجـنـيـه برحمه
والأمـانـي ربمـا كـالـقـطـر قـد تـهـديـه غـيـمـه
لـم أكـن أمّـاهُ أدري أن أقـدامـي سـتـدمـى
لـم أكـن أعـلـم أنـي سـوف آتـيـك وفـي صـدريّ نـغـمـه
وعـلـى كـتـفـي غـبـار وعـلـى وجـهـي وصـمـه
وعـلـى ثـغـري لحـنٌ لـقـنـتـنـيـه الـلـيـالـي المدلـهـمّـه
بـعـدمـا أيـقـنـت أن الـلـه لـم يـخـلـق سـوى قـلـبـك يـا أمـاه رحمه

☆☆☆☆

إنـهـا أقـصـوصـة الـطـفـل الـعـنـيـد
حـين خـلَّـى الـصـيـدَ فـي الـنـهـر وراح



راح في الطين يصيد

فالتقى في الطين أقذارًا وخبثًا.. ما عليه من مزيد

☆☆☆☆

إنها قصةُ طفلٍ كان يُغريه الجديدْ

إنها قصةُ طفلٍ ليس يدري ما يريد

إنها قصةُ طفلٍ نحتَتْ فيه السدود

قصة الأعمار تفنَى تحت أقدام الخلود

قصة الإيمان يذوي في متاهات الجحود

قصة الآمال غرقَى في محيطاتِ الجمود

إنها قصةُ طفلٍ مات إذ كان وليد

إنها قصةُ طفلٍ كان للأحزان آيه

****

١٢ - البكاء على صدر أفريقيا

[المتدارك]

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك ولكني

أخشى من بطشك إذ إني

كالفرخ الأمرد لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيكِ ما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فلا تبكي

فعيونك تزرع أحزاني

ودموعك تسقي أشجاني

وتكاد تمزق أركاني

وأنا كالفرخة لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

حتى أسترجع عافيتي

حتى أستلهم رابيتي

لأرى كل الدنيا تبكي

من أجل عيونك سيدتي

من أجل دموعك سيدتي

من أجل عذابك سيدتي

فلماذا العجلة ملهمتي

وأنا كالفرخة لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلاً

إني أهواك فضميني

فجدائل فرعك تدفيني

وشذا في نشرك ينسيني

عبقات زهور النسرين

وأنا كالنحلة سيدتي

وعبيرك دومًا يغريني

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعنى

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا



إني أهواك فواسيني

وادني من كأسك واسقيني

وخذي عرشي مع مملكتي

فإذا ما ذبت فلا أقوى

أن أشعر أنك قد لُمْتِ

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا ذوبانًا

وبثغرك سيدتي نار تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

مهلًا يا سيدتي مهلا

حتى أستوحي شيطاني

حتى أتخيل أكواني

حتى تستجمع أوزاني

حتى تتناسق ألواني

وأنا لا أحسن تصويرا

حتى أتعذب تفكيرا

وبحار صفاتك تغرقني

إن لم تأتيني تقطيرا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆



مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فلا تلقي

أسباب اللوم إلى جهتي

فملامك ينصب مشنقتي

ويفكُّ طلاسمَ خاتمتي

فابتسمي سيدتي ابتسمي

فجيوشك قد هزمت خدمي

وجراحك تسخر من ألمي

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا سيلانا

وبثغرك نارٌ سيدتي

تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

لتضيء الشمعة في نفسي

لأرى كل الدنيا تحتي

تبكي وتحلّق وتغار

وتزاحم من حول النار

نار في ثغرك سيدتي



وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا سيحانا

وبثغرك سيدتي نار

تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

****

١٣ - مهزلة النفس[1]

[الكامل]

أفَلَ الحنينُ وللحنين أفولُ
لا تسألنْ بالله كيف يزولُ

هذي النفوسُ قويُّها وطريُّها
طبْعُ الوفاء بعرفهن قليلُ

إن التغيَّر في الزمان سجيةٌ
سَمْتُ الصباح عن المساء يميل

حتى إذا ما مكَّنتهُ عروشهُ
شمل المساءَ وللمساء شمول

حتى إذا عزَّ الهدوء سفينتي
والبحرُ من كأْس الصفاء شمول

فَغرتْ فتاةُ اليمِّ عن أنيابها
وتقطعتْ صلتي وحان رحيلُ

وتراقصُ الأشباح حول سفينتي
فعلمت أني حينها مقتول

والرِّيمُ في المرعى يجوش بعشبهِ
هو آكلٌ لكنْ غدًا مأكول

أم لم ترى للشمس كيف يكون في
بلد الصقيع شعاعها مقبول

(١) عبد الواحد حسن السنوسي ١٩٨٣/١٢/٢٥م أنجمينا تشاد.



فكأنها في الجو ألحان سمت
فهي الشذا والهمس والتقبيل

فإذا سكنت إلى البراري خِلْتَها
وحشٌ تربع في السما أو غول

أم لم ترى للطير في تغريدها
عند الربيع وللهواء عليل

قد غادرت بعد الربيع وكورها
وتباعدت يحدو بها الترتيل

ولَرُبَّ وجهٍ كنت آنسُ قربهِ
قد خانني في بعضه التعليل

ولَرُبَّ أرضٍ زرتها متفائلاً
والنفس يطربها المنى فتميل

فتركتُها يومًا كَسِيفًا نادمًا
والشوم يقطر في دمي ويسيل

ولَرُبَّ يومٍ بتُّ آملُ مركبًا
لا يستقر ببحره فيطيل

أنَّي لنفسيَ أن تكون قنوعةً
تبًّا لنفسٍ إنها الملول

مَن لي بنفسٍ لا تملّ لحاظها
فالقبح قبحُ والجمال جميلُ

****

١٤ - فات الأوان[1]

[الكامل]

وقفتْ تودِّعني وترسلُ دمعها
مثلُ اللآلئ حسنُها ونظامُها
ورنتْ إليَّ بمقلةٍ مشبوبةٍ
عصفت صبابتها ولاحَ ملامها
وبدتْ كراهبةٍ ترقرقَ دمعُها
وطغى تغرُّبُها وطال صيامها
مكلومة أضنى الهوى كبدًا لها
فاستعبرتْ وبدا نحول قوامها
والسّاكنين تحرَّكوا في خافقي
والروحُ هامتْ بي وطال هيامها
عجبًا لحاظكِ لا يبين كلامُها
وربوعُ قلبكِ لا يفيق نيامها
إلا وقد أزف الرّحيلُ بموكبي
واليأسُ خلف مسالكي وأمامها
يا باعثَ الحبِّ الكبير بمهجتي
لما ارتخت من مقلتيك سهامها
أو لا يحين لمقلتيك تكلمًا
إلا ونفسي قد طغت أسقامها؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي أنجمينا تشاد ١٩٨٤/٢/٧م.

وحسبتُ أني في الحياة معذبٌ
من بعد أن خَويتْ وعمَّ ظلامها
وتقطعتْ آمالُ قلبي في الهوى
والعينُ أرَّق جفنها تسجامها
ما أعجب الدنيا إذا لاحت لمن
ظمئت موارده وعزَّ مرامها
في مقلةٍ ماسَ الفؤادُ لسحرها
كالريح إذ هبَّتْ فماسَ غمامها
صوتان يصطرعان في صوتي فلا
تدري لأيهما يميل غرامها
صوتٌ يقول ليَ الرحيل إلى الرُّبا
إن الحياة كثيرة آلامها
وصدى يقول لي التمهِّل بالنوى
إن التسرُّع في الأمور تمامها
ما زالت الدنيا تنيل مشوقها
دِيَمَ الهوى وتنيله أحلامها
وتكاد تثني بالأخير عزيمتي
لولا مقاديرٌ جَرَتْ أقلامها
إني مللت من الحياة وأهلها
ولمست كم ظلاَّمة أحكامها
ولذا عزمت على الرحيل إلى الرُّبا
حيث الطبيعة دافئ إكرامها
حيث الحياةُ بلا قناعٍ حاجبٍ
فالحبُّ جوهرها وليس لثامها



أصغي إلى الأطيار في ترنيمها
وإلى الجداول حلوة أنغامها
وأهيمُ خلفَ الرِّيم في سَرَحاتها
متمتعًا بقعودها وقيامها
وأظلُّ أرشفُ في الطبيعة سحرها
وأميلُ أنَّى ما يميل زمامها
وأديرُ طرفي في النجوم مناجيًا
متقربًا من أُنسها وسلامها
وأدورُ في فلك السماء مسبِّحًا
متفكرًا متأملاً أجرامها
أعلو بها صوب الجمال مفارقًا
آلامها ومطلِّقًا آثامها
فإلى اللقاء إلى اللقاء أميرتي
في روضةٍ صَبغَ الهوى أنسامَها
وتقبَّلي حتى اللقاء أميرتي
روحي فدًى حتى يحين حمامها

****

١٥ - رواحة الظلال[1]

[الرمل والكامل]

أنا من أنا؟

أنا مَن قَلَّبْتُ صحائفي فوجدت فيها كل شيء غير نفسي

أنا من تلطّف مسمعي فسمعت منطق كل شيء غير همسي

أنا من فقدت ملامحي وكسبت رمسي

أنا من أنا؟

أنا لست أعلم أي شيء دون حسي

بل لست أدري ما الذي يعنيه حسي

أسعادتي في مولدي أم مولدي هو يوم نحسي؟

أغدي الذي أهذي به هو ما تلاشى خلف أمسي؟

ما للحياة جراحها تدمي ولا (بلسام) يأسي

ما لي تؤرجحني فما أنفكُّ أصبح ثم أمسي

والموت ما هذا الذي أرمي فيخطئ فيه تَوسُّمي؟

فإذا رماني سهمه أودى بسلطاني وبأسي

إن قلت أن الرمل يأكل جثتي وعظام رأسي

أترى سيأكل لذتي ويذيب جنسي؟

أترى سيأكل كل أخلاقي وأفراحي وتعسي؟

أم سوف يأكل بعض أحلامي وآمالي وبأسي؟

☆☆☆☆

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد، ٢٤ فبراير ١٩٨٤م.



لست أدري من خفاء الكون غير المنظر

أرقب الظلماء تزهو بالهلال المقمر

وانبثاق الشمس حينًا وانهمار المعصر

أسمع الطير تغني في الصباح الباكر

ومزامير المراعي ونشيد السمر

ثم لا ألبث أن أهوي ويهوي منبري

في حفيرٍ أو ترابٍ مدلهمٍّ مغْبر

يستوي الموسر فيه بالفقير المعسر

☆☆☆☆

من أين جئنا بالحياة وأين مرساها بنا

أين حبي أين شعري أين أيام المنى

أحسب الأيام تفنى فإذا الفاني أنا

وإذا الأيام عمرٌ ذاهب من عمرنا

وإذا بالموت دلاَّل بما لا يُقتنَى

وإذا الحفائر قد أبت أن ترتزقْ من غيرنا

أتعود ذاتي نفسها تحيا ويملؤها السنا

أم سوف تظهر من هناك خلاف ما كانت هنا

صوتي وألحاني وشعري كلها ثمن العنا

هل أنا الجاني بها

أم بها الموت جنى

☆☆☆☆

أنا سائرٌ لكنَّ ظلي سائرٌ في موكبي

ليت شعري هل صوابٌ أم خيالٌ مذهبي



هل أنا الموجود أم ظلي الذي يلتاث بي

هل أنا حي وظلي تابع كالكوكبِ

هل أنا كالنجم أو كالبرق ومضٍ خُلَّبِ

أم أنا كالشمس أُطوى مثلها في مغربي

بل أنا كالريح أو كالغيم أو كالمركب

سائر في البحر والآلام تُوهي منكبي

لست أدري أين يرسو سيدي أو صاحبي

☆☆☆☆

ويح نفسي ما الذي تعنيه أطوار الحياةْ؟

ما بها الأرواح ظمأى والمآقي باكياتْ؟

ما بها أكبادنا تحيا ليطويها الرفات؟

قيل لي الإنسان يحيا كي تربيه العِظات

قلت مهلا هل جَمَعْنا ما جمعنا للشتات

هل نربي إذ نربي لليالي الفانيات

ليتكم علمتمونا فنّ سُكنىَ الحافرات

كيف نحياها حفاةً كيف نحياها عراة

كيف نحيا باللحود الصامتات المظلمات

ما بكم كلَّفتمونا كل هذي الحسرات

ليتكم لقنتمونا غير هذي البسمات

قيل حسْبُ المرء يحيا في نسيج الذكرياتْ

ليت شعري ما الذي تجديه دورٌ خاويات



هل تعيد النفث في روحي بقايا الذكريات

قيل لي للكون مغزى غير ذرف العبرات

قلت تبًّا ثم تبًّا للمغازي الآفلات

ما الذي أجنيه من تلك الأماني الذَّاويات

قيل لي للكون أسرار عِظامٌ خالدات

قلت أَوْلَى أن نعي من دونها سرّ الذوات

حسب نفسي ما حوَتْها من معانٍ خافيات

كل ما أبنيه يذوي كالنجوم الغاربات

إن في ذاتي لسرٌّ فاق سرّ الكائنات

من أنا؟ من أين آتي؟ كيف يغشاني السُّبات؟

لذةٌ في العمر أحيا ثم يطويني المماتْ

****

١٦ - أتسألني ؟!؟![1]

[الوافر]

أتسألني وأنتَ خبرت حُبِّي
ومالَ إليكَ دون الناسِ قلبي؟
وقد ألِفَتْكَ في الماضي حياتي
وضمَّك حاضري ودعاك غيبي؟
وكنتُ قد اتخذت هواكَ قوتًا
وصُمْتُ عن الشَّراب فكان شربي
وإني لا أشاور فيك ظنّي
ولستُ أطيعُ فيك دخيل ريبي
أتُغلِقُ بالسؤال هدوء روحي
وتزرعُ بالسؤال ضفاف دربي؟
فصار يسير من هَمٍّ لِهمٍّ
وكان يسير من صبٍّ لصبِّ
وإني لا أكادُ أفيقُ حزنًا
وإشفاقًا عليك وحَقِّ ربي
لأنك قد أسأت إلى وفائي
وإخلاصي فحق عليك ذنبي
أتصنع من بذور الورد شوكًا
وتغري غربة الدنيا بحربي

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد، مرجان دفق ١٩٨٤/٣/٩م.

أضرَّك أن أرى دنياكَ مأوًى

وشأنك أن يكونَ هواك ثوبي؟

ألم تكُ كالسَّنا أملاً مضيئًا

وكان على هُداك يسير ركْبي

تُسائلني وليس سواك يدري

وتَجرحُني وليس سواك طبِّي

فأنتَ أنا وإن آثرتَ بعدًا

وإني أنت في بعدي وقربي

تناديني فتسمع ردّ روحي

وتدعوني وعهدك بي أُلَبّي

فلم أَكُ بالذي يُعيي نوالًا

ولم تك بالذي سيقول حسبي

****

١٧ - عيون أفريقيا السوداء[1]

[الكامل]

كل الموانئ جُبْتُها

فوجدتُ أن البرد فيها سيد لا يحتملْ

كل العيون وردْتُها

فوجدت أن الكل منها قد نَهَلْ

لكنما عيناك علَّمتا بسحر لحاظها دفء الموانئ والعيونْ

ولمست في شفتيك أوتار القُبَل

ولكم تراعش خاطري فزعًا إذا الليل اشتملْ

حتى كرهتُ سواده ونفرتُ منه إذا امتثلْ

فإذا السواد بمقلتيك تذوب في دنياهما كل المخاوف والظنون

وإذا السواد مع البياض تَحاضَنَا وتقاسَمَا سرَّ المُقَلْ

☆☆☆☆

والليلُ ماذا قال لي يومًا إذا البدر اكتمل

قل لي بحبك يا فتى ماذا يضير الليل من نجمٍ أفل

أو لم تكن نجمًا تَرَاعَشَ خائفًا مني ومن ذاك السكونْ؟

فمضى بعيدًا من هنا تحدوه أطياف الملل

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد ١٩٨٤/١٠/٢، وأعيدت كتابتها في عام ١٩٨٦م وفيها عدل الشاعر عن العنوان الأول «من وحي الليل في عينيها» إلى «عيون أفريقيا السوداء».

فأجبته طربًا وقلت: أجلْ أجلْ

ها قد رجعت إليك يحدوني الأمل

قد علَّمَتْني مقلتاها أن لليل سوادًا ذاب في سحر العيونْ

وقد انتشى قلبي بأُنسٍ لا يزعزعه الوجل

****

١٨ - فلسفة عصفورة[١]

[الكامل]

طــارت تــرفــرفُ فــي الــفـضـاء ومــا بـها
غــيــر الـــســـرور تــصـــوغـــهُ ألحــانــا

قــالــتْ عـجـبـتُ لـكـم بـنـي الأرض الـتـي
مُــلِــئـتْ ســــرورًا عِــفْــتُــمُ الأشــجـانـا

لِـــمَ كــل هـــذا الحـــزن فـــي أنـغـامـكـم
لِـــمَ والحـــيـــاةُ بـصـدرهــا تـلـقـانـا؟؟

طــيــروا مـعـي وتـنـسَّـمـوا مــن عـطـرهـا
إن الحـــيـــاة بـطـبـعـهـا تَــهْــوانــا

لِـم كــلُّ هــذا الـشـكّ فــي أبـصـارِكـم
لــمَ تـخـلـقـونَ مــن الـــرؤى أحــزانــا

تـلـك الخـمـائـلُ أيــن مـنـك جـمـالـهـا
والمــــاء يــرقــص تحــتــهــا نـشـوانـا

وشـــذى الـبـسـاتـين الـــذي فـــي روضــهــا
لــبـس الـــهـــوى أثـــوابـــه وازدانــــا

والـفـجـرُ يـنـسـابُ الـنـدى مــن جـفـنـهِ
والـــــوردُ يــرضــع مــن يــديــه حـنـانـا

والـلـيـلُ يــأتــي كـــي يـكـفـكـف مــا بـنـا
مـــن حـــــادثٍ أو طـــــارقٍ أشــجـانـا

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، كتبت بتاريخ ١٩٨٤م أنجمينا تشاد، ثم أعيدت كتابتها فغيرت بعض الألفاظ، ونشرت في صحيفة الحوار ضمن صفحات عددها التاسع الصادر بتاريخ الأربعاء ٢ نوفمبر ١٩٩٤م.



والــريــحُ يـسـبـقـهـا الــهـزيم مـزمـجـرًا
مــتــبــوِّئًــا بـــين الـــغـــيـــوم مـكـانـا
أَوَ لـســتَ تـنـظـر كـيـف أرســـل غـيـمـه
والمــــــاء فــــي أكــــمــــامــــه فَـــرَوانـــا
والجــــوُّ يـعـبـقُ بـالـنّـسـيـم لأجـلـنـا
والجـــــــدول الـــسَّـــيـــال لا يـنـسـانـا
والــبــدرُ يـزهـو فـي الـسـمـا مـتـلألـئًـا
والـــنــجــمُ يــســهــر حــولــه جــذلانــا
كـم مـن زمـــان ضـــاعَ مـنـك تـشـاؤمًـا
وتَـــطَـــيُّـــرًا يـــا لـيـتـه مـــا كـانـا
كـم مـن جـمـيـل قـبَّـحَـتْـهُ خـصـالـنـا
كـــم مـــن عـــزيـــز شـــرَّدَتْـــه يـدانـا
فـحـذار أن تـتـذكـروا مـا قـد مـضـى
كـــم مـــن قـــديمٍ قـــد مـضـى فَـرَثـانـا
وبـكـى لأنـــا لــم نُـحِـطْـهُ بـأُنْـسِـنَـا
وتـــهـــيـــجـــتْ أشـــجـــانــه فـبـكـانـا
لِـيـكُـنْ نـــوال الـلـه إيمـــانًـــا لـنـا
وانْـــعِـــم بــــه أمـــــلاً وإيمــــانـــا
لمــن الـحـيـــاةُ تـزيـنـت وتـعـطـرتْ
ولِــــم الحـــيـــاةُ تـــواجـــدت لـــولانـــا




****

١٩ - ماذا أقول[(١)]

[مجزوء الكامل]

أختاهُ هل حانَ الرَّحيلْ
ومضى بركبِكُمُ السَّبيلْ

أختاه فيما تَرْكُكمْ
فينا المرارةَ والعويل

والحزنُ يدعمه الأسى
بفجائعِ الخطب الجليل

أَوَ ليس يكفي أننا
نسقي بِقِرْبَتِنا المثيل

أختَ الفؤاد أهكذا
يشفي الممات بك الغليل

أختَ الفؤاد أهكذا
يمضي الرّكاب بلا دليل

ويلي عليك من النّوى
في حلكةِ الدرب الطويل

أختاه ما ذنبيهما
عصفورتا العشِّ الظليل

ماذا أقول إذا هما
سألا عن الركب النبيل

---

(١) في القصيدة يرثي الشاعر أختًا له توفيت عام ١٩٨٤م بصعقة كهربائية وكانت أمًا لولد في السابعة من العمر وبنتًا في التاسعة من عمرها.
انظر: فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصًا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢ صفحة ٣٥- ٣٦.



أأقولُ قد رحلوا وما
تركوا سوى الدمع الهميل
أأقولُ إن بقاءهم
قد كان ضمن المستحيل
أأقولُ إن الأمهات
لهنّ في الدنيا بديل
ماذا تراني قائلٌ
لهما وبرهان عليل
أختاه ليت فداءكم
بالدرِّ والذهب الصقيل
وبما تجودُ به الحياة
من النّعيم وما تُنيل
وبما إذا ما جاءنا
أفنى الكثير من القليل

****

٢٠ - تقاطيع فينوسية[١]

[الكامل]

قولي معي ماذا أرى؟!

عينان ينبوعان؟ أم طفلان سوَّاحان تاها

في تقاطيع الظلام، وفي سرايا الحاجبين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

خدان أم حُلْمانورديان؟

أم أنشودتا فرح يضمهما السلام حمامتين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

رمشان أم زغرودتان جميلتان على الدوام؟

أم هل هما شمسيتان ظليلتان أظلتا العينين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

شفتان أم كأسان معسولان من عذْب الكلام؟

أم هل هما شطّان من خمر تعتق مرتين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

جِيدٌ كتمثال من العاج المنقَّع في المُدام؟

أم أنه نهر من المسك المعتق مستقيم الساحلين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

صفٌّ من الأسنان؟ أم صنفٌ من البَرَد الذي هجر الغمام

ليقيم بين الشفتين؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أكتوبر ١٩٨٥م القاهرة.



أم أنه موج من الزَّبد المطعم بالزنابق

حار بين الضفتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

شعرًا أرى أم ثورةً للزنج تُؤْذن بالقيامْ؟

أضفيرتين أنيقتين أراهما؟

أم غضبة الشعب الحريريِّ المرابط ليلتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

نهدان أم تلأّن بركانان خافا الإنصدامْ!

أم هل هما مَلَكان من نسل العظام

أم هل أرى سهلاً من (المرمرْ) أو (العنبرْ) توسط تلتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

خضرًا أرى؟ أم واديين وربوتين

توازيا في انتظام؟

أم هل هما عينان شلالان صبَّا

عند سفح الربوتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

ساقان عنقودان أم غرسان ورديَّان صِيغا في انسجام؟

أم هل هما غصنان فوّاحان معصوران عصرًا من رحيق الوردتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

****

٢١ - مذكرات بحّار مجهول[١]

[الوافر]

مساءُ الخيرِ يا كبرى

مساء الخير يا سمرا[٢]

مساء الحب والذكرى

أرى عينيك يا كبرى

على بعد المدى عَبَرا!؟!

لماذا الدمع يا كبرى؟

لماذا الحزن يا سمرا؟

أَمَا سنعود يا سمرا

بلى سنعود يا كبرى

وحق المقلة العَبْــرى

فكفِّي الدمع يا سمرا

فإنا إن قضينا يومنا هجْرا

قضينا في غـدٍ أمــرا

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦/٥/٤م، القاهرة جمهورية مصر العربية، أعيدت صياغتها فأدخلت فيها بعض التغييرات.

(٢) كبرى وسمرا: اسمان اختارهما الشاعر لبلاده «تشاد».

فكُفِّي الدمع يا كبرى

فلن والله ننساكم

وحق المقلــة العَبْــرا

☆☆☆☆

غدًا سيحين لقياكم

لتغمرنا المنى غمرا

غدًا سيحين لقياكم

ليغدو عمرنا عمرا

سنلقاكم هنالك في الرُّبا الخضراء

هنالك في ربا أفريقيا الخضراء

هنالك حيث دنيانا

تفوق الحلم والسحرا

فكُفِّي الدمع يا كبرى

فلن ننساكمُ والله

وحقّ المقلــة العبـرا

أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى

أنا وحدي وما أدراك ما بالبعد يا سمرا!؟!

أنا وحدي هنا في هذه الغربة

بلا أهل بلا وطن بلا صحبة

مساءُ الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا

مساء الحب والذكرى



هنا في البعد يا كبرى

حياةٌ تحزنُ القلبا

هنا الإنسان بالإنسان لا يعبَا

هنا الدولار نصَّب نفسه ربًّا

هنا دوامةٌ تستهلك الإحساس والحُبَّا

وتبنِي للمـنى قبـرا

هنا في البعد يا كبرى

أحاسيسٌ تراودني

فتجرحني جراحًا

ليتها تبرى



مساء الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا

مساء الحب والذكـــرى

أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى

أنا وحدي هنا في عرض بحر البعد يا سمرا

أقول البحـر يا كبرى !!

وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!

غدوت الآن بحّارًا ببحر البعد تبحاري

أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى

أقول البعد يا كبرى!!

وما أدراك ماذا البعد يا سمرا!



هنا في البعد يا كبرى

حياة تحزن القلبا

حياة لا تلائمني ولكني بها غصبا

هنا في البعد يا كبرى

ملايين من العربات تنهب دربها نهبا

جماعات وأقوام تخير أيهم دربا

تفاهات وأوهام قشور تكتسي لبا

تصبّحني فتلطمني على وجهي ولم أجني بها ذنبا

وتأتي كي تمسّيني فتشعل في دمي حربا

هنا في البعد يا كبرى

هنا في البعد يا كبرى

حياة تحزن القلبا

ضجيج الناس يفزعني

وأنوار على الطرقات تفضحني

وأبواق تمزقني وتدفنني

بعيدًا عن ذُرا وطني

بعيدًا عن زمانكمو

زمان الأهل والسَّكنِ

هنا في البعد يا كبرى

تفاهات تجرِّعني كؤوس الذل والعفنِ

وتنفث سُمُّها الفتاك في قلبي وفي بدني

وتنفخ في شراييني صديد القيح والنتنِ



وتهجرني وتنفيني وتحرمني زمان الشهد واللبنِ

زمان الأهل والسكنِ

زمان الحب والذكرى

يصيغ البحر أخيلتي وينسجها وينثرها

أناشيدًا من الأشواق تغزو كل أفكاري

أنا وحدي هنا في عرض هذا البحر يا سمرا

أنا وحدي وليس هنا سوى موجٍ يصارعني فيصرعني

سوى أشتات أمتعةٍ تنادمني فتسرقني وتبعدني

وتبعد كل أوكاري وتطمس كل آثاري

أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى

أقول البحر يا سمرا!

وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!

****

٢٢ - وحي القصيدة

الحب والعطاء الصادق صفتان نبيلتان كانتا منذ الخليقة مفتاحًا للقلوب التي تحس وتشعر بكل براءة الفطرة الخيرة، وجسرًا للأرجل التي لم يدنسها اللؤم وحب الأذى والكراهية إلى الضفة الأخرى من عالم الصفاء وشرف الضمير وحياة الإنسانية الحقة.

ولكن هل نجح الحب والعطاء الصادق في فتح كل القلوب وجذب كل الأرجل إلى عبور الجسر للضفة الأخرى؟ لا طبعًا. «والأمر بسيط» فمنذ أن خلق الله الخير وجد الشر معه ومنذ أن وجد الحب تواجدت الكراهية معه، ومنذ أن عرف الطهر عرفنا اللؤم بنفسه، ولكن إذا فشل الحب والعطاء في فتح باب ما، فهل يعني ذلك أن ينتهي، طبعًا لا... سيستمر الحب والعطاء باحثين عن حب آخر يستحق فضلهما متناسيين الباب الأول المليء لؤمًا وكراهية وكأنه لم يكن ولم يوجد قبلًا أم أنه كان ومض على اعتبار أنه (لا شيء) وهذه تسع مقاطع ترددها القصيدة لهذا الـ(لا شيء).

تسع مقاطع للا شيء[1]

[المتقارب]

(١)

غـرسـتُـكَ فـي الـقـلـب يـا لـلـغـباءْ
غـرسـتُـك حـلـمًـا يـجـوب الـفـضـاء
ويـسـبِّـح فـي مـلـكـوت الـسـمـاء

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٤/٧/١٩٨٦م القاهرة جمهورية مصر العربية، وأعيدت كتابتها وأدخلت فيها بعض التغييرات ونشرت في جريدة «انجمينا اليوم» ضمن صفحات عددها الـ (١١٥) من السنة الثانية لها. الصادر بتاريخ ٣/٣/١٩٩٤م ومنها نقلنا «وحي القصيدة».

غـرسـتُـكَ طـيـفًا شـديـد الـوفـاء
غـرسـتُـكَ لـلـقـلـب أشـفـى عـزاء
فـلـمـا تمـكّـن مـنـكِ الإبـاء
وأحـسـسـت أنـكِ أغـلـى الـنـسـاء
تحـولـت داءً.. تحـولـت داءْ

(٢)

غـرسْـتـكِ فـي الـقـلـب لـلـعـطـر نـهـرا
غـرسـتـك وردًا غـرسـتـك زهـرا
غـرسـتـك لـلـقـلـب شـمـسًا وبـدرا
غـرسـتـك شـهـدًا غـرسـتـك خـمـرا
فـلـمـا شـبـعـت غـرورًا وكِـبْـرا
وعـادت طـبـاعـك تـشـتـاق مـكـرا
تحـولـت غـدرًا.. تحـولـت غـدرا

(٣)

غـرسـتـك فـي الـقـلـب نـارًا ونـورا
غـرسـتـك شـمـسًا وبـدرًا مـنـيـرا
غـرسـتـك لـلـطـهـر فـيـضًا غـزيـرا
فـلـمـا بـلـغـت مـكـانًا خـطـيـرا
وطـاولـت بـالـغـلـواء الـصـقـورا
تحـولـت جـورًا تحـولـت جـورا

(٤)

غـرسـتـك فـي الـروح عـودًا نـديًّـا
وقـوَّيـتُ ضـعـفـك مـن مـقـلـتـيَّـا
ووسَّـدت خـديـك قـلـبًـا وفـيًّـا

فلما تلمست مهدًا نديًّا
وأحسست بالدفء في خافقيًّا
سكبت بسُمِّك في رئتيًّا

(٥)

غرستك في القلب كنزًا ثمينا
غرستك عرشًا ومُلْكًا مكينا
غرستك تاجًا يَزِين الجبينا
فلما رفعتك في العالمينا
تحولت طينًا تحولت طينا

(٦)

غرستك في القلب كل الأماني
غرستك رمزًا غزير المعاني
غرستك في القلب شوقًا حواني
يلوّع أُنْسي وكيف اعتراني
وشذَّب شخصك فيض بناني
فلما تخيرت شرط المكان
رميت بسهم من الغدر قاني
وعاد.. توفُّرُ شرطِ الزمان
رميت بسهم من القَدْر ثانِ
فيا لك من سهم غدرٍ رماني

(٧)

غرستك في القلب كونًا مهابا
غرستك مُلْكًا تسامى وطابا
وقصرًا عظيمًا يشقُّ العبابا

فـلـمـا ولجـتـك بـابًـا فَـبَـابـا
وجـدت سـرابًـا... وجـدت سـرابـا

(٨)

غـرسـتـك فـي الـقـلـب طـيـفًـا أغـنْ
وطـرفًـا كـحـيـلاً شـديـد الـوسـن
تـدفـق فـيـضًـا غـزيـرًا وفـن
فـلـمـا تَـواهَـنَ فـيـك الـوهـن
قـلـبـتِ لـقـلـبـيَ ظـهـر الـمِـجَـن

(٩)

غـرسـتـك فـي الـقـلـب واهًـا وواهـا
غـرسـتـك فـي الـقـلـب طـهـرًا تـنـاهـى
وحـبـات قَـطْـرٍ سـمَـتْ بـعُـلاهـا
فـلـمـا تـكـامـلـت عـزًّا وجـاهـا
هـدمـت الـقـصـور عـلـى مـن بـنـاهـا

****

٢٣ - العبارات المتحجرة[١]

[الكامل]

ماذا أقول حبيبتي لتصدِّقينْ

ماذا أقول حبيبتي كي تفهمين؟؟

جُمَلي التي ضمنتُها ما تعلمين

وهمست فيها بالذي قد تشتهين

عادت إليَّ سقيمة خرساء كالحة الجبين

ولقد قطعت إلى رضاك الأرض سعيًا بالقدم

فإذا بطيفك سابح فوق البحور

وإذا بعرشك رابض عند القمم

وأنا أهسهس في الحجور

ماذا أقول حبيبتي لتصدقين

ماذا أقول حبيبتي كي تفهمين؟؟

كَذَّبْتِنِي في همسةٍ همستُها
وزعمتِ أني كنتُ قد أعددتها

كذَّبتِني في زفرة أطلقتُها
وزعمتِ أني كنت قد نَقَّحتُها

كذبتني في دمعة ذرفتُها
وزعمتِ أني بالرِّياء مزجتها

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦م القاهرة جمهورية مصر العربية.

راحــت ســدًى كـل الأحـاديـث الـتـي
ثـرثـرتُـهـا وبـكـيـتُـهـا وشـدوتُـهـا
نَـفَـدتْ قـواميـسـي الـتـي استعملتُها
ذبـلـتْ ريـاحـيـنـي الـتـي زرعـتـهـا
وحـروف صـدري كـلـهـا لملمتُـهـا
وعـدوت صـوب الـصـمـت ثـم دفنتـهـا
وبـفـضـلـةٍ مـن أدمـعـي رشـرشـتـهـا
وهـجـرتـهـا ونـسـيـتـهـا وسـلـوتـهـا
مـاذا أقـول حـبـيـبـتـي لـتـصـدقـينْ[1]
مـاذا أقـول حـبـيـتـي كـي تـفـهـمـين[2]
عـبـثًـا أحـاول أن أهـونَ فـلا أهـونْ
عـبـثًـا أحـاول أن أكـون فـلا أكـون
أشـكـو إلـيـك صـبـابـتـي والـحـب يـدنـيـنـي فـتـمـلأك الـظـنـون
وأعود حين الخوف يقصيني لأخفي عنك أشواقي فتغمرك الشجون
حـقًّـا حـديـثُ الـحـب هـذا ذو شـجـون
وأنـا هـنـا مـتـذبـذبٌ لا أسـتـريـحُ ولا أكـون
مـاذا أقـول حـبـيـبـتـي لـتـصـدقـينْ[3]
مـاذا أقـول حـبـيـتـي كـي تـفـهـمـين[4]
لا لـم يـعـد لـي مـا أقـول ومـا أضـيـف
لـغـتـي الـتـي اسـتـعـمـلـتـهـا جـفـت كـأوراق الـخـريـف
لـغـتـي الـتـي كـررتـهـا عـادت كـأحـجـار الـرصـيـف
كـذّبـتِـنـي حـتـى قـسـا قـلـبـي الـعـنـيـفْ
كـذبـتـنـي حـتـى ذَوَىَ حـبـي الـعـنـيـف

---

(١)و(٢)و(٣) و(٤) هكذا وردت في الأصل.

حاولتُ أن أسقيكِ من حبي الأليفْ
حاولت أن أرويك من عشقي النظيف
حاولت أن يبدو رضاك يُنال بالشيء الطفيف
لكنني قد عدتُ أركض خائفًا ومن المخيف؟
أنت التي واجهْتِني بالظن والشك السخيف
نزفت سيول مدامعي حتى تهرَّتْ بالنزيف
رفّت ستائر خافقي حتى تفرّت بالرفيف
من أين لي أن أستوي ملكًا يُخاطَب بالحفيف؟
من أين لي أن أرتقي لمشارف الملك المنيف
من أين لي أن أرتقي وأنا الضعيف؟؟
لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف
إن لم يكن في الحبِّ غير الظلم والشكِّ المخيف
فكفى به الإنسان أن يحيا قنوعًا بالهواء وبالرغيف
لا لم يعدْ لي ما أقول وما أضيف
لغتي التي استعملتها جفَّتْ كأوراق الخريف
لغتي التي كررتُها عادت كأحجار الرصيف

ماذا أقول حبيبتي لتصدقينْ[1]
ماذا أقول حبيتي كي تفهمين[2]
ماذا أقول وقد تحجَّرتِ العباره
من أين لي غير اللغات المستعاره

هَبْني أشرت فهل ستفهمك الإشاره؟
هَبْني سكتُّ فهل ستتفق الحجاره
قلبي غدا كالقبر ما فيه إناره

(١)و(٢) هكذا وردت في الأصل.

ودمـــــي يـــكـــاد يـــضـــيء مـــن فـــرط الحـــــراره
ومـشـاعـري عـادت إلـى قـلـبي كـأبـكـار بـلا تـلـك الـبـكـاره
فـبـكـارتـي ضـيـعـتـهـا مـن غـيـر أن أجـد الأمـاره

مـاذا أقـول حـبـيـبـتـي لـتـصـدقـينْ(١)
مـاذا أقـول حـبيـتـي كـي تـفـهـمـين(٢)
مـاذا أقـول وقـد تـحـجـرت الـعـبـاره؟
مـن أيـن لـي غـيـر الـلـغـات المستعاره؟؟

إن كـان فـي لـغـة الـتـفـاهـم قـد بـدا عـجـز الحـضـاره
فـبـأي ذنـب تحـكـمـين عـلـى الـذي مَـلَـكَ الـشـطـاره
فـبـكـى وزفَّـــر واســتـشـاط مـن الحـــراره
واسـتـعـبـرتْ عـيـنـاه فـي تـلـك الـغـزاره؟؟
أَوَ كـلُّ ذلـك لا يُـسـمَّـى بـالـشـعـور ولا الـطـهـاره؟
أو كـل ذلـك لا يـنـال عـنـان قـلـبك عـن جـداره؟
إن كـان ذلـك لـيـس يـكـفـي كـي يـكـون هـو الـشـرارة
فـتـعـال يـا قـلـبـي لـنُـلـقـي فـوق ذكـراهـا الـسـتـارة
فـمُـنـاك قـد ضـاعـت سـدًى ضـاعـت خـسـاره
وأنـا الـذي قـد قـلـت مـا قـالـوه كـل الـنـاس قبلـي
لا لـم يـعـدْ لـي مـا أقـول ومـا أضـيـفْ
لـغـتـي الـتـي اسـتـعـمـلـتُـهـا جـفَّـت كـأوراق الخـريـف
لـغـتـي الـتـي كَـرَّرتُـهـا عـادت كـأحـجـار الـرصـيـف



****

(١)و(٢) هكذا وردت في الأصل.

٢٤ - إني موجود يا وطني[(١)]

إضـاءة

كتب صديقي الصحفي والأديب والشاعر عز الدين مكي يقول في صفحة آخر العنقود التي كان يحررها بجريدة «أنجمينا اليوم» بتاريخ ١٠فبراير عام ١٩٩٤م والذي وافق آخر أيام شهر شعبان، كتب يقول تحت عنوان «مطلوب القبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي»: «لو أني أملك حق القرار لأصدرت أمرًا بالقبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي بتهمة إهدار ثروة قومية ولحبسته في قصر يطل على نهر (الشاري) ليتفرغ فيه للإبداع» فرددت عليه بهذه القصيدة:

[المتدارك]

(مـطـلـوبُ) الـقـبـض عـلـى شـخـصـي
عـنـوانٌ قـارِئـهُ يـحـتـارْ

«انجـمـيـنـا الـيـوم» تـسـجِّـلـهُ
فـي آخـر عـنـقـود الأخـبـار

فـي الـيـوم الـعـاشـر مـن فـبـرا
يـر، آخـر أيـام الإفـطـار

وصـديـقـي «مـكـي» كـاتـبـه
مـا كـان صـديـقـي بـالمـهـذار

أعـرفـه رجـلاً إنـسـانًـا
يـأتـي الحـسـنـى ويـصـونُ الجـار



(١) عبد الواحد حسن السنوسي أنجمينا اليوم ٢٢ فبراير ١٩٩٤م، نشرت القصيدة في العدد١٣ بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٩٤م لجريدة أنجمينا اليوم بعنوان «أهي موجود يا مكي».



ويحاول أن يصنع شيئًا
في وطني المهزوم المنهار
لكنَّ الواقع يمنعه
دومًا وتعانده الأقدار
إني موجودٌ يا وطني
موجودٌ مثل غريب الدار
وحدي في بيتي معزولٌ
لا سمَرَ هناك ولا سُمّار
مسقومُ الجسم بلا مرضٍ
مشتوت الخاطر والأفكار
أوجاعُ بلادي تؤلمني
فنزيف جراحي ذا فوّار




فبلادي فوق شفا جرفٍ
هارٍ تنهار.. وكم تنهار
وأراها مكتوفَ الأيدي
لا قوةَ أملكُ لا أنصار
أنظر لبنائي يتداعى
ومصيري تنهشه الأخطار
ما كنتُ لأطلب يا وطني
سكنًا في الشاطئ للأشعار
ما كنتُ لأطلبَ لي قصرًا
وحدائق تزهو بالأزهار
لو أن بلادي تسمعني
تسمعني رغم هوا الإعصار

إعصار حناجر تتهاوى

تتقمص آلاف الأدوار

الكلُّ يغازلُ طلعتَها

ويمثل فارسَها المغوار

إعصارُ ضمائرَ ميّتةٍ

تتقبَّل حتى عارَ العار

مِن أجل منافعَ فانيةٍ

من أجل فرنكٍ أو دولار

إني بأتمِّ استعدادٍ

أن أسكنَ في أحقرها دار

في كوخ أو بيت فراءٍ

في كهفٍ ناءٍ أو في غار

لو أن بلادي تسمعني

من خلف ملايين الأسوار

من خلف ملايين الثوار

من أجل الدرهم والدينار

يأتون إليها قد لبسوا

أثواب الأبناء الأبرار

حتى إنْ سكنتْ في يدهم

لبسوا فيها ثوب الأشرار

وبدون ضمير حلبوها

حلبوا ثروتها كالفجار

فالأمةُ ليست تعنيهم

والوطن الغالي خيط بخار





فبلادي في عرف أولئك
لا تعدو من بعض الأبقار
ما كنتُ لأطلب يا وطني
شيئًا لو أن يدي تختار
لو أن بلادي تُبْصرني
أو تبصر فرسي في المضمار
يعدو من أجل سعادتها
مهما يمتد بنا المشوار
لكني وحدي معزولٌ
في وطني مثل غريب الدار
وضمير الوطنية ميت
قد ألقى الموتُ عليه ستار
وبلادي القسوةُ تنهشُها
وتمزِّقها حمَّى الأظفار
وأراها مكتوفَ الأيدي
لا حول أحوزُ ولا أنصار
لا أملك غيرَ الحبِّ لها
قد تفنى في الحبِّ الأعمار

****



٢٥ - إجدابيــا

[الكامل]

إضــاءة

خرجت من مدينة إجدابيا قاصدًا بنغازي.. ذات أصيل من عام ١٩٧٩م ولم أعد إليها ثانية إلا ذات صباح من عام ١٩٩٥م بعد خمسة عشر عامًا من الغياب والنوى وكانت إجدابيا عزيزة على قلبي، ففيها كان مهد طفولتي وأيامها الذهبية الغالية وفيها تلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة «زيد بن ثابت» الحبيبة، ولقد تعودت السفر واعتدت ولوج المدن دون انفعالات، ولكن لأن لإجدابيا مكانة خاصة في قلبي من بين كل المدن على وجه الأرض؛ فقد أوحت لي رؤيتها والسير في شوارعها التي تغيرت كثيرًا بهذه الأبيات[1]:

إجدابِيَا.. لو أن إخلاصًا يكال إذًا لكلـ
ـتُكِ من وفاء القلب كيلًا وافيا
أجدابيا.. لو أنني خيرت بين مدائن
أخرى وأنت لكنت لي أجدى بِيَا

في حضنكِ الميمونِ عشتُ طفولتي
ونهلتُ ثمةَ سلسبيلاً صافيا
فطلولُ ذاك العهد فيك تشدّني
وتشيدُ بي صرحًا قديمًا باليا

(١) عبد الواحد حسن السنوسي – إجدابيا – ليبيا ١١/١١/١٩٩٥م.

ومـــــدارجُ الأطـفـــال تـسـري فــي دمـي

وتـضـــخُّ ذكـــرى الـطـفـل فــي شـريـانـيـا

مــا إن مـــلأتِ بـفـيـض حـسـنـك نـاظـري

حـتـى اسـتـعـاد الـقـلـب نـبـضًـا سـامـيـا

نـبـضُ المحـــب إذا اسـتـعـاد حـبـيـبَـهُ

فـلــهُ المـشـــاعــرُ أولاً ومـثـانـيـا

عـشـنـا الـــغـــرامَ أنـــا وأنــــتِ فـحـالُـنـا

فــي الحـــبِّ لـم يــكُ، قـــطُّ، يـومًــا خـالـيـا

كـــنّـــا كــــوالــــدة تــهـيـم بـطـفـلـهـا

أو تـــوأمــــين تـعـاشـقـا فـتـفـانـيـا

كـــلُّ الـــــــدروبِ تـعـيـدنـي لـطـفـولـتـي

إذ سِـــــرْتُ فـيـهـا والــــــدروبُ خـوالـيـا

فـهـنـا هـنـالـك أو هـنـالـك أو هـنـا

دومًــــا أعـــود بـهـا لحـسـن مَـغَـاديـا

****

٢٦ - قانون غزية/ أو على كنبة[١]

[الكامل، الوافر، المتقارب]

(١)

على كنبة

جلست أمام منزلنا المطيّن ذات يوم أستريحْ

وهلِ الذي مثلي أنا في الناس يومًا يستريح

وطني جريحْ..

وسَّدتُهُ قلبي الجريح

فالجرح فوق الجرح ما انفك يسيح

وطني أنا وطنٌ عجابْ!!

وطنٌ قرأت لأجله ألف كتاب

فلم أجد غير الخرابْ

وضمائر ميتة يحكمها قانون غاب

وطني أنا وطنٌ عجابْ

وطن به يلقى الدخيل الأجنبيُّ مراسمَ الترحاب

رغم التدخل واختلاس المال والأفكار والذهب المذاب!!

أما المواطن صاحب الحق فلا يلقى سوى سوط عذاب

فالحاضر الموجود من أبنائه تلقاه محكومًا بقانون الغياب

فحياته فيها اغتراب في اغتراب في اغتراب

والغائب المفقود من أبنائه وهم كأوهام السراب

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد في يوليو، تموز عام ١٩٩٧م.



وطني أنا وطن عجاب

وطن إذا حدثتكم عنه بألف قصيدة وقصيدة

ما كان لي فصل الخطاب

وطني أنا وطن عجاب

وطني الذبيحْ

وطني الذي جرد فيه كل فرد خنجرا

ليصيب غَنْمًا أو لحقِّ الغير فيه يستبيح

نسجوا جميعا كيدهم واتفقوا أن يذبحوا وطني الذبيح

ذبحوه حتى العظم ثم انتهبوا أمواله

وتفرقوا يتفاخرون بعزه ويدندنون باسمه

بل يقسمون برأسه وحياته، وطني الذبيح

هم كاذبون منافقونْ

لكنهم للشعب دومًا خادعون

والله يعلم أنهم كذبه

وصحائف التاريخ تشهد أنهم كذبه

وأنا شهيد معها من منبري هذا، على كنبه

(٢)

على كنبه

جلستُ أفكر حتى حدود الجنون

أفكر ما كان أو ما يكون

أفكر في بيع بيتي الوحيد

لأذهب نحو البعيد البعيد

لعليَ أرتاد ذاك الجديد



وهل من جديد؟؟

على كنبه

أفكر في بيع أرضيتي

أمزق أوراق جنسيتي

لعلي أحقق أمنيتي

ببيت جديد يظللني فيه حسن الأمان

وحس الكرامة معْ زوجتي

وطفلي معي فيه أو طفلتي

على كنبه..

جلست أفكر حتى حدود الجنون

أفكر ما كان أو ما يكون

ثلاثون عامًا على كنبه





أجالس شخصًا يسمى همومْ

يقاسمني جلسة الدكة

ثلاثون عامًا على كنبّ

أراقب أوساخ هذي الأزقّ

تراكم تزداد في كل يوم

ثلاثون عامًا أراقب حولي خليط السمومْ

تطنُّ عليها جيوش الذباب

جيوش النهار وقبل الغروب

وبعد الغروب.. تروح وتأتي جيوش المساء

جيوش البعوض.. تدق الطبولْ

وتصبح مثل جيوش المغول



وتبدأ فور الوصول الهجوم

وترسل نحو الجيوش السهامْ

تمص الدماء وتنفث فيها بقايا السموم

لتذهب في الصبح ملء البطون لكيما تنام

ويبدأ جيش البعوض البديل

يُرِيش النبالْ

ويعرض رتل الصفوف الطّوال

ليبدأ هذا المساء الهجوم

حروبٌ حروبٌ.. حروب هنا وحروب هناكْ

بغير انتصارٍ وغير انكسارْ

صباحًا مساءً شتاء وصيفْ

يمزق فيها القوي الضعيفْ

ويُلْقَى به في مهاوى الزوال

ولكنْ محالٌ محال محال

فسرعان ما يستعر الذمار.. يدور المدارْ

يعود إلينا الضعيف قويًّا

فيفتك يفتك بالآخرينْ

بنفس الطريقة نفس المدارْ

يدور المدار

يحل مكان الصغار الكبار

وتذهب عنا شموس الصغار

وتغرب تغرب نحو الزوال

ولكن محال، محال، محال







يدور المدار، يدور المدار

لأنا ركِبْنا على عربات الحروبْ

لأنا ركبنا على عربات الدمارْ

ورغم التوقف بعض المساءْ

وجزء من الليل أو من أوان النهار

فسوف يدور المدار كشأن الإطار

إذا ما تحركت العربه

على كنبه

(٣)

على كنبه

جلست أراقب الأيام تمضي والزمانْ

أتجرع الصمت المهينْ

أتجرع الآلام من كأس الهوان

لا تحسبوا أني جبان

فالصمت عجز حين تمتلك اللسان

لكنه إذ لا حياة لمن تنادي

بات عجزًا أن تنادي أمة الموتى

وترسل صرخةً تمتصها الوديان

فلطالما ناديْتَها الأوثانْ

لكنه ما من مجيبٍ دعوتي

جنى رجيع صدى ندائي ذاب في أودية النسيان

الأذن الصماء في مسيرة الكلام أعتى عَقَبه

تتعطل الألسن ما تتعطل الآذان



لا تحسبوا أني جبانْ

فلطالما كافحتُ أشباحَ التخلف والهوان

وبذلت من كنز العطاء على امتنان

وأضأت عمري شمعة تهدي طريق التائه الحيران

ونصبت نفسي مرشدًا يدل كل حائر توهان

جردت من نفسي طلائع ثورة تعاند الظروف والمكان والزمان

راهنت عصرًا عشته بحماستي ومبادئي ورضيت بالرهان

غامرت مدفوعًا بكل حميتي وتطلعي للوطن الواحد

رفَّتْ فوقه ألوية الحب كسائر الأوطان

ومضيت أحمل شعلتي في أول الطريقْ

غير آبهٍ بظلمة السبيل وانعدام عنصر الأمان



ونظرت خلفي رامقًا طول الطريق

فوجدْتُني وحدي أسيرْ

لا تابعٌ خلفي يسير ولا نصير

كلٌّ مضى لسبيله كلٌّ مضى لقبيله

وخسرت أشراط الرهان

ووجدتني وحدي غريقًا تصرخ الأنواء حولي

صرخة مجنونة مصطخبة

وبحثت عن طوافة تنقذني عن قشة عن خشبة

فوجدت بعد اليأس هذي الكنبة..

على كنبه

(٤)

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيالٍ وأجيال تمرُّ ودونها عقبه!!

وما أدراك ما العقبه؟!

خلوُّ قلوبنا الحيرى من الإيمان يغمرها

فلا الإيمان بالأوطان يعمرها

ولا الإيمان بالمستقبل المرجوّ يُسْكرها

ولا الإيمان بالباري الذي بالروح أقرنها

وأسكنها حشايا الجسم والجلده

وطمأنها وثبتها وأسكنها وكانت قبل منقلبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدَّه الإعياء إن يجلسْ على كنبه؟

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيال وأجيال تمرُّ ودونها عقبهْ

وما أدراك ما العقبهْ؟!

خلوُّ رؤوسنا الوسنى من الأفكار غير الأكل والأزياء

واللذات والضوضاء والجَّلبه

خلوُّ حياتنا العجلى من التدبير والتفكير فيما يَعْمر الوطنُ

المكون من طلول ديارنا الخربه

خلو الساحة الكبرى من الأبطال يبتدرون للحلبه

فساحات الحقول اليوم في بلدي خَلَتْ من طيف زارعها

وساحات النضال خلت هنا من طيف سائغها ودارعها



وساحات العلوم خلت من العلماء والشعراء والكَتّبه

ولم تخلدْ من الساحات إلا ساحة اللذَّه

هنالك تعدد العدّه

وتلقى في ملاعبها رباط الخيل والشِّده

فثمة تُضرمَ النيران للحرب التي فيها

تتم هزيمة الإيمان والأخلاق

ويحصد معشر الأعداء في يسر حصاد النصر والغلبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدَّه الإعياء إن يجلس على كنبه؟

ولم تخلدْ من الساحات إلا ساحة اللذه

ففي ساحات هذا الغول يأكلنا

ويذبح كل يوم فوق مذبحةٍ ضحايا الكفر والرده

ترى عرباته يحملن آلاف الشباب إلى مجاهله

فلا وصلوا إلى شاطٍ أمين ثَمَّ يحفظهم ولا استبقتهم العربه

فآلاف الشباب اليوم في بلدي

يتوه بلجة الظلمات في وضح النهار

وآلاف البنات اليوم في بلدي

بكارات ضحايا الجهل والإهمال مستلبه

فلا مستقبلٌ للبنت في بلدي سوى المفروض في واقعها المشحون

باللذات منتهبه

وحتى قصة التزواج لا تعدو سوى استبدال بعض مصالحٍ

بالطول أو بالعرض محتسبه

وحتى معشر الأزواج مضطرون رغم الحب أن يستبدلوا العتبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدّه الإعياء إن يجلس على كنبه؟



تمامًا مثل ما فكرت

على كنبه

هناك أمام منزلنا المطيَّن ذات يوم أستريحْ

(٥)

على كنبه.. جلست أراقب الأيام تمضي لا تعودْ

كل يوم هي تمضي لا تعودْ

وأرى بلادي بلغت شيخوخة العمر وأضناها الصمود

وأرى بنيها جردوا أنفسهم من كل أشكال الضمير فجاوزوا كل الحدودْ

فالكل يأكل من بلادي عنوة نهبًا وسلبًا من عهودٍ وعهودْ

فكأنما هي جثة ميتة في قبرها قد وسِّدتْ

وكأنما أولادها من حولها سوسٌ ودودْ

عجبًا لهم وبلادهم تشكو التقهقر والتأخر والركود

لكنهم لا يفقهون القول إذ ليسوا يجيدون

سوى لغة التواكل والقعودْ

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العودْ

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العودْ

ساءلت نفسي ما لها بلدي أنا بالذات يكره أهلها

معنى الولاء لأرضها ولحبها المفقود؟؟

ما بالها بلدي تربي وتغذي ثم لا تلقى جزاءً

غير صدٍّ وعقوق وجحودْ؟

ما بال أقوامٍ بنوا إيمانهم بالمنطق القائل أن العقل شخصٌ أبيض

والعقل لا يوجد في عقول سود

ما بال أقوام إذا ما أبصروا جلادهم



ذلُّوا وخرُّوا ركَّعًا وسجود

ما بال أقوام إذا ما أُذِلوا لثموا أيادي مذلليهم والخدود

ما بال، بل ما با لها ما بالْ

طرح السؤال على السؤالِ

فعاد يسألني السؤالْ

ولا جوابَ سوى الشرود.. والشرود متعبة

لا يملك الشارد في شرود

إلا اجترار المسغبه

لا حيلة يملكها لا قوة لا تجربه

وما أنا سوى مواطن غريقٍ لم يجد سوى الشرود مركّبه

فقاده الشرود نحو ميناء يسمى كنبة.. على كنبه

(٦)

على كنبة.. جلست أمام منزلنا المطيّن ذات يوم أستريحْ

وهل الذي مثلي أنا في الناس يومًا يستريح؟

فكَّرتُ في تلك البليه

تلك التي يدعونها بالقبليه

تلك التي ألقت بنا في قعر هاويةٍ قصيَّه

تلك التي انقدْنا لها لجنونها

فتطلعتْ لغة الحوار وغيبت كل الحلول المنطقيه

وبها أثرنا الحقد مارسنا الحروب الهمجيه

وعلى مذابحها ذبحنا نفسنا يا ويح أنفسنا الغبيه

قومي أقول القبليه

عشنا بها مأساة فقدان الهويه



ذُقْنا بها أقصى صنوف الفقر والإملاق ذقنا التبعيه
تبعيةٌ في كل شيء من غطاء الرأس حتى اللغة المحكيهْ
قومي أقول القبليه
ما زال قومي من غزيه
يسترشدون برشدها يغوون إن كانت غويَّه
ما زال قانون غزيَّه
يحتل في وطني الممزق عرشه يحتل أركانا قويه
فغزية هي في قلوب الناس أعمق من هويه
وغزية أرفعُ قدرًا من شعور الوطنيه
وطن الجميع تراه في الترتيب يأتي ثانيًا أو ثالثا أو آخرا
أما غزيةُ فهْي تأتي أولًا حتى يكاد لسان حال الناس
يهتف قائلا: واعلو غزية.. واعلو غزية
مجدٌ قديم حازه هذا الوثنْ.. هذي الغزيه
هذي التي تجسدت بالقبليه
قَومي أقول القبليه
قومي أقول القبليه
هذا الذي سحر القلوب بسحره منذ العهود الحجريه
هذا الذي طبع القلوب بطابعٍ من معطيات البربريه
هذا الذي في بلدي لوّن كلّ عصبةٍ بلونْ
فكل فرقةٍ في بلدي تمتاز عن لدَّاتها بلون
وكل عصبة تختال في أعطافها لأنها بزعمها أصليه
وكل فرقة في بلدي تزعم أنها هي الأساس
وأن أي فرقة أخرى دخيلة دعيه



لكن وطني المنبوذ لا يكسوه أي لون

لأنه وطن الجميعْ

ولونه شعورنا بالوطنيه

تغمد الله شعورنا بالوطنيه

برحمة من عنده ونسأل الله لأهلها

صبرًا وسلوانًا على الرزيه

وهكذا عادت بي الأفكار بعد رحلة مسترقه

قامت بها الأفكار فوق ورقه

عادي بي الأفكار نحو واقعي كئيبةً حبيسةً منغلقه

وكانت الأفكار قبل في عوالم الأحلام حرة طليقة منطلقة

عادت وعدتُ للشرود مُعْرض ومعْرضه

عن كل ما يمتّ للأحلام بِصَله



ما كانت الأفكار غير لحظات وامضه

ما كنت أحلم غير حلم اليقظه

سافرتُ عبره في رحلةٍ مضطربه

وجدت نفسي بعدها قدّام منزلنا المطين

جالسًا أراجع الأحداث فوق كنبه

على كنبةٍ جلست أمام منزلنا المطين ذات يوم أستريح.

****

٢٧ - ذكرى الحرية[(١)]

[الكامل]

(١)

وإذا المساء أتى وقنديل المساءْ

ومضى ينير الأرض من وجه السماء

وجلستُ أرقبُ ضوءَهُ عند العراء

ساءلت عن ذكراكِ قنديل المساء

ذكراكِ أسئلتي لقنديل المساء

(٢)

وإذا أبى غيثُ الزمان نوالا

فرثى الورود وحطَّم الآمالا

وغدا رجائي كله أطلالا

ساءلت عن ذكراكِ أطلال الرجاء

ذكراك أسئلتي لأطلال الرجاء

(٣)

وإذا استدار القرصُ يُؤْذن بالأفول

وكسا بصفرتِهِ تعاريجَ السهول

وأوتْ إلى الأعشاش أطيارُ الحقول

ساءلتُ عن ذكراكِ أطيارَ الحقول

ذكراك أسئلتي لأطيار الحقول

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٩٨م.

(٤)

وإذا تـهـادى الـليـلُ فـي إثـر الـنـهـار وأدبـرْ
ومضتْ طيوفُ الأمس تلحقُ بالزمان الأغبر
وبـدا ركـابُ الـيـوم حـين الـصـبـح فينا أسفر
ســاءلــتُ عــن ذكــــراك طـيـف الأمــس
ذكـــــراك أسـئـلـتـي لـطـيـف الأمـــس

(٥)

وإذا ريـاض الـورد فـاحت واستشاط عبيرها
وتـأوهـت فـيـهـا الـبـلابـل واسـتـعـرَّ زفـيـرهـا
وتـنـهـدت فـيـهـا جـداولـهـا وأنّ غـديـرهـا
ســاءلــت عــن ذكــــراك آهــــاتِ الـبـلابـل
ذكــــراك أسـئـلـتـي لآهـــــات الـبـلابـل

(٦)

وإذا المواسمُ شمَّرتْ عن ساعديها للعطاءْ
وسنابلُ القمح المحمَّلةِ استقامت في ثراء
وتـوقـفَ الـفـلّاح يـرمِـقُ حقلـه فـي كبرياء
سـاءلـت عـن ذكـــراك قـامـاتِ الـسـنـابـل
ذكــــراك أسـئـلـتـي لـقـامـات الـسـنـابـل

(٧)

وإذا المـســاء تـلـبّـدتْ خـلـف الـغـيـومْ
وأوت إلـــى أعـشـاشـهـا كـــلُّ الـنـجـوم
والــبــرقُ صـــوَّب نـاظـريـه عـلـى الـكـروم
والـرعـد حـطَّـمَ غـاضـبًـا قـيـدَ الـوجـوم
وتراعشتْ قطعُ الحصى والرمل من هول الهزيم
ســاءلــت عــن ذكـــــراك حــبّــات المـطـر
ذكـــــراك أسـئـلـتـي لحـــبـــات المـطـر

(٨)

وإذا الخـــريــفُ أتـــى يـلــوِّح بـفـأسـهِ
وتـراعـشـتْ كـلُّ الـغـصـون مـخـافـةً من بأسه
فـالـكونُ قـطَّـب وجـهـه يشـكـو مــرارة كـأسـه
ســاءلــت عــن ذكـــراك أغـصــان الـشـجـر
ذكـــــراك أسـئـلـتـي لأغـصـــان الـشـجـر

(٩)

وإذا المحاريثُ استدارت تحت أقدام التلالْ
وتـرعـرعـتْ تلك الـبـذور بنغمة المـاء الـزُّلال
حـتـى غـدت ثـمـرًا تـفـيـضُ بـه الـسـلال
وتسامقتْ أفنانها بالظل في قيض الجبال
والـقـافـلـين الـعـابـرين تـفـيـؤوا تـلـك الـظـلال
ســاءلــت عــن ذكـــراك كــل الـعـابـريـن
ذكـــــراك أسـئـلـتـي لـكـل الـعـابـريـن

(١٠)

وإذا طـــوَتْ ذكـــراكِ أعـــدادَ الـسـنـين
فـعـكـفـتُ أنـشـرُهــا بـأنــات الـحـنـين
وتــســاءل الأصــحــاب أيــن الـراحـلـين
ســاءلــت عــن ذكـــراك كـل الـسـائـلـين
ذكـــــراك أسـئـلـتـي لـكـل الـسـائـلـين

****

٢٨ - كلنا في الضّاد شرق[1]

[الرمل]

الحمد لله الذي جعلني مسلمًا وشرفني بالإسلام والحمد لله الذي جعلني عربي القلب واللسان وعلمني من العلم ما لم أعلم وحباني بقراءة القرآن أم العلوم وأسبغ على نعمه تدبر معانيه، إنما أقف اليوم بين أيديكم جنديًّا صغيرًا من جنود هذه اللغة لأقدم واجبًا من واجباتي التي أعتبرها مقدسة، قداسة هذه اللغة التي نزل القرآن الكريم بها وجعلها لغة التخاطب في الحياة الآخرة، فتقبلوا مني هذه القصيدة عنوان حب وشهادة وفاء وصك ولاء.

جادَكَ الغيثُ إذا الغيث انهمرْ
يا تُرابًا ضَمَّ هذا المؤتمرْ

باركَ اللهُ لمن نادى له
وطنٌ لبّى نداءً فحضر

نحن ما جئنا لنلهو ساعةً
أو لنقضي بعضَ أوقاتِ السَّمر

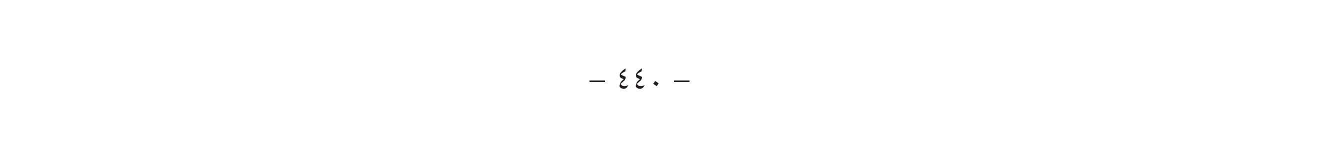
أمُّنا تجمعُنا أقدارنا
مثلما يجمعنا ماضٍ غبر

---

(١) قرأت القصيدة في الندوة الدولية العالمية الدولية «عالمية الأدب الإسلامي» التي أقيمت في الفترة ما بين ٢٧ من رجب – ٢شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٥– ٨ من أكتوبر ٢٠٠٢م في رحاب جامعة الملك فيصل بأنجمينا، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالمملكة العربية السعودية ومركز رسائل النور بتركيا، والقصيدة الآن مكتوبة على الكمبيوتر ومحفوظة لدى الأمانة العامة بجامعة الملك فيصل.



كلُّنا في الضَّاد شرقٌ واحد
دربُنَا «صنعا» وإن طال السفر
جمعتَنْا لغةٌ ساميةٌ
لغةُ المحكم من آي السور
أنزل الله بها فرقانه
بيِّناتٍ هاديات للبشر
خذ لها السبع المثاني مثلا
أو فخذ «هودا» و«طه» و«الزمر»
خُذْ من القرآن ما شئت لما
شئت واصدع بالمثاني وأتْمِر
باركَ اللهُ لدِينٍ ضمَّنا
ووقانا من غواياتِ الكِبَر
فعسانا قد أقمنا حجةً
لصلاح الأرض واستئصالِ شر
فهي ميراثٌ لنا إن صلحتْ
ذاك ما سطَّر في متنِ الزُّبر
نحن يا قومُ حَزَمْنا أمْرَنا
وعلى الجمر مشينا نحتصر
وعَجَنَّا الضَّادَ من أدمائنا
فتجلَّى في بنينا واختمر
من أراد الضادَ يلقاها هنا
بين فرثٍ ونجيعٍ مُنهمر





نـحـن يــا ضـــادُ مـشـيـنـاكِ خُـطًـى
وارتـــضــيـــنـــاكِ قـــضـــاءً وقـــدر

حــفــروا خـــنـدقــهُـمْ مــن حـولـنـا
وأبـــادونــــا وقـــوفًـــا كـالـشـجــر

طـمـسـوا تـاريـخـنـا أو حـاولـوا
طـمـسـه لـيـلاً وهـــل يـخـفـى الـقـمـر

كـلـمـا كـــادوا لـنـا كـيــدًا غـوى
مـثـل كـيـد الـسـحـر يـغـوى مـن سحر

قـتـلـوا أعـلامـنـا واسـتـعـمـلـوا
كـبـكـبًـا لـم يُـبـقِ حـيًّـا أو يـذر[1]

كـم مـن الـشـهْـداء قـد مـاتـوا وكـم
مـــلأتْ أجـســادهـم تـلـك الـحـفـر

قَـــرروا إفـنــاءنـا مــن جـهـلـهـم
قـل لـهـم هـيـهـاتَ أن تَـفـنَـى مُـضـر

نـهـبـوا أمـلاكَـنَـا واسـتـلـبـوا
أرضَـنـا كـــلَّ نـفـيـس مـنـطـمـر

لـم يـراعـوا الـلـه فـي أقـواتـنـا
كـيـف يـرعـى الـلـه رعـيـان الـبـقـر

خـدعـونـا وادَّعــوا اسـتـغـلالـنـا
إنـمـا ذاك خـــداعٌ لـلـبـصـر

(١) في البيت إشارة إلى حادثة الكبكب (الساطور) التي نفذت عام ١٩١٧م بمدينة أبشى والتي استشهد فيها أكثر من ٤٠٠ عالم وشاعر.



تــركـــوا طـــابـــورَهُـــم فـــي أرضـــنـــا
عـــيِّـــنـــاتٍ مـــثـــلَ فـــأر الـمـخـتـبـر
وبـــهـــم صـــالـــوا وجـــالـــوا وسْـطـنـا
فـــرضـــوا كـــلَّ بـغـيـضٍ مـحـتـضـر
لــغــة الأعْـــجَـــام لا مِـــنّـــا ولا
نــحــن فـــي بـــاديـــة أو فـــي حـضـر
فـــرضـــوهـــا ثـــم قـــالـــوا إنمـــا
لـــغـــةُ الـــقـــرآن شـــرٌّ مـسـتـطـر
لـعـنـة الــلــه عـلـيـهـم كـذبـوا
لـيـس مـنـا كـــلُّ كـــذابٍ أَشِـــرْ
عـــرفَ الحـــقَّ فـلـم يـــؤمـــنْ بـه
ومـــتـــى يـــؤمـــن قـــلـــبٌ مـــن حـجـر
خـــتـــم الـــلـــه عـــلـــيـــه خَـــتْـــمـــه
فـــهـــو لا يـــبـــصـــر إلا فـــي سـقـر
نــحــن يـــا إخـــوتَـــنـــا تـــاريـخـنـا
ســيــرةٌ لـــلـــضـــاد مـــن أزكـــى الـسِّـيـر
وامـــتـــداد لخـــطـــى أســـلافـــنـــا
إنمـــا الـــنـــارُ نـــتـــاجُ لـلـشـرر
نــحــن يـــا إخـــوتـــنـــا قـــد رابـــنـــا
دهْـــرُنـــا لـــكـــنـــنـــا لـــم نـنـدثـر
قـــد قـضـيـنـا الـعـمـرَ نـرجـو حـقَّـنـا
فـــي مـــيـــاديـــن الـــوغـــى كـــرٌّ وفـــر



ودفَعْنا كل غالٍ فديةً

كي يرى النورَ كهذا المؤتمر

واحتسبنا اللهَ في إخوتنا

ذهبوا قبل اجتناءات الثمر

فإذا ما خاننا التوفيقُ في

بعض أشياء فعنها المعتذر

نحن يا ضادُ إذا الخيلُ عَدَتْ

في كديد الحرب جئنا نبتدر

نطعنُ الأعلاجَ في أَنْحُرِهِم

فَهْيَ إحدى الحسنيين لا وزر

نحن يا ضاد لنا أيامنا

في لظى الصحراء إذ ولوا الدبر

أرض «منقلمي» و«صلّال» التي

كان فيها عبرة للمعتبر[1]

إذ تركْنا فوقها أشلاءَهُمْ

مزقًا مثل الهشيم المحتضر

وتركنا عندها أرواحَهم

طعمةً للنار بئس المستقر

وأذقناهم عذابًا حاضرًا

وعذاب الله أدهى وأمر

نحن يا ضادُ فديناك فدًى

ليس يفديه ذليل منكسر

---

(١) «منقلمي» و«صلال» أسماء لأماكن في تشاد.



بــالــدم الـغــالــي وبــالــروح مـعًا

لا أنـــامَ الــلـــهُ عـــين المـنـدحـر

نـحـن مــا صــنَّــاكِ إلا بــعــدَ ما

بــلـــغَ الـسـيــل زبـــاه وانـــحــدر

زعــمــوا أنـــك لا تــرقـــى إلـــى

ســدةِ الـعـلـم، فـمـن أيــن المـفـر؟

وعــلــومُ الـكـون فـيـضٌ ســال من

بـحـرك الــزاخــر دومًــا بــالــدرر؟

زعــمــوا أنـــكِ ضـــيــفٌ عـنـدنـا

كـيـف يُـسـتـبـضَـعُ تمـرٌ فـي (هَـجـر)؟

إن مـــن يـسـخــر يـــا ضـــادُ بنا

إنمـــا يـصـطـاد فــي المـــاء الـعـكـر

إن يـكـن حـبـك خـــمْـــرًا فـمـلأئـي

كـأسـهـا حـــبًّــا وهـــاتـــي نـخـتـمـر

(هـــل رأى الحـــب سـكــارى مـثـلـنـا)

لا يـفـيـقـون مـــن الـعـشـق الخـطـر

أيــنــمــا يـشـمـلـنـا حـــبٌّ لِـــمــا

هـــو حـــق يـــوم لا تُـغْـنـي الـنُّـذُر

لـغـة الـــفــــردوس إذ تحـكـي بـهـا

حــــورُ عِــــينٍ فــي مـاَقـيـهـا حَـــوَرْ

لا أفــــاقَ الــلــه مَـــثــمــولًا لـنـا

مـــا دعـــا لــلــه داعٍ أو شـكـر



نحن يا إخوتنا في خندقٍ
واحدٍ رغم اختلافات النظر
ديننا إسلامُنا يجمعُنا
ولسانٌ يعربيٌّ مشتهر
ورسولٌ واحدٌ قدوتُنا
هو خير الخلق من جنس البشر
نحن يا إخوتَنا في كربةٍ
من أحابيل العدى جوًّا وبَر
كم دهانا القرحُ في بلوائهم
فشكرنا اللهَ من مسّ الضرر
بَلْبَلَ الكفار أجيالًا لنا
وغزَوْنا بثقافات الصور
داوموا إغراءنا واستعملوا
كل أسلوبٍ دنيء منتكر
زيَّنُوا للناس دنياهُمْ فها
قد سرى في الناس (أفيونُ) الخَوَر
فنَسَوا أنا ملكْنَا أمرهم
بهُدَى القرآن والذِّكْر العَطِر
فافتحوا أعينَكُم يا قومَنا
واستفيقوا من رقادٍ وخدر
من يكن أسلافه أسلافَنا
قطعَ النومَ بأسياف السهر



أيـــن مـنـــا خـــالـــدٌ ســيـــفُ الــوغــى
مـــن ســيـــوف الـلـــه مـسـلـــول الـخـطـر

وعــــلــــيٌّ لا فــتـــى إلاه مـــن
(أُحُــــــدٍ) أو (خــيــبــرٍ) حــين انـتـصـر

وأبـــو بــكــرِ الــــذي لــو مــنـعـوا
مـــن جــبــايــاه عـــقـــالًا مـــا صـبـر

وابـــن خــطــابِ الـــذي فـــي عــهـده
فُــتِـــحَ الــقـــدس بـمـفـتـاح الـظَّـفـر

عـــدْلُــــه كــــان مـــثـــالًا يـحـتـذى
طَـــبَـــقَ الأفـــق ودوَّى وانـفـجـر

أيـــن مــنّـــا حــمـــزةٌ لـيـث الـشَّـرى
ســيـدُ الــشـــهـــداء مـشـهـور الخـبـر

وشــهــيــدُ الـــــدار عــثــمــان الــذي
ســيَّـــر الجـــيـــشَ وأقــــــرَى ونــحــر

وابــــن جــــــراحٍ أمــيــنًـــا قــائــمًــا
يـحـكـم الــثـغـر ويُـــــرْدي مـــن كـفـر

أيـــن مـــنـــا عـــقــبـــةُ الخـــيـــر غـــزا
بــخــيـــول الــلـــه بــيــضــاءِ الــغُــرر

والمـــثـــنـــى وابـــــن وقــــــاصٍ ومـــن
بـهـم الإســـلام فـــي الأرض انـتـشـر

وصــــــلاحُ الـــديـــن شـــمـــسٌ سـطـعـت
فـــي ســمــاء الــقــدس صـبـحًـا وسـحـر



هــــزمَ الــصُّــلــبــانَ رغـــمَ جـمـوعِـهـا
والــتــقــى بــالــســيــف كــيــد مـــن غـدر
أيـــن مــنــا فــيــصــل الحـــــقِّ الـــذي
كـــان اســـمًـــا مـــن مــســمَّــاه صــدر
مــلــكٌ مـــن خــيــر مـــن زكَّـــى ومــن
خــيــر مـــن صــلّـــى وحـــج واعــتــمــر
زارنـــــا والخـــيـــر فـــي أعــطــافــهِ
فــابــتــنــى فــيــنــا صـــروحًـــا وعَــمَــر
تـــاركًـــا ذكـــــرًا كــريمًـــا خـــالـــدًا
عــابــقًــا بــالمــســك والـــزهـــر الــعَــطِــر
مــســجــدًا حــاكــى الـــذي فـــي يــثــربٍ
أثــــــــرًا يـــا حـــبـــذاه مـــن أثـــر
فــتــأمــلْــهــا عـــروسًـــا زُيِّـــنـــتْ
بــجــمــال الــعــلــم بـــالـــورد الــنــضــر
بــــــرزتْ فـــي خـــدرهـــا مـــن بـعـدمـا
أطــفــأت شــمــعــاتــهــا الإحــــدى عـشـر
بـــــارك الـــلـــه رجـــــالًا صـــارعـــوا
كــل صــعــبٍ مــن صــعــوبــات الــغِــيَــرَ
وأقـــامـــوا صــرحــهــا واســتــقــبــلــوا
بــســــلاح الــعــلــم آتٍ مــســتــتــر
عـــرقُ الأعـــــوام مـــا ضـــاع ســدى
وجـــهـــود الأمـــس مـــا راحـــت هَـــدِر



فــهــي مــســتــقــبــلُ أجــيــال لــنــا

كـــاد مــســتــقــبــلــهــا أن يــحــتــضــر

فــبــهــا رايــاتــنــا قــد تــعــتــلــي

وبــهــا طــوفــانــهــم قــد يــنــحــســر

فــاحــمــدوا الــلــه الــذي ســدَّدَنــا

وهــدانــا لــســلــيــمــاتِ الــفِــطَــر

إن حــمــدَ الــلــه مــحــمــودٌ إذا

جــادك الــغــيــثُ إذا الــغــيــثُ انــهــمــر

****

محمد عمر الفال[1]

١ - وَفْدُ فَهْدٍ الخَيْرِ

[الطويل]

نُـحـيِّـيـكَ يـا وفــدُ وهــا أنــت شـاهـدُ
وقـد كـنـتَ ربَّ الـدار فـي الـقـلـبِ نـازلُ

فـمـا بـين هـذي الـدارِ يـا وَفـدُ فـي الـعُرى
وبـين ريـاضِ (الـنَّـجـدِ) هـذي الـشـمـائـل

تـعـاظَـمَ فـيـنـا الـخـيـرُ مـا دام بيننا
ومـادام وفْـدُ (الـفَـهْـدِ) فـيـنـا يُـواصـل

وفـودكـمُ - يَـا فَـهْـدُ - تـهـدي إلـى الـهـدى
وتـسـعـى إلـى الـخـيـراتِ مـا سـال سائل

أيـا خـادِمَ الـحـرمـينِ إنـك هـا هـنا
وإن غـبْـتَ عـنـا إن خـيـرَك واصـلُ

---

(١) الشاعر الدكتور محمد عمر الفال شاعر تشادي ولد سنة ١٩٦٨ بمحافظة البطحاء الشرقية وتعلم القرآن الكريم على يد والده، ثم سافر إلى ليبيا وأتم فيها دراسته الابتدائية ثم سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف ومنه نال الشهادة الإعدادية سنة ١٩٨٤ ثم سافر إلى سوريا وهناك درس المرحلة الثانوية ثم الجامعة، ثم سافر إلى السودان فنال درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة أم درمان سنة ١٩٩٧م وبعدها نال درجة الدكتوراه في سنة ٢٠٠١ وقد التحق بصفوف ثورة «فرولينا».

وعمل محاضرًا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا، ثم انتقل ليعمل محاضرًا في كلية الدراسات الإسلامية الليبية.

وللشاعر ديوان مخطوط بعنوان «أصداء النفس»، ويعد من الشعراء المحافظين في تشاد، ويتسم الديوان غير المطبوع بمسحة دينية محافظة وملتزمة بأصول الشعر القديم، وفي الوقت ذاته يعبر عن همومه الذاتية وهموم مجتمعه من حوله.

مقابلة مع الشاعر في مبنى كلية الدعوة الإسلامية بأنجمينا، أبريل ٢٠٠٢م.

نُـنـاديـك مــن بُــعْــدٍ وهـــا أنــت هـاهـنـا
يُـــجـــاوِبُ عـنـك الـقــومَ فَـضْـلٌ ونـائـلُ

فـضـلْـتَ عـبـادَ الـلـهِ سـعـيًا إلــى العُـلا
ولا شـكَّ حـامـي الـبـيـتِ والـبـيـت فـاضـل

قـدومُـكُـم يـا وفْـــدَ (فَـــهْـــدٍ) يـغـيثـنـا
وشـــادكـمُ مـحْـلٌ وذا الـغـيـثُ هـاطـل

إذا غـــاب عــنّــا فـيـصـلٌ جـــاء بـعـده
فـيـاصـلُ غـيـثٍ بـعـده وفـيـاصـل

أقـيـمـوا بـنـي الأحـــرارِ فـيـنـا مـنـائـرًا
تَـزيـنُ سـمـاءَ الـشـادِ، والأرضُ مـاحِـل

غـشَـاهـا زمـــانُ الـحـرب حـتـى تـعـاقـبتْ
عـلـيـهـا جـنـود الـفـقـر: ركْـبٌ وراجـل

تـنـاوب فـيـهـا الـخـطْـبُ حـتـى كـأنـما
إذا جـاءهـا (قُـسٌّ) تـنـحـنـح (بـاقِـلُ)

وقـد كـان لـلأجـيـال مـن قـبـلُ فـيـصـلٌ
بـنـى مـجـدَه بـالمـالِ، والمـال راحـل

سما فـيْـصـلٌ يبني – ومَـنْ بَـعْـدُ فـيـصـلٍ –
قـلاعًـا يـشـيـخُ الـدهـر فـيـهـا، ومـائـل

أفـي الأرض مَـنْ يبني قـلاعًـا عـلى المدى
تُـقـارع رَيْـبَ الـدهـر، والـدهـرُ زائـل؟

بـنـاهـا فـأعـلـى ثـم قـال عـلـى المـلا
إلـى مـثـلِ هـذا المـجـدِ، مـا أنـا فـاعـل

أُسـابـق هـذا الـدهـرَ بـالـبـذلِ جـاهـدًا

وإن مِـتُّ، بـاقـي الـحـمـدِ عـنـي يـنـاضـلُ

فـمـا المـوتُ يـخـشـى غـيـر أنّ لـدى الفتى

رغـائـبَ خـيـرٍ حـال عـنـهـا الـحـوائـل

يمـوتُ الـفـتـى لا شـكَّ والمـوتُ لاحـق

سـوى أن مـوتَ الـخـيِّـريـنَ يُـعـاجـل

فـقـدنـاك – يـا مَـلْـكُ – وقـد عِـشْـتَ بيننا

فـهـا أنـت فـيـنـا الـيـومَ مـاضٍ وقـابـل

وحـاضـرُ عِـلْـمٍ فـوق ديـنٍ فـإنـنـا

نـحـيـيـك مـا عِـشْـنـا كـأنـك مـاثـل

بـنـى مـركـزًا لـلـدين فـي (الـشـادِ) شـاهـقًا

فـقـائـلـةٌ مَـنْ شـاد هـذا وقـائـل؟

تـخـرّج مـنـه الجـيـلُ والجـيـلُ لـم يكن

لـه أبـدًا يـومًـا سـواه بـدائـل

إذا سـابـقـتْ أجـيـالـهُ الـقـومَ مـالـهـا

سـوى الـسّـبْـقِ يـومًـا حـين يـأتـي الأوائـل

ولـم يـكُ ذاكَ الـفـوزُ إلا لأنـه

وراء وراء الأمـرِ هـادٍ وعـامـلُ

رجـالٌ يـرون المـجـدَ أدنـى مُـنـاهُـمُ

ولـو هَـدَّمـتْ مـا يـبـتـغـون المـعـاوِل

قـلـيـلٌ هـمُ فـي الـنّـاس لا شـك أنـهـمْ

– بمـا قـدّمـوا لـلـخـيـر فـيـنـا – قـلائـل

فـمـنـهـم وزيـرُ الـعـلـمِ (آدمُ قُـجَّـةٍ)

رعـى مـا رعـى والـنّـاسُ: سـالٍ وسـائـل



تحمّل عِبْءَ (الضادِ) حتى كأنه
ينوء بأحمالٍ لهنّ حَمائل
ومنهم إمامُ الدين أعني (حُسَيْنَهم)
فقد عَظُمَتْ أفعالُه وَهْوَ ناحِل
إمامٌ يحبُّ الخيرَ للناسِ ما ونَى
يلاحقه منهم لئيمٌ وجاهل
ولكنه لم يُلْقِ بالاً، فما المدى
على رأيه إلا رحيل وراحل

بتاريخ ٢٠٠١/١/١١ أنجمينا – تشاد
نظمت بمناسبة حفل تكريم خريجي
مركز الملك فيصل الإسلامي يوم ٢٠٠١/١/١٢ بقصر ١٥ يناير

****

٢ - لم يبق لي فيك عذر

[البسيط]

إن قلتِ: ما لك تلحاني وتعذلني
جرَّاءَ ما عثرت إياك بي قدمي

خطيئةٌ بَدرتْ في زَخْم مكرمةٍ
مني على عجل لولاك لم تُقَمِ

إني أرى من يقع في مزلق لَزِجٍ
لا يعذر الدهر مرهونًا بجرم دم

أهكذا حكم كل الناس إن حكموا
على بريءٍ من الآثام منفصم

قد كنتُ أحسب ما فعلي بمنخفض
إليك أنتَ، ولا قولي بمنجرم

أرقتُ فيك دموعَ الشوق تسعفني
مبادئ نلتها من خير محتدم

ناضلت دونك من أعطوا مودتهم
في سالف الدهر غذّوني من النعم

وما شكوت لظى حرب يُؤججها
لحرق أهدافنا جيشٌ من اللُّؤَم

وصيَّرتْني ملاكًا في بنات أبي
معاركُ خضتها في أحلك الظُّلَم

أمــام ســورٍ مـن الـعـادات يـصـرفـنـا
عـن الـلِّـحـاق بـركـب الـصـحـب فـي الـقِـدَمِ
فـفـزتُ فـيـهـا بـسـهـم الـنـصـر جـائـزةً
مـن الـضـعـاف صـغـار الـعـزم والـهـمـم
لـم يـبـقَ لـي فـيـك عـذرٌ فـي محـاجـجـتي
هــذا جـمـــاعٌ، لمـا أخـفـاه مـنـك فـمـي
أقـــول: لا تـضـرعـي فـي سـاح مـغـفـرتـي
فـإن مـثـلـكِ لا يـجـثـو عـلـى قـدمـي
بـرئـتُ مـنـك بـــراءَ الـذئـب يـوم جـنـى
أبـنـــاءُ يـعـقـوبَ فـاحـتـالـوا لــه بـدم
ألـقَـوا أخـاهـم مـن الأحـقـاد مـنـتـسـكًا
فـي قـــاع بـئـر، ولـــم يـلـــووا لمـرتـطـم
وأذرفـــوا الـدمـع تـصـديـقًـا لـفـعـلـهـمُ
فـي صـدر يـعـقـوب خـالـي الـذهـن مـن نـقـم
كـــذاكَ أنـــتِ، فـلا يـخـفـى خـداعـك لـي
وقـد بَـقَـى أزمـنًـا يـسـري خـلال دمـي
مـا أشـبـهَ الـيـومَ بـالأمـس الـذي ذُكِـرَتْ
أخـبـــارهُ فـي كـتـاب الـلـه، لا قـلـمـي
قـد كـنـت فـي غـفـوة لـيـلاً بُـهـرتُ بـهـا
والـيـوم أيـقـنـتُ أن الـنـورَ فـي حـلـمـي
إيـــاك أن تـقـربـي أنـــوار مـسـرجـتـي
فـإن قُـدْسِـيَ مـحـروس عـن الـظُّـلَـم

حــاشــايَ أن أرتــضــي عـــذرًا لجانية

كـانـت تُـدنِّـسُ فـي قـدسـي وفـي حـرمـي

حــاشــايَ أن أقـتـفـي رسـمًـا لـظـالمةٍ

قـد حـار فـي أمـرهـا مـجـمـوعـة الأُمم

سـحـبْـتُ كـل رصـيـدٍ كـنـت أُودعـه

لأنَّ (بَـنْـكَـكِ) لـم يـسـلـم مـن الـتُّـهـم

حررت يوم ٥/٦/١٩٩٥م – الخرطوم

****

٣ - موقوف ٢

[الكامل]

لا تحــزنــي مــن عَــرْشِــكِ الخَــرِبِ
كــلاَّ، ولا مِــنْ أمْــسِــكِ الــدابــرْ
لا تــقْــرَبِــي يــا هــنــدُ ضــارعــةً
إيَّــــاكِ، إنّــــي لــســتُ بــالــغــافــرْ
أخــتــاهُ إنَّ الحُــــبَّ فــي زمــنٍ
فــيــه الــعَــفَــافُ عــلامــةُ الــفــاجِــر
لا أرتــضــيــهِ وقــدْ بــدا قــمــرِي
يُــنــوِّر الأكــــوانَ لــلــســائــر
لا تَــخْــدِشِــي خــدَّيْــكِ آسِــفَــةً
مِــنْ فَــوْتِ حُــبٍّ مَــرَّ كــالــزائــر
فــالــنّــاسُ فــي أهــوائــهــم حُــمُــرٌ
يــتــفــاخــرون ومَــا لَــهُــمْ فــاخِــر
لا تَــعْــجَــبِــي أخــتــاه مــن غَــضَــبِــي
فــالحُــبُّ فَــوضَــى، فــاقِــدُ الــنــاظــر
أخــتــاهُ إنَّ الحُــبَّ مــخــتــلِــفٌ
عــنــدي، وفــي مــفــهــومِــهِ الخــاســر
أنْ لا حــبــيــبَ بِــذِي الــدّيــارِ ولا
حُــبٌّ كــمــا كُــنّــا عــلــى الــغــابــر



أخـــتــــاهُ إنَّ الـــوصـــلَ مـنـقـطـعُ
فـابْـكِـي جَـــوًى مِـــنْ حـظِّـكَ الـعـاثِـر
لا تــأسَـفِــي مــن حــبِّـكِ الــنَّـجِـسِ
كـــلاَّ، ولا مِـــنْ طُـــهْـــرِكِ الـسـافـر
لـــلـــنَّـــاسِ فـــي عُـــشَّـــاقِـــهِـــم بَـــدَلٌ
إنْ صـــحَّ ذا أو مِـيـــلَ فـــي آخـر
لا تَحْـسَــبِــي يَـــا مَـنْـبَـتَ الـدِّمَــنِ
أنِّـــي سَـكَـنْـتُ الـقـلـبَ فـي الـظـاهـر
خــضـــراءُ حُـــسْـــنٍ زَانَـــهـــا حَـــوَرٌ
لـكـنَّـهـا أُلْـــعُـــوبَـــةُ الـسَّـــامــر
فَـلْـتَـذْهَـبِـي يـا ظـبـيـةَ الـعَـطَـنِ
خــضـــراءَ حُـــسْـــنٍ خـــاثـــرٍ فـاتـر
قـد قـــالَ ذاكَ الْمـصـطـفـى قِـدَمًـا
فَـــهْـــوَ الـدّلـيـلُ عـلـى نـــوى المَـاكـر
فـــالـحـــبُّ فـــي قـلـبـي تُمـــزِّقُـــهُ
ذِكـــــراكِ لـيـت الـــلُّـــبَّ كـالـظـاهـر
يـــا هـــنـــدُ إنِّـــي عـــنْـــكِ مـرتـحـلُ
فـابْـكِـي إلـــى أنْ يـعـطِـف الجـائـر
لا تَــرْكُــضِـــي أخـــتـــاهُ فـــي أَثَـــرِي
إيَّـــاكِ أنْ تَـــسْـــرِي عـلـى الخـاطـر
قـــد كـــنـــتِ فـــي قـلـبـي مُـعـظَّـمـةً
والآن أشْـكــو مــن هَـــوَى الـبَـائِـر

قَـــدْ خـــابَ ظـنِّــي فـيـكِ أنــزعُــهُ

كَــيْــلاَ تَـبَـقَّـى ذِكْــــرَةُ الــذاكِــر

قَــدْ صِـــرْتِ فـي عـيـنـيَّ حــينَ أرَى

مـثـلَ الــقَــذَاةِ عـلـى الـنَّـقـا الـطـاهـر

قــد دُنِّـــسَـــتْ فـــي مُـقـلـتـيـك يـدي

وَاحَـــسْـــرَتــاكِ عـلــى يـــدي الـغـائـر

أخــتــاهُ لا يَـــغْــــرُرْكِ فـــي طـلـبِـي

أنِّـــي سَـكَـنْـتُ الـقـلـبَ فـي الـظـاهـر

لـــي شِـيـمــةٌ لــم يُـعـطَـهـا أحــدٌ

غــيــري، إذا مــا عِــفْــتُ كـالـطـائـر

أعــلــو وأســمــو فـــي الــعُــلا أنِــفًــا

- كـيـلا أُدَنَّـــس - فـي الـهـوا الـطـاهـر

أخـــتــــاهُ مـــا لـــي فـيــكِ مُـطَّــلَــبٌ

فـابْـكِـي إلـــى أن يـسـمـعَ الـعـابِـر

أخـــتـــاهُ إنَّ الــحــبــل مـنـقـطـعٌ

بـيـنـي وبـيـنـكِ رِفْـــقَـــةُ الـسَّـــائِـر

****

٤ - القلب النابض

[الكامل]

تُريدُ صدِّي عن هوايَ لعلَّما
أجِدُ السُّلُوَّ بنأيها وأُصَنِّفُ
لا، لن أشُقَّ عصا المودة بعدما
عَلِق الفؤادُ بمن أُعِزُّ ويكنِف
لو كنتَ تُبلَى ما بُليتُ رحَمْتني
بالحب يُعرفُ مَن يضِنُّ ويُسرف
يا عاذلي حكم الإلهُ بودِّنا
يوم انثنى زهرُ الرياض يُرفرف
رغْم البِعادِ يلومني فيك الأنا
مُ، ولم تزل آمالُنا تُستأنَف
حَذَرَ الوُشاةِ أُريد بُعْدكِ راجيًا
منكِ السلامَ، وليتني أستكشف
منكِ الجوابَ، وقلَّما يستصغرُ
ليَ ما رجوتُ من السرور فآسف
رَصَدَ الوُشاةُ بحقنا سهمَ العِدى
ولقد جَهِدتُ أصدُّهم وأُعَنِّف
تبَّتْ يدا المتقاعسين عن العُلا
ولما بَقِيْتُ لأُعرِضَنَّ وأَصْدِف

شـاهـتْ وجــوهُ الـلائـحـين عـلـى الـهـوى

ودَعَـــــوْتُ (عَــبْــدًا) بـالـكُـنـى وأُحَـــرِّف

إســمًــا يــبــدِّد ذكْـــــرُهُ فـيـنـا الـقـوى

وإذا رأيــــــتُ خــيــالَــه أتـلـهَّـف

أنـــا لــن أمـــوتَ ولـــي قُـلَـيْـبٌ نـابـضٌ

ولـقـد بُـلـيـتُ هـــوى الأحـــبَّـــةِ أهـتـف

(يــا لـيـتَ شـعـري مَــنْ بـدا لـي نَـأيُـه

ذا الــعــام يـبـدا بـالـوئـام ويـعـطـف)

نظمت بتاريخ ٥/٣/١٩٩٢م

دمشق

****

٥ - لك التحيات

[البسيط]

لــــكِ الــتــحــيــاتُ أهــديــهــا مــعــطــرةً
لـتـعـلـمـي أنــنــي بـــاقٍ عـلــى الــعــهــدِ[1]

عــهــدِ المـــــودةِ إذ تحــلــو مــجــالـسُـنـا
مـن فـائـح المـسـك أو مـن طـيِّـب الشـهـد

أيـــــامَ نـســتــرقُ الـلـقـيـا وتـرقـبـنـا
عــيْنُ الــوشـــاةِ، فـلا نـامـت إلـى الأبـد

مـا بــالُ عــينِ الحـسـود الـدهـرَ ترصدُنا
تـبـت يــــداهُ وعـــانـى حـرقـة الـكَـبـد

أُحِـــــسُّ دونـــكِ بـالحـمَّـى تُـعـكِّـر لـي
صـفـو الحـيـاة عـلـى مـا كـان مـن جَـلَـدي

تـهـواكِ نفسـي إذا مـا رحـتُ أصـرفـهـا
خــلاف مــا تـشـتـهـي إلأَّكِ لــم تُـقَـدِ

حـتـى طـربـتُ وصـــار الـكـون يحـسـدنـي
مـن أن ظـفـرتُ بــذاتِ الـديـن تُــرْبَ يـدي

لــولا الحـيــاء ولـــولا الـديـن يعصمني
لـكـان لـي فـي هـــواكِ الـيـومَ معـتقـدي

فـيـكِ الخـــلالُ الـتـي تُـبـدي بـواكـرهـا
أصـــالـــةَ المـنـبـت المــرعـــيّ بـالجَـهَـد

---

(١) يلاحظ أن القافية تدور بين الخبن والقطع.

إن كــان لــي فـيـكِ حــظٌّ قـد بــدا قـمـري

يــنــوِّرُ الــكــونَ مــن ظَـلْـمــاءِ يـــومِ غـدِ

نـبـنـي الأصــالــةَ بـل نـسـقـي الـثـمـار مـعًا

مــن روضـــة الحـــب نــغـذوهـا عـلـى كـبـد

سَـلِـمْـتَ يـا سـاكـنَ الـبـطـحـاء فـيـكَ نـدًى

تُـنْـدي رذاذاتُـــه مــا جَـــفَّ مــن جـسـدي

أنـــا المــريــضُ وعــنــدي فـيـك مُـطَّـلـبـي

هــلاَّ سـعـيْـتَ لأشــفــى فـيـكَ يــا وعـدي

٢٨/٤/١٩٩٥م الخرطوم

****

٦ - رفقة السوء

[الوافر]

يقول لي الرفاقُ ألاَ تأنَّى
وتنفقُ بعضَ وقتك في الغواني

وتشربُ في صِباك ولا تُبالي
بكأسٍ كان سُكْرك أم بثانِ

وتترك ما دأبْتَ عليه دومًا
لتبلغ جاهدًا سُبُلَ الأماني

تُضِيع شبابك الورديَّ جَهْدًا
بما كلَّفْتَه عِظَم المعاني

وتجري دائمًا من غير وَهْنٍ
كأنَّك فاتحٌ أرضَ الشِّشَانِ

أقول: فإنكم ترضون عيشًا
أذلَّ من البهائم في القِران

عزيزُ القومِ ليس له فراغٌ
يُضيِّعُ في المراقصِ والدِّنان

فإني من سلالة قوم مجدٍ
أبتْ هاماتهم عَيْش الهوان

وإني أستغلُّ فراغ وقتي
بشأنِ الأهل أو أدبِ المثاني

كذاك يقول ربِّي في المثاني
فإن تستغفروا لكُمُ جِناني

نظمت يوم ١٩٩٨/٤/٣م أنجمينا

****

٧ - الحنين

[البسيط]

إنـــي ذكــرتــكِ يــا نـعـمـاء مـشـتـاقـا
والـقـلـبُ يـخـفـقُ إجـــلالًا وإشـفـاقـا

والـنـفـسُ مـن حبكم تـصـفـو ويـصـقـلـهـا
قـلـبٌ يـحـنُّ إلـى الأحـبـاب تـوَّاقـا

لـم يَـحْـلُ مـن بـعـدكم طـيـبُ الـحـيـاة وقـد
لـذت مـعـايـشـنـا بـالـقـرب إغـداقـا

حـتـى ظـنَـنَّـا وكـان الأُنْـسُ يـشـمـلـنـا
والـودُّ يـجـمـعـنـا، والـحـبُّ دفـاقـا

أن الـحـوادث قـد نـامـت نـواظـرهـا
مـنّـا، فـكـان غـراب الـبـين نـعَّـاقـا

يـومًـا فـصـبَّـحـنـا بـالـبـين مـبـتـهـجًـا
أن لا مُـقـامَ، فـكـان الـعـزم إخـفـاقـا

لـيـتَ الـفـراقَ مـن الأحـبـاب مـنـعـدم
ولـيـت لـي لـقـطـار الـبـين إعـواقـا

لـم أدرِ مـا الـبـين حتى صافحوني ضحًى
فـكـان تـوديـعـهـم إيَّـايَ إطـراقًـا

لـو أمـسـكـوا طـرف المـنـديـل فـي أثـري
ولـوّحـوا لـكـفـانـي ذاك إشـفـاقـا

لكنهم أطرقوا إطراقَ محتسبٍ

لله مرتقبٌ في البين رقراقا

ففارق القلبُ مني أهل مرحمةٍ

لهم أكون طوال العمر مشتاقا

ليت المنايا تُناجيني وأقْبَلها

ولا يكون وداعٌ منكِ فرّاقا

قد كنت من قبل أرجو البين معتقدًا

أن التفارق يُبْدِي الحُسْنَ أنساقا

فالآن قد بانَ ما أجحفتُ من طلب

فيه الفراقُ ويَبْقَى الوصل دَهْداقا

وصِرتُ في بلد، لا مَن يشاطرني

فيها، وكان هناك الشمل رفّاقا

أهيمُ لا أشتفي مما يُخالجني

حتى يكون خيالٌ منكِ طرَّاقا

لا يسكن الروع مني حين أذكركم

قلبي يفرّ من الأضلاع خفّاقا

تكاد تقتلني الأشواقُ يدفعُها

مني خيال من الأحباب برّاقا

إن غرَّد البلبلُ الصداحُ يطربني

حسبْتُ ذاك من الأحزان مزّاقا

وإن تثنَّتْ مع الإيقاع يوم ضُحَى

قسيمةُ الحسن بي، ما حَرَّكَتْ ساقا

لــم ألــق دونـــكِ أسـبـاب الـهـنـاء ولا

طـابـتْ مـجـالـسـنـا يـا نِـعْـمُ إشـراقـا

والـــنّـــومُ فـــي غـــرفٍ زالـــت مـودَّتُـهـا

ممـــن يـكــون لـهـا أُنـسًـا وتـريَـاقَـا

كـالـنّـوم فـي خِـيَـمِ الأعـــراب هـدهـدهـا

ويمـــلأ الـــروحَ إبـهـاجًـا وأشــواقًــا

مـتـى يـعـود عـزيـزُ الـنـفـس يُـسـعـدنـا

ريـــحٌ تُـقـلِّـع أوتـــادًا وأعـلاقـا

حررت يوم ١٩٩٨/٨/٧م

أنجمينا – تشاد

****



٨ - الألم الدائم

[الوافر]

إلـــى ألـــمٍ ومــن ألـــمٍ مـصـيـري
فـمـا أدري غُـــدوِّي مــن رواحـــي

ومِـــن صــغـرٍ إلـــى كـبـرٍ أعـانـي
مـصـائـبَ قـد مـلـلـتُ بـهـا كـفـاحـي

كـــأنّ سـهـامـهـا لمـا تـعـنّـت
قـنـابـلُ فُـجِّـرت فـي قـصـرِ (طـاح)

فـظِـلْـتُ أذودهـــا حـتـى تـثـنَّـتْ
قـنـاةُ عـزائـمـي وعـدِمْـتُ راحـي

سـئـمـتُ مُـصـابـهـا والخـطـب هـمٌّ
يـــروح ويـغـتـدي مــن كــل ســاح

ورُحْـــتُ إذا نَـدَبْـتُ سُـــرَاةَ قـومٍ
أجـــاء بـك الـهـجـين إلـــى الـصُّـراح؟

قـضـيْـتُ عــواتــق الأيـــام عـمـري
فـمـا أدري غُـــدُوِّي مــن رُواحـــي

فـلـسـتُ مـبـالـيًـا عــن قـــولِ لاح
عَـرَفْـتُ هُـدى الـسـمـو مـع الـصـلاح

ضَـــرَبْـــتَ مــشــارق الآفـــاق أبـغـي
جـحـاجـح تـبـتـنـي قـصـر ارتـيـاحـي



دفـعـت عـظـائـم الأحــــداث جَـهـدي
تـسـاقـط، مـا لـبـسـتُ لـهـا وِشـاحـي
لمحــتُ بــــوارقَ الأيـــام تحـكـي
رويـــدَكَ، مـا بـلـغْـتَ ذُرى الـفـلاح
بُـلِـيـتَ مـصـارع الأحـــداث تـتـرى
تـبـيـد، ومــا يـبـين لـك انـشـراحـي
أراك تـصـافـحُ الأمـجـاد تـعـلـو
ومـا فـي الخـلـق مـن يـرجـو امـتـتـاحـي
ثــلاثُ عـقـودِ عـهـدك قـد تـقـضّـت
وحـتـى الـيـوم أنـت مـن الـطَّـلاّح
فـقـلـت، أمـامـكِ الآنـــام تحـكـي
بــأنَّ لــيَ الـنّـجـاح مـع الـنـجـاح
وقـد يـجـدُ الخـطـيـبُ رجـال بـأسٍ
بـغـانـيـةِ الـعـفـافِ عـن الـسِّـفـاح
كــذاك مـشـاهِـدُ الـتـاريـخ تـروي
سـبـاق ذوي المــروءة فـي الـصـلاح
وتـاريــخُ الـشـبـاب إذا تـزيّـا
رِدا الـعَـلْـيـاء حُـقَّ لـه امـتـداحـي
٥/٥/١٩٩٤م ميدغري – نيجيريا

****

٩ - تناقض الأخلاق

[البسيط]

فـي الـنـاس يـا قـومُ إنـسـان تُـضـاهـي بـه
أضـعـافَ مـن أنجـبـتْ فـي الأرض حـواءُ

صَـدْقٌ صَـدُوقٌ كـأنّ الـصَّـحْـبَ شِـيعتُه
والـرسـلُ قـدوتـه لـم تـثـنـهِ لاءُ

لا يـقـذف الـكِلْمـة الـعَـوْرَاءَ مـن غـضـبٍ
لـسـوءِ فِـعْـلٍ وإن مـسّـتْـه ضـرَّاء

ولا يـجـازي ذوي الإحـسـانِ مـأثـمـةً
كـيـلا يـكـونَ كـمـن فـي عـقـلـه داء

لـو تـبـتـلـيـه طـوال الـدهـر مـخـتـبـرًا
وجـدتـه صـادقًـا مـا فـيـه شـنـعـاء

مـواسـيًـا لـلأُلـى صـانـوا كـرامـتـه
أيَّـامَ كـان فـقـيـرًا مـا لـه شـاء

ومـنـهُـمُ مـن إذا قـلَّـبْـتَ مـعـدنـه
وجـدتـه قِـربـةً لـم يَـرْضَـهـا المـاء

إن شـئـتَ مـزَّقْـتَـهـا مـن غـيـرِ مـا أَسَـفٍ
أو شـئـتَ أبـقـيْـتَـهـا أو قُـلْـتَ: جـوفـاء

لا يُـحـسِـنُ الـقـول إلا حـين تـدفـعـه
لُـعَـاعَـةٌ مـن ذوي الإكـرام بـرْشـاء

لا يـعـرفُ الـصـدقَ إلا أنـه سَـفِـهٌ

وأنّـــه بـــفـــواتِ الــغُــنْــم مَــشَّــاء

تـــراه مـبـتـهـجًـا مــن فــاقــةٍ نـزلـتْ

بــــدار أصــحــابـه تـعـلـوه ســـرّاء

١٢- يُـؤَلِّـبُ الـنَّـاسَ إن ضـاقـت بـه سُبُلٌ

كـيـلا تَـحُــلَّ عـلـى الأصــحــابِ نَـعْـمَـاء

لـــذا يُـــلَـــوِّنُ لـلأصـحـاب سـيـرتَـه

كـمـا تَـلَـــوَّنُ فــي الأشــجــار حِــرْبــاء

فــذاك بـالـصـدق مـفـطـورٌ تـلـوذُ بـه

إذا غَـشَـتْـك مــع الأيـــام حَــوْبــاء

وذا يُـزخـرف فــي الأقـــوال لـيـس لـه

مـن بـعـض مـا تـدَّعِـي الأقـــوامُ إطــراءُ

نظمت يوم ٢٤/٦/١٩٩٨م

أنجمينا – تشاد

***

١٠ - الغنى أو الفقر[١]

[البسيط]

هـذي المـقـاديـر يـا قـومـي فَـنـحـضـنُـهـا
أم سـنَّـةُ الـلـهِ فـي الأرزاق تبنينا

أن نـحـرثَ الأرضَ والأنـعـامَ نحفظها
ونـنـشـر الـعـلـم تـهـذيـبًا وتحسينا

ونمـنـع الـقـطْـعَ فـي الأشـجـار نتركها
ظـلاًّ ظـلـيـلاً مـن الـرمـضـاء يـأويـنـا

ونُـغـلِـقُ الجـوَّ والأنـهـارَ نـحرسـها
مـن الـعـدوِّ، أشَـرِّ الخـلـق تكوينا

عـاشـوا عـلى الأرض أعـوامًا وقـد علموا
أنَّـا مـع الـفـقـر مـا زلـنـا يـعـادينـا

قـالـوا: نـبـتُّم عـلـى أرضٍ يُـحـيـط بـهـا
فـقـرٌ، فـقـلـنـا: كـذبـتـم ذاك يـكـفـيـنـا

لا فَـقْـرَ فـي أرضـنـا المـيـمـونُ حـارسُـهـا
وإنَّـمـا الـفـقـر مـن صُـنْـع المُـرَابـيـنـا

قـد أرهَـقَـتْـنـا ديـونُ الـغـرب يُـلـزمـنـا
بـأن نـردَّ إلـيـه الـقِـرْشَ عـشـريـنـا

وإن حَـبَـوْنـا بـقـايـا الأُرْزِ فـي سَـغَـبٍ
صـارتْ مـنـائـحـهـم لـلـنـمـل تمـويـنـا

---

(١) قيلت بمناسبة خطاب رئيس الجمهورية/ إدريس دبي في مدينة ماساكوري في شهر يونيو١٩٩٨م، ١٩٩٨/٧/١١م أنجمينا - تشاد.



لـم نــدرِ مـا الـوُجْـهَـةُ الـلاتـي تـكون بـها

وصـــار إحـســانُــهـم لـلـفـقـر تمكينا

لا خـيـر فــي مـوطـن الأحـــرار إن عُـقِـدتْ

حـريــة الــقــوم فـــي شَــحْــذِ الملايـيـنـا

أنـبـتـغـي الــقــوتَ مــن أصــقــاعَ نـائـيـةٍ

والمـــاءَ نـطـلـبُـهُ – يــا قـــومُ يـكـفـيـنـا –

وتحـــت أرجــلــنــا الأنـــهـــارُ جـــاريـــةٌ

وفـــوق هـامـاتـنـا الأمــطــار تـرويـنـا؟

يــا أيـهـا الـشـعـب إن كـانـت لـكـم أُذُنٌ

تُـصـغـي لأحـسـنِ أقـــوالِ المحـامـيـنـا

فـالحـقُّ مــا قـالـه إدريــــس[1] قـائـدنـا

إنـــا عـبـيـدٌ إذا كــنَّــا مـديـنـيـنـا

هـيَّـا لـنـخـرج هـــذا الـنـفـطَ مـنـدفـعًـا

ونَـعْـمُـرَ الأرضَ بُـنْـيـانًـا وتمـديـنـا

إنَّـــا عـزمـنـا عـلـى اسـتـخـراج مـعـدنـنـا

وإن أبَـــى عُـمُــلاءُ الـشـعـب تـعـديـنـا

فـفـي الحـــدود جـنـودُ الحــق تحـرسـنـا

وفــي الحـقـول أُسُـــودُ الـغـاب تحـمـيـنـا

فَـلْـيَـهْـنَـأ الـشـعـبُ إذ راحـــتْ قـيـادتُـه

تُـطـهـر الأرضَ مـــن ســـوء الإداريـــنـــا

****

(١) إدريس: هو الجنرال إدريس دبي رئيس جمهورية تشاد ما زال يحكم تشاد منذ الانقلاب الذي قام به وأزاح الرئيس حسين حبري وفر إلى الجزائر.

١١ - نشيد / عمّار

عـمّـار يـا حبيبْ		قـلـوبـنـا تـهـيـبْ

مـيـلادك الـعـجيب		وكــلــنــا نـجـيـب

ذي ثـمـرة الـنضـالْ

ذي ثـمـرة الـنضـالْ

ذي ثـمـرة الـنضـالْ

عـمّـار يـا عـمّـارْ		قـلـوبـنا تَـحْـتَـارْ

لشخصك المختارْ		بـحـبـهـا المــــدرارْ

يـا طـلـعـة الـهـلالْ

يـا طـلـعـة الـهـلالْ

يـا طـلـعـة الـهـلالْ

عـمّـار يـا صغيرْ		جـعـلـتـنـا نـصـيـرْ

نُـسـالـم الـحـقـيـرْ		ونــرحــم الـكـبـيـرْ

لـنـبـلـغ الـكـمـالْ

لـنـبـلـغ الـكـمـالْ

لـنـبـلـغ الـكـمـالْ

عـمّـار أنـت قـدوه		لجـيـلـنـا وأســـوه

كـيـاسـرٍ وزوجـه وابـنـهـم وصـبـره

ومـثـلـهـم بـلالْ

ومـثـلـهـم بـلالْ

ومـثـلـهـم بـلالْ

وأنـت يـا عُـمَـيـرْ قـد جئتنا عُـصَـيـرْ

مـن يـومـنـا الأخـيـرْ كـمـا أتـى عُـذَيـرْ

لـتُـصْـلـح الـفـعـالْ

لـتـصـلـح الـفـعـالْ

لـتـصـلـح الـفـعـالْ

قـد جـئـت يـا عمارْ لـتـعـرف الأسـرارْ

فـي عـالـم مـحـتـارْ يـسـوده الأشـرارْ

أخـيـارهـم أنـذالْ

أخـيـارهـم أنـذالْ

أخـيـارهـم أنـذالْ

تـعـال يـا عـمـارْ لـنـعْـمـر الـقـفـارْ

ونـعـبـر الـبـحـارْ ونـرفـع الـشـعـارْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

عمار يا عمارْ/ عمار يا عمارْ

****

١٢ - أغاني المدن

[الوافر]

أغــانـــي الــمــجـدِ يـرسـلُـهـا فـــؤادي
إلـــى شـتـى الــمـدائــنِ مــن بـــلادي

مــدائـــنُ شُـــيِّـدت فـــي عــهـد عـزٍّ
وقــاهــا الــلــه مــن شـــرِّ الأعـــادي

مــدائـــنُ حُـــرّرت مــن عــهـد قـهـرٍ
لـطـاغـي الـدهـر مــذْ (إرْمٍ وعـــاد)

فـمـن تـلـك الـمـدائـن (أُمُّ حَـجْـرٍ)[1]
كـــأنّ رمــالَــهــا فُـــرشُ الـمـهـاد

عـــروس الـــوادِ لـم أخـطـبْ سـواهـا
ولـيـس لـدونـهـا أبـــدًا ودادي

عـزيـز الـنـفـس مـن يـحـمـي حـمـاهـا
ويـطـلـب ودَّهـــا قـبـل الـتّـفـادي

عـلـى أحـضـانـهـا أممٌ تـآخـت
وفـــي أرجـائـهـا عِـظَـمُ الـبـوادي

عـلـى هـذا الـتـراب قـد اشـرأبّـتْ
نُـهَـى الأجـيـال، مـا شـغـفـت فـؤادي

أأم حَـجَـرْ رُبـــاكِ لـهـا مـعـانٍ
تـصـوغ لـشـعـبـهـا سُـبُـلَ الـرشـاد

---

(١) أم حجر: مدينة تشادية موغلة في التاريخ وأشاد الشاعر بآثارها وحضارتها.

أصـــوغ لـوصـفـهـا دُرَرَ المـعـانـي

تَـــآلَـــفُ مـــا يـــجـــفُّ لـــهـــا مـــدادي

فـمـن رام الـسـكـيـنـة عـــاش فـيـهـا

ومـــن جـــاب الـبـطـاح رأى مـــرادي

نظمت يوم ١٩٩٨/٥/٣١م

أنجمينا – تشاد

****

١٣ - الثورة على الجهل

[البسيط]

حُسنَى المعالم يُجْلِيها أُولو ثقةٍ
بالنفس لم تستطعْ إغواءهم أممُ

ثاروا على الجهل والتجهيل حين أبى
أضعاف أضعافهم، فالخالدون همُ

لم يشتكوا ألمًا كَيْما يخالطهم
وهنُ الضعاف ولا زلَّتْ بهم قدم

وجرّدوا السيفَ سيفَ العلم في شعَبٍ
كان التخبطُ في أهدافه شِيَمُ[1]

كما تجرَّد سيفُ الله في أمم
كانوا من الدين في حرْفٍ ولم يَهِموا

حتى أقاموا – وفي الأوطان – غيرُهُمُ
منارةَ العلم، فَهْي اليومَ تختتمُ

إنجاز ما قدمت أبطالُها فغدتْ
حصنَ الحضارة، زالت دونها القمَمُ

يا مبعث النور هل يرضيك أن لنا
في الليل والصبح من ذكراك مبتسم

يا قلعةَ العلم هل لي فيك ممتدحٌ
فالمدحُ قد ترتضيه العُرب والعَجَم



(١) الصواب: شيما.

إنـــي وهـبـتـك هــذا الــــدُّرَّ مـتـسـقًـا
كـالـعـقـد فــي عـنـق الـحـسـنـاءِ ينتظم
مـا أجـمـل الـنـظـمَ والإنــشــادَ مـا نُـثـرتْ
مـنـك الـعـلـوم، وهـــذا الـجـمـع يقتسم
يـا رايـــةَ الـعـلـم سـيـري لـلـعـلا قُـدُمًـا
لـطـالـمـا قـــادك الأعــــلام، لا الأَكَــــمُ
رعــايــة الـلــه كـانـت فــوق رايـتـكـم
وهـــل تُـنـكَّـس رايٌ قـــادَهـــا عَـلَـمُ؟

☆☆☆☆

مـسـتـودع الـعـلـم يـحـيـيـنـا ووا أسـفـا
أن لا يـــزال عــلــى أذهــانــنــا سـقـم
إلامَ يــا قـــومُ أن نـبـقـى عـلـى جـهـل
ومـبـدأ الـعـلـم فـيـنـا (نـــونٌ والـقـلـم)
هـل يـصـلـح الـنـاس مرضـى لا شـفـاء لـهم؟
ولا شـفــاء إذا جـهَّـالـهـم حـكـمـوا
كـم مـن مـكـائـدَ قـد حِـيـكـت ووا أسـفًـا
فــي إخـــوة بـيـنـهـم أنــســابُ أو حــرمُ
كـــم مـــن مــخــدَّرة بـلـهـاء سـاهـيـة
لـم تـدرِ مـا الـفـحـشُ إلا اصـطـادهـا الـوَجَـمُ
فـدُنـسـت فــي خـبـاء الـطُّـهـر حـيـن جنى
مــن لا يـخـاف عـلـيـهـا والــورى صـمـمُ
كـم مــن حـلـيـلـةِ زوجٍ لـيـس يـظـلـمـهـا
إلا تـــودّد فـــي إغـوائــهــا الـحَـشَـمُ

كم من خطيبة حُبٍّ كاد يُمهرها

إلاّ تبين أن الحبّ منقسم

فالشطر مصطنع كي لا يخالجه

وهْمُ الشكوك، وفي ثانيهما الخدمُ

أيُبتنى البيت من أوهامَ كاذبةٍ

لولا التراحمُ راح العقد يَنْفَصِمُ؟

عرائسٌ لم يدم في شهرها سَعَدٌ

إذا بها يتدبّى خلفها الندم

وهكذا يتعرّى البيت عن قيم

فيها السوداد وفيها الحب منخرم

هذا على الضرب مجنون يتيه به

وتلك أفضل من إبقائها العدم

إن جاء من شأنه لا يستكين لها

وهْيَ العبوس تناهى عندها السأَمُ

لم تنتصب صُعُدًا إلا مدافعةً

بالغشِّ والنهب، أو في الجنس نَختصم

إن قيل بالدار نهب ليس مقتسمًا

تهافتت عنده الأشرافُ والقزمُ

لا يشتكي أحدٌ منا على أحدٍ

إلا على تُهمٍ من خلفها تهمُ

كأنّما عُمّيت أبصارنا وكفى

أن تستوي عندنا الأنوارُ والظّلم

شـتـانَ مـا بـين شـعـبٍ ظـلّ مـرتـهـنًـا
لـلـجـهـل، فـي وهـدةِ الآثـام يـرتـطـم
وبـين شـعـبٍ رأى فـي الـعـلـم غـايَـتـهُ
فـسـار مـنـدفـعًـا تـقـتـادُهُ هِـمـم
فاستعمروا الكون إذ صِيغَتْ مناهجهم
عـلـى دلائـل قـولِ الـلـه، وانـتـقـمـوا
مـنَّـا، وكـانـت عُـرى الإسـلام تجمعنا
ومـسـرح الـكـون فـي قـرآنـنـا نِـعَـم
فَـادَّارك الـغـرب ضَـعـفًـا ظـل يـرقـبـهُ
فـيـنـا، فـأصـبـح مـرعـانـا لـه طَـعَـم
إذ أصـبـح الجـيـلُ فـيـنـا جـيـلَ مـفـسـدةٍ
وأصـلـح الـنـاسَ فـيـنـا الـصُّـمُّ والـبـكـمُ
يـا خـيـرةَ الـشـعـب هـبـوا مـن رقـادكـم
فـقـد طـغـى الجـهـلُ وازدادت بـه الـنِّـقَـم

☆☆☆☆

مـا هـذه الـفـرحـة الـلاتـي نُـشـيـد بـهـا
إلا بـدايـة تـخـطـيـط الألـى عَـلِـمـوا
أن المـكـارم لا تُـبـنـى عـلـى جَـهَـلٍ
كـمـا الـفـضـائـل لا تـأتـي بـهـا الـلُّـؤَم
جـيـلُ المـعـارف كـونـوا لـلـورى رسـلاً
تـبـشـرون أنـاسًـا مـا لـهـم حِـكَـمُ
يـا فـتـيـةَ الخـيـر إنـي لا أرى حَـكَـمًـا
كـالـعـقـل والـعـلـم فـيـمـن كـان يحـتـكـم




فَلْـنـنـبُـذِ الجـهـلَ والـتـفـريـقَ والـفـتـنـا

والـعـنـصـريـة، يـا فـتـيـان واعـتـصـمـوا

بـالـدِّيـن، فـالـشـعـبُ لا يـرضـى لـكـم أدبًـا

مـا لـم يـكـن زانــه الإســلام والـقـيـمُ

(نظمت بتاريخ ٢٤/٦/١٩٩٨م

بمناسبة احتفال جامعة الملك فيصل بأنجمينا – تشاد

بخريجيها للمرة الأولى وذلك يوم ٢٥/٦/١٩٩٨م)

****

١٤ - سودان التَّوالي

[البسيط]

ســــودانُ يــا مــوطـنَ الأحــبــاب إنّ لنا

ذكــرى تـعــاودُ فــي أذهــانِـنَــا الـطَّـرَبَـا

كــم فــي ربــوعــكَ مـتَّـعـنـا نــواظـرَنـا

حُـسـنًـا يـضـارع فـي تـأثـيـرِهِ الـذَّهـبا

وفـــي ضــفــافِـكَ جــنــاتٌ مـرصَّــعـةٌ

يمـشـي الـعـلـيـلُ عـلـيـهـا لا يــرى تـعـبا

إن حـاصـر الـدهـر مـن أحـداثـه أحـدًا

رامَ الـسـكـيـنـةَ فـيـهـا، والـغـنـا طلبا

جـنـائـنٌ لـم تـدعْ مـن حسـنـهـا هـرِمًـا

إلا اسـتـعـاد هــوَى الأحـبـاب واصطحبا

بــدائـــعُ أتــقــنَ الــرحــمــنُ صنعتـها

لا لـغـو فــي ظـلـهـا دومًـــا ولا لـغـبا

يــرتــادُهــا الأعـــزبُ المحـتـار فــي وَلَــهٍ

وصــاحـب الــزوج فـيـهـا يـحـسـنُ الأدبَـا

تحـنـو عـلـيـهـا الـعـذارى فـي محـاسـنـها

حُـنُـوَّ عــاقــرةٍ قــد أنجـبـت (وَهَــبـا)

ولـــلـــولائــدِ وَالـــــوِلـــــدانِ مـرحـمـةٌ

يـلـهـونَ فـي حـجـرهـا لـم يشـتـكـوا وصـبا

☆☆☆☆



ســـودانُ يـا ممسكًا بـالـدِّيـن كنت لنا

رمــزَ الــفــداء وصـــرتَ المـــارد اللجبا

إن الـــقـــرارَ الـــذي حــررتـــه لـهـبٌ

يُـكـوى بـه كـل مـن يستنجد الـغُـرَبَـا

لـكـنـه نِـــعَـــمٌ لـلـشـعـب دانـــيـــةٌ

مـن كـل فـرد حمـى الإســلام واحتسَبا

ظـــلُّ الـسـيـاسـة ممــــدودٌ فـقـصَّـرهُ

أن يـأخـذ الـشـعـبُ فـي أمـصـاره السَّبَبا

أفِـــي اتِّـــخـــاذك مـنـهـاجًـا تُـديــرُ بـه

أمــرَ الــبــلاد، يـصـيـح الـغـرب منتَحبَا

أيــن الــعــدالــةُ يــا غـــربٌ تـهـددنـا

إذا امتطينا حـصـانَ الـعـزِّ محتسبا

أيــن الــعــدالــةُ يــا غـــربٌ تُحـاصِـرنـا

إذا اتـخـذنـا قــــرارًا لـيـس منشعبَا

أن يــأكــلَ الــشــعــبُ مما كــان يـزرعـه

ويَـلْـبَـسَ الـقـطـنَ مـا فـي صـنْـعِـه دَأَبَــا

☆☆☆☆

ســـودانُ يـا منشـئ الـدَّبَّـاب فـي وطـن

سيقت عليه الـقُـوى فاستعذب الـكُـرَبَـا

(جُـوبَـا) تُـنـادِي وَلـيـت الـشـرق يسمعُها

والـغـربُ مـن ذعـره يستكثرُ الخُـطَـبَـا

لـبَّـيْـكِ (جـوبـا) فـحـزبُ الـلـه مـا غُـلِـبتْ

قُـواتُــه، مـا الـتـقـى الجيشـانِ واحـتـرَبـا

(جوبا) تنادي وصوتُ النصرِ يطربُها

والشرقُ في نومه لم يسمع الطّرَبا

إنَّ الخوارجَ في الإسلام حُكْمهم

نفيٌ وقطعٌ وساء القتل مرتقبا

إن كان ذا فكذا، أو ضعفه وكفى

لمَّا أتوا حتفهم قد أصبحوا سلَبا

(جوبا) أضفتِ إلى الإسلام ملحمةً

قد سطَّرَ الغربُ من آياتها كتُبا

إنْ كان للدهر في أحداثِه نسب

فإن في يوم بدرٍ منكِ منتسَبا

☆☆☆☆

سودانُ يا موطنَ الإسلام دمتَ لنا

فخرًا يعانقُ في مشروعه السُّحَبا

مشروعُ حكم رأى الأعداء غايته

أن يوقفَ المسلمون الغش والكذبا

أعلنْتَه في بني الإسلام قاطبَةً

وقلت للغربِ: يكفي حُسْنُ ذا دَأَبَا

خير البلاد بلادٌ ليس يحكمَها

إلا توالٍ من الرحمن قد وَجَبَا

هذا التوالي رضينا أن نحكِّمَهُ

فينا، وننبذ أحزابًا غدت شغَبا

لا للتحزب والإسلام يمقته

حكم الشريعة شورى، فاتركوا اللعِبَا




لا نبتغي نُظُمًا رعناء واهيةً

تكلف الشعب في أوطانه حُزُبا

قالوا نظامٌ جديدٌ في تفرده

بالزُّورِ تحكم فيه النملة النُّقَبَا

قلنا لدينا - بني الإسلام قاطبةً

نصٌّ يشاور في حكامه الشعَبَا

لا حزب في نُظُمِ الإسلام إن لنا

شورى تحدد من يستجمع اللقَبا

لا فرق في ذاك بين العُرْبِ والغُرَبَا

والبيضِ والسودِ في التشريع، ذا كُتِبَا

إنا أبينا نظام الغرب نرفضه

ما كل ما يُهتدى يستجلب العجَبا

ليس العجيب من الأعداء تمنحنا

شرًّا يرادُ به أن نأكل الحطَبا

وإنما العجب المفضي إلى عجبٍ

أن نحسبَ الشرّ منهم خيرَ ما جُلِبا

بتاريخ ٢٩/١١/١٩٩٨م

أنجمينا - تشاد

****




١٥ - أقمار الخير ورسله[(١)]

[الطويل]

لـك الـعـزُّ مـا أنـفـقـتَ يـا شـعـبَ زايـد[(٢)]
فـقـد كـنـتَ مـرجـوًّا وقـد كـنـتَ تـدفـع

فـلـو كـان فـي الأقـوامِ شـعـبٌ يـهـمّـهُ
- كما هـمَّـكَ - الإحـسـانُ مـا هـبّ زعـزع

أيـا زائـدَ الـخـيـر الـرفـيـع مـكـانُـه
سـمـوتَ فـلـم تُـدركْ وخـيـرك مَـهْـيَـع

كـمـا الـشـمـسُ تـبـدو لـلـعـيـانِ بـعـيـدةً
ولـكـنَّ نـور الـشـمـس فـي الأرض يسطع

كـذاك أُولـو الإحـسـانِ يعلون فـي الـعـلا
وخـيـرهُـمُ دانٍ عـلـى الـنـاس يَمْـرَع

فـأشـرقـتِ الأنـوارُ مـن كـوكـبٍ دجـا
سـرى، دونـه الأقـمـار تـسـري وتَـتْـبـع

سنا الـشـرقِ قـد ضـاءت بك، الـشـاد، تبرقُ
ومـن قـبـلُ كـانـت (شـادُ) بـالـشـرق تلمع

إذا جَـفَّ مـنـهـا - آل نَـهْـيـانَ - منبعٌ
مـن الـخـيـر مـنـكـم جـادهـا بـعـدُ منبع

(١) نظمت هذه القصيدة بتاريخ ٢٩/٢/٢٠٠٠م، وهي قصيدة شكر وتقدير لشعب دولة الإمارات العربية المتحدة بوجه عام، ولسمو الشيوخ: سرور وسيف وطحنون أبناء محمد آل نهيان، ولرسوليهما الكريمين خلف المهيري وجوعان المزروعي إلى تشاد بوجه خاص.

(٢) زايد: سمو المرحوم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة طيب الله ثراه.

أبَـى المـجـدُ أن تـبـقـوا - وأنـتـم أعــزَّةٌ -
عـلـى نـاطـحـات لـلـعـلا، لا تَـصَـدَّع
وسـرتم إلـى الـعـافـين لـيـلا يـقـودكـم
عـفـافٌ وإقـدام وفـضـل مـوسَّـع
طُبعتم علـى الإحـسـان مـن قـبلُ طبعة
فـصـرتم هـوى الـكـتـاب والـنـاس تطبع
إذا اخـتـرمـتْ أحـداثُ دهـرٍ أعـزةً
قـصـدنـاكُـمُ - يـا آل نـهـيـان - نطمع
فـإن كـانـت الأرحـامُ تـدنـو محـبـةً
فـقـد كـان حـبـلَ الـديـن أدنـى وأنـفـع
فـإخـوانـكـم فـي الـديـن لـم يَـقْـوَ جَـدُّهـم
حـديـثًـا، فـصـار الـفـقـر يـرمـي ويـصـرع
فـيـا آل نـهـيـانٍ جُـبِـلـتـم مـودةً
فكنتم رُؤى الأحـبـاب فـي الـقـلـب تـترع
ثـلاثـةُ أقـمـارٍ تـتـابـعْـن خِـلْـفـةً
علينا، فـصـارت (شـادُ) بـالخـيـر تسطع
سـرورٌ وسـيـفٌ[1] لـلـعُـلا لـيـس يَـكْـهَـمُ
وطـحـنـونُ خـيـرٍ، ثـالـثٌ لا يُـزَعْـزَع
سـرورٌ سـرى لـلـنـاس لـيـلا يـسـرُّهـم
فـغـنَّـت لـه نـفـسٌ ونـفـسٌ تـوقـع
وسـيـف الـعـلا مـاضٍ عـلـى الـنـاس فـعـلُـهُ
جـوازمُـهُ إن طـالـتِ الـفـعـلَ تقطع

(١) سرور وسيف وطحنون: من رجالات دولة الإمارات من آل نهيان ومن أصحاب الأيادي البيضاء في أفريقيا.

وطحنونُ – لا مَسَّتْهُ في الدهر كربةٌ –

فقد كان يُعطي الخيرَ و(الشادُ) ترضع

أضأتم سماء (الشاد) بالخير تزدهي

فكنتم لها أنوارَ هَدْيٍ تَشَعْشَع

فإن ضاء منكم كوكبٌ ضاء بعده

كواكبُ خيرٍ ليس فيها تَبَرْقُع

رسولُكُم في (الشادِ) شادٍ إلى العلا

وهادٍ إلى الخيرات ما كان يزرع

أيا خَلَفُ خَلَّفْتَ ذكرك عندنا

بما كنت تملي منك خيرًا وتبدع

وَصَلْتَ بحار الخير، خيرًا مَدَدْتَهُ

إلى (الشاد) ترعى في مداه وترتع

ومستكشف أنت المهيريُّ[1] في الورى

بلادًا بها فقر يعض ويلسع

تلطفت حتى كنت كالمُهْر منظرًا

ووجهُك وضّاحٌ وقولُك يُسمَع

بُعثتَ رسول الخير في كل موضعٍ

وضعت به خيرًا، وما لك موضع

أمينٌ رعاك الله للخير راعيًا

فنفذْتَ ما يرجو الأنامُ ويطمع

وهل يكذب الأقوامَ رائدُ قومهِ

إذا كان خيرُ الفرع للأصل يرجع

---

(١) المهيري وجوعان: رسولا الخير إلى تشاد من قبل آل نهيان.

رســول الـرضــى فـيـنـا، رضـيـنـاك جمـلـةً

فقد كنتَ روضَ (الـشـادِ) والـشـادُ بَلْقع

فــإنــا لــنــرجــو أن تــكــونَ خــلالــنـا

لـتـكْـمـل مـــا خــطَّــت يــــداك، فـنـهـجـع

وثـانـي رســولِ الخـيـرِ (جـوعـانُ) عندنا

فـقـد كــان مــرتــادًا لــنـا، الـخـيـرَ يصنع

ومــن ســمَّــهُ (الجـــوعـــانَ) لا شــك أنـه

رأى فـيـه ضــدَّ الـشــيء بـالـشــيء يُـدفـع

فكان لنا خيرًا - ولا جُـوعَ فـي اسمه -

وكــان رســـولَ الخـيـر، والاســـمُ مُـشْـبِـع

رســــــولانِ كــانــا فـــي الـــبـــلاد مـحـبـةً

فـصـارا حـديـثَ الـنـاس فـي الـنـاس يشفع

****

١٦ - نعم الوُلْدُ والنسل[1]

[البسيط]

أرضُ الإمـــاراتِ راعٍ والـــورى نِـعَـمُ
فـحـبّـذا الأرضُ والإنـــســـانُ والـنُّــزلُ

رضــا الـجـمـاهـيـر فـي (شـــادٍ) يُـغـالـبه
سَـيْـبُ الإمــــاراتِ لمـا ضـنَّـتِ الـدول

ســارت/ أبـو ظبـيٍ/ غـربًا لـيس يعجبها
مـن كـان يـخـطـبـهـا، غـيـر الأُلــى سـألـوا

فـيـهـا رجـــال إذا اسـتُـدعـوا فـآخـرُهُـم
يـخـتـار أوَّلَــهــم بـالـخـيـر، مـا بَـخِـلـوا

ســـاروا مـع المـجـد مـا كـلَّـت نفوسُـهُـم
يـسـتكـشـفـون أُنـــاسًـــا أرضُـــهـــم مَـحَـلُ

كـم مـن مـعـاهـدَ قـد شـيـدت عـلـى يدهـم
كـم مـن مـــدارسَ قـد شـــادت بـهـا الأُوَلُ

مـن مـشـرق الأرضِ مـدَّ الـخـيـر رائـدُهُـم
مــن آل نـهـيـان نـحـو الـغـرب ينتقل

فـــزايــدٌ إبـــنُ ســلــطــانٍ ومـــن نـسـلـوا
مـن آل نـهـيـان، نـعـم الـوُلْـدُ والـنَّـسَـلُ

جــحــاجــحٌ وبــنــو مــلــكٍ لــنـا سـبـقـوا
بـالـخـيـر كـلَّ الـــورى والمـرتـقـى وَحَـــل

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح المدرسة العربية الثانوية للبنين بمدينة أبشة والتي بنيت بتمويل من سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان – من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م.

يـا زائــدَ الخيـر زادَ الـلـه فيك سـمًا

يـسـمـو بــه كُـــلُّ مُــن إيـــاك يـرتحـل

يـا آل نـهـيـان مـا كـانـت لــ (لا) أبـدًا

مــواطــنٌ، حــين يُـخـذى الجـــارُ والأهَــلُ

فـمـا أتــاكـم شــريــدٌ بـــائـسٌ فَـــزِعٌ

إلا عـطـفـتـم بــه والــكــون مـنـشـغـل

وإنــكــم مـــا نـهـيـتـم طـالـبًـا أبـــدًا

يــا آل نـهـيـان والمــعــروف مُــرْتَــذَلُ

تجـري الــدراهِــمُ فـي أيـديـكُـمُ بَــدَدًا

لا المـــالُ بـاق عـلـى الأيــدي، ولا الكسل

خَـلُّـوا فـضـائـلـكـم تحـكـي الأنـــامَ ومـا

كـانـت أيَـاديــكُـمُ الـبـيـضـاءُ تعـتـمل

فـفـي مـرابـعِ (أبَّــشَّـــا)[1] يُــراودنــا

سَـيْـبٌ لـطـحـنـون[2] تـلـميذِ الأُلــى وصـلـوا

سـكـانَ (أبَّـشَّــا)، مـا عـاشـوا يـدغـدغـهـم

سُــمُـــوُّك الــفـذُّ يــا طـحــنـونُ والأمـــل

قـد أشـــرق الــنـورُ غـربًـا فــي مـدائـننـا

مـن شـمسِ طحنونَ، فـانـزاحت لـه الشُّعَلُ

طحنونُ يـا طـاحـنَ الجـهـلِ الـذي صَـدِأتْ

بـــه الــعــقــول فـمـا تـنـفـكُّ تـأتـكـل

مَـن مِـثْـلِ طـحـنـونَ فـي قــولٍ وفــي عملٍ

إذا ارتـضـى مـا يـرى، يـا حـبـذا الـرجـل

---

(١) أبشا: مدينة تشادية تقع جهة الشرق.

(٢) طحنون: طحنون بن محمد آل نهيان من رواد المنفقين في أفريقيا.

إن الـرجـالَ عـلـى شَـكْـلٍ سـواسِـيَـةٌ

لـكـن يمـيـزهـم فـي الـفـضـل ذا الـعـمـل

بـنـى سُـمُـوُّك يـا طـحـنـونُ صَـرْحَ عُـلا

لـم يَنْسَـه الجيلُ بعد الجيلِ، مـا انتقلوا

بَـنَـيْـتَ مـدرسـةَ الأولادِ فـي وطـن

لـم يـحـتـمـلْـهـا سـواك الـيـومَ مـحـتـمِـل

بـل زدت وقـفًـا لـهـا والـوقـف مـحـتـجـبٌ

والـوقـف مـاضٍ كـمـا جـاءت بـه الـرسـل

لـقـد سـنـنـتَ لأهـل الـخـيـر سُـنَّـةَ مَـن

لا يـبـتـغـي بـدلاً، فـي فـعـلـه الـبـدل

بـنـيـتـهـا بـديـارٍ كـان يـحـكـمـهـا

عـبَّـاسِـيُـون بـهـدي الـلـه مـا انـخـذلـوا

دانـت لـهـم دُوَلٌ بـالـحـق فـانـبـسـطـتْ

شـريـعـةُ الـلـه بـالإنـسـان تـتـصـل

وذي بـنـاتُـك فـي (أبْـشـا) يُـراودِهـنْ

كـمـا يُـراود حِـبًّـا سَـيْـبُـك الـعَـجَـل

أن تـبـتـنـي مـعـهـدًا لـلـعـلـم يـحـفـظْـهـ

ـنَ بـالـهـدى والـتـقـى، بـالـحـب مـشـتـمـل

وهـل يَـضـيـرك يـا طَـحـنـونُ مـا طلبت

مـنـك الـبـنـاتُ وأنـت المحـسـن الـبـطـل؟

نظمت بتاريخ ٢٢/٢/٢٠٠٠م أنجمينا – تشاد

****

١٧ - عطاءٌ بلا منّ[١]

[البسيط]

خيرُ العطاءِ عطاءٌ ما له مِنَنٌ ... يرضى به الأهْلُ والتاريخُ والوطنُ

مدحُ البهاليلِ لا مدحُ الأُلى انخذلوا ... هل يستوي الروضُ في العَلْيَاءِ والعَطَنُ

هل يستوي من يُريقُ المالَ مرتقبًا ... في الله محتسبًا، ما مسه وَهَنُ

ومن يُبَدِّدُ أموالَ العبادِ ضُحًى ... لحُضْنِ غانيةٍ لم يَغْلُهُ ثَمَنُ

أعني سُمُوَّ الذي لم يُحْصَ نائلُهُ ... مهما تكاثرتِ الأحداثُ والفتن

ذاك الذي ذهبت أموالُهُ بَدَدًا ... من آل نهيان منه الخير مرتهن

لا يُمسك المالَ إلا رَيْثَ يَصْرِفه ... حتى استوى عنده الإسرارُ والعَلَنُ

هذي مدينةُ (بلَّ الطينَ) قد غرقت ... من فيضِ جودِك حتى اغتاظتِ المِحَنُ

ثاني المساجدِ في (شادٍ) يُشيِّدُه ... من آل نهيان طحنونُ الذي يزن



(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح مسجد (بلتن) الذي بني بتمويل من سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان – من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٠/٢/٢٥م.

آلاف آلاف ممن قصّروا مُددًا
في سعيه للعُلا، تحدو به الفِطَنُ
بنى المَعَالِي في شعب يُجمّعه
الله أكبرُ والقرآنُ والسُّنَنُ
من آل نهيان ساعٍ للعُلا بطل
في قمة المجد يعلو، دونه القُنَنُ
إن المساجدَ في (بِلْتِنْ)[1] يَعمُرها
من كان يَعْمُرُه الإيمانُ لا المُؤَنُ
لم يبق فيها سوى نقصٍ يُكمِّله
أن تبتني معهدًا للجيل يحتضن
وهل يَضيرك يا طحنونُ ما طُلِبا
وبحرُ جودِك قد ضاقت به السفن
حيًّا سُمُوَّك هذا الشعبُ مبتهجًا
إذ ناله منك ما لم يمحُهُ الزمن
إنا لَنرفَعُ للمولى أيادِيَنَا
أن يحفظ الله قومًا، ما لهم إحَنُ
ويمنحَ الشيخَ شيخَ الدولةِ النِّعَمَا
أعني سُمُوَّ الذي ازدانتْ به المُدُنُ
إذْ فَرَّقَ الخيرَ في الآفاقِ منتشرًا
فَسُرَّتِ النفسُ والعينانِ والأُذُنُ

****

---

(١) بلتن: مدينة تشادية ذات صبغة إسلامية.

١٨ - اعتزاز المسلم

[الطويل]

أنــا المـسـلـم الـشـادي إلـيـك تحيتي
سـلامًـا مـن الـرحـمـن والـبـركـاتِ
بـهـا يـسلـم الـبـاغـي ومـن خـاف سطوتي
فـإن أمـان الخـائـفـين صـفـاتـي
لـيَ الـعِـزُّ فـي الـدنـيـا وإن مـتُّ عقبتي
جِـنـانٌ تـفـوق الـوصـف والـنَّـعَـتـاتِ
أنـا الـليـثُ إن نُـوزِعـتُ حقي وفـي الـوغى
أصُـدُّ خـمـيس الجـيـش بـالـطـعنات
أنـا الـفـارس المِـغْـوار إن نـال مـن أخـي
خِـداشُ عـدوٍّ، مـا تـلـينُ قـنـاتـي
أنا السَّمْح في خُلْقي أنا السمحُ في الورى
أنـا الـضـارب الـقـاسـي بـحـقٍّ عِـداتـي
أعـيـشُ عـزيـزًا مـا حـيـيتُ ولـو أبـى
أكـابـرُ كُـفْـرٍ أن تُـقـامَ صـلاتـي
بـهـا أتَّـقـي ربـي ويـخـشـانـيَ الـعِـدا
أنـال جـزائـي يـوم هـاكَ وهـاتِ
بـذاك يُـقـامُ الـدِّيـنُ عـن أُسِّ أُمِّـه
ويـنـزاح عـنـي مـن يـجـوب فـلاتـي

بـكـفٍّ أذودُ الـشـركَ فـي عُـقْـر دارهِ

وتـصـفـعُ أخـــرى مــن يــروم شـتـاتـي

بني الكفر لا تبكوا على صَـرْح منهجي

فـــإن مُـــكـــاءَ الـكـافـريـن أَذَاتــــي

لـيَ الـسَّـبْـقُ دون الـعـالمـين ومــن يـرى

تـنـافُـسَ مـجـدي تـزدهـيـه بُـنـاتـي

عـلـيـكـم سـلامُ الـلـه يـا خـيـرَ فـتـيةٍ

تَـسَـارَعُ صَـوْبَ المـارقـين أُبَـاةِ

لـهـا الـخـيـرُ كـلّ الـخـيـرِ مـا دام عـزّهـا

ومـا قـام شـرعُ الـلـه بـالـصَّـلـوات

نظمت يوم ١٩٩٢/١٢/٣٠م

****

١٩ - الهياكل النيابية

[البسيط]

يـا مـن يُـصـوِّتُ أو يُـدْلِـي بِـذِمَّـتِـه
هـلَّا مَـنِ اخـتـرْتَ كـان الـنـائـبَ الكُفْئَا

أتُحـسـن الـظـنَّ فـيـمن كـنـتَ تـعرفـهُ
ويُـحْـسِـنُ الـفـعل مـا لـم تُـعطِه شَـيْئا

إن جِـئْـتَ تـوقـظـه لـلاجـتـمـاع أبـى
وقـال: لـم أدرِ مـاذا نـاقـشـوا بَـدْءَا؟

وإن تـربَّـع عـرشَ الـبـرلـمـان تـرى
فـي رأيـه خَـلـلاً يَـهْـذِي بـه طَـرْءَا

وإن تمـدَّد فـي كـرسـي الـنـقـاش غفا
بـل نـام نـومـةَ مـجـنـونٍ رأى بُـرْءَا

وهـكـذا أمـسِ هـذا كـان يـخـدعـنـا
وقـال: إن فـزتُ أُرضِـي الشِّيب والنَّشْئَا

يـا مـن تُمـثِّـلُ شـعـبًـا كـان مطلبُه
مـنـك الـدِّفـاعَ بـرأيٍ يَـسْـتُـرُ الـسَّـوْءَى

إلامَ تَـغْـرَقُ فـي نَـوْمٍ وقـلـتَ أنـا
حـامـي مـصـالحـكـم لا أبـتـغـي شـيْئًـا

إلامَ تـرفُـلُ فـي ثَـوْبٍ تُـزَفُّ به
كـمـا تُـزَفُّ عَـروسٌ فـي الـضـحـى بُطْئَا



يـا نـائـبَ الـشـعـبِ إن الـشـعـبَ قـال كفى

لا نــابَ فــي دارِنـــا مَــنْ يُـثْـقِـلُ الـوَطْـئَـا

يــا نــائـبــونَ عـلـيـنـا مــا لـكـم هَـــدَفٌ

فــي الـبـرلـمـان سِـــوَى بـطـنٍ تُـــرى مَــلأَى

أهـــكـــذا الـمـنـهـج الـســـاري بِـذِمَّـتِـكـم

لـتـخـدعـوا الـشـعـبَ كـي يـبـقـى لـكـم فـيْـئَـا

تـــدور فــي حـكـمـكـم لـلـشـعـبِ دائِـــرةٌ

لا نُـضْـــجَ فــي رأيـكـم فـيـهـا ولا نَـيْـئَـا

لـقـد سَـئِـمْـنـا كـلامًــا كــان أفـضـلُـهُ

نَجْـتَـرُّهُ – كـارهـينَ – الـقَـيْـحَ والـقَـيْـئَـا

هـيّـا أقـيـمـوا مــع الأحــــزابِ مـائـدةً

تُــبِــيِّنُ لـلـشـعـبِ مــن آرائــكــم مَـــرْأَى

مـــاذا جلـبـنـا مــن الأحـــزابِ تِـعـدادُهـا

تـسـعٌ وتـسـعـونَ حِـزْبًــا فـاقـدًا جُـــزْءًا

مــا ضـــرَّنـــا أنــنــا أنْ لا يــكـــونَ لـنـا

تـسـعـونَ حـزبًـا لـشـعـبٍ يـأكُـلُ الـخَـبْـئَـا

حِـــزْبــانِ لا غـيـرَ، إمَّـــا ذاك يـحـكـمـنـا

رَدْحًـــا مـن الـدهـر، أو هـذا الـذي يَـنْـأَى

هــذِي وصــاتـي لـكـم يـا قــومِ فـانـتـبِـهـوا

كـيـلا تـكـونـوا كـمـن يـسـتـمـرِئُ الـخَـطْـئَـا

٢٤/ ١٠/١٩٩٩م أنجمينا – تشاد

****



٢٠ - نشيد أفريقيا

[مجزوء الرجز]

نـــحـــن الــــشـــبـــابُ قـــوةٌ
فـــتَّـــاكـــةٌ ضِـــدَّ الـــعـــدا

إذا اتحـــدنـــا كـــلـــنـــا
صـــارت قـــوانـــا كـــالـــقـــذى

فـــي أعـــين المـــســـتـــعـــمـــريـــ
ـــن الحـــاقـــديـــن ســـرمـــدا

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوة
فـــتّـــاكـــة ضـــد الـــعـــدا

☆☆☆☆

وهـــــذه أفـــريـــقـــيـــا
حـــزيـــنـــة تـــبـــكـــي الأُلـــى

صـــانـــوا الـــبـــلاد ورفـــرفـــت
أعـــلامـــهـــم نـــحـــو الـــعـــلا[1]

حـــتـــى اســـتـــقـــلـــت خِـــلْـــفـــةً
وحـــان قـــطـــف المـــبـــتـــغـــى

---

(١) البيت من مجزوء الكامل.



إذا الحروب دُبِّرت

لشعبها في المنتأى

نحن الشبابُ قوة

فتاكة ضد العدا

☆☆☆☆

هيّا لنحمي القارة السْـ

ـسَمراء رمزًا للفدى

هيّا لنحمي قارة

أضحت تسير القهقرى

فالغرب لا يريدنا

أن نستغل أرضنا

لذا يُؤجج ناره

من هاهنا وهاهنا

نحن الشبابُ قوةً

فتَّاكةٌ ضدَّ العدا

☆☆☆☆

بالعزم يا إخواننا

نحمي الديار كلها

كما حَمَى أرضَ الشّوا

مِ الألمعيُّ المفتدى

ابن الشّرى مترفِّعًا

عن كل حلٍّ يُهتدى



إذ قـــــال: لا لـــسِــلْـــمِ عُـــرْ

بٍ قــــاصـــــرٍ وألـــــــــف لا

نـــحـــن الــــشـــبـــابُ قـــــوَّةٌ

فـــتّـــاكـــةٌ ضــــد الـــعـــدا

يوم ٢٥/٨/١٩٩٨م

أنجمينا – تشاد

****

٢١ - الذئاب

[الطويل]

ألا فـي خِـلال الـنـاس مـا هـو يشـهدُ
عـلـى لُـؤْمِـهِـم فـي الـعـالـمـيـنَ ويُـنْـقَـدُ

فـبـعـضٌ لـبـعـضٍ كـالـذئـاب يُحيطـهـم
ذئـابٌ ومَـن يـغـشـى حِـمـاهـم مـهـدَّد

خَـبَـرْتُـهُـمُ رَدْحًـا مـن الـعـمـر مـا لـهمْ
صـديـقٌ يُـواسـي فـي الـنـوائـب يـرفـد

يُـلَـوِّن فـي أخـلاقـه كـلَّ سـاعـةٍ
كـمـا تـفـعـل الحِـرْبـاءُ أيَّـانَ تَـقـعـد

يُـريـكَ مـن الأخـلاق مـا لـيس ماكـثًـا
كـظـل الـضـحـى يـبـقـى قـلـيـلاً فـيـشـرد

أفـي كـلِّ يـومٍ خُـدْعـةٌ مـن صـداقـةٍ
أرى ودَّهـا يـدنـو إلـيَّ ويـبـعـد؟

ومـا زلـتُ أرجـو الـصِّـدق فـي كل خُـلَّـةٍ
ولـكـن وُدَّ الـنّـاس عـنـدي مـبـدَّد

لأنـي بَـلـوتُ الـنَّـاس فـي كـلِّ فـتـرةٍ
فـمـا سـاءنـي إلا جَـبَـانٌ وقُـعْـدُد

وطـالـبُ مـعـروفٍ أراه مـهـذّبًـا
وفـي ثـوبـه لُـؤْمٌ مـن الخـيـر أجـرد



وإن سِـــرْتُ أبـغـي المـجـد فـي كـل بـلـدةٍ
وجــدتُ بـهـا وَغْــدًا مـن الـنـاس يَـحْـسِـد
لــذلــك لا يــحــمــيــك مــن لــؤم أَربَـــدٍ
مــــــررتَ بـــه إلاّ حُـــســـامٌ مـــهـنـد
ولـو صـار حـكـم الـنـاس عـنـدي حصدْتـهـم
فـلـم يـبـقَ إلا خـيِّـرٌ أو مُــزَهّــد
وجـنَّـبْـتُ خـيـر الـنـاس شــرًّا أتــى بـه
بـقـايـا مـن الـفُـسَّـاق عـاثـوا وأفـسـدوا
يـحـاربـنـي قـوم إذا اشـتـدَّ سـاعـدي
أتَــوْنــي مــــرارًا يــحــســدون وأعـقـد
فـأنـفـث فــي الآفـــاق كـيـلا تُـصـيـبـنـي
شـــرورٌ، بمـــا جـــاءوا إلـــيَّ وهـــددوا
كـأنــيَ بِـــدْعٌ فــي الــرجــال يـهـابـنـي
كــرام، ويــرعــى، فــي حِـمَـايَ المـبـلَّـد
أرى الـنـاس مـا أعـلـنـتُ عـن جـزء منهجي
وبـيَّـنْـتُ مـا أبـغـي، تـداعَـوْا ونـــدَّدوا
ومــا كـنـت أبـغـي غـيـرَ مـجـدٍ أُعِـــدُّه
لأكـشـف مـجـهـولاً بـه الـكـون يـسـعـد
ومــا لــيَ عـيـب غـيـرَ حُـسـنٍ يُـزِيـنُـنـي
ولـــي هـمــةٌ كـبـرى عــن الـــذل تـبـعـد
ولـي مـطـلـب فـي الأرض لـم أرض دونـه
حـيـاةً بـهـا عـيـشٌ هـنـيءٌ مُـخَـلّـد
وإنــي لأُعـطـي الخِـلَّ جَـهْـدِي وفـكـرتـي
ولا أمـنـع المـضـطـرَّ إن جـاء يـسـهـد



وإنــي رســـولُ الخـيـر فـي كــلِّ مسلكٍ
سـلـكـتُ بــه يـرجـو عـطـائـي مـشـرَّد
ويَـحْـسَب خـيرُ الـنّـاسِ أنْ لـوْ وَصَـلْـتُه
لـكـان لـه وصْـلـي مـع الخـيـر سُـــؤْدَدُ
وتـطـلـبُ وُدِّي كــلُّ خَـــوْدٍ خـريـدةٍ
تـــرى مـجـدهـا فـــي سـاعـديَّ وتـنـشـد
ألا يـا رســول الخـيـر مـثـلـك أرتـضـي
وأُهـــدي إلـيـه الـقـلـبَ، يَـهـدي ويـرشـد
دعــانــي إلـيـك الحـــبُّ والـــودُّ يـا فتى
فـهـل لـيَ عُـــدْتَ الـيـومَ، والـعَـوْدُ أحـمـد
أنجمينا يوم ١٩٩٩/٩/٢٤م

****



أحمد عبدالرحمن إسماعيل[1]

١ - الوداع

[المتقارب]

وداعًـــــا أيـــا أرض إجــدابــيّــا[2]
فــقــد شـــتَّـــتَـــتْ شـمـلـنـا مـافـيـا

وحـــبِّـــي الـــذي قــد سـمــا لِـلـسَّـمـا
وأمـــســـى أنـــيـــسُ الــــورى زاهـــيًـــا

أَجُـــــنَّ الـــوشـــاةُ فــلــمَّــا رأوا
بــشــيــر المـحــبــة كــــــادوا لِــيَـــا




- شاعر تشادي ولد سنة ١٩٧٣م بمدينة أبشة/ مدينة العلماء والشهداء بالقرب من وادي «أم كامل/ مقبرة الشهداء»، والذي شهد مأساة الكبكب. لذلك تهيأت الأجواء النفسية والاجتماعية لشاعرنا، فتشكلت روحه الثورية وتمرده على الواقع المتردي، نتيجة جغرافية المكان، وأعني ضفاف وادي شهداء مذبحة الكبكب.

ونشأ الشاعر في أسرة متدينة، فحفظ القرآن الكريم، وأتم دراسته الإعدادية في سنة ١٩٩١. ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، والتحق بالمعهد العلمي ثم انتقل إلى ثانوية الملك فيصل، فنال شهادة الثانوية. ثم سافر إلى ليبيا لمواصلة الدراسة الجامعية سنة ١٩٩٤م، لكنه مرَّ بتجارب قاسية في غربته؛ إذ كان يعمل ليرتزق مع استكمال الدراسة، فتعرض للاعتقال من قبل السلطات الليبية، وأخيرًا تم ترحيله إلى تشاد سنة ١٩٩٧م. فهذه الحياة الحافلة بألم الغربة، وأمل الوطن، جعلت شاعرنا من رواد الشعر الوجداني في تشاد، فألهبت شاعريته، ووسمته بالصدق الفني في تجاربه الرومانسية.

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في منزلي بالعاصمة أنجمينا ٢٠/٢/٢٠٠٢م.
وانظر : صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث متريز الطالبة قمسو جرمه، إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٤، كلية الآداب جامعة أنجمينا.

(٢) إجدابيا: مدينة ليبية.



وداعًـــــا أيـــا أرض عَـــرْفَـــايَ قـدْ
رمـــى بـيـتـنـا عُـــذَّلـــي ألــــفَ سَـــدْ
وإن كـنـتُ أجـتــازُ مــا قــد رمــوا
وأمْــحــو الــسُّـــدُودَ بــعَـــزْمٍ وَصَـــدْ
وتــأتـــي الأمـــانـــي بِمــــا أرتَجـــي
لأنَّ الـــعــــزِيمَـــةَ مِـــنِّــــي وَتَـــــدْ
سِـــوَى إنَّ حـبِّـي بــدا عــاجِــزًا
مَــهِـيـنًــا تَـــــوَلَّاهُ تـيـــهٌ وصَـــدْ

وأم سُــلَـيْـمَـى تَــسُـــوقُ الأســى
وتَمْـسَـــحُ فـــي وجـــه سَـلْـمَـى الأنــا
بــريــشـــةِ لَـــهْـــبٍ تُــعَــذِّبُــنِــي
وتُمْـتِـعُــهــا نَــكْـسَــتِــي والــوَنــا
كـــأنَّـــا دخـــيـــلـــون فـــي آدم
فــجــادَلَــنــا دَهْـــرُهـــا بــالـضَّـنَـى
فــقُــولــي خَـسِــئْـتِ أرأس الأَذَى
ألـــم تَـــدْرِ غَـــيْـــرَ الجـنــا والخـنــا

فـــمــــاذا تــريـــديـــنَ مــنِّـــي وقــد
وهـــبــتُ إلـــيــكِ جـمـيـل الـثـنـاء
فـــمــــاذا تــريـــديـــنَ بــعــدُ ألــم
أُصَـــفِّـــي إلـــيــكِ دِمــــاء الحـشــاء

إلـــى أن سُـلِـبـتُ مــن المحـتـوى
وأزريـتـنـي والـهـوى فـي الـهـواء
أكــل طـمـوحـكِ أن تَـشْـهـدي
عـذابـي مَـهِـيـنًـا عـديم الـرَّجـاء

وداعًـــا سـلـيـمـةَ يـا جُـمْـجُـمَـه
بِــذا شـئْـتِ أم شــاءتِ الـشّـرذمـهْ
فـلـسـتِ سـوى نَـعْـجَـةٍ قـدْ رَعَـوْا
فـلـمـا اسـتـقـامـوا دعـوك الأمـهْ
فـلـمـا سـمـنـتِ رأوا خِـسَّـةً
وإن قـلـتِ: قـالـوا صَـهٍ أنـتِ مَـهْ

تـسـائـلـنـي مـا الـذي حـلّ بـي
وبـين يـديـكَ جـوابُ الـسـؤَالْ
فـكـيـف الـسُّـؤالُ ومـنـكَ الأذى
وأنـت الـظَّـلُـومُ وأنـت الـنـبـالْ
تـركـتَ دمـوعـي تُـذيـبُ الحَـصَـا
وأرقـى بـزهـوٍ فُـحـولَ الخَـيَـالْ
وُئِـدْتُ ولـم أدرِ مـعـنَـى الأذى
ومـعـنـى الـسَّـلامِ ومـعـنـى الـقـتـال

فـإن قـيـل مـا ذنـبُ مـوءودةٍ
فـمـاذا تـقـول فـهـل تـنـطـقُ
بمـاذا تُجـيـبُ؟ فـصـمـتًـا عـلـى
قـبـيـحِ فـعـالـك يـا أحـمـقُ

فـــمـــاذا الجــــــوابُ وقــــد كــنــتَ فــي
غـــيـــابـــات جـــــبٍّ بـــهـــا تُـحْـــــــرَقُ
عـــجـــزتَ فـــذق طـعْـمَـهـا المـشـتـهَـى
لـــقـــد شـــــاب فــــكـــــرُكَ والمـــنـــطِـــقُ

فـقــولـــي فَــــدَيْـــتُـــكِ يـــا مــولــدي
فــكـــم مـــن مُــــــؤامَـــــرَةٍ دَبَّـــــــرُوا
طَـــلاسِــــمَ هــــــاروتَ لـــي رُسِـــمــتْ
ومـــن سِـــحْـــرِ مـــــاروت قـــد أكـثــروا
فـحــلُّــوا الــقــلــوبَ بـصــرف الــهــوَى
وبـــاعـــوا سـلـيـمـى فـهـل أثْــمَـــرُوا
فـــأنــــتِ حـــــــــرامٌ عَـــــلَــــيَّ فـلـن
أُكـــــحِّـــــلَ عـــيـــنـــي بمـــا أبــكـــروا

فــقـــولـــي فـــديـــتــكِ يـــا مـــولـــدي
فـــمـــا حــــالُ سـلْـمَـــى فـــهـــل وقَّـــتِ
بـــأغــلـــى الـــعـــهـــودِ عـــهـــودِ الـــهــوى
لأن الـــشـــكـــوكَ ســـبَـــتْ دمــعــتِـــي
أحَـــــــــيٌّ أنــــــا بــــيـن أحـــشـــائـــهـــا
أمِ انِّــــــي وئِـــــــدت بـجـبَّــانــةِ
فــقــولـــي أم انَّـــــكِ أيــضـــا عــلـــى
صُـــفـــوف الـــذيـــن بـــــروا مــوتَـتِـي

وداعًــــــا تُــــعَـــرْبِــدُ فـــي نَـــبْــرَتِـــي
وتَــسْـــكُـــبُ فــيــهـا لـظَّـــى مُـسـتَـعِــرْ

تــركــتــكِ والـــدَّمْـــعُ يــجــري دمًـــا

عـلـى مـدمـعـي الـبـائـس المـنـكَـسِـرْ

ومـــحـــمـــودُ بـــــالٍ أقـــــول وَلاَ

أُسِـــــيء الـظُّـنـونَ بِـحُـكْـمِ الـقَـدَرْ

تـــركـــتـــكِ لـــكـــنَّـــنـــي آمـــلٌ

لِــقــاءَ وَدَاعٍ فَـــهَـــلْ يُـنْـتَـظَـرْ

أنجمينا/ يوليو٢٠٠٢

بيضت في ٢٨/٨/٢٠٠٢م

****

٢ - قَرِّبيني

[مجزوء الرمل]

لَيْتَنِي ألْقاكِ عُمْرِي

فَتَصِيرينَ ثِيابِي

وَأَصِيرُ القِسَّ أَبْنِي

مَعْبَدًا بالنَّهْدِ أوْ حِصْنًا حَصِينَا

لَيْتَنِي صِرْتُ حَلِيبًا

قَرِّبِي لِي الثَّغْرِ حِينَا

قَرِّبِينِي يا فَتَاتِي كَيْ أَكُونا

مِرْوَدا للعَيْنِ، أوْ للنَّهْدِ (تِتْيُونًا) أمينا

قرِّبِينِي قَدْ لَحَا وَجْهِي جَلاَلا

بَثَّ في نَفْسِي جُنُونَا

لَوْنُكِ السَّاجِيُّ سِحْرُ

إسألي المِرْآةَ يَوْمًا تَعْلَمِينا

قَدْ أتاكِ اللَّيْلُ سَعْيًا

واهِبًا لوزًا وتِينَا

صَمِّغِي عُودَ القَمَارِي

وانشُرِي الرَّيْحانَ فينا



قدْ دَعانا الحَوْضُ هَيَّا

الْبَسِي الشَّفَّافَ وامْضِي

انزِلِي بِي في إناءٍ يَحْتَوِينا

خَبِّئِيني مِن صَقيعٍ، جَفِّفِيني

وانهضِي بي مِنْ سرير العاشِقِينا

هدْهِدِينِي يا نُوَيْباتِي قَلِيلاً

اتركيني،

وامكثي في (المقر) حتى

تنعِشي الدر المصونا

أسرعي هيا افتحي الدولاب سلِّي

مسحة النعناع منه

وانفثي العطر الثمينا

أسمعيني صوت شعري دون ناي

واعزفي لحنًا حنينا

وانتشي مني ومنه

فكلانا يبتغي الإبحار فيك

يبتغي أمنًا أمينا

أطفئ الأنوار حينًا

واتركي الأخضر ينأى

ينشر الأضواء فينا

واخلعي ثوب العذارى



ثاكلاً نادى الجبينا

إنه للوصل سد

إن رأينا الحب دينا

قربيني وامنحيني لحظات

سلبت منا سنينا

اخزنيني في المحيا

علني إن ذبت أنسى في محياك الأنينا

أنجمينا ٢٤أغسطس٢٠٠٢

****

٣ - لو كانت

[الكامل]

النصر هلَّ وحقَّ لي أن أفتخرْ

النصر هل على يديكِ وهلَّ لي مجدٌ أَغَرْ

سَابقتهم فَسَبَقْتهم

وجعلتِ كلَّ النصر من إعجاز نصرك ينبهرْ

فتقدمي يا درّة المجد افتحي

لنون جنسك مسلكًا كيما يثور ويفتخر

فتقدمي لتحطمي

خرافة الواو الأَشِر

النَّصر هلْ

ماذا أقول حبيبتي فالقول فَرْ

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئة والقدر

أذَّنتُ في كل القرى جل البوادي والحضر

أذنتُ في كل الكبار وفي الصغار بأن هلموا يا بشر

«حيوا الأميرة والقمر»

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئةُ والقدر

لَطُفْتُ في الناس الرقود

وقت الظهيرة والسحر

ووضعتهم صفًّا ببابكَ..

.. لاهجينَ مهنئين

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذا المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئة والقدر

أذنت في الناسِ النيامِ

وقدتهم مترنمين في سكونٍ مثل عباد الصليبْ

مهنئين..

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذ المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئةُ والقدر

أَذَّنتُ في الرياض في الفراش أن

زفوا التي على يديها النصر خَرْ

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

أذنتُ في الوادي وفي السهول

تَحْتَ لآلي المطرْ

أَذَّنتُ في الطيور فوق غُصُونِ الشَّجر

«أن غردي غنى لها لحن النصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

غنيت ألحاني الجميلةَ يا منى قلبي..

.. وهندست الفرائد والدُّرَرْ



ونسجتُ بين يديك كل قصائدي

ورسمت وجهك لوحةً هي النفائس والعبر

☆☆☆☆

لو كانت الكينونة الكبرى تثنت لي أنا

لو كان في يديّ قَدْر

أحضرت بين يديك كل النجوم

كيما تُحَيِّي أخت هاتيك الثريا والقمر

«مبارك لك بالنجاح مبارك بالنصر»

لو كانت الكينونة الكبرى هنا..

أخذت وجهك الكريم كي أُحَلِّقَ في العلى

في عوالمنا التي لم تَرْنُها عينٌ رأَتْ

ولا أحَسَّتْها أحاسيس البشر

هناك أُهدي للخدود قبلةً

وهمسةً

وكلمةً هي هذه...

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك بالنصر»



أنجمينا ٢٠٠٣/٨/١٧م

✱✱✱✱

٤ - الأشواق

[المتدارك]

آهٍ أرحلتَ ولم تتركْ
نبأً وبحثتُ فلم أجدِ
إلا همسات في أُذني
من مهدك جاءت من مهد
يتدفَّق دمعي حين أرى
في الحارة صحبك يا ولدي
يتدفق إن خرجوا قُطْنًا
للنزهة في شطِّ الرّهد[1]
والحسن[2] الزين [3] معي أبدًا
والليث عليٌّ[4] في البلد
كغريب أبقى بينهمُ
كأسير يرجو فك يد
أبديت لهم لمَّا سألو
ني ما لي غائبة وحدي
الفرح الزيف على وجهي
شَرَرٌ يتطاير كالبرد

---

(١) الرهد: غدير.
(٢) أخو الشاعر.
(٣) أخو الشاعر.
(٤) أخو الشاعر.

لـكـنـك تـهـجـرنـي وأنـا
كـالـطـفـل حـنـانـك مـفـتـقـدي
تـهـجـرنـي تـرسـل لـي شـوقًـا
تُـنـبـئـنـي شـوقـك مـلءُ يـدي
عـجـبـا مـن قـول أنـت لـه
تـفـنـى الـسـاعـات ومـا تـبـدي
إلا مـثـقـالًا مـن كـفٍّ....
هـذا مـا عـنـدك لـم تـزد
تَـعْـبَـثُ بـالـوجـدان تـقـلـبـ
ـهُ إن تـتـأنّ رضـا تـجـد
آهٍ مـن شـوقـك يـأْسـرنـي
فـتـعـال خـذ مـنـي قـيـدِي
آهٍ لـو تـنـظـر أحـشـائـي
تـغـلـي والـطـهـو لـهـا جـسـدي
هـبْـنـي وعـدًا لا نـخْـلـفـهُ
ولـئـن خـيِّـرت أقـول غـدي
فـنـهـاري دهـرٌ مـذْ رحـلـت
بـيـض الأيـام إلـى أمـد
مـن وعـدك نـبـضـاتـي تـدنـو
وثـوانـي الـسـاعـة فـي بـعـد
إنـي لـمـا.. لا.. لـيـتـك.. إن..
غـبـتَ فـلا تـأتِ بـلا مـجـد
أدعـوك إلـهـي أجـمـع شـمـلاً
واحـضـر مـن غـاب إلـى الـبـلـد

****

٥ - سَمْرَاء

[المتقارب]

وسمرا بحي الدقيل[١] انثنتْ

لها مهجتي أَلف مرة

وقابلتها في خشوع الدراويش

حين تخيم حضرةْ

وحييتها في انهزام العبارات

بالرمز مليون مرَّةْ

وماتت بحلقي صنوف البلاغةْ

وماتت إشارات صاديَ حسره

وفرت عقول

وباتت ذواتي

تجابه في الخلد بالسر ثَوْرَهْ

فأيُّ لسانٍ يقول العباره

وَأيُّ عُقَيْل جرئ يُخَمّر فكره

☆☆☆☆

وتدخل سمراء فينا

ترافِقُ شمسًا وَبَدْرا

وتجلسُ بالقرب منّي

---

(١) الدقيل: حي من أحياء العاصمة أنجمينا.



وتجلسُ بشرى

تفيضُ بَجَنبي حياءً

تَفيضُ وَقَارًا

تفِيضُ عَفَافًا وَطُهْرا

وَسَمْراءُ ألقت تحايا

كَحُقْناتِ مُرْفِين في الجلدِ تسْرِي وَتَتْرى

وَحَيَّت فُؤَادِي تحايا

كَرَنات لحنٍ تُداعِبُ وتْرا

ستبقى التَّحايا بِقلبيَ شفعًا

وتحيى سُمَيْرا بخلديَ وترا

وَغَطَّى سَمَانا صُماتٌ

فلا أنا أدري ترى كم مَضَى

ولا هِيَ واللهِ مِنِّيَ أَدْرَى

وَفِي الصَّمْتِ حادَثْتُ سَهْرا

وخاطبتُهَا

وما في خِطَابي حُرُوفٌ

وما في خطابي كلامٌ

وما في خطابي نَبْرَه

وسَاءلتُ سَمْرا

سُلالاتُ حَوَّا عَرَفْتُ كثيرا

حَفيداتُ حَوَّا عرفتُ كثيرا

قَرأتُ عن الجنِّ أيْضًا كثيرا







ولَمْ أرَ مثلَكَ في الناس عَذْرَا

أراقَتْ دمائي بِطَرْفٍ حَيِّي

أذابتْ فُؤادي بِنَظْرَه

أُلاقِي بها

مذاقًا لتقوى الإله وَذِكْرا

فما أجملَ اللَّحَظَاتِ سُمَيْرايَ

حينَ يُسرَّحُ للشمس أسرى

وحينَ تُسرَّحُ نفسٌ

قَضَتْ في شواطي الضَّلالاتِ دهرا

☆☆☆☆

وقلَّبْتُ سَمْراءَ أسفارَ من رحلوا

في الزمانِ القديم، ولم أرَ مثلك سمراء عذرا

رمتني برمحٍ، وتُصْدر في الحينِ حُكمًا

بإعدامنا قبلَ أن تُلْقِيَ الرُّوحُ للرُّوح زفره

فهل أنتِ سَمْرا حَفِيدةُ حَوَّا

أم انَّك يا شمسُ أُخرى

فَقُولي فُديتِ

فمن أيّ دُنيا قدمتِ

فمن أَيْنِ أنتِ «أقهره»

فقالَتْ

نَعَمْ: إنَّ حَوَّاء أمي

ولكن هُناك فُرُوقٌ بدت بين جذرٍ وفرع



ومنها سماتٌ سمت للسما

وزانته فرعيَ نضره

ومنها فُرُوقٌ بَدَتْ بَيْنَ نَكْهاتِ طينٍ

وبين الزهور إذا أنفق الزهرُ عِطرَه

وقلتُ بنبراتِ صوتٍ حنينٍ

رأتْ مُهْجتي منكِ طرفًا

تعاطتْ بِسِرٍّ من الطرف كأسا

فباتَتْ لَياليَ سَكرى

فقالت:

أبارك كُلَّ هواها

وأسأل ربّيَ تحقيق بشرى

أنجمينا ٢٠٠٣/٧/٢٨م

****

٦ - نار الفراق

[مجزوء الرمل]

أنتِ في ذاكرتي

والنَّفس أعْياها العتابْ

ما لنا نَبْني بأيدينا مَتَاريسَ الفراق

أنتِ في ذِكْرايَ حِبِّي

حينما اجتزت السَّحابْ

في خيالاتي ارتباكٌ وانقلابْ

أنا في ذكراكِ عمري

والسَّحابُ الرَّاكضُ المجنون دوني كالهضاب

وهو أحياناً كَرَضْمات (تِبِسْتِي)

حين يَغْشاها السَّرابْ

هالَني في ذا الفضاء الرَّحب سِحْرُ

إنّما الطَّيْرانُ يمحو ذا الثوابْ

عابسُ الوجْه لأنّي

فاقدٌ نصفي، ونصفي أنت، قولي

أوَزَغْمٌ كلماتي أم صوابْ

ثَغْرُكِ البسَّام جنبي

يَحْضِنُ الخدَّ المذابْ

كُلَّما فكَّرت حينًا

جاءني مثل السَّرابْ

يُنقِذُ القلب المهينا



إن رأى فيه انتحابْ

أنتِ منّي في فؤادي

في سويدي ذا الذي يشكو العذابْ

أين منك الآن طيفي

أعناق نال طيفي أم سبابْ

أنا في ذكراك

والإبحار في فضاء الله خوفٌ مستطاب

هَمْسُك الشعر المقفّى

حين أروي منه شيئًا للصِّحابْ

وهو في الخلواتِ ورْدي

وهو فكْرٌ في كِتابْ

ريقكِ الشَّهْد المصَفَّى

منه سكرى، وانتشائي، وانجذابْ

إنَّني في البعد حزنٌ وحَنينْ

وأنينٌ مثل تصويت الغرابْ

أنا في ذكراكِ إن جاء الغروبْ

أو أميطتْ عن دياجينا الحجابْ

أنا في ذكراك روحي

قد سباني في بعادي إشتياقْ

على سطح الخطوط الإفريقية

٢٠٠٢/٧/١٩م

****

٧ - شاري[1]

[مجزوء الوافر]

رجعتُ إليكَ يا نهري ... ويا مددي ويا قدري

رجعتُ إليكَ ولهانًا ... وحبُّكَ في دمي يسري

وللغايات في الوادي ... وللصفو الذي يجري

وماؤكَ سلسبيليٌّ ... أزاح الداء من صدري

وللرمل الترامي في الـ ... ـحواشي البيض والخضر

كأنَّ الله أنزله ... لنا هبة من البدر

رجعت إليك يا شاري ... أيا شكلاً من التبر

أذوق فيك أن أغدو ... مذاق الشهد والخمر

فلا تِبْرٌ ولا شهدٌ ... ولا خمرٌ لذي شكر

---

(١) شاري: اسم نهر في تشاد ومن أكبر أنهارها.



فأنت الكوثرُ الصافي
وباقي النبع من عكر
رجعتُ إليكَ شرياني
عليلُ القلب والفكر
فَزوِّدْنِي بجُرعاتٍ
لتبقيني على سُكْر
مَلَلْتُ الصَّحْوَ في فكر
مللت القيدَ في الأسر
مللت المُكْثَ في فزعٍ
فرجِّعني إلى الجذر
رجعتُ إليك مرعوبًا
ومغلوبًا على أمري
فَسكِّن روعةَ القلب
فإن الخوف يستشري
ستبقى بيننا دومًا
أريجُ الطيبِ والعطر
وتعطينا بلا حصر
طوال العمر والدهر
ستبقى للعَطا أبدًا
فلم تُحبسْ مدى الدَّهر
١٩٩٦/٦م

****

٨ - أحبِّيني

[الوافر]

أَحِــبِّــيــنــي فَـــــدَاكِ الــلــهُ سَــيِّــدَتِــي
كـمـا أحْـبَـبْـتُـكِ إنَّ الـعِـشْـقَ أفْـنـانِـي
عَـواصِـفُ عِـشْـقِـيَ المَـجْـنُـون تَـلْطِمُـنِي
بـــأمْـــواجٍ وتَـــطْـــرَحُـــنِـــي بِـشُـطْـآنَ
أنـــا الأطْـفـــالُ كـيْـفَ أَطِـيـقُ عـاصِـفَـةً
وأيـــنَ أَفِـــرُّ إنَّ المَـــوْجُ يُـغْـشـانـي
أَحِـيـطِـيـنـي فَـــإنَّ الْـبَـرْدَ يَـقْـرِصُـنِـي
وَضُـمِّـيـنِـي أنــا والـنَّـهْـدُ صِـنْـوانِ
خُـذِيـنِـي زيـنـة الـروضـات وابْـتَـعِـدِي
وَخَـلِّـي عَـنـكِ ذاكَ الأبْـخَـرَ الـفـانِـي
بُـعِـثْـتُ أُبَـــدِّدُ الـظُّـلُـمـاتِ فِـيـكِ فَـكَـيْـ
ـفَ مِـثْـلَـكِ أنـتِ يَـشْـكُـو ظُـلْـمَ حِـرْمـانِ
أَحِـبِّـيـنِـي تَـــرَيْ فـي الحُــبِّ مُـعْـجِـزَةً
فَـحُـبِّـيَ الـطِّـفْـلُ صَـارَ الـيَـوْمَ (دُوشـانِ)

أنجمينا ٢٠٠٣/١١/٨م

***



٩ - البحث عن الغفران

[مجزوء الوافر]

بـــنـــاتُ الحَـــــيِّ قُـــلْـــنَ لـنـا
فـــطـــيـــمـــةُ حـــولـــهـــا جـــنـــدُ

فـــلا تـــقـــربْ مـــعـــاقـــلَـــهـــا
فـــتـــأكـــلْ لحـــمـــكَ الأُسْـــد

فـــإن الأُسْـــدَ رابـــضـــةٌ
ومـــنـــهـــا يـــظـــهـــر الجـــدُّ

وقـــصـــر فـــطـــيـــمـــةَ الـــنـــائـــي
حَـــوَتْـــه فـــوارسٌ عـــمْـــد

فـــمـــن هـــانـــت لـــه روح
فـــذاك الحـــصـــنُ والـــسَّـــدُّ

فـــقـــلـــت لـــهـــن لا أخـــشـــى
طـــيـــور «اَمْـــعَـــك»[1] إذ تـــشـــدو

إذا مـــا بـــان شـــاهـــينٌ
يـــجـــيءُ الـــسّـــام لا الـــضِّـــدُّ

تمـــوتُ قُـــبـــيـــلَ قـــبـــضـــتـــهِ
ويـــفـــنـــى الـــهـــزلُ والجَـــدُّ

فـــظـــنـــوا الـــسَّـــدَ يمـــنـــعـــنـــي
فَـــخَـــرَّ الـــسَّـــدُّ والإدُّ

---

(١) طيور أمعك: نوع من الطيور ذو تغريد مزعج وصوتٍ عالٍ وحركة عالية.



أُحَلِّقُ فوق قمتِهِ
فليس القَدْر ينصدُّ
وأمشي نحو غرفتها
ومثل الضوء أمتدُّ
وإن قفلوا نوافذها
هواء كيف أنصدُّ
وإن جاءوا بتعويد
يحطُّ الله ما عدُّوا
فأهلك كلما عقلوا
فإن الحقد يشتد
فإنَّ الذنبَ سيدتي
هوانا منه ذا النكد
بأن نحيا على حالٍ
أباها الله والعبد
فكانوا كلما صلُّوا
دعوا بالنكْد فانصدوا
حكيم فوق جهلهم
وأصفح إن همُ لَدُّوا
فصور الفخ إن مدت
بأفٍّ سوف تنهد
سألت الله يهديهمْ
لِيَحيا الودُّ لا الضد
لأجلك أنت أكرمهم
لأجلك أنت أرتدُّ






لأنـــــســــــى كـــــــــلَّ آلامــــــي

وأُرخـــــــــي إن هُـــــــمُ شــــــدُّوا

لأجــــلــــك أنــــــت أكــــرمــــهــــم

وإن مـــــكــــروا وإن هــــــدُّوا

بـــــنــــائـــي لـــــن أعـــاديـــهــــم

لأنــــــــي فــــــوق مـــــا جـــــــدُّوا

أتـــــيــــــتُ الآن ســـيــدتــــي

بـــــــــــــذاتٍ مــــــا لـــــهـــــا نـــــدُّ

هــــجـــــرتُ ديـــــــــارَ أحـــبـــابـــي

قَـــلـــيــــتُ ديــــــــار مـــــن جـــــدّوا

****

١٠ - هوى أم وسواس

[المتدارك]

المناسبة: كتبتها حينما قابلتني فتاة، وألمحت لي بالحب لكني أعرضت عنها، بسبب ارتباطي بخطيبة فتاة أحبها وهي المرموز لها بولادة.

(١)

يا من تتسربُ في صدري

قل لي من أنت... لأني لا أدري

يا من يتغلغل في خَلَدي

فأنا أدعوك لتدري أَني لا أدري

(٢)

يا من تتسلل مختبئًا مثل الفأرهْ

أدعوك لتدري أني في حيرهْ

واعلم أني الآن على جمرهْ

رغم جهودالعرافات ورغم جهود السَّحَرهْ

احترقت كل الآمال وذابت معها الأحلام النضرهْ

ومصير بات على أيدٍ قذرهْ

بنحيب الحسّ أنين يخترق الصخرهْ

بعد اليأس أتيت الآن تذكِّرنا وتصيح بنا بشرى، بشرى

عفوًا اذهب بئس الذكرى

(٣)

يا من تتصفَّى في نفسي

إني الآن على بأس

بعد تآمر شيخ الخزرج معْ أوس

اختلطت كل الأشياء على نفسي

واختلطت هاتيك الأفراح مع البؤس

وغدت (وَلاَّدَة) في بَونٍ أصْبَحْتُ أراني في نُكْسِ

لو كان بمقدوري أن أمحو نفسي...

أو كان بمقدوري أن أقلب أحرف نفسي...

أفعلْ...

لكني الآن أُعاني من هوس النكس

يا ضيفي ارجع ليس الآنْ

(٤)

ارجع... إني لا زلت رضيعًا أجهل فن غرامْ

مذ غادرتك ولاَّدهْ

قالوا فيَّ غريب كلامْ

ولذا أجد النفس بحالات ليستْ كالعادهْ

وبرغم الصدق أيا ضيفي أعتذر الآنْ

لا عفوًا ليس الآنْ

لا أنكر أني في حاجهْ

لا امرأة تشبه ولادهْ

وتجيد اللحن بأنواع إجادهْ



وطقوس الحب وكل عبادةْ

تجعل في النحر رموز الحب قلادةْ

تعرف كيف تهدهدني

كيف تناغيني مثل الطفل حديث ولادةْ

أحتاج إلى امرأة تجتاح حماقاتي

أحتاج إلى واحدة إن قلت أواهٍ...

وَثبت من تحت ملاءتها صاروخَ إبادةْ

كي تحميني من فزعي كالفزع...

وتشيّد بي أحلامًا ساميةً وإرادةْ

أحتاج إلى أُخرى أجتاز على عينيها كل مخاطر

أحتاج إلى كبرى أتلقى منها فن قيادةْ

أحتاج إلى بشرى أتخلص فيها من قيد وسادةْ

أحتاج إلى واحدة أنسى بين ذراعيها الأحزانْ

ومكايد أهلِكِ ولأَّدةْ

لكن لا عهد يصاغْ

إذ إن العهد شهادةْ

يا ضيفي ارجع ليس الآنْ

(٥)

لا أنكر أنّي شاورت الكهانْ

فصاح إليّ

قالوا أهل الشانْ

من أعنيها بين يدي

أن أدفع ثمن الإتيانْ



أعطاني الطِّلسَّم به اسمي واسم المحبوبة واسم الجانْ

ودنا من أذني قال سأخرق هذي الورقاتْ

فإذا ما اشتد دخانْ

احضر يا رِوحانُ ويا روحانْ

احضر ذات الثغر العنقودْ

احضر ذاتَ الأمل المنشود

احضرها الآن الآن الآنْ

وبت أنادي يا روحان ويا روحانْ

وخلطت الشرك مع الإيمانْ

ومللت الرقص مع الهذيانْ

وسكبت الدمع ولي أسفانْ

ورجعت بثوب القسيسينْ

أروي للناس عقوبة أهل العشق

وأرسم في الأذهان النيرانْ

وبزهد دراويش باعوا الدنيا لغد أسمى

ورجعت لأحيا في مرتبة فوق الإنسانْ

لكني أمشي بعصا أعمى

بعد مذاقي طعم الزهد أتيتَ الآنْ

كي تقنعني بهوى أسمى

هي ذي الكبرى

أو فاختر ما بين رياض أو قطبانْ

لا عفوًا ليس الآنْ





(٦)

لا أنكر أني وسطت إلى من أعنيها

أهل الودع وأهل الخطّ ومن يقرا السرَّ على الفنجانْ

قالوا من أعنيها شبه خيالْ

من أعنيها أُسطورهْ

نقلتها الأجيال إلى الأجيالْ

وستبقى لا لا شك محالْ

قالوا لي من تعنيها ليست من جنس الإنسانْ

وسكبت الآهة في الوجدانْ

وصرخت وبي غليانْ

لا؛ هي من جنس الإنسانْ

لكن من أعنيها ليست من نسل الزنج ولا من نسل البيضانْ

من أعنيها سمرا قمحيهْ

تسكن في المنفى لكنْ في دار الشط لها شريانْ

من أعنيها فيها سمة التقليديهْ

لا تهتم بزيف المدنيهْ

رغم ثقافتها وتجولها في البلدانْ

لم تلبس إلاّ قطن تشادْ

(٧)

وذهبت لأبحث عنها في كل مكانْ

في غابات الأمزون وبين روابي «العريانْ»[١]

وذهبت لأبحث فوق جبال «الهملايَ» وتحت تلال «النعسانْ»[٢]

لكني عدت بخفِّ حُنين تحملني أحزانْ

---

(١) مكان مرتفع يقع شمال أبشة.

(٢) مكان يقع بالقرب من مدينة آبكا.



وسفرت العمر أفسر أحلامي والأوهامْ

بتصرف ولهانٍ حيرانْ

وذهبت لأسأل عنها كل الأشياءْ

وسألت البحر وموجَ البحرْ

وسألت الرعد وبرق الرعدْ

وسألت الليل سألت نجوم سماهْ

وأخيرًا عدت بثوب الحمدْ

لم ألقَ سوى صمتي وندائي ليس له أصداء

(٨)

عدت وعادت كل الأهوال ورائي

عدت أُفتش عن أيامي البيض بشكل عشوائي

عدت إلى ربِّي أدعوه شفاءً

أدعوه ولاءً

أدعوه لقاءً

وأتيت أيا ضيفي الآن تكركر كالفرسانْ

كي تأسرني .. توهمني وتقول غدًا أبقى السلطانْ

لا؛ عفوًا ليس الآنْ

(٩)

يا من تتسلسل مثل النبع إلى الإحساسْ

قل لي من أنتْ

أهوى كهوى ولادة أم وسواسْ

عد فالآمال بنفسي ملء البحرْ

فغدًا ألقى ولادة والفجرْ

****

١١ - قسمة ونصيب

[المتقارب]

أحـــبُّــكِ حـتـى يـطـلَّ المـشـيـبْ
أحـبُّـكِ حـتـى انـقـسـام الـــدروبْ

وحــتــى أذوبَ رويـــدًا عـلـى
مـطـاهـي الـغـرام عـديم الـضـريـب

أحــبُّــك أنــت أتــدري لمــا
لأنـــك أنــت دواءُ الـقـلـوب

بَــرَانـي هـــواكِ فـروحـي الـشّـفـا
ولـيـس الـــدواءُ بـوصـف الحـبـوب

فـقـولـي أحـبّـك هـــذا الـــدوا
وَشَـــرِّح فـــؤادي طـبـيـب الـقـلـوب

أخـــلِّــي فـــؤادي بـقـولٍ طـريٍّ
وحـلِّـي الحـديـثَ بـقـولٍ مـريـب

وقـولـي أحـبّــك حـتـى الـفـنـا
وكُـفِّـي أعـاصـيـرَ عـشـقـي الـرهـيـب

تَجـلّـي ولا تحـرمـيـنـي الـــرُّؤى
أريـنـي الـكـنـوزَ وصـــدِّي الـرّقـيـب

تـعـالَـي (فـــواطـــمُ) كـي نحـتـسـي
كـؤوس الـهـوى فـي زمـان الـهـبـوب

هـــواك يُـقـطّـع مـنـي الحـشـا
ويـنْـظـم شـوقـي عـقـود الـلـهـيـب

وأبكي إليك بصوت الظبا
وأمشي إليك بمشيٍ دبيب

ويوم سألتك فيه الهوى
فَالانَ الحديثُ بجوٍّ مهيب

وهبتك ذاتي بأمر الهوى
فبات المصيرُ بأيدي النَّصيب

بِمُحيا عيونك فاح الشذى
فغطى العبيرَ وصدّ الشعوب

جلالك - فاطمُ - لما بدا
تداعت نجومك نحو الغروب

بطرْفك سحرٌ تجلَّى لعيني
فقولي فتاتي فإني مجيب

سَلي قسمة الأمر أين انتهت
فقد مسَّ حسي وذاتي لغوب

ملاذي إليك فمن يا ترى
أسيلُ إليه وإنِّي غريب

فخذ بيديَّ - حبيبي - ولا...
تذرني وحيدًا أسير النَّحيبْ

أصلّي إلهي وأدعوك كي
تحقق حلمًا لعبدٍ سليبْ

فَطيمةُ تسأل من يشتري
- فخفت الحديث بأني الحبيب -

فؤاد يؤجل آن الهوى
ويرمي فؤادي بسهم النَّصيب

****

١٢ - أَنينُ عاشِقْ

[المتدارك]

(١)

آهٍ من نارٍ تَشْتَعِلُ

تَلْهُو ببُطَيْنٍ خَفَّاقِ

تَغْلِي بِشَرايينِي

لَكِنْ أَتَلَذَّذُ بالإحْراقِ

وَبِجَوْرِ قُيُودِي وَوِثَاقِي

آهٍ مِنْ هَوَسٍ لا يَنْفَصِلُ

أَتَجَزَّأُ عِنْدَ الحَضْرَةِ أتصلُ

كي أَتَحَسَّسَ في الذَّاتِ العُلْيَا أَشْواقِي

آهٍ مِنْ سَهْمٍ مَزَّقَنِي

فَبِرَغْمِ نَزِيفِي وَبِرَغْمِ دُعاءِ الرَّاقِي

أَتَذَوَّقُ طَعْمَ جُرُوحٍ لا تَنْدَمِلُ

إنّي أشْكُو صَمْتًا

قُولِي لِي أَكْرَهُ وَجْهَكَ أَوْ

إنّي فِي حُبِّكِ أغْتسِلُ

إنِّي أشْكُو مِن حُبٍّ كالسَّيْلِ العارِمِ يَرْتَطِمُ

أَأُحِبُّ أنا أَمْ أَغْرَقُ في بَحْرٍ غَرَّاقِ

أَو أفْنَى فيهِ تُرَى أَمْ أُنتَشلُ



آهٍ مِن مُتْعَةِ إغْراقِي

يا مَنْ صُهِرَتْ في قاعٍ من نَفسي

يا مَنْ صُيِّرْتِ جَلِيدًا في أعْماقِي

إنّي آنِيَةُ الطُّهْرِ

وَتَحْتِي النَّارُ فَهَلْ مِنْ واقِ

آهٍ يا هَوَسِ الأفْكارِ أنا

مَسْحُورٌ فِيكِ وما أحْلَى السِّحْر

حِينَ أُسَوِّدُ أوْراقِي

آهٍ يا طَعْمَ الآلامِ إذِ الآلامُ بَدَتْ تَكْتَمِلُ

إنّي مَجْنونٌ أبدًا، إنّي مجنونٌ فيكِ

وما أجْمَلها لَحَظَاتُ جُنُونِي حين تعربدُ أشواقي

حِينَ أقُومُ بِتَصْوِيرِ مَلامِحِ وَجْهِكِ في

في ساعاتِ الإشْراقِ

إنِّي مأسُورٌ فِيكِ وما

أَحْلَى أَسْرِي إذ أَرْوِي الوَرْدَ بِدَمْعٍ رَقْرَاقِ

إنِّي مَقْتُولٌ فيكِ

وما أحْلَى مَوْتِي حِينَ يَقُولُ النَّاسُ

بأنَّكِ يا خَنسَا سَبَبٌ فِي مَوْتِي وَفِرَاقِي

أَحْيِيني في أعْماقِكِ أوْ أَفْنِيِني

إعْطِينِي قَلْبَكِ أوْ لا تُعْطِينِي

فأنا لا أَطْلُبُ أكثَرَ مِنْ أنْ أبْقَى رَمْزًا للعُشَّاقِ

(٢)

أَحْسَسْتُ الآنَ أيا خَنسَا أنّي أحْبَبْتْ

أيْقَنْتُ بِأنَّ هَوَايَ الماضِي عَبَثٌ

وَبِأنِّي رَغْمَ مَصِيري المَجْهُولِ سُعِدتْ

إنّي يا خَنسَا الآنَ بَدَأْتْ

وَعَجِبْتُ لأنِّي أَلْمَحُ وَجْهَكِ في كَلِّ اللَّحَظاتِ

على الظُّلُماتِ على الأضْواءْ

وأراكِ علَى فِنْجانِ القَهْوَةِ عِنْدَ الإمْساءِ

وأراكِ على نُورِ الزَّهْرِ

أراكِ أراكِ علَى كُلِّ الأشْيَاءْ

أَوَ تَدْرِينَ بِأنِّي بَعْدَ لِقَائكِ يَا خَنْسَاءُ جُنِنْتْ؟

وَعَجِبْتُ لأنِّي كَيْفَ شَهِدت ولادَة حبِّي

إنِّي الآنَ وُلِدتْ

لا تَسْألِي عَنْ تاريخِي الماضِي

هُوَ شَكْلٌ مِن أشْكالِ اللّعِبِ

إنِّي مِن عُجْنَةِ نَهْدِكِ مِن ضِلْعَيْكِ خُلِقْتْ

وأُحِسُّ بأنَّكِ أنتِ أنا

فلِماذا لا أتَنَعَّمُ مِنكِ «أنا»

وأنا في ذِكرِ هَوَاكِ فُطِرتْ

فَخُذِيني يا «أنا» إنِّي مِن دَوْرانِي حَوْلَ الذَّاتِ تَعِبْتْ

فخُذِيني عِنْدَكِ كيْ أسْكَرَ مِنْ عَيْنَيْكِ

وَمِنْ شَفَتَيْكِ

فَخُذِينِي عِنْدَكِ لأذُوبَ عَلَى لَمَسَات يَدَيْكِ
فَخُذِينِي كَيْمَا أتَلاشَى بَيْنَ جَنَاحَيْكِ
أُفٍّ لِحَقَائق دُنْيايَ
إنِّي من أحكام المَنْطِقِ يا خُنسُ مَلَلْتْ

(٣)

أحْبَبْتُ كَثِيرًا يا خَنْسَا...
لَكنْ لَم ألْقَ هَوًى مَجْنُونًا كالتَّتَرِ
أَحْبَبْتُ كَثِيرًا...
لَكنْ لَمْ ألْق هَوًى كَهَواكِ
يُعَلِّمُنِي كلَّ لُغاتِ البَشَرِ
حُبُّكِ عَلَّمَني أن ألْقَاكِ عَلَى النَّسَماتِ
وفِي سَبَحَاتِ المطرِ
عَلَّمَنِي أَنْ أَتَنَشَّقَ طَيْفَكِ في أوْراقِ الزَّهْرِ
عَلَّمَنِي كَيْفَ أُناغِيكِ برغمِ البُعْدِ عَلَى رَنَّاتِ الوترِ

(٤)

إنِّي مُشْتاقٌ سَيِّدَتِي
وَلِشَوْقِي مَكْرَمَةٌ وَخِصَالْ
هِيَ إن تَبْدُو تَنْهارُ عَلَى الفَوْرِ
كُلُّ صُرُوحِ المُحالْ
فَأرَاكِ برَغْمِ السُّدُودِ
وَرَغْمِ الحُصُونِ وَرَغْمِ المُحَالْ
أشتاقُ إلَيْكِ أَتَسَلَّقُ بُرْجَ الخَيَالْ

كَيْ أراكِ وأنتِ تَزيدِينَ يا خَنْساءُ جَمَالاً

ويغار الجَمَالُ مِن سِحْرِ الْجَمَالْ

أَشْتاقُ أَطِيرُ إليكِ بِدُونِ جَنَاحٍ

وَأُعَانِقُ طَيْفَكَ تَحْتَ الظِّلالْ

آهْ يَا خُنسُ

بِرغمِ كَرَاماتِ الوَلِيّ، وَرَغْمِ الهُزالْ

وَرَغْمَ تَلاشِي صَرُوحُ المُحَالْ

يَتَعَرْبَدُ في الأَحْشَاءِ السُّؤالْ

فَمَتَى يَا حِبُّ الْوِصَالْ؟

****

حسب الله مهدي فضلة[1]

١ - رسول السلام ﷺ

[الخفيف]

دعْ مَـديـحَ الأنــــامِ؛ فـهْـو هَـبَــاءُ!
وامْـــدحَـــنْ مَــنْ عـبـيـدُهُ الأمَـــــرَاءُ
سـيـدَ الــرُّسْــلِ، هـل لمـدحِـي مـجَـالٌ
فـيـكَ، بـعـد الـــذي جَـــلاَ الـشـعـراء
كُـــلُّ مَـــــدْحٍ يُـــقَــالُ فـيـكَ ضـئـيـلٌ
عـنـكَ، مَـهْـمَـا أُطِـيــلَ فـيـهِ الـثَّـنـاء
هـل يُـطـيـق الـلـسـانُ حَـصْــرَ مـزايـا
أثـبـتـتْـهـا الأعــــداءُ والأصْـــدِقـــاء؟
جـئـتَ بـالـحـقِّ والــــوَرَى فــي ضــلالٍ
تَــنْـكِـرُ الأرضُ سـعـيَـهُـم والـسـمـاء

- شاعر تشادي معاصر ولد سنة ١٩٧٤ في مدينة أبشة، قرأ القرآن الكريم، ودرس الفقه والتوحيد والسيرة النبوية على يد والده، ثم التحق بالمعهد الإسلامي بأبشة وحصل على شهادة الثانوية ١٩٩٦، وسافر إلى السودان للعمل.
- ثم عاد إلى وطنه والتحق بجامعة الملك فيصل بتشاد، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة ٢٠٠٢ وفاز بجائزة الإيسسكو للأعمال الأدبية المتميزة سنة ٢٠٠١ عن ديوانه الشعري غير المطبوع «نبضات أمتي» إذ تميز ببناء عمودي محكم، وحسن توظيف للتراث الإسلامي وتنويع للقضايا التي يعالجها من منظور إسلامي. والشاعر يعد من رواد الشعر المحافظ الملتزم بقضايا وطنه والعالم الإسلامي من حوله.
- لقاء تمَّ بيني وبين الشاعر في الجامعة الإسلامية بالنيجر أثناء انعقاد المؤتمر الدولي لعالمية الأدب الإسلامي في الفترة من ١٨ - ٢٠ أبريل ٢٠٠٢ ولقاء آخر في جامعة الملك فيصل نوفمبر ٢٠٠٣م.

عشَّشَ الجهلُ في العقولِ؛ فأمسَى
يَنْعَقُ الزيْغُ فوقها والمِراء
قد تعامتْ عن الرشادِ وضَلَّتْ
فاستوى عندها الدُّجَى والضِّياء
بل تهاوت إلى الحضيض فأضحى
ربَّها السحرُ والدُّمَى العجْماء
واحتذَتْ في الحياة شِرعةَ غابٍ
فالأناسِيُّ والضَّوارِي سواء
بينما هُمْ في ليْلِهِمْ آذَنَ اللـ
ـه بصُبْحٍ يُزاحُ عنه الغِطاء
أشرقَتْ شمسُك المنيرةُ في الكَوْ
نِ؛ فضَمَّتْ أذيالَها الظَّلْماء
كالخيالاتِ للسُّكارَى إذا ما
أشرَقَ العقْلُ، واستُعيدَ الصَّفاء
أو كَغَمٍّ على فُؤادٍ ويَأسٍ
بَدَّدَتْهُ انتِباهَةٌ أو رجاء
فاستفاق الورَى على خيرِ صَوْتٍ
ردَّدَتْهُ الأقْطارُ والأرْجاء
حين ناديتَهم: «كفاكُم ضلالاً
ما لِهَذَا الإيجادُ والإنماء»
«انظروا الكونَ هل أتَى صُدْفَةً أمْ
أبدعَتْهُ هذِي الدُّمَى الخَرْساء»



«أم لـهـا قُـــدرةٌ بـهـا يُـجْـلَـبُ الخَـيْـ
ـــرُ، وتُجْـلَـــى الــكُـــرُوبُ والأدواء»

«مـحـضُ وهْـــمٍ عـلـى عـقـولٍ ضـعـافٍ
نَـسَـجَـتْـهُ الـعـواطِـفُ الـعـمـيـاء»

«إنَّمــــا الــلـــهُ ربُّـــكُـــم، فـإلـيـهِ
يُـرْفَـعُ الـنُّـسكُ، منـه يُـرْجَـى الـعَـطَـاء»

«حـقُّـه فـي الـوجـودِ أنْ يُـسـتَـمَـدَّ الـ
ـنَّـهْـجُ مـن شـرعِـهِ، ويُـرسَـى الـقَـضَـاء»

«لــم يُــــرِدْ لـلـعـبـاد عـيـشَ مَـطَـايـا
تَمْـتَـطِـيـهـا الأوهَـــــامُ والأهـــــواء»

«أو لـصـوقًـا بـالـقـاعِ والـكـونُ رحْـبٌ
نـــاضِـــراتٌ آفـــاقُـــهُ الْـعَـلْـيـاء»

حِـيـنَـهـا عـاشـت الخـلـيـقـةُ عـيـدًا
فِــيـــهِ مِــنــكَ تَـــألُّـــقٌ وضِــيـــاء

واسـتـظـلَّ الـــورى بـــواحَـــةِ عَـــدْلٍ
مِــنــكَ مُــــدَّتْ أغـصـانُـهـا الـفـيـحـاء

حـيـث أعـلـنـت قـبـلَ ثــــــورةِ بـاريْـ
ـسَ: (الجـمـيـعُ أمـامَ شـرعـي سـواء)

يـسـتـوي الـكـلُّ عـنـد مـيـزانِ حَـقٍّ
لــم يَـشُـبْـهُ تَـصَـنُّـعٌ أو رِيَـــاء

هـكـذا اسـتـنـشـقَ الأنـــامُ عـبـيـرًا
مِـــن رِيَـــاضِ الـــهُــدَى لَـــهُ إزكـــاء

ذاق طـعـمَ الحَـيَـاةِ بـالـقِـيَـمِ الـعُـلْـ
ـيـا، وقـد خَـيَّـم الـضـنَّـا والـشـقَـاء



واستشَفَّ المعنى العميقَ لهذا الـ
ـكونِ؛ فانجابَ شكُّهُ والغِشَاء
كُنتَ ميلادَه، وكُنتَ حياةً
أنعشتْهُ، كأنَّها الكَهْرُباء
خَصَّك اللهُ أن تكونَ إمامًا
تَقْتَفِيك الهُداةُ والأصفِياء
خائضًا لُجَّةَ الحياة بفُلْكٍ
حَصَّنَتْهُ العِنايَة العَلياء
أنت ربَّانُه، وهَيْكَلُه القُرْ
آنُ، وهْوَ المَحَجَّةُ البيْضاء

☆☆☆☆

يا رحيمًا بالمُؤمنين يُنادِي:
أُمَّتِي! أمَّتِي! وإن هُمْ أساؤوا!
إنني زهْرةٌ بهَدْيِكَ فاحَتْ
يُنْعِشُ النفسَ نفحُها المِعْطاء
إنني بُلْبُلٌ بروضِكَ يشْدو
من تَرانيمِهِ الدُّعا والثَّناء
قد سبَتْنِي آفاقُ عالَمِك الزَّا
كِي؛ فحلَّقْتُ حيث يبدو البهاء
ثُم هَدَّتْ قُوَايَ أغْلالُ أرضٍ
أرجعَتْنِي حيثُ الرُّؤَى السَّوداء
أرسِلُ الطرفَ راجِيًا ثُم يرْتَد
دُ كئيبًا، دمُوعُهُ سَحَّاء



لـــم يـــجِـــدْ مـــن سِـــمـــاتِ أمـــتـــك المُـــثْـــ
ـــلَـــى ســـوى صُـــــــورةٍ بـــهـــا إنـــضـــاء
كُـــلَّـــمـــا هَـــــبَّ نـــاعـــبٌ بـــادِّعـــاءٍ
هُـــــمْ دُعـــــــاةٌ لِـــزَيْـــفِـــهِ أوفِـــيـــاءُ
ضَـــيَّـــعُـــوا قـــــاربَ الـــنـــجـــاة بـــبـــحْـــرٍ
هُـــمْ هَـــشِـــيـــمٌ لَـــوْجِـــهِ، أو غُـــثَـــاءُ!
فـــاحْـــتـــواهُـــمْ قـــــاعُ الحَـــيـــاة مَـــلاذًا
واعْـــتَـــلَـــتْـــهُـــمْ أدنـــاسُـــهُ والجُـــفـــاءُ
واســـتـــطـــابـــوا مُـــســـتـــنـــقَـــعَ الـــذُّلِّ كـــالـــدُّو
د؛ لَـــهُـــمْ فِـــيـــهِ مَـــرْتَـــعٌ وارتِـــــواءُ!
يَـــفْـــتَـــدُون الـــعـــداةَ بـــالـــنـــفـــس والأقـــ
صَـــى أســـيـــرٌ، تـــغـــلِـــي لـــه الأحـــشـــاءُ
يـــرتَـــجِـــي نـــصـــرةً، وكـــيـــف يُـــرَجَّـــى
مـــن غُـــثـــاءٍ إغـــاثـــةٌ، أو فِـــــــداءٌ؟!
مـــا لـــه عـــنـــدهـــم ســـوى عـــبَـــراتٍ
بَـــيْـــدَ أنْ لـــيـــسَ فـــي الـــتَّـــبَـــاكِـــي عَـــنَـــاءُ
لـــو قَـــفُـــوا شـــرعَـــكَ المـــنـــيـــرَ لـــعـــادوا
أمَّـــــةً يـــحْـــتَـــمِـــي بِـــهَـــا الـــضـــعـــفـــاءُ
وأعـــــادوا مَـــجْـــدًا لـــهـــم قـــد تَـــوَلَّـــى
زانَـــــهُ الـــعَـــدلُ والـــنَّـــدَى والإخـــــاءُ
حـــين كـــانـــوا أعـــــزَّةً يـــخْـــتـــشـــيـــهِـــمْ
قَـــيْـــصَـــرُ الـــــروم، هُـــم لَـــهُ رُؤَسَـــــاءُ



حــين كــانــت نــتــائــجُ الــسُّــحــبِ تُجــبَــى

لـــهُــــمُ، حــيــث تُمـــطِـــرُ الـــدَّيْمـــاءُ

تــلــك أمـــجـــادُهـــم، وربـــــي كــفــيــل

بــالــفــتــوحــات حــين يــصْــفُــو الــنِّــداءُ

هــكــذا قــلــتَ، وهْـــو وَعْـــدٌ وصِـــدقٌ

ومِـــنَ الــلــهِ سَـــوْفَ يَــأتِــي الــوَفَــاءُ

فـــصَـــلاةٌ عــلــيــكَ مِـــن عــنــدِ رَبِّـــي

وســـــــلامٌ بِـــــهِ يــطــيــبُ انــتِــهــاءُ

****

٢ - أبكي مع السحاب

[الوافر]

كَـفَـانـا يـا سَـحـابُ مِـن الـبُـكـاءِ!
فَـلا سَـلْـوَى لَـمَـظْـلُـومٍ ونـاءِ

كِـلانـا يَـذْرِفُ الـعَـبَـراتِ؛ هـذا
بَـكَـى دمْـعًـا، وذا يَـبْـكِـي بمـاء

أتَـبْـكِـي أن تَـبـلَّ حُـلـوقَ قـومٍ
تَـضُـنُّ عـلـيـك حـتـى بـالـثـنـاء

تَـذُوبُ لِـكَـيْ تَـكُـونَ لـهُـمْ حـيـاةً
فـتُـجْـزَى بـالـشـتـائـم والـهِـجَـاء!

أحَـقًّـا كُـنـتَ لـلـبـنـيـان داءً
قَـدِ اسْـتَـعْـصَـى عـلـى أهـل الـدواء؟!

وزلْـزلـتَ الـبِـلادَ؛ فَـلِـلْـمَـبَـانِـي
سُـجُـودٌ، دون نُـسـكٍ واتِّـقـاء؟!

وأنَّـكَ قـد جَـعـلْـتَ الـنـاسَ تمْـشِـي
كَـلاعِـبِ سـيـرَكٍ خَـوْفَ ارتِمـاء!

عـلـى المـسـتـنـقـعـاتِ تـرى جُـسـورًا
تُـذَكِّـرُ بـالـصـراطِ بـلا مِـراء!

نُـحـاذِرُ أن نَـذِلَّ فَـتَـلْـتَـقِـيـنـا
كَـلالِـيـبُ تُـعَـذِّبُـنـا بِـداء

وأجَّـجْـتَ الـبـعـوضَ فَـشَـنَّ حـربًـا

علـى الـشـعـبِ المُـجَـرَّد مـن كـسـاء!

فَـلِـلآهـاتِ فـي الأكْـواخِ لحْـنٌ

شـجِـيٌّ هَـزَّ أركَـانَ الـسـمـاء!

و«لامـاجـي»[1] تُـدَشَّـنُ كُـلَّ يَـومٍ

مَمَـرًّا لـلـقـيـامـةِ فـي الـعـراء!

دعَـاوى فـي اتِّـهـامِـكَ، لا تـخَـفْـهـا؛

فَـقَـدْ أكْـفـيـكَ دحـضًـا لادِّعـاء

فَـهَـلْ أنـتَ الـذي جَـعَـل المبـانـي

فُـقـاعـاتٍ تَـذوب مِـن الـهَـواء؟

وهَـلْ ذوَّبْـتَ أمْـوالاً أعِـدَّتْ

لِـتَـرْصـيـفِ الـشـوارعِ والـبِـنـاء؟

وهـل دحْـرجْـتَ مـالَ الـشـعـبِ حتى

تَـوَزَّع فـي جُـيُـوب الأقـويـاء؟

وهـل أخْـمَـدتَ فـي الـشـبَّـانِ عَـزمًـا

فَـلَـمْ يُـظْـهِـرْ طـمـوحًـا لارتِـقـاء؟

وهـل أعْـددتَ دون الـسُّـمِّ درعًـا

بـه احْـتَـجَـبَ الـبـعـوضُ عـن الـفـنـاء؟

وهـل أمْـطـارُكَ الـلائـي أحـالـتْ

بـنـي قَـوْمِـي إلـى شـعـبٍ بِـدائـي؟

ألـيـس الـذَّنـبُ ذنـبَـهُـمُ، ولـكـن

أرادوا الـغَـيْـثَ كَـبْـشًـا لـلْـفِـداء؟

---

(١) لاماجي: اسم المقبرة الرسمية للمسلمين في مدينة انجمينا.

فكَفْكِفْ دمعَك الغالي؛ فإني
أُرَجِّي منك تخفيفَ العَنَاء

فقل لي: هل مررتَ وأنت سارٍ
بأبَّشَّى[1] وجُدتَ لَها بِماء؟

وهل قَبَّلْتَ لي فيها ثغورًا؟
وهل دغْدغْتَ وجْناتِ الصَّفاء؟

وهل حُمِّلْتَ لي منها تَحَايَا
تُريح القلبَ مِن حَرِّ التنائي؟

نَعَمْ! هذي اللآلئُ حَدَّثَتْنِي
وذي النَّسَمَاتُ وافَتْ بالشَّذاء

ولَكِنْ لمْ تُبَرِّدْ حَرَّ قلبي
فلِلذِّكْرَى اسْتِعَارٌ في الحَشَاء

كِلانا يَكْتَوِي، والقلبُ دامٍ
ولا سَلْوَى لِمَظْلومٍ وناءٍ

****

(١) أبشى: مسقط رأس الشاعر وفيها عشيرته وعادة ما تكون الأمطار فيها شحيحة.

٣ - كُفَّ يا دمع

[الخفيف]

كُفَّ يا دمْعُ؛ أنتَ أوَّل دائي

أنتَ عِنوانُ مِحْنَتي وشقائي

أنتَ جَرَّأتَ كُلَّ نذلٍ على ظلـ

ـمي، وسَلْبي وغِيلَتي واجْتِزائي

لا تَسلْ؛ حَسبيَ الدماءُ دموعًا

والجِراحاتُ أعْيُنًا لا تُرائي

لا تُفَتِّتْ قَلبي، فحسبيَ أني

أُمَّةٌ حُوِّلَتْ إلى أشْلاء

تستبيح الكِلابُ لحْمي وأُصْلَى

نَارَ ذلٍّ تَغْلِي بها أحْشائي

أستَغيثُ الوَرَى ولا ثَمَّ غوثٌ

غَيْرُ عَيْنٍ غِياثُها بالبكاء

لم أكُنْ أعرِفُ البُكاءَ، ولكِن

عَلَّمتْنِي مَخاذِلُ الجُبناء

مزَّقوا من شريط عمري فصولاً

كالدَّرَارِي بَيْنَ زُهْرِ السماء

كانت الشمس تستضيء بنوري

والمحيطاتُ تَستَمِدُّ عَطَائي

يضحك الكونُ حين أرضَى ويَهْمِي
دمعُهُ حِينَ تَكْفَهِرُّ سمائي
ينبت العدل حيث تخْفِق راياتي، ويجلو دُجَى الضلال ضيائي
فاخْتَفَى كُلُّ ذاك مني كحُلمٍ
بدَّدتْهُ انتِباهَةٌ في عَراء
عُدتُ أجري خلف السراب وحولي
ينسِج الحاقدون فَخَّ فَنَائي
واستحالتْ رياضُ مجدي يبابًا
مُجْدبًا دون بَهْجةٍ أو رواء
واعْتلَى عَرشَ أمَّتي كُلُّ باغٍ
خائنٍ هَمُّهُ امتصاصُ الدماء
فلْتَكُفَّ الدموعُ! إنِّي مُعيدٌ
عَهْدَ مجْدي بإذن ربِّ السماء!
إنَّني قادمٌ بحَقِّي وعَدْلِي
فَلْيُحاوِلْ كُلُّ الطغاة احْتوائي!
سوف أحْبو هذا الوجودَ حياةً
حِينَ أجْتثُّ داءَهُ بِدوائي
فَلأَكُنْ واحَةَ السلام، لِظِلِّي
يَلجأ الركْبُ من هَجِير الشَّقاء
ولْيَكُن كَوْثرَ المَحَبَّةِ قلبي
ينهلُ الحَبُّ منه كُلُّ الظِّماء

فإذا زَمْجَرَ الطغاةُ فَسيْفِي

في يَدِي، رمْزُ عِزَّتِي وإبائي

هكذا يستحِيلُ نَوْحِي هَدِيرًا

هادمًا جارفًا صَروحَ المِراء!

هكذا يستحيلُ دمعي ابتسامًا

هكذا تنقضِي عهودُ البكاء!

****

٤ - في آفاق القرآن(١)

[الرمل]

حَلِّقِي يا روح في عَلْيائِهِ
واستشِفِّي الحقَّ من أضوائِهِ

وانهَلِي الإيمانَ مِن ينبوعِهِ
ليس أزكى منبعًا من مائِه

واسْبَحِي ما شِئْتِ لَكِنْ نحْوَهُ
فالهُدَى والأمنُ في مينائِه

لا تُصِيخِي نحْوَ غِربانِ الهَوَى
كُلُّ حَقٍّ فَهْوَ من أعدائِه

سائِلي التاريخَ عَن إعْجازِهِ
واكْشفي المكنونَ من أنبائِه

نَقِّبِي في قاعِهِ عَن أُمَّةٍ
عَدَّها في البدءِ من أقْذائِه

قَد رماها الشِّرْكُ في مُسْتَنْقَعٍ
لُوِّثَتْ فِطرتُها من دائِه

مَنْ أراد النُّسكَ سَوَّى ربَّهُ
مِن جمادِ الأرضِ، من أهوائِه




(١) ألقيت في الحفل الختامي لمسابقة تركي دبوس الدبوس الأولى لتحفيظ القرآن الكريم في يوم الثلاثاء ٢٠شوال ١٤٢١هـ الموافق ١٦يناير ٢٠٠١م في قاعة قصر ١٥يناير بالعاصمة أنجمينا.

أُمَّـــةٌ لَــم تَــــدرِ مــن شــأن الـعُـلا
غَـــيـــرَ نــهْـــبِ المــــالِ أوْ إفْــنــائِــه
لــم يــكُــنْ لــلــعَــدْلِ مَــعْــنًــى عندها
غَــيــر عـــدلِ الــذئــب فـــي بــيْــدائِــهِ
كَـــــمْ زعـــيـــمٍ سَــــادهـــــا، لــكِــنَّـــهُ
لــم يَـــــزِدْ عَـــن نُـــوقِـــهِ أو شــائِــهِ
قــد أذابَ الــعَــقْــلَ فــي كَـــأسِ الــطِّـلا
واســتَــقَــى الــتَّــفْــكــيــرَ مــن أمــعــائِــهِ
كَــيــف يَـــرْقَـــى مِــثْــلُــهــا لــلــبــحــث عن
غـــايـــةٍ لـــلْـــكَـــوْنِ أو إنـــشـــائِـــهِ؟
بــيــنــمــا اسْــتَــلْــقَــتْ وخــــارتْ لــيــلــةً
غـــاب فــيــهــا الـــشَّـــرُّ فـــي إغــفــائِــهِ
إذ تجَــلَّـــتْ رحْـــمَـــةُ الــرحــمــنِ كــيْ
تُـــنــقِــذَ الـــعـــالَـــمَ مـــن إغْـــمـــائِـــهِ
مــن حِـــــرَاءَ الــغــارِ أبـــدتْ مَــطْــلَــعًــا
غــــــارتِ الأفْـــــــلاكُ مِـــــن إعــــلائِــــهِ
مِـــنـــهُ بـــالـــقُـــرآنِ شَـــمْـــسٌ أشــرقــتْ
جَـــــرَّدتْ ذا الـــكَـــونَ مـــن ظــلــمــائِــهِ
أرسَـــــلَـــــتْ مِـــــنْ آيِـــــهِ أشِـــعَّـــةً
أرْدَتِ الــطــاغــوتَ فـــي أحْــشــائِــهِ
وارتَـــقَـــتْ بـــالأُمَّـــةِ الـــوَسْــنَــى إلــى
هـــامَـــةِ الـــتـــاريـــخِ فـــي اســتــعــلائِــهِ



أخْرَجَتْ منها أطِبَّاءَ الوَرَى
أيْن جالِينوسُ مِن كمْيائِهِ؟

هَلْ دَرَى العَالَمُ مَنْ أهْدَى لَهُ
مِجْهَرًا للكشفِ عن أدوائِهِ؟

ثُمَّ أردَى كُلَّ فيروسٍ بِهِ
باذلاً للروح في إبْرائه؟

مَن سِوانا؟ مَن سِوَى أُمَّتِنا
يَسْتَظِلُّ الكونُ في أفيائه؟!

حِينَ كُنَّا أُمَّةَ القُرْآنِ لَمْ
نقْتَبِسْ زَيًّا سِوى أزيائِهِ

نستمِدُّ الحَقَّ وحْيًا ليس مِنْ
أدعِياءِ العِلْمِ أوْ أعدائِهِ

لم نغُصْ في وَحْلِ (أوسلو) أو نَتِهْ
في سَرابِ الغربِ أو صحرائِهِ

حِينَ كَان النحْلُ يشدو حاكيًا
شدْوَنا في الليل في إقْرائِهِ

ثم يَقْضِي الصُّبْحَ في تقليدنا
إن رأى التحْليقَ في أجْوائِهِ

هكذا يا روحُ كُونِي نَحْلَةً
لَمْ تَمِلْ للنَّوْمِ أو إغْرائِهِ

دونَكِ القرآنَ روضًا ناضرًا
فارشُفي ما شئتِ مِن أندائِهِ

قـــدِّمِـــي لـــلـــكَـــوْنِ مِـــنْ أزهـــــارِهِ

شَـــهْـــدَهُ المَـــشْـــهُـــودَ بـاســتـحْـلائِـهِ

لا تَــرومِـــي غــيــرَهُ رَوْضًـــــا؛ فَـكَـمْ

عِــفْــتُ طِـيـبًـا شَـــذَّ عــن أشــذائِــهِ

فـــالـــهُـــدَى فـــي هـــديِـــهِ، والـــفـــوزُ في

نــهــجِــهِ، والمَـــجْـــدُ فـــي إعْـــلائِـــهِ

****

٥ - على ضفاف نهر النيجر

[الوافر]

(نـيـامِـي)[1] نـحـوكِ انـطَـلـق الـفـؤادُ
يـسـابـقُـنـي، مـطَّـيـتُـه الـوِدادُ

يـودِّعـنـي بـخـفـقٍ ثـم يَـسـرِي
بـأجـنـحـةٍ لـهـا تُـطْـوَى الـبِـلاد

بـه شـوقٌ إلـيـكِ وقـد رآنـي
بـطـيـئًـا إذ تجـاذبُـنـي الـوِهـاد

فـحَـلَّـقَ نـحـوَ أفـقِـكِ هـاتـفًـا بـي:
كـفـى زحـفًـا، فـقـد أضـنـى الـبـعـاد

أأبـقَـى فـي الـقِـفـارِ وذاكَ روضٌ
أمـامـي، فـيـه عـلـمٌ يُـسـتـفـاد

بـه أحـبـابُـنـا اجـتـمـعـوا لـيَـسْـقُـوا
قـرائـحَـنَـا زلالاً يُـسـتـجـاد

هـيَ الآدابُ تُـزْهِـرُ حـين تُـسـقَـى
رحـيـقًـا فـيـه حُـبٌّ وانـتـقـاد

وتَـصْـلُـبُ فـي يـد الـتـقـويم عـودًا
فـلـيـس تـهـزُّهـا الـمِـحَـنُ الـشِـداد

---

(١) نيامي: عاصمة جمهورية النيجر، وألقى الشاعر القصيدة في أثناء إقامة مؤتمر عالمية الأدب الإسلامي في الجامعة الإسلامية في أبريل ٢٠٠٢م وكنت مشاركًا عن تشاد ببحث عن الشعر التشادي وكان الشاعر مشاركًا بإبداعه الشعري.

فتُؤْتِي أُكْلَها ببناءِ جيلٍ
يكونُ به انطلاقٌ واتِّحاد

فمَن للأمةِ الحيرَى إذا ما
ذوو الآدابِ غالَبَهُمْ رُقاد؟

ومَن يحدو الكتائبَ حين تسري
إلى الميدان إذ يدعو الجهاد؟

أما سالت دموعٌ بل دماءٌ؟
بكل دويلةٍ شعبٌ يُباد

هَبُوا الأفغانَ والشِّيشانَ كانوا
بغاةً قتْلُهُمْ عدْلٌ مُراد

فما للمسجدِ الأقصى البغايا
تُعربِدُ فيه، يغشاهُ الفساد؟

وهل أطفالُ غزَّةَ قد تخفَّى
«أسامةُ» بينَهم، فلهُم يُكاد؟

نعم إنَّ الأسودَ إذا تأبَّتْ
ففي الأشبالِ ثأرٌ واضطهاد

وإن غار الذئابُ على شياهٍ
فليس لواحدٍ منها جِياد

سلوا السَّاطورَ[1]: ما ذنبُ الضحايا؟
إزارهم التطرّفُ والعِناد؟

وما عرفوا انتحارًا وانفجارًا
فكيف جَرَتْ دماؤهُمُ وبادُوا؟

---

(١) الساطور: آلة كحد السيف استخدمها الفرنسيون في قتل أربعمائة عالم في أبشة في موقعة شهيرة تسمى بالكبكب ١٩١٧م.

كـــأنّـــا أمــــــةٌ فَـــــــرْضٌ عـلـيـهـا
تَـلَـقِـي الـطَّـعـنَ كـي يـحـيـا الـعـبـاد
فـهـيّـا نَـنـسـجُ الـنـكْـبَـاتِ جـسـرًا
إلــى الـعَـلـيـاء حـيـثُ الـرسْـلُ ســادُوا
لـنـا فـي الـمُـصطفى المـخـتـارِ هـادٍ
وحـــادٍ حـــين جُــلُّ الــنــاسِ حـــادُوا
ومـــا فـــي غـيـرِ وحـدتِـنـا سـبـيـلٌ
بـــه المـــجـــدُ المـــؤَثَّـــل يُـسـتـعـاد
إذا مـــا (نــيــجــرٌ) نُـكِـبَـتْ بـجُـرحٍ
فـمِـن دمِـهــا تجُــــودُ لـهـا تَـشـاد
وإن نـادتْ «إيـسـيـسـكـو»[1] فـي انـطـلاقٍ
تـــواثـــبَ نـحـوهـا ســـيْنٌ وصـــاد
فـسِـيـري يـا نـيـامـي فـي طـريـق
بـــهِ الــــنــــورانِ: إســـــلامٌ وضـــاد
وكـــونــي واحـــــةً يـنـسـابُ مـنـهـا
إلـــى إفـريـقـيـا خـــيْـــرٌ يُـــراد
فـمـا هـــذا الـلـقـاءُ ســوى بـشـيـرٍ
بـــأنَّ إلـــيـــكِ خــيـــراتٍ تُـقـاد
وهـــذي دوحـــةُ الإســـــلامِ أرســـتْ
بـــســـاي[2] جـــذورَهـــا ولـهـا امـتـداد
تمُـــدُّ غـصـونَـهـا الـفـيـحـاءَ يـأوِي
إلـيـهـا مَـــن مُـــرادُهــم الــرشـاد
تـري بـرحـابِـهـا الـنـحـلَ انـتِـشـارًا
وجْـــنـــيًـــا كُـــلُّـــهُ فَـــنٌّ مُـجـاد

(١) الإيسيسكو: المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية.

(٢) ساي: مدينة في النيجر يوجد فيها الجامعة الإسلامية.

وإنـتـاجًـا لـذا الـشـهـدِ المُـصَـفَّـى
شـفـاءٌ لـلأنـام ومـنـه زاد
مِـنَ الإسـلامِ قَـد سَـلَـكَـتْ سبيـلاً
فـلـيـس لـغـيـرهِ فـيـهـا الـقِـيـادُ
بـهـا عـبـدُ الـعـلـيِّ[1] تـراه يُـعلِـي
لـواءَ الـعـلـم فَـهْـوَ لـهُ عِـمـادُ
تَـدَفَّـقَ نـحـو أمَّـتِـهِ عـطـاءً
فـكـان لـهُ ابـتـكـارٌ واجـتـهـادُ
تـضـاءل نـهـرُ نـيـجـرَ إذ تَمَـنَّـى
يـنـافـسُـه فـخـالـفَـهُ المـرادُ
فـهَـبْـهُ سـقَـى الـتـرابَ فـهل سيسقِي
عـقـولاً لـمْ يُـطَـوِّعْـهـا انـقـيـادُ؟!
وهـل يـبـنِـي لأُمَّـتِـنـا تُـراثًـا
بـه «الـقـالـي» يُـخَـلَّـدُ و«الـعِـمـادُ»؟
مـآثـرُ كـالـنـجـوم لـهـا سـطـوعٌ
ولـيـس لـهـا إذا عُـدَّتْ نَـفـادُ
فـبُـشـرَى سـايَ، بـل بُـشـرَى لـقـوم
تَـلَـقَّـوْا عِـلْـمَـهُ وبِـهِ أفـادوا
وبُـشـرانـا بـجـمـعٍ ذي ائـتـلاقٍ
بـنـورِ شـمـوسِـهِ انـزاحَ الـسَّـوادُ

نيامي في ٥ صفر ١٤٢٣هـ

الموافق: ١٨/٤/٢٠٠٢م

****

(١) عبدالعلي: هو الأستاذ الدكتور عبدالعلي الودغيري رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر وهو مغربي ويتميز بمكارم الأخلاق والعلم الغزير.

٦ - خواطر في ذكرى غزوة بدر

[الطويل]

تباركتَ - ربِّي - شهرُ نصرِكَ قد أتى
وأُمَّتُنا كَالطَّيْر بين يدَيْ طِفْلِ
تزعَّمها الفُسَّاقُ غصْبًا فأصبحتْ
تَتِيهُ بِسِرداب الضلالة والذل
رأَوْا في اتِّباعِ الغربِ نورًا، فَرَاعَهُمْ
تَجَهُّمُ أفقٍ خَلْفه ظلمةُ الليْل
فيا قومُ، إن رمْتُمْ نجاةً فهاكُمُ
قواربَ إنقاذٍ إلى الشاطئ السهْل:
فما لَكُمُ غير الكِتَاب سفينةً
ولا ثَمَّ ربانٌ سِوى سيِّد الرّسْل

☆☆☆☆

رسُولَ الهدى، يهْنِيكَ نصْرٌ مُؤَزَّرٌ
بهِ صَلَفُ الكُفَّارِ مُرِّغ في الوحْلِ
نهضتَ لنشر الحَقِّ، والكَونُ مُظْلِمٌ
فأظهرتَ مخْفِيًّا، وفقَّهتَ ذا خبْلِ
دعَوْتَ إلى الإسلام قومًا أذَابَهُمْ
تَأَجُّجُ أضغانٍ على مَرجلٍ يغلي
فأشرق نورُ الله في البعض؛ فاهتدوا
وذابَتْ جَراثيمُ التباغُضِ والغِلِّ

وأصـغَـى إلـى إبلـيـسَ بـعـضٌ، فـأُعـمِـيَـتْ
بـصـائـرُهـمْ، كـالـبَـهْـمِ ســارتْ بـلا عقل

وعَــرْبَــدَ شـيـطـانُ الـضـلالـةِ صـارخًـا:
أأرضــى وهـذا الـديـن يـحظى بـذا الـطَّوْل؟!

فـسَــارتْ جُـيُـوش الـكـفـر تـبـغـي تـغـلُّـبًا
عـلـى الحَــق والإيمـــان بـالـطـيش والجـهـل

وخَـــفَّ جـنـودُ الـلـه يـخْـفِـقُ فَـوْقَـهُـمْ
لـــواءٌ، مـن الـرحـمـن قـد خُــصَّ بـالـوصـل

فـلـما الـتـقـى الجـيـشـانِ: جَـيْـشٌ مُــرادُهُ
فـســادٌ، وجَـيْـشٌ هَـمُّــهُ نـصـرةُ الـعَـدل

تـنـادتْ جـنـودُ الحــقِّ: يـا عـدنُ أقْـبِـلِـي،
فـإمَّـا الـهُـدَى، أو عيـشُـكِ الـسـابـغُ الـظِّلِّ

هُــنــاك أمَــدَّ الــلـــهُ بـالــنـثـرِ جُــنْــدَهُ
وفَــلَّ فُـلُـولَ الـشِّـرْكِ بـالـضَّـرْبـةِ الـفَـصْـل

فَــفَــرُّوا وطـــاروا فــي الـبـريَّـة ذُعَّـــرًا
كَـــأوْهـــامِ سَــكْــرانٍ لــدى عــودة الـعـقـل

وأعـقَـبَـهُـمْ جُـنْـدُ الـهـدايـة مُـصْـلِـتًـا
عـلـيْـهِـمْ سـيـوفَ الـبـتـر والأســـر والـقـتـل

أتَـــوْكَ بِــهِــم أســـرَى فـــزدتَ تـألـقًـا
وعـامَـلْـتَ ذي الأســرى مـعـامـلـةَ الـنُّـبْـل

مَـنَـنـتَ عـلَـيْـهـمْ بـالـفـداءِ ولـــوْ هُــمُ
أصـابـوك لـم يـرضـوْا سـوى مـوردِ الـنصْـل



وجُـــدتَ عَـلـى بـعـضٍ بِـعَـفْـوٍ تـفـضُّـلاً

(ومِـثْـلُـكَ مـن يـعـفـو، ومـالـك مـن مثل)

☆☆☆☆

نـعَـمْ هـكـذا الإســـلام؛ سـيـفٌ ومـصـحـفٌ

يُـسَـلُّ عـلـى الـبـاغِـي، ويَـحْـكُـمُ بـالـعدل

مـتـى كَـــان ديـــنُ الـلـــهِ دمْـــعَـــةَ ذِلـــةٍ

وتَـــبْـــريـــرَ أحـــكـــامٍ، وقـــولاً بـــلا فِـعْـل؟

ألَـــمْ تَـــكُ بَـــدرٌ مـــن مـعــالـم ديـنـنـا؟

ألـم تَـكُ فُـرقـانًـا، كـمـا قـال ذو الـطَّـوْل؟

فـيـا رمـضـانَ الـفـتـحِ والـنـصـرِ، عُـدْ لنا

بِـنَـصْـرٍ كَـبَـدْرٍ، فـيـه إسـلامَـنـا نُـعْـلـي!

****

٧ - صفحة من الكفاح والصمود[1]

[البسيط]

يا معْهَدَ الخيرِ، في أعيادِكَ انطَلَقَتْ
تُعانِقُ النفسَ أحْلامٌ وآمالُ

هَذِي القلوبُ تلاقَتْ فيكَ يغمِرُها
فيضٌ من الحُبِّ والإخلاص سيَّال

جاءتْ تُهَنِّئُ بالأفْراحِ هاتِفَةً:
أنِصْفُ قرنٍ مضى أم تلك أجيال؟!

خمسون عامًا بأفقِ المجْدِ ساطعةٌ
بها استنارتْ دياجِيرٌ وأدْغال

خمسون عامًا بِسَمْعِ الدهر عازِفَةٌ
لحْنَ الخلودِ، لها القرآنُ أزجال

خمسون عامًا بصَوْتِ الحَقِّ داوِيَةٌ
لَها بأفئدةِ الأعْداءِ زِلْزال

فاهْنَأْ أيَا معهدَ الإيمان، واحكِ لنا
أمجادَ عَهْدٍ بِهِ التاريخُ يخْتال

ردِّدْ لنا الصيحةَ العظمى التي انطَلَقَتْ
من رائدٍ، ما له في الناس أمثال:

---

(١) تحية لمعهد أم سيوقو بمناسبة مرور خمسين عامًا على تأسيسه ١٩٤٤ - ١٩٩٤م.

«وا حَسْرَتَا! وطني المحبوبُ مُخْتَنِقٌ
عليه من ظُلُماتِ الجهلِ سِربال»

«يُغضِي على الضَّيْمِ، والأعداءُ عابثةٌ
بِهِ، لها منه تعظِيمٌ وإجلال»

«والدِّينُ خلْفَ ضُبابِ الوَهْم منتكِسٌ
يعْروه وَهْنٌ، وفوق الوَهْنِ أثقال»

«فلأنشُرَ العلمَ؛ إن العلم إن سطعتْ
أنْوارهُ عزَّتِ الأوطانُ والآل»

«ولأمْضِ في همةٍ، لا القيدُ يحبِسُها
ولا المناصبُ تُغْريها، ولا المال»

إذ ذاكَ أشرقتِ الأرجاءُ، وانتَعَشَتْ
روحُ الهُدَى، وهَمَى غيثٌ وسلسال

واستنشق الناسُ أنسامَ الحياةِ؛ فما
عَادتْ تُعِيقُهُمُ حُجْبٌ وأوحَال

فاغتاظَ مستعمرو الأوطانِ، والتهبتْ
أحقادُهمْ، فلها في الجوف إشعال

حَاكوا الدسائسَ حول الشيخ؛ فانتشرتْ
مِنْهُمْ علَيْهِ كلالِيبٌ وأحْبال

لكِنْ مضى الشيخُ سيفًا دونَهُ سَقَطَتْ
نُبْلُ الضَّلالِ، وفُلَّتْ عنه أنصال

مضى يقودُ إلى الرحمنِ مَرْكَبَهُ
لم تَثْنِهِ عنه أمْواجٌ وأهْوال



واستمسكَ الناسُ بالقرآن، واعْتَصَمُوا
رغْمَ العِدَى، وتلاشَى القِيلُ والقال

فغصَّ مستعمرُ الأوطانِ، وارتَجَفَتْ
به العظامُ، وشُلَّتْ منه أوصال

وصاح: ما بالُ هذا الشيخِ في دَأَبٍ
عليه فيْضٌ من التأييد ينهال

وذي مَنَارتُهُ بِالعِلْمِ ساطعةٌ
ما للخَفافيشِ في الأنوارِ إقْبال

إن ينشُرِ العلمَ لا تثْبُتْ قواعدُنا
فإنَّما نحنُ عند الجهلِ أبطال

فَلْيُمْحَ معهدُهُ، ولْيلْغَ منهجُه!
ولْيُجْزَ بالنفيِ؛ إن النَّفْيَ قَتَّال!

فسجَّلَ المجدُ والتاريخُ ملحَمَةً
للحَقِّ، تشهد أن الشيخَ رِئبال

لمْ يَحْنِ هَامَتَهُ من زأرهِمْ؛ فَبَدا
كالطَّوْد يعلو، وللإعصارِ إعوال

بلْ صاح في ثقةٍ: «اللهُ يعصِمُنِي
ولْيَحْمِ ذا الصرحَ؛ فهْو الفِكرُ والبال»

«دار التغَرُّبِ بالإيمانِ لي وطنٌ
والموتُ في الله إنعامٌ وإفضال»

لا تبكِ يا معهدَ الإيمان إن خَفَقَتْ
ذِكرى الكفاحِ؛ فإنَّ الدمعَ خَذَّال




هَـــذِي الـشـبـيـبـةُ مــن أبــنــاكَ هــاتِـفــةٌ:
عــلــيــشُ[1] رمـــزٌ، بــه الإســـــلامُ يُـغْـتـال

إن يُــبْــعِــدوهُ فـفـي الأحــشــاء مـسـكَـنُـهُ
أو يُـسْـكِـتـوهُ، فـصـوتُ الحــقِّ جلجال

أو يـحـسِـبُـوا أنَّــهُـمْ مـن جيشِنَا نَـزَعُـوا
لـيـثًــا، فـهـا نـحـن فــي المـيـدانِ أشـبـال!

****

(١) عليش: محمد عليش عوضة شيخ تشادي ومن مؤسسي معهد أم سيوقو وله مكانة كبيرة في مدينة أبشة، درس في الأزهر ونال درجة العالية وعاد إلى وطنه فأنشأ المعهد الذي يعد منارة للعلوم الإسلامية والعربية وهو تحت إشراف الأزهر.

٨ - ملحمة الشيشان

[الرمل]

فـــوقَ صـــحْـــراءِ الجـلـيـدِ الـقـاحِـلـهْ
ألمـــحُ الـــنِّـــيـــرانَ بـــاتَـــتْ تُـــشْـــعَـــلُ

ذا يـتـيـمٌ، تِـلْـكَ أُمٌّ ثـاكِـلـهْ
ذاك شَـيْـخٌ فـي صـقـيـعٍ أُنـزِلـوا

والـــدِّبـــابُ الـــرُّوسُ تـعْـوي آكِـلـهْ
مَـن نجـا مِـن مُـحْـرِقـاتٍ تـهْـطِـلُ

أيَّ ذنـبٍ ذي الـضَّـحـايا فـاعِـلـهْ؟!
لا تَـسَـلْـنِـي فـالـصَّـدَى لا يُـسْـألُ

لـم أكُـنْ إلاَّ أداةً نـاقِـلَـهْ
نَـوْحَ أوطـانـي الـتـي تُـسْـتَـأْصَـلُ

أمَّـةُ الـشـيـشـانِ هـبَّـتْ قـائـلـهْ:
ديـنِـيَ الإسـلامُ نِـعْـمَ المَـنْـهَـلُ!

☆☆☆☆

فـاسْـتـشـاط الـكُـفْـرُ ألـقَـى بُـرقُـعًـا
كَـم تَـخَـفَّـى خـلـفَـه! كـم ضَـلَّـلا

مَـنـطِـقُ الإقـنـاعِ أضْـحَـى مِـدفـعًـا
فـوقَ أشْـلاءِ سُـكُـوتٍ جـلْـجَـلاَ

يـلْـفُـظ الـصـاروخَ يـهـوِي مُـسْـرِعًـا
نـافِـثًـا حِـقْـدًا ومَـوتًـا مُـشْـعَـلا

كَـم شَـوَى شِـيبًا وأفـنـى رُضَّـعًـا
كَـم بـيـوتٍ وادعَـاتٍ زلـزَلاَ!
فـتَّـتَ الـعُـدْوانُ مِـنَّـا أضْـلُـعًـا
وبِـغـارٍ مِـن دِمَـانـا كَـلَّـلاَ
مـجـلـسُ الأمـنِ رأى فـيـمـا ادَّعَـى
مـا (الـكِـرمـلـيْنُ) بِـقَـوْمِـي أنـزَلاَ

☆☆☆☆

ثـم أقْـعَـى فـي خُـمـولٍ لاهِـيَـا
مُـغـمِـضًـا عـيـنًـا، ورأسًـا نكَّـسا
قـال: ذي الـقـتـلـى رعـايـا (روسِـيـا)
مَـرْكَـبُ الإرهـابِ فـيـهـم قـد رَسَـا
فـلـتُـؤَدِّبْ مـن تَـراهُ الـعـاصِـيَـا
ولْـتُـطَـهِّـرْ مـن تـراهُ اسـتَـنْـجَـسَـا
إن سَـرَتْ فـيـهـمْ سـمـومُ الكِـيـمـيـا
حـيـنـهـا «لـلـشـجـب» نـدعـو المجـلِـسا
هـكـذا الأعـداءُ تُـزْجِـي عـاريًـا
مـنـطِـقَ الحِـقْـدِ الـذي قـد أفْـلـسا
كـيـف سـاروا نـحـو أقـصـى آسـيـا؟
أم بـنـو تـيْـمـورَ أغْـلَـى أنـفُـسا؟

☆☆☆☆

أيـن فـيـتـو؟ أيـن دعـوى الـعـوْلمـهْ؟
أيـن شُـرطـيٌّ عَـلـيـنـا عَـرْبَـدَا؟
لا تَـسَـلْ يـا قـلـبُ مـنـهـم مـرحَـمَـهْ
كُـلُّ مَـسْـعُـورٍ عـلـيـنـا اسـتـأسـدا



أيــن حُــكَّــامُ الــشُّــعــوب المــســلــمــهْ؟
أيـــن مــيــثــاقُ عُـــرانـــا وحَّـــــدا؟!
لا تــسَــلْ؛ حــسـبـي جـراحــي المـؤلـمـهْ
لا تـسـلْـنـي؛ ذكْــرُهُـــمْ لَــن يُــحْــمَـدا!
إن تُـــــرِدْ مــحــرابَــهــم أن تـعـلـمَـهْ
سِـــرْ لـــواشِــنــطُــنْ تجــدْهُـــم سُــجَّــدا
فــاسْــلُ عـنـهـم وانْـــحُ شــطــرَ المـلـحـمـهْ
لا تُــخَــلِّـــدْ مَـــن لأرضٍ أخــلــدا

☆☆☆☆

يـــا نــســـورًا حَــلَّــقــتْ فـــوق الـــذُّرى
عــافــت الــسَّــفْــحَ وقـــاعًـــا مُــنْــتِــنــا
قــمَّــةُ الــقــوقـــازِ صـــــارتْ مـنـبَـرا
لــلْــجــهــادِ الحـــــقِّ فــيــهـــا أذَّنــــا
فــاجـعـلـيـهـا نــحــو عـــــدنٍ مـعـبـرا
واتـــرُكِـــي الــســفــحَ لأوســلــو مـوطِـنـا
واكــتُــبِــي بـــالـــدم فـيـهـا أسـطُـرا
تــغــدُ نــهْــجًــا لــلْــمَــعَـــالِــي بـيِّـنـا
عَــلِّــمـــي هــــذا الــبُــغـــاثَ الأذعَـــــرا
أن نـــيْــلَ الحَـــــق يــبــغـي بُــرْثُــنـــا
وافـــهِـــمِـــي الــــــدبَّ بـــأن المِـنـسـرا
لــم يَــكُــنْ لَحْــمًـــا مُـــســـاغًـــا لــيِّـنـا

☆☆☆☆

يـــا نُـــســـــورًا، بـــلْ نجــومًـــا لامــعــهْ
قـــد حَـــــوَتْ نَـــــارًا ونُـــــورًا أجـمـعـا

أنــــتِ مــن آيـــات ربـــي الـســاطـعـهْ
فـــي زمـــــانٍ بـــارتِـــيَـــابٍ أُتـــرِعـــا
فـــارجُـــمـــي تـلـــكَ الـــدِّبـــابَ الجـائـعـهْ
علَّـهـا فـــي الـشـهـب تـلـقَـى مَـشْـبَـعـا
بـــل أنـــيـــري لـلـشـعـوب الخـــانـعـــهْ
مَـسَـلـلـك الــعِــزِّ الـــذي قـــد ضُـيِّـعـا
إن تـنـالـي الـنـصـرَ فــي ذي الــواقـعـهْ
أو تمـــوتـــي، كـــنـــتِ دومًـــــا أرفَـــعَـــا
أنـــــتِ إن كــــان انــتـــصـــارٌ رافِـــعـــهْ
رايـــــــةً، ربِّـــــي قـــضَـــى أن تُـــرفَـــعـــا
أو تـــــكُ الأخْـــــرى فَـــنِـــعْـــمَ الـــدافِـــعـــهْ
نــحــوَ عـــدنٍ، فــهْــيَ أسْــمَــى مَــوْضِــعــا
فـــاتْـــرُكِـــي أوسْـــلـــو بِـــسَـــفْـــحٍ قـــابِـــعَـــهْ
واسْـــكُـــنِـــي الأفـــقَ الـــرفـــيـــعَ الأوســـعـــا

****

٩ - رثاء مجلس[١]

[البسيط]

يا مَجْلِسَ الأمنِ، جُرْحي ليس ينسيني!
مأساتُك ارتسمتْ في القلب تكْويني!

مأساةُ جِيلٍ بريءٍ كُنتَ واعِدَهُ
عَهْدَ المَحَبَّةِ في أعْقابِ طاعُونِ

كَم كنتَ ترسُمُ أحْلامًا تُزَخْرِفُها
بَرَّاقةً تكْتَسِي أثوابَ تَزْيين!

كَم كُنتَ تَحْلَمُ بالجَنَّاتِ تنشُرُها
قَبْلَ المَعادِ تُوشَّى بالرياحين!

«عهْدُ الذئابِ مضى، عُدْنا بني رَحِمٍ
في واحَةٍ قد أظَلَّتْنَا بِتَأمين!»

«الحَقُّ والعَدْلُ قُدْسٌ، لا يُدنِّسُهُ
بَغْيٌ، ويحْميهما ميثاقُ تكْوين»

«فلترقُصِ الأرضُ في العُرْسِ البهيجِ على
أنْغامِ زُغْرُودَةٍ تشدو بتَلْحين!»

لكِنَّ زغرودةَ الأفراحِ ما انطَلَقَتْ
حتى استحالتْ إلى نَوْحٍ وتأبين!



---

(١) علقت الشعوب آمالًا عريضة على هيئة الأمم المتحدة ومجلسها المسمى بمجلس الأمن عند إنشائهما، ثم تبخرت الآمال، وأفاقت الشعوب على السراب، وتمنت الخلاص من مجلس الأمن، ولكن... فوجئت الشعوب المسكينة عند احتفال حلف الناتو بالذكرى الخمسين لتأسيسه، أنه قد يكون الخليفة المنتظر لمجلس الأمن، فتباكت مرة أخرى تريد العودة إلى عهد مجلس الأمن – رغم ما فيه من سلبيات – وكان من بين صيحات التباكي على ذلك المجلس هذه القصيدة.

والأرض قـد رقـصـتْ، لـكِـنْ كَـثـاكِـلَـةٍ
أحْـلامُـهـا وُئِـدتْ مـن غـيـر تـكْـفـين!
لـحـنُ الـسَّـلامِ تـلاشَـى فـي الـدويِّ لَـدَى
قـصـفِ الـصـواريـخِ أحـشـاءَ المسـاكـين!
فـردوْسُـكَ المُـرْتَجَـى كـم صـبَّ مـن حـمَـمٍ!
كـم جَـرَّع الخـلـقَ مِـن ويـلاتِ غِـسلـين!
هـذي الـشـعـوب؛ فـمِـن شـعـبٍ يُـبـادُ، إلـى
شـعـبٍ حـلـوبٍ، إلـى بـاكٍ ومـسـجـون!
يـا مـجـلـسَ الأمـن، هـذا مـا جـنـيـتَ، فـما
عـادتْ دعـاويـكَ والأيْمـانُ تُـغـريـنـي
لـكـنَّ صـوتًـا ضـعـيـفًـا صِـرْتُ أسـمـعُـهُ
مـن قـلـعـةٍ (بـنـيـويُـرْكٍ) يـنـاديـنـي
يمَـمْـتُـهُ مُـصْـغِـيًـا مُـسْـتَـجـلِـيًـا، فـإذا
بـالمجْـلـس المُـخـتَـشَـى يـبـكـي، فَـيُـبْـكِـيـنـي!
قـال: «اصـغِ لـي وانـعِـنِـي إن قـلـتُ تجربتي؛
فـإنَّ خـنـجـرَ (فـيـتـو) سـوف يُـرديـنـي»
كـنـت الـبـراءةَ فـي عـهـدِ الـصِّـبـا، فـإذا
بـالخُـبـثِ عـنـد اكـتـمـال الـنُّـضـجِ يـعْـرونـي!»
«ويْـحِـي! فـمـا كـان أعـضـائـي سـوى بَـشَـرٍ
لـيـسـوا مـن الـصـخـر أو مـن يـابـس الـطـين»
«كـم بـيـنـهـم مِـنْ أبٍ عـمَّـتْ مـحَـبَّـتُـهُ
كـلَّ الـصـغـارِ مـنَ امْـريـكـا إلـى الـصـين»

«غَطَّى على قلبِهِ الدولارُ حين بَكَى
طفلُ العراق؛ فأمْسى فاقدَ اللين!»
«كَمْ هزَّ أفئدةَ (الأعضاءِ) مجزرةٌ
دارتْ على شعبِ بُوسْنا أو فلسطين»
«مِن فوقِهِمْ شُهِرَ (الفيتو) فثَمَّ تَرَى
دمْعَ التماسيحِ في جِسْم الثعابين!»
«كم ثُرتُ مستنكرَ الإرهابِ حين غزا
(ريغانُ) ليبيا بغارات القراصين»
«لكِنَّ شعلةَ إرهابٍ يُسدِّدُها
(تمثالُ حرِّيَّةِ الأقْوى) فتُخزيني!»
«قلتُ الحقيقةَ في (قانا) فكِدتُ على
حَقِّ الحَصَانةِ أُصلَى نارَ تخوين!»
«إثمُ القرارِ به وحدي أبوءُ، وكم
يُملَى ويُنسَخُ في سردابِ صهيونِ!»
«لم يبقَ لي غيرُ زفراتٍ أُضمِّنُها
عذرَ انتكَاسي لِغابٍ دون قانون»
«أهدِي الحقيقةَ للأجيال؛ علَّ بها
تُرسَى دعَائِمُ إصلاحٍ وتحسين»
« ما عُدتُ أعبأُ (بالفيتو) وسطوتِهِ
قَدْ متُّ مِن قَبْلُ في أيَّامِ تكويني»
«والآن أمضي شهيدًا لا يُعَذِّبُني
إلاَّ مخافةَ أنْ أُدْعَى بملعون!»
ثمَّ ارتمَى خامدَ الأنفاس، وانسكبتْ
مني الدموعُ، ولا خِلٌّ يُعَزِّيني!

وارتجَّـــتِ الأرضُ مـن حـولـي بقـهقـهةٍ
حـمـقـى، تـعـربـدُ لاسـتـخـلافِ مـجـنون
كـان الخـليـفـةُ حـلـفَ الأطـلـسـيِّ! فما
عـاد الـكـلامُ ولا الأشـعـارُ تُجْـديـنـي
عـهدَ الـذئـاب، متى الـرجعى؟ فنشكوَ ما
عـانـتْ ضـحـايـاكَ فـي عـهـد الـشـيـاطـين!
بـل مـا الـشـكـايـةُ والـصـيـحـاتُ مُـجْـدِيـةٌ
إن لـم تُـتَـرجَـمْ إلـى فِـعْـلٍ وتـبـيِـين
دربُ الـكَـرامَـةِ قـفـرٌ، لا يُـعـبِّـده
إلا الجَـمـاجِـمُ، تُـسْـقَـى بـالـقـرابـين
أيـن الـسـلامُ؟ ومـا فـي الجـسـم أنملـةٌ
إلا اكـتـوتْ، أو بـهـا طـعـنـاتُ سِـكِّـين؟!
حَـتَّـام أصْـمُـتُ والـدنـيـا مُـعَـرْبِـدَةٌ
والـكَـوْنُ يـقـذفُ حـولـي بـالـبـراكـين؟!
حـتَّـام أُسـلِـمُ (لـلـنـاتـو) الـزمـامَ؟ ولِـي
نـهـجـي المـبـيِّنُ، وجُـنـدي بـالملايـين؟!
فـلأبْـنِ واحَـةَ عـدلـي، لا يُـروِّعـهـا
كـابـوسُ فـيـتـو، ولا الـنـاتـو بـتـجـبِـين

****

١٠ - بشائر الأمل[(١)]

[البسيط]

يـا لـيـلـةً هـيَّـجـتْ فِـكْـري وأشـجـانـي!
وأطْـلَـقَـتْ بـلـبـاب الـشـعـر ألـحـانـي!

هـبَّـتْ بـهـا نَـفـحـاتُ الـخـيـرِ نـاشِـرةً
عـلـى الـوجـودِ جـنـاحَ الـرحـمـةِ الـحـانـي

طـارتْ بـآفـاقـهـا الأرواحُ سـابـحَـةً
إلـى عَـوالِـمَ تـسـمـو فـوقَ تِـبـيـانـي

فـيـهـا أُحَـلِّـقُ فـي أجْـواءَ عـالـيـةٍ
مـنـهـا أُطِـلُّ عـلـى الـدُّنْـيـا بـقُـرآنـي

أُهـدي الـحـيـارَى أنـيـر الـدربَ مُـحـتـذيًا
نـهْـجَ الـرَّسُـولِ ومـا يُمْـلِـيـهِ إيمـانـي

لا لُجْـمَ تُـلْـجِـمُـنـي، لا حُـجْـبَ تحجبني
لا قـيـدَ يـحْـبـسُـنـي، لا سـجْـن طُـغـيـانِ

لا يـأسَ يُـقـعِـدنـي، لا شـوكَ يُـرجـعـنـي
عـمَّـا أؤمِّـل مـن روحٍ وريْـحَـانِ

☆☆☆☆

يـا لـيـلـةً بـالـشـذَى الـفـوَّاح عـابِـقَـةً
فـيـهـا انـتِـعـاشُ أحـاسـيـسـي ووجـدانـي!

---

(١) من وحي الليلة الختامية للمخيم الشبابي الإسلامي الثاني، الذي أقامه اتحاد شباب تشاد الإسلامي، بأنجمينا، في رمضان ١٤١٤هـ.

ردَّتْ إلـى القلبِ آمالاً مُـذَهَّبَةً
قد ذُوِّبَتْ قَبْلُ في آهاتِ أحزاني
عادتْ تُغَرِّد بالقرآن فِتْيَتُنا
تحْكِي مزاميرَ داودٍ وعثمانِ
تنسابُ آياتُه بالخَيرِ دافِقَةً
كالجَدْوَلِ العَذْبِ يروِي كُلَّ ظمآنِ

☆☆☆☆☆

يا فتيةَ الدين، يا إشراقةً غَمَرَتْ
أضواؤها الكونَ من سهلٍ ووديانِ
يا أنجُمًا في ظلام الليل لامعةً
يعشو إليها اهْتِداءً كُلُّ حَيْرانِ
هذِي البشائرُ قَدْ هلَّتْ بفجْرِكُمُ
تجلو الظلامَ، وتمحو كلَّ بهتانِ
والمجد يرمقكمْ؛ فلْتَعْلُ رايتَكمْ
في موكِبٍ بالهُدَى والعِلْمِ مُزدانِ

✱✱✱✱

١١ - الضفدع المغرور[١]

[الخفيف]

ضــفْــدعٌ فــي مـسـتـنـقـعٍ عــاش دهــرًا
بــين لِــــدَّاتِــــهِ يُــوالـــي الـنَّـقـيـقـا

عــابِــثًــا لاهِــيًــا، يُـنــاغِـي قَــريــرًا
لا يُـعَــانِــي ضَــنـكًــا ولا تـضـيـيـقـا

ذاق خَـمْـرَ الــغُــرورِ يـومًــا، جـراثـيـ
ـمُ الـتَّـعـالـي شَـقَّـتْ إلـيـهِ الـطَّـريـقـا

صــاحَ فـي مَـجْـمَـعِ الـضـفـادعِ: «حسْبِي
عـيـشـةً عِــفْــتُ بِــرَّهــا والـعُـقـوقـا»

«كــم أُعــانــي الـشـقـاء فــي هــذه الحُـفْـ
ـرَةِ؛ حـيـثُ الـطـمـوحُ يَـبْـقَـى غَـريـقـا»

«كــم تجَــرَّعْــتُ غَـصَّــةً مــن جـحـود الْـ
ـخَـلْـقِ طُــرًّا مـواهـبـي والحُـقُـوقَــا!»

«أوَ لَـمْ يُـبْـصِـروا اقْـتِـداري عـلـى القفْـ
ـزِ، كـأنِّـي أغــزو الـفـضـاءَ الـسـحـيـقـا»؟!

«أوَ عَـيْـنِـي، ألَــمْ تـكُـنْ دُرَّةً تَجْـ
ـلـو الـديـاجـي، ولا تُـضَـاهَـى بـريـقـا؟!»

«ثُــمَّ حَـلْـقِـي، فـهـل رأوا مـثـلَـهُ فـي
عــالَــمِ الــفَــنِّ والمَــزامِــيــرِ بُــوقــا؟!»



(١) هي قصة ضفدع رأيته في الليل يخرج من بركة صغيرة بجانب الشارع العام، ويقفز في وسط الشارع بضع قفزات، ثم دهسته إحدى السيارات المارة، فتخيلت له هذه القصة، وذلك في خريف ١٩٩٦م.

«هكذا للعُلا خُلِقْتُ، فما لي
في أحَطِّ القِيعانِ أرضَى اللُّصُوقا؟!»

حَمْلَقَتْ نحوَهُ الضفادعُ حينًا
أمَّلْت مِنْ جُنونِهِ أنْ يَفيقَا

ثمَّ شَقَّ السُّكُونَ صوتٌ لِكُبْرَا
ها، تُؤَدِّي إليه نُصْحًا رقيقا:

«يا أخي، هذه الغشاوةُ غَطَّتْ
منك عَيْنًا قد مَلَّتِ التَّحديقا»

«هل تَرَى في الوجودِ غيرَك خلقًا
يسكُن البَرَّ والمجاري طليقا؟!»

«يقطن النهرَ والمياهَ، فإن غا
ضتْ، فَتَحْتَ الثَّرى يجوبُ الشُّقوقا»

«يرفع الصَّوْتَ كيف شاءَ، وصوتُ الـ
ـناسِ كمْ ظلَّ خافِتًا مخنوقا»

«لم يُعَذَّبْ بالسجنِ يومًا، ولم يُقْـ
ـتَلْ بحُكْمٍ بين الورى مشنوقا»

«مَنْ لهُ كُلُّ ذا سواك؟ فهلْ ذا الْـ
ـعيشُ يا غِرُّ تشتكي منه ضِيقا؟!»

فاستشاطَ المغرورُ مُنتَفِخَ الأوْ
داجِ، والَى زفيرَهُ والشَّهيقا

قال: «حسبي، إني عزمت انطلاقًا
أبتَغِي العَيْشَ بارزًا مرموقا!»

ثــم ثــنَّــى بِـــقَـــفْـــزَةٍ فــــارَقَ الإخْـــ

ـــوانَ فـيـهـا، مـضـى كَـمَـاءٍ أُرِيـقـا!

لـم يَـسِـرْ غـيـر أذْرُعٍ، والـتَـقَـى فِـيْـ

ـهـا بِـسَـيَّـارةٍ تجُـوبُ الـطَّـريـقـا

تحْــتَ أقــدامِــهــا تَمَــزَّقَ أشْــلا

ءً، وأضـحَـى بـين الـرَّحَـى مـسـحـوقـا!!

هـكـذا الـعُـجـبُ والمـطـامـعُ بـحـرٌ

كُـلُّ مَــنْ غـاص فـيـه يـقـضِـي غـريـقـا!

****

١٢ - هكذا الأمجاد تُبنى[١]

[الطويل]

أإكْـلـيـلُ مَـجْـدٍ فـي جَـبـينٍ تَـألَّـقـا
وبَـدْرٌ على الأفـق الـتـشـاديِّ أشـرقـا؟

نَـعَـمْ مِـنَّـةٌ مَـنَّ الإلـهُ بـهـا عَـلَـى
تَـشَـادَ، وكَـمْ أَعْـطَـى الإلـهُ وأغْـدَقَـا!

حـبَـاهـا إمـامًـا فـي الـديـانـةِ راسِـخًـا
طَـمُـوحًـا إلـى الـعـلـيـاءِ بـالحَـقِّ ناطقا

هَـنِـيـئًـا - إمـامَ المسلمين - بـذِروةٍ
تَـسَـنَّـمـتَـهـا إذ خـابَ بَـعْـضٌ وأخْـفَـقَـا

تـرقَّـيـتَ لـلـعَـلْـيَـا الـتـي لـيـسَ فـوقَـهـا
عَـلَـى سُـلَّـمِ الـتـعـلـيـمِ والـدرسِ مُـرْتَـقَـى

فـأُلْـبِـسْـتَ كُـرسِـيَّ الإمـامـةِ حُـلَّـةً
وبـيَّـنـتَ نـهـجًـا كَـانَ مِـن قـبـلُ مُـغْـلَـقَـا

وبـدَّدتَ وهْـمًـا فـي الـعُـقُـول مُـعـشِّـشًـا
وحَـطَّـمْـتَ قَـيْـدًا لـلـعـزائِـمِ مُـوثِـقـا

أئـمَّـتُـنَـا ظَـنُّـوا الإمـامَـةَ غـايـةً
إذا نـالَـهَـا الإنـسـانُ نـامَ وأطْـرَقَـا

نـسُـوا أن هّـذا الـدِّيـنَ يـخْـدِمُـه فـتًـى
إذا هَـجَـعَ الأقْـوامُ طَـارَ وحَـلَّـقـا

---

(١) تهنئة لفضيلة الإمام الدكتور حسين حسن أبكر رئيس مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد على نيله شهادة الدكتوراه كتبت بتاريخ ١١/٥/١٩٩٧م.



فعلَّمتَهمْ بالفعلِ دَرْسًا كَفَاهمُ
دروسًا طِوالاً أوْ كَلامًا مُنَمَّقا

فكنتَ لهم كالبحر يسمو إلى الذُّرَى
فيرجع غيثًا للخلائق مُغْدِقا

فجُدْ واسْقِ هذا الشعبَ بالْعِلْمِ؛ إنَّهُ
لأظمأُ شَعْبٍ فيه يُؤْجَر مَن سَقَى

وقُمْ واستعنْ بالله واكشفْ غشاوةً
أصابتْ عيونًا أو عمًى كان مُطْبقا

ولا تخشَ وخزَ الشوك في الدين؛ إنه
يُرجِّحُ ميزانًا، ويُضْفِي تألُّقا

ومن حَسَد الحُسَّاد للحق رفعةٌ
ومن ساحة الهيجا الفوارسُ تُنتَقَى

وبالنار يصفو التبرُ، والدهرُ ناطقٌ
بأنْ هكذا الأمجادُ تُبنَى وتُرتَقَى

****

١٣ - حنيـن[1]

[الخفيف]

نـسَـمـاتِ الأسـحـارِ، هُـبِّـي عَـلَـيَّـا
وانـفَـحِـيـنِـي بـالـلـه عـطـرًا زكِـيَّـا

وامـنَـحِـي قَـلْـبِـي المُـعَـنَّـى سـلامًـا
عـلَّـهُ مـاكِـثٌ بـجِـسْـمِـي مَـلِـيَّـا

فـاحـمِـلـي لـي الـعـبـيرَ مـن أرضِ (أبْـ
ـشَـى)[2]، وحـيِّـي بـهـا فُـؤادًا زكـيّـا

والْـثُـمِـي بُـرْعُـمًـا تَـفَـتَّـحَ فـيـهـا
عَـابـقًـا يـنـشرُ الـشَّـذى الـعِـطـرِيّـا

لـم أُمَـتَّـعْ بـشَـمِّـهِ؛ إذ رمَـتْـنِـي
عـنـهُ أيـدي الـقـضـا مـكَـانًـا قـصـيّـا!

طِـفْـلَـةٌ مـن دَمِـي بَـرَاهـا إلـهِـي
فـهْـيَ فـي الـقـلـبِ والـشـرايـينِ تحْـيَـا

وُلِـدتْ كـالـهِـلالِ بـعـدي، ولَمَّـا
يـكـتـحِـلْ نـاظـري بـذاك المُحَـيَّـا

فـلـهـا ألـفُ صُـورةٍ فـي خَـيـالِـي
تـتـبـارَى فـي الـحُـسـنِ نـقـشًـا ووشْـيـا

فـهْـيَ تـبـدو عُـصـفـورةً تـتـغـنَّـى
بـالأنـاشـيـد بُـكْـرَةً وعـشِـيَّـا

---

(١) تحية إلى المولودة الأولى/ آمنة حسب الله التي وُلدت في أبشة يوم ١٩٩٧/٥/٢٢م أثناء وجودي في أنجمينا.

(٢) أبشى: مدينة تشادية تقع ناحية الشرق من تشاد وتعرف باسم مدينة العلماء وتشتهر بالتعليم الديني نظرًا لوجود معهد للأزهر الشريف وكبار علماء تشاد.

تمـــلأ الـنـفـسَ بــهْــجَــةً، وتُـعـيـد الــ

ـعيشَ صــفــوًا والـبـيـتَ روضًـــا بـهيًّا

وهْــيَ فـي الـصـبـحِ نسمةٌ تـشـرح الـصَّـدْ

رَ ابـتــهــاجًــا، وتـبـعـث الـمـيْــتَ حـيًّا

مـــن بـعـيـدٍ أرنـــــو لـــهـــا، وفُــــؤادي

خـــافــقٌ نـحـوهـا يـــريــد الْـمُـضِـيَّـا

مـــن بـعـيـدٍ أضُـــمُّـــهـــا بـاشـتـيـاقٍ

لاثــمًـــا وجــــنّـــةً وخَـــــــدًّا طـــريًّـا

☆☆☆☆

كـــم تمـلـمـلـتُ فـــي الـلـيـالـي وحـيـدًا

ســـاهـــرًا أرقـــــبُ الـسُّـــهــا والـثُّـريَّـا

شـاخـصًـا فـي الـدُّجـى أنـاجِـي، كـأني

نـــاســـكٌ يـــرتجِـــي نـــــــداءً عَـلِـيًّا

قـد عـهـدتُ الأطـيـافَ تـسـرِي إلــى الـنَّـا

ئـــي، فـمـا لـلـطَّـيْـفَـيْـنِ ضَـنًّـا عَـلَـيًّا

إن يـكـن ضَـــنَّ ذو دلالٍ، فـهـل ذا

ضَـــلَّ فـــي عَـــبْـــرِهِ الأثـيـــرَ إلَـــيَّـــا؟!

أو تـــهـــاوَى ضـعـفًـا؛ فـلـم يـتـحَـمَّـلْ

رِحـلـــةَ الـبِـيـدِ والـــسُّـــرَى الـعـاطِـفِـيَّـا

فـاسلَمَا حـيـثُ كُـنـتُـمَا فـي حِـمَـى الـرحْـ

ــمــان، يـكـتُـبْ لـنـا اجـتـمـاعًـا هـنِـيًّـا

****

١٤ - في رياض العلم[(١)]

[مجزوء السريع]

حَلِّقْ - فؤادي - أو تَبَخْتَرْ
في الأفْقِ أو في أرضِ عبْقَرْ

وانسُجْ أكَاليلاً تُحَلِّي
هامات ذا الجيشِ المُظَفَّرْ

وانثرْ على الأسماع من إحْـ
ـساسِكَ ياقُوتًا وجَوهَرْ

وارْتَدْ رياضًا كان فيها
لِلْعِلْمِ ينبوعٌ تَفَجَّرْ

حيث الرُّؤَى تنسابُ في الـ
ـوِجْدانِ انسِيَابًا لا يُعَكَّرْ

حيث انطلاقُ الفِكْرِ يطْوِي
بِيدًا بِهَا يَوْمًا تَعَثَّرْ

يَرْتادُ آفاقًا رِحَابًا
تَنْأى عن التُّرْبِ المُعَفَّرْ

في مَوْكِبٍ زاكٍ بَديعٍ
تَزْهُو به الدُّنيا وتَفْخَرْ

---

(١) بمناسبة التحاقي بجامعة الملك فيصل بأنجمينا عام ١٩٩٨م.

مِـــن فَـــوقِـــهِ الأمْـــــــلاكُ حَـــفَّــتْ
تــــشْــــدو بِـــتــسْـــبِـــيـــحٍ مُـــعَـــطَّـــرْ

فـــــي واحَـــــــــــةٍ مَـــــــــــدَّتْ ظِـــــلالاً
يَـــهْـــفُـــو لَـــهَـــا رَكْـــــــبٌ تَحَـــيَّـــرْ

أشْـــجــــارُهـــا الخــــضـــــراءُ تُـسـقَـى
مِـــن سَـــلْــسَــبِــيــلٍ ثُــــمَّ كَـــوْثَـــرْ

جِـــبْـــرِيـــلُ فـيـهــا نـــــاب عـــن مـيــ
ـكـــائِـيــلَ فـــي الــسَّـــقْـــيِ وأمْـــطَـــرْ

والــــــرُّسْــــــلُ رُوَّادٌ رعَـــوْهـــا
غَـــرْسًـــا وتَـــشْـــذيـــبًـــا لِـتَـــخْـــضَـــرْ

حــتـــى اسْــــتـــــوتْ تـــهـــتَـــزُّ دوحًـــــا
قَـــــد مَـــــدَّ أغْـــصـــانًـــا وأثْـــمَـــرْ

مـــــا ظــــلَّــــلَــــتْ يَـــومًـــــا بِـــــــلادًا
إلاَّ غَـــــــدَتْ بــالخَـــيْـــرِ تَـــزْخَـــرْ

فـــاصْـــدَحْ – أيـــا قـلـبـي – وغَـــرِّدْ
فـــــالـــــدَّوْحُ بـــــالألْحـــــانِ أنـــضَـــرْ

كُـــــنْ بُـــلْـــبُـــلاً بـــالحَـــقِّ يـشْــدو
يَـسْــمُــو عَـــلَـــى نـــــايٍ ومـــزْهَـــرْ

أوْ كُـــــنْ مـــعَ الأشـــبـــالِ شِـــبْـــلاً
تَحْـــمِـــي عَـــرِيـــنًـــا فـيــه تَـــزْأرْ

فـاجْـعَـلْ مِـنَ الـتَّـعْـلِـيـمِ نَـابًـا
كُـلُّ الـعِـدَا نـابٌ ومِـنـسَـرْ

لا تـخْـشَ شَـوْكًـا فـي طـريـقٍ
فـالـوردُ بِـالأشـواكِ يُـخْـفَـرْ

كُـنْ نَـحْـلَـةً فـي خـيـر سـربٍ
يـجْـنِـي ويَـبْـنِـي، لـيـس يَـفْـتَـرْ

فَـلْـنَـجْـنِ عِـلْـمًـا نَـبْـنِ مَـجْـدًا
ولْـنَـجْـمَـعِ الـشَّـمْـلَ الْمُـبَـعْـثَـرْ

ولْـنَـرْقَ صـرح الـعـلـم نَـصْـعَـدْ
جِـسْـرًا إلـى الـعَـلْـيـا ومـعْـبَـرْ

فـوق الـفـضـاء الـرحْـب نـعـلـو
مُـسـتـنـقـعًـا لـلـدُّودِ والـذَّرْ

نُـعْـلِـي لـواءَ الـديـنِ نُـقْـصِـي
أوهَـامَ عَـقْـلٍ قَـدْ تَـحَـجَّـرْ

نَـقْـتـادُ لـلْـمِـيـنـاء جِـيـلاً
فـي لُجَّـةِ الأهْـواءِ أبْـحَـرْ

حـتـى نَـرَى الأوطـانَ يـنـمُـو
فِـيـهـا الـهُـدى، والجـهـلُ يُـدْحَـرْ

بـل أمَّـة الإسْـلامِ تُـلْـقِـي
أحْـزانَـهـا عـنـهـا، وتُـنْـصَـرْ

يــحْــيَــا صــــــلاحُ الـــديـــن فـيـنـا
أو فــيــصــلٌ مِــنَّـــا سَــيَــظْــهَــرْ

فـــي عُـــــرسِ طُــــهْــــرٍ فـيـه زُفَّــــتْ
حُـــــورٌ إلـــى الـــرَّكْـــب المُـطـهَّـرْ

وازدانـــــــــت الأرض ابــتــهــاجًــا
تَــخْــتــالُ فـــي الــنَّــصْــر المُـــــؤزَّرْ

والـــقـــائـــدُ المـــيـــمـــونُ صَــلَّـــى
فـــي الـــقُـــدْسِ يــشــدو: الـلــهُ أكـبـرْ!

****

١٥ - بُشراكِ يا لغة القرآن[1]

[البسيط]

يـا ضَــادُ، يـا لـغـةَ الـقـرآن، بُـشـراكِ
الــلــهُ بــدَّدَ غـيـمًـا عـن مُـحَـيَّـاكِ

الــلــهُ حـطَّـمَ قـيـدًا ظـنَّ ضـاربُـهُ
أن الـعـزائـمَ تـخـبـو بـيـن أسـلاك

صـاغـوا الـقـيـودَ لقتل الـضّـادِ فانقلبتْ
تـاجَ افـتـخـارٍ بـه الـرحـمـن حـلَّاك

حـتـى انـحـنـت هـامـةُ الـتـاريـخ حـين رأى
عـزَّ الـصّـمـود فـحـيـانـا وحـيّـاك

فـلـتـهـنـئي بـالـتـئـام الـشَّـمـل فـي حـدثٍ
داوٍ تَـأَلَّـق فـي تـاريـخـك الـزَّاكـي

بـالأمـسِ مـؤتـمـرٌ والـيـومَ نـدوتُـنـا
شـمـسٌ وبـدرٌ أضـاءا كـلَّ دنـيـاك

هـذي الـكـواكـب مـن أبـنـائـك اجـتـمـعـتْ
فـي يـوم سـعـدٍ فـزالـت عـنـكِ ظـلـمـاكِ

وازدانَ عِـقـدكِ مـزهُـوًّا بـكـوكـبـةٍ
مـن الأشـقَّـاء فـي شـوقٍ لِـلُـقـيـاكِ

خـاضـوا إلـيـكِ عُـبَـابَ الـجـوِّ فـي ثـقـةٍ
لـم يَـثْـنِـهِـمْ مَـوْجُ إرجـافٍ وإربـاك

---

(١) بمناسبة انعقاد الندوة العلمية الدولية التي نظمتها جامعة الملك فيصل بتشاد بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية تحت عنوان: (اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل).



كـأنَّ فَـيْـصَـلَ[1] مِـنْ عَـدْنٍ يُـوَجِّـهُـهـم

نـحـو الـطـريـق مُـزيـلاً كُـل أشـواك

أو أن رابـحَ أو عـبدَ الـكـريم[2] بَـدا

يـبني الحُـصُـونَ ويُـرْدِي مَـن تَحَـدَّاكِ

هـا هـم بضـفة (شـاري)[3] نـازلـون، لهم

مـنـكِ ائـتـلاقٌ كـشـهْـبٍ فَـوْقَ أفْـلاك

فـاسـتـذْكَـرَ الـنـهرُ عـهـدًا كُـنت رافـعـةً

فـيـهِ الـلـواءَ بِـلا نـدٍّ ولا حـاكـي

وحـدَّقـتْ مـقْـلـةُ الأيـامِ خـارقـةً

حُـجْـبَ الـسـنـين لـتمـحـو ريـبَ شـكَّاك

عـادتْ تَـبُـثُّ مِـنَ الـتـاريـخِ مَـلْـحَـمَـةً

تحـكـي الـبـطـولـةَ مِـن تـاريـخ أبـنـاكِ

إذ بـيـنـمـا كـنـتِ فـي الأحـزان غـارقـةً

تـشـكـينَ جـرحًـا مـن الأعـمـاق أدمـاكِ

حـين اسـتـبـاحـتْ حِـمـى الآسـاد شـرذمـةٌ

مـن الـذئـاب عَـوَتْ فـي روضِ مـغـنـاكِ

جـاءت عـلـى غـفـلـةِ الأشـبـالِ غـازيـةً

ثـم ارتـعـت حـين لا نـاطـور يـرعـاكِ

حـتـى إذا حـسـبـوا الأقـدار نـائـمـةً

أوْ أنْ عـقـمـتِ أوَ أنَّ الـقـهـرَ أرداكِ

---

(١) فيصل: الملك فيصل بن عبدالعزيز طيب الله ثراه بنى في كل عاصمة أفريقية مسجدًا وفي تشاد بنى مسجدًا ومدرسة وجامعة ومستشفى.

(٢) رابح وعبدالكريم: بطلان تشاديان قاوما المستعمر الفرنسي.

(٣) شاري: نهر تشادي يعتمد على الأمطار ويقع غرب تشاد قاطعًا للكاميرون.

دوَّى النداءُ قويًّا نابضًا فحكى
أمواج بحرك أو إعصار صحراك:

«رسمية أنت» فالأعداء في فزع
والشعب في فرحٍ، والسعد وافاكِ

«رسميَّة أنت» هذي شمسكِ انبثقت
من أفق عزم لو كرَّ الظلم دكَّاك

«رسميَّة أنت» في الدستور شامخةٌ
من أين نال قبول الشعب لولاك؟!

سلي الكباكب والساطور[1]: هل قطعت
عنك القلوب؟ وكلُّ الشعب يهواكِ!

سلي الفرنكَ أو التوظيفَ هل صَرَفا
عنكِ العقول؟ وهل أغرى بإشراك؟

كلا! اطمئني؛ فإنا أمة سجدت
لله ليس للامي[2] أو لشيراك[3]

قرِّي؛ فأنت مع الإسلام في دمنا
صنوان أرساه من في القلب أرساك

كنتِ الحياةَ وكان الروحِ، هل عُرِفَتْ
يومًا حياةٌ بلا روحٍ بإدراك؟!

فلتمضِ قافلة التعريب يَقْدِمُها
وحيٌ، ويحرسها المولى بأملاك




---

(١) الكباكب والساطور: آلتان حادتان استخدمهما المستعمر الفرنسي في مذبحة الكبكب الشهيرة ١٩١٧ وراح ضحيتها ٤٠٠ عالم تشادي.

(٢) لامي: هو قائد جيش الاحتلال الفرنسي الذي قتل في معركة كسرى التي استشهد فيها زعيم المقاومة الوطنية رابح، وأطلق المستعمرون اسمه على العاصمة التشادية «فورت لامي» التي غيرت بعد الاستقلال فأصبحت (أنجمينا).

(٣) هو الرئيس الفرنسي (جاك شيراك).

ولـتـبـقَ فـيـصـلُ لـلإبـداع رائـدهُ

لـلـضـاد حـصـنًـا، وشـمـسًـا دون إحـلاك

ولـيـبـق قـائـدهـا المـاحـي[1] لـيـمـحـوَ ما

حـاك الـغـزاةُ بـأحْـبـالٍ وأشـراك

ولـيـبـقَ شـيـخـي إمـام المـسـلـمـين[2] بـه

ربـي يـبـدد دعـوى كُـلِّ أفَّـاك

ولـيـبـقَ تـركـيٌّ[3] لـلأمـجـاد يـنـظـمـهـا

نَـظْـمَ الـلآلـئ فـي عـقـدٍ وأسـلاك

مـن قـاد رابـطـةَ الإسـلامِ مُـنـتَـهـجًـا

حـزمَ الإدارةِ فـي إخـلاصِ نُـسَّـاك

فـلـيُـبـقـه الـلـه لـلإسـلام مـدخـرًا

ولْـيُـجْـزَ بـالـخـيـر هـذا المـحـفـلَ الـزاكـي

****

(١) هو الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عمر الماحي، رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد.

(٢) هو الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر، رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد.

(٣) هو الدكتور عبدالله بن تركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية.

١٦ - الحقيقة الخالدة[1]

[البسيط]

ربَّـــاهُ، دوَّامَـــةُ الأفْـكـارِ مَـا فَـتِـئَـتْ
تَـــدورُ بِـــي بــين إضــــلالٍ وإيمــــانِ[2]

هـذا كـتـابُـك فـي دُرْجِــي، وقـد عَـشِـيَـتْ
عـن نُــــورِهِ عَـيْـنِـيَ الـعـمـيـا بـأَلْـوانِ

كـم قـلـتُ: هـذا شـعـاعٌ سـوف يـأخُـذني
إلـى فـضـاءِ الـهُـدَى مـن جُـبِّ أحـزانـي!

ثـم اصـطـدمْـتُ بـه صَـخْـرًا يُـلَـمِّـعُـهُ
لِـلْـعَـيْنِ دمـعُ هَـمَـى مـن عَـيْنِ أسْـوانِ!

وكـم هـتـفـتُ: نـسـيـمُ هَـبَّ يـدفَـعُـنِـي
بـقـارِبِـي نَـحْـوَ مِـيـنـاءٍ وشـطـآنِ

ثـم اسـتـحـالَ أعـاصـيـرًا تـقـاذَفُـنـي
مِـن ذا لِـهَـذا، لأهْـوِي نـحـوَ قِـيـعـانِ

وكـم تـراقـصـتُ: نـهـرٌ طـابَ مَـوردُهُ
أروي بـه نـفـسـيَ الـعـطشَـى وَوِجْـدانـي



---

(١) بلسان الشاب الحائر الذي ترك كتاب الله تعالى مهملًا في الأدراج، وانطلق يبحث عن الحقيقة بين التيارات والأفكار المستوردة، وأخيرًا يكتشف أن الحقيقة كلها تكمن في كتاب الله الذي تركه وراء ظهره.

(٢) العروض تام مجنون والضرب تام مقطوع.

فـعـاد جـــزْءٌ أجـاجًـا واخـتـفـى جُـــزُءٌ

وعُــــدتُ تُحْــــرَقُ أحـشـائـي بـنـيـرانِ

فـرُحْـتُ أطلب كشف الـمُـبْـهَـماتِ لَـدَى

مـعـالـمِ الـكـونِ؛ مـن شُــهْـبٍ وخُـلْـجَـانِ

لَـعَـلَّـنِي عـنـدهـا أحـظَـى بمعرفـتـي

حـقِـيـقَـةً لـم يـشُـبْـهـا أيُّ بـطـلانِ

☆☆☆☆

فصافـحَـتْـنـي خـيـوطُ الـشـمـس ساطعـةً

بـالـتِّبـر تـصْـبِـغ ثـوبَ الـعـالـمَ الـشـاكِـي

حـيَّـتْ فـأحـيـتْ رُفَــاتَ الـكـونِ فـانطلقتْ

أشــــلاؤه تـلـتَـقِـي، وردٌ بـــأشـــواكِ

فـصِـحْـتُ: يـا شـمـسُ، يـا أم الخـلائـق، بل

أنــتِ الـحـقـيـقـةُ؛ كُـــلٌّ تحـت عـلـيـاكِ

مُـنِّـي عـلـيَّ بـنـورٍ يـسْـتَـضِـيءُ بِـهِ

قـلـبـي؛ فـإنـيَ أعْـمَـى الـقـلـبِ لـولاكِ

فـأطـلـقـتْ زفـــرةَ المـصـــدورِ وانـطـلـقـتْ

تحـكـي أسـاهـا بـنـغـم الـمُـشـفِـق الـبـاكِـي

قـالـتْ: غـلا الـنـاس فـي قِـدْري ومـا عـلِـمـوا

أنـي حـصـاةٌ طَـفَـتْ فـي بـحْـرِ أفْـلاك

قـد أجَّـجـوا فـيَّ نــارَ الإثــم؛ إذ قـذفـوا

بِـي – فـتـنـةً بـيَ – فـي أتـون إشْــراكِ

كم آهةٍ لي تذيب الصخرَ أُطْلِقُها؛
إذ دنَّسوا صفحتي في العالَم الزاكي!

لكنَّني ليس لي ما أستطيعُ بِهِ
تدبيرَ إشراقةٍ أو حَبْكَ إحلاكِ

فاختر لنفسك - يا إنسانُ - منهَجَها
إن الحقيقةَ لم تخضَعْ لإدراكي

****

١٧ - وقفة على آثار وارا[١]

[البسيط]

غُضُّوا العيونَ؛ فهذا موطنُ الأدبِ!
هذا الجَلالُ الذي لم يُطْوَ بالحُقُبِ

هذا الشُّمُوخ الذي لمْ يَحْنِ هامَتَهُ
عصف الأعاصير في خِصبٍ وفي جَدَبِ

هُنا مَقَامُ الفتى عبدِ الكريم[٢] الّذي
بِفَضْلِهِ الدِّينُ أوْفَى بعد مُنْقَلَبِ

مَن قام في هِمَّةٍ عزَّتْ مثيلتُها
يدعُو إلى اللهِ في إقْدام مُحتَسِبِ

يصيح: «يا قومُ لا تحْكُم عواطِفُكُم
على العقول؛ فما في الحقِّ من رِيَبِ»

«الحَقُّ أبلجُ، والبُهْتانُ في ظُلَمٍ
والحَقُّ يعلو، وعُمْرُ المَيْنِ كالحَبَبِ»

«آثارُ خالِقِكُمْ للعين باديةٌ
بكُل رُكْنٍ بهذا الكونِ مُرْتقَبِ»

هُناك ألبابُهم عَادتْ لِفِطْرَتِها
وأيْقَنوا أنهمْ في مَسْلَكٍ عَطِبِ

رأوْا تقاليدَهُمْ مِن مجْهرٍ فبدتْ
فيها الجَراثيمُ تحبو في حشًا رَطِبِ



---

(١) (من وحي رحلة قمت بها إلى وارا – العاصمة القديمة لمملكة وادي – بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢٣م)

(٢) عبدالكريم: قائد تشادي قاوم ومن معه من الأبطال المستعمر الفرنسي حتى تم استقلال تشاد.

قـالـوا: «أنَـبْـنَـا إلـى الإسـلام فـانْـحُ بِنا
نَـهْـجَ الـهـدايـةِ والـتـعـلـيـمِ بـالـكُـتُـبِ»
فـسـاسـهُـم بِـقَـوانـينٍ قـد اتَّـضَـحَـتْ
لـم تَـعْـلُـهـا مسـحـةُ الـتـمْـويـهِ والـكَـذِبِ
وأعْـقَـبَـتْـهُ سَـلاطـينٌ قـد انـتَـهَـجـوا
هُـداهُ، واسْـتَـبَـقُـوا لـلـمَـجْـدِ والـقُـرْبِ
والـيـومَ ساحـاتُـهـم مِـن بـعـدِ هَـيْبَـتِـهـا
يُـثـارُ فـيـهـا غُـبـارُ الـثـعـلـب الـطَّـرِبِ
والـقـصـرُ بـعـدَ احْـتِـشـادٍ صـارَ منـفـردًا
كَـرائـدٍ هـابـطٍ فـي كَـوْكَـبٍ خَـرِبِ

أطـلالَ وارا، أجِـيـبـي، خَـبِّـري مـلأً
أخْـرَسْـتِـهِـم هـيـبـةً عـن كُـلِّ مُـحْـتَـجِـبِ
صِـفِـي لـنـا كـيـف كـان المُـلْـكُ مـزدهـرًا
لـسـاحِـكِ الـرحْـبِ يـعشـو طـالـبُ الـنَّـشَـبِ
صِـفِـي لِـمَـا مجـلسَ الـسـلطـانِ مُـجْـتَـمِـعًا
بِـشَـعْـبِـهِ مـثـلُ أبـنـاءٍ بـحـجْـرِ أبِ
صِـفِـي الـجـنـودَ إذا ريـعـتْ مـواطـنُـهُـمْ
هـاجـوا كـبـحـرٍ مـن الأمـواج مـضـطـربِ
صِـفِـي انـبِـعـاثَ الـهُـدى كـالـكَـهـربـاءِ بِـهِ
رأى الـطـريـقَ أنـاسٌ فـي عـمـى الـحُـجُـبِ

ألـم تـكُـونـي مَـنـارًا سـاطـعًـا زَمَـنًـا
يمـدُّ إفْـريـقـيـا بـالـعِـلْـمِ والأدَبِ؟

قولي لنا: ما مَدَى أفكارِ مَنْ حَكَمُوا
هذي البلادَ قُبَيْلَ الغزْوِ والغَلَبِ!
بني تشادَ، خَفَضْتُمْ قدْرَ مَن صَنَعوا
تاريخَكُمْ؛ فَغَدَا في أرفَعِ الرُّتَبِ!
ما قِمةُ العاقلِ الواعِي بِلا أثرٍ
بِهِ يُخَلَّدُ ذِكْرُ الأصْل للعَقِبِ؟!
لا فرْقَ بين قطيعٍ ضَلَّ مَوْرِدُهُ
وأُمَّةٍ في الورَى مجْهولةِ النسَبِ!
عَرفْتُمُ قِيمةَ الآثارِ إذْ بعدَتْ
وأُهْمِلَتْ إذ بَدَتْ منكُمْ على كَثَبِ!
ما نجْتَني من تراث الغير إن بقيتْ
آثارنا كحُطامٍ في الخَلا الرحِبِ
إن لم نصُنها طوى النسيانُ صفحتها
بِفَيْلَقَيْن: مسيلِ الغَيْثِ والنَّهْبِ!
فالسيلُ يضرِبُ في تصْميمِ مُنتَقِمٍ
جُدْرانَها جَارِفًا ما هّدَّ في دأبِ
والزائرون إذا الإعْجابُ غالَبَهُمْ
مَدُّوا الأيادِيَ للآثارِ، للسَّلَبِ!

****

١٨ - دمعة وفاء[١]

[الوافر]

(أيـــدري المسـلـمـون بمَـن أصـيـبـوا؟)
إذن، كُـثـر الـبـكـا، وعــلا الـنـحـيـبُ

أصِـيـبـوا بـالـذي شُــمُّ الــرَّواسِــي
تَـكَـادُ لِـهَـوْلِ وَقْـعَـتِـهِ تَـذُوبُ

تَـغَـيَّـبَ عـن سـمـاء الـعـلْـمِ بَـدرٌ
أضَــاءَتْ مـن سَـنـاهُ لـنـا قـلـوبُ

تُـوُفِّـيَ شـيـخُـنـا، والمـوتُ حَـقٌّ
كـذاك الـشـمـس يُـدْرِكُـهـا المَـغِـيـبُ

مَـضَـى إذ نَـحْـنُ فـي ظَـمَـأٍ، فـطُـوبَـى
لِمَـن بِـحَـيـاتِـهِ مُـنِـحَ الـذَّنـوبُ

أشـيـخِـيَ، هـكـذا تـأتـي المـنـايـا!
ومـا لِمُـخَـلَّـفٍ مـنـهـا هُـروبُ!

لَـطَـمْـنـا عـنـد مـوتِـك لا عِـنـادًا
ولـكِـنْ صـيْـحـةُ الـنـاعـي تَـشـيـبُ

ذهـبْـتَ إلـى الـعِـلاجِ ومـا عَـلِـمْـنـا
بـأنَّـك مـن ذهـابِـك لا تَـؤوبُ

---

(١) في رثاء معلمي وشيخي في القرآن الكريم/ القوني صالح جامع ألقيت في أول حفل يقام بعد وفاته لتخريج دفعة من تلميذاته اللائي حفظن القرآن على يديه بتاريخ ١٣/٢/١٩٩٢م.



ذهــبْــتَ إلـــى الــعـــلاجِ، فــكـــانَ قــبـرًا
وإن حَــكَــمَ الـقـضـا عــجِــزَ الـطـبـيـبُ
بــكَــتْــكَ مــســاجــدٌ، وبَــكَــتْــكَ دورٌ
وصَـــــاح عــلــيــكَ شُـــبَّـــانٌ وشِـــيــبُ
لأجْـــلِـــكَ عَـــمَّ (أبَّـــشَّـــى) جِـــدادٌ
وفـــي الجَـــنَّـــاتِ أفْـــــراحٌ وطِـيـبُ
فـنَـمْ فـي الخُـلْـدِ؛ قـدْ مـضَـتِ اللـيـالـي
وأنـــتَ لأجْـلِــنـــا يَـــقِـــظٌ دؤوبُ
حَـيــاتُــك كُــلُّــهــا كــانــت عــلـومًـا
تُـــدَرِّســـهـــا، وإفـــتـــاءً تجـيـبُ
وهَــبْــتَ لِخِــدْمَـــةِ الــقــرآنِ عُــمْــرًا
طَـــويـــلاً، هــكــذا يــهَــبُ الـلـبـيـبُ
ومَـــن جَــعَــل الــكِــتــابَ لَــهُ سـفـيـنًـا
إلـــى بَـــرِّ الأمــــانِ هُـــو المـصـيـبُ
هـــو المـصـبـاح فـــي ظُــلَــم الـديـاجـي
هـــو المُــنــجِــي إذا هــجــمــتْ خــطــوبُ
هـــو الــبــحــرُ المحــيــطُ بــكُــلِّ عِــلْــمٍ
يـفـيـض هــــدًى، ولــيــس لـــه نــضــوبُ
هـــو الـــدســـتـــورُ مـــن ربِّ الــبَــرايــا
وكـــم بـــهُـــداهُ قـــد ســـعِـــدتْ قــلــوبُ
هـــو الحــــقُّ المــبــيـن؛ فــلــو قَــفَـوْنـا
ســنــاه لَــمَــا اسـتـضـاقَ بـنـا الـرَّحـيـبُ
حـــوى أخـــبـــارَ مـــن ســبــقــوا ومـــاتــوا
وأنـــبـــأنـــا بِمــــا عَـــنَّـــا يــغِــيــبُ






شـبـابَ تـشـادَ، هـذا الـنـهـجُ فـامـشُـوا
عـلـيـه كـمـا مـشـى الـشـيـخُ الأريـبُ

ولا تـسـتَـصْـعَـبُـوا سَـهَـرًا وكـدًّا
فـلـيـس يـضـيـر ذا أمـلٍ لُـغُـوبُ

ومَـن غَـرَسَ الـبـذورَ جـنـى ثـمـارًا
ومَـنْ غـرس المُـنـى فـلـه الـشُّـحـوبُ

ولـيـس الـعِـلْـمُ فـرضًـا فـي فـريـقٍ
ولـكِـنْ كُـلَّـنـا شَـمَـلَ الـوجـوبُ

كِـتـابُ الـلـهِ يـدعُـونـا لجَـدٍّ
ونـحـن سـبـيـلُـنـا الأمـلُ الـكَـذوبُ

وهـذا الـعـصـرُ لـيـس بِـهِ مَـجَـالٌ
لـذي جـهـلٍ، ولـيـس بـه حـبـيـبُ

فـهـيَّـا نـقـتـدي بمـسـيـرِ شـيْـخٍ
لَـهُ إذ نـام أقْـوامٌ وُثُـوبُ

تـخَـرَّج عـنـه شُـبَّـانٌ دُعَـاهُـمْ:
لـه الجـنـاتُ والمـرعَـى الخـصـيـبُ

عـلـيـه سـحـائـبُ الـرضـوانِ تـغـدو
ومـيـزابٌ مـن الـنـعـمَـى سَـكُـوبُ

****

١٩ - إلى شباب تشاد[(١)]

[الوافر]

شـبـابَ تـشـادَ، هَـيَّـا لـلـمـعـالـي

وجُـدُّوا مُـخْـلِـصِـين بـلا كَـلالِ

وغـوصـوا الـبـحـرَ فـي طَـلَـبِ الـلآلـي

(فـمـن طـلـب الـعـلا سـهـر الـلـيـالـي)

تـشـادُ تـريـدُ مِـنَّـا أنْ نَـكُـونـا

حُـمـاةً لَـنْ نَـخـافَ ولـن نـلـيـنـا

هُـداةً نَـنـطِـقُ الحـقَّ المُـبـيـنـا

نُـشِـيـدُ المَـجْـدَ فـوقَ ذُرَى الجـبـالِ

فَـهَـيَّـا نـحْـوَ مـيـدانِ الـعـلـومِ

فـنـأخُـذَ مِـن جَـديـدٍ أو قـديمِ

لـنـجـلُـوَ ظُـلْـمـةَ الـلـيـلِ الـبَـهـيـمِ

ونـنـقُـضَ كُـلَّ فِـكـرٍ لـلـضَّـلالِ

فـإنَّ الـعِـلْـمَ فـي الـدنـيـا سِـلاحُ

إذا هَـمَّ الـعِـداةُ بـنـا وصـاحـوا

---

(١) بمناسبة افتتاح فرع لاتحاد شباب تشاد الإسلامي بمدينة أبشة بتاريخ ١٩٩١/١٢/٩م وهذه هي أول قصيدة لي ألقيتها في احتفال أو مناسبة عامة.

نـصُـونُ بِـهِ عَـرِيـنًـا لا يُـبـاحُ

بِـهِ نَـرقَـى إلـى أَوَجِ الـكـمـالِ

مَـنِ الـقـاضـي بـشـرعِ الـلـهِ فينا؟

يُـعـيـدُ الحَـقَّ لـلـمُـسـتَـضْـعَـفـيـنـا

ويَـردَعُ بـالحُـدودِ المُـجـرِمِـيـنـا

ويُـحْـيِـي ذِكْـرَ فـاروقٍ بِـبَـالِ؟

مَـنِ المُـفـتِـي لِحَـلِّ المُـعـضِـلاتِ؟

يُـبَـيِّـنُ في الـقـضـايـا المُـشـكِـلاتِ

ومـا رأي الـشـريـعـةِ فـي الحـيـاةِ؟

وهـلْ ذا فـي الحـرامِ أو الحـلالِ؟

مَـنِ الـطِّـبُّ الـذي يـأتـي يُـداوِي

إذا الأدواءُ هـاجـتْ (بـالـبـلاوِي)؟

يُـضَـمِّـدُ جُـرْحَ مَـنْ لـقـبـرِ هـاوٍ

بـآلامٍ، بـأنَّـاتٍ، طِـوالِ؟

نـريـدُ مـهـنـدِسًـا يـبـنِـي الـقِـبـابـا

يُـشِـيـدُ مـنـازِلاً تـسـمـو الـسـحـابـا

فـإنَّ بِـلادَنـا كـانـتْ رِحـابـا

تُـؤَمِّـلُ عَـزمَ أبـنـاءٍ رِجـالِ

فَـهَـذِي بـعـضُ أنـواعِ الـسـبـاقِ

لِمَـنْ رامَ الـتـنـافُـسَ، يـا رفـاقِـي

فـقـدْ فُـتِـحَ المـجـالُ لِـكُـلِّ راقٍ

فـإنَّ تَـفَـرُّقَ الأهـواءِ غُـولُ

علينا - معشرَ الشبَّانِ - حتمٌ

أعيدوا ما مضَى من حُسْنِ حالي»

فإن تشادَ صاحتْ: «أن هَلُمُّوا

ونورُ العلمِ يُشْرِقُ من بنائِي»

«إذ الإسلامُ يخفقُ في سمائي

فلا حَرْبٌ، ولا قتْلُ الأهالي»

«وأبنائي جميعًا في ولائي

بحَقٍّ ليس بُهْتانًا وبِدْعا

سنفخر عند كلِّ الناسِ جَمْعا

ولم نُسْلِمْ بغزوٍ أو قِتال

بأنَّا قد دخلنا الدينَ طوْعا

ولمْ نَقبَلْ بِذُلٍّ في الحياةِ

وقفنا ضِدَّ أطماعِ الغُزاةِ

فللأوطانِ يَرخُصُ كُلُّ غال

وجُدْنَا بالنفوس الغالياتِ

ولم يَقَعوا لمخْلوقٍ سُجودا

وأجدادٍ لنا كَرِهوا القيودا

شِعارُهُمُ: «أموتُ ولا أُبالي»

إذا ما استُغْضِبوا لبِسوا الحديدا

جميعًا بالسلاحِ نَذُبُّ عنها

فلسنا منهُمُ إن لمْ نَصُنْها

فما رَضِيَ النقيصةَ ذو كمالِ

ولا نرضَى انتقاصَ الشِّبرِ منها

لإنهاضٍ بِهِ يُشْفَى الغليلُ

وما في غيرِ وحْدتِنا سبيلُ

بِهِ الأوطانُ تُنْمَى بالهُزالِ

****

٢٠ - حديث البدور[١]

[الوافر]

أيــا بــــدرًا بِـجــوف الـلـيـلِ أَقْـبَــلْ
لــــدارٍ مِـــن مَــنــافِــذِهــا تَـسَــلَّــلْ

تـخَـطَّـى عــالَــمَ الأفــــلاكِ يَـسْـعَـى
كَـمَــلْــكٍ مِـــنْ أريــكَــتِــهِ تَــرَجَّــلْ

أتَــــدري مــا جَـنَـيْـتَ عـلـى مُـعَـنًّـى
مــشُــوقٍ، قـلـبُـهُ فــي حَــرٍّ مِــرْجَــلْ؟!

هَـجَـمْـتَ عـلـيـه وَهْــوَ عـلـى انـفـرادٍ
يُـقَـلِّـبُ فــي الـسـمـا طَـرْفًـا مُـبَـلَّـلْ

فَــهَــبَّ مُـــهَـــرْولاً لِـلِـقــاكَ، لَّـمــا
تَـخَـيَّـلَ فـيـكَ بــدرًا عَـنْـهُ يَـسْــأَلْ

رأى نُــورًا تَــنَــزَّلَ مِــنْ عُــلُــوٍّ
فَـظَــنَّ شَـقـيـقَـهُ المَـفْـقُــودَ أقْـبَــلْ

فَـتًّـى ضَــاقــتْ بِـهِـمَّـتِـهِ الأراضــي
فـطـار إلــى الـفـضـاءِ يَـشُـقُّ مَـدْخَـلْ

فـلـمْ نَـسْـمَـعْ لــهُ خَـبَــرًا، أغــارتْ
علـيـهِ الـشُّـهْـبُ؟ أم فـي الجـوِّ قـدْ ضَـلّ؟!

---

(١) سافر شقيقي الأكبر «محمد الأمين» إلى الجماهيرية الليبية للدراسة فيها عام ١٩٩٨، أيام الحصار المضروب عليها، وكان عليه الطواف عبر عدة دول حتى يصل إلى ليبيا، وانقطعت أخباره أثناء طوافه ذلك، فلم نجد عنه أية أخبار؛ مما أثار مشاعري وكتبت عنه قصيدة طويلة، ضاع بعضها بين أوراقي، وهذا جزؤها الأول.

أسـائـل كُـلَّ طـيـرٍ... كُـلَّ نَجْـمٍ

وأسـأل كُـلَّ ريـحٍ هَـبَّ: هـل.. هـلْ..؟

فـقـد هـيَّـجْـتَ يـا بـنَ الـشـهـبِ حُـزنـي

نـكـأْتَ عـلَـيَّ جُـرحًـا لـيـس يُـدمَـلْ

وأنـتَ خَـلِـيٌّ بَـالٍ لَـمْ تُـفـارِقْ

حـبـيـبًـا، أو تـكُـنْ يـومًـا بِمُـثْـكَـلْ!

فـذَابـتْ مِـنْ أشِـعَّـتِـهِ دمـوعٌ

عـلـى الخَـدِّ الأسـيـلِ بِـهَـا تَـخَـضَّـلْ

وغـارتْ عَـيْـنُـهُ حُـزْنًـا؛ فـكـانـتْ

شـقـوقًـا خَـالَـهَـا الـرُّوَّادُ جَـدْوَلْ

وأجـهـشَ قـائـلاً: «يـا صـاحِ، حسـبـي

حَـنـانـيْـك! ابْـقِ لِـي لـلـعُـذْرِ مَـحْـمَـلْ!

بِـقَـلْـبِـي مـا بِـقَـلْـبِـكَ، بَـيْـدَ أنِّـي

رأيْـتُ الـصَّـبْـرَ عـنـدَ الـلـهِ أجْـمَـلْ

****



٢١ - العربية لغتنا

[البسيط]

تـشـادُ، بُـشْــراكِ! إن الـشَّـمـلَ مُـلْـتَـئِـمُ
أبــنــاؤكِ اجـتـمـعـوا، والـــوُدُّ ضَـمَّـهُـمُ

صـاحـوا بـأجـمـعِـهـم: لا لـلـحـروبِ، ولا
لـلـظُّـلْـمِ، إنـا بـحـبـلِ الـلـهِ نـعْـتَـصِـمُ

بـلادُنـا أُوهِـنَـتْ بـالـحـربِ؛ إذ تُـرِكَـتْ
تَـعِـيثُ فيـها عُـقُـودًا بـالـرَّدَى الـوَغَـمُ

دُكَّــتْ مـعـالِمُـنـا، هُــدَّتْ ثـقـافَـتُـنـا
صِـرْنـا حـديـثًـا، وقِـيـلَـتْ حـولـنـا الـتُّـهَـمُ

والـيـومَ عـادتْ لـنـا الألـبـابُ، واتَّـضَـحَـتْ
لـنـا الـطـريـق، وزال الـعِـيُّ والـصَّـمَـمُ

فَـلْـنَـسْـتَـعِـدْ هِـمَّـةً نَـبـنِـي الـبـلادَ بِـهَـا
بـالـعِـلْـمِ والـعَـزْمِ يُـبْـنَـى الـشـامـخُ الـعَـلَـمُ

نُـريـدُهـا حُــرَّةً عُـظْـمَـى، دعـائـمُـهـا
الـعَـدْلُ، والأمـــنُ، والـقـانـونُ، والـقَـلَـمُ

سـمـحـاءَ تـزخـرُ بـالأخـلاقِ فِـتْـيَـتُـهـا
(فـإنـمـا الأمَـمُ الأخـــلاق) والـقِـيَـم

تَـلْـقَـى الـدَّخِـيـلَ بِـعَـيْـنَـيْ مـجْـهَـرٍ فَـطِـنٍ
إن الـدخـيـلَ عـلـى الأوطـــان مُـتَّـهَـمُ

يـا إخـوتـا! دعــوةَ الإخـــلاصِ أبـسُـطُـهـا

لــكُــمْ، وكُــلُّــكُــمُ لـلـحَـقِّ مُـغْـتَـنِـمُ:

هــلاَّ ســألْـتُـمْ بِـهَـمْـسٍ بَــينَ أنـفُـسِـكُـمْ:

أنــحْــنُ بـالـضَّـاد أم بـالـغـيـر نـتَّـسِـمُ؟!

مـا الـضَّـادُ جـنـسٌ ولا أرضٌ يـحَـدُّ لـهـا

وإنمـــا هِـــي لـــفــظٌ واســـــعٌ عَــمَــمُ

مـن قـالـهـا عُــدَّ مـن أغـصـانِ دوحـتِـهـا

نمــاه زنجٌ أم الــيــونــانُ والــعــجــمُ

أم ضـمَّـهُ الـبـحـرُ أم فـي الـبـرِّ مسكنُهُ

أم كـان بـالـقـطـبِ يـفـري الـــدُّبَّ يـلـتَـهِـمُ

سـلـمـانُ صـــار بـهـا قُـــحًّـــا، لــه نـسـبٌ

لـلـبـيـتِ، تَـنْـهَـلُ مِــن أقـــوالِــه الأمَمُ

وابـــنُ المُـقَـفَّـعِ أمـسَـى مـن أئـمَّـتِـهـا

مـا قـيـل: «تـبـرؤَ مـنـك الـعُـرْبُ» إذ هـجـمـوا

لـكـنَّـنـا نَـخْـلُـق الأعــــذارِ فـــي زمـــنٍ

لا عــذر فـيـه لِــمَـن نـامـوا ومَــن حـلـمـوا

****

٢٢ - كفالة اليتيم[١]

[الكامل]

قـــال الــصــغـيـرُ ودمـــعُـــهُ مِـــــدْرارُ:
أمَّــــــاه، أشــعـــر أنـــنـــي أنـــهـــارُ

أُمَّـــــاهُ، هـــذا الجـــوعُ مَـــزَّقَ بـاطـنـي
وســــرتْ بـأحـشـائـي وقـلـبِـي الـنـارُ

المـــــاءَ أشْـــربُـــهُ؛ لـيـبـرد غُـلَّـتـي
فـكَـــأنَّمـــا تـــبْـــريـــدُهُ إســـعـــارُ

لـي لـيـلـتـانِ ألـــوكُ بـعْـضَ «بَـلِـيـلَـةٍ»
قـد خـالـطَـتْ حَـبَّـاتِـهـا الأحـجـارُ

لا طَـعْـمَ فـيـهـا، غـيـرَ أنَّ لِـريـحِـهـا
نَـتْـنًـا، وشــابَ مَـذَاقَـهـا إمـــرارُ

هـا هـمْ رفـاقـي فـي الـطـريـق تـواثَـبـوا
فـي خِـفَّـةٍ، فـكَـأَنَّـهُـمْ أطـيـارُ

لـلـعـيـد قـد لَـبِـسُـوا الجـديـدَ وهـلَّـلُـوا
بـثـيـابِـهِـمْ تَـتَـلألأُ الأنْـــــوارُ

فـي كَـفِّ كُـلٍّ كـعـكـةٌ أو لُـعْـبَـةٌ
يـلـهـو بـهـا، أو عـنـده مِـزمـارُ

---

(١) كتبت هذه القصيدة تعبيرًا عن مشاعر الفرحة والسرور التي أجدها في وجوه الأيتام وأمهاتهم، عند وصول مبالغ الكفالات التي تأتي إليهم، من الجهات الخيرية، وعلى رأسها بيت الزكاة الكويتي، عبر إدارة الأيتام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد،أو قسم رعاية الأيتام بالجمعية الخيرية للتنمية الثقافية والاجتماعية، اللتين أعمل فيهما، وهي:

وحـــدي بـقـيـت أنـــا أُجَــــرَّعُ غَـصَّـةً

فــي غَـصَّــةٍ، وبِـعَـيْـنِـيَ اسْـتِـعْـبـارُ!

أمَّـــــاهُ، أيـــن أبــــي؟ فـمـا حـلَّـتْ بِـنا

إذ كــان يَـعْـمُـرُ بـيْـتَـنَـا أضـــرارُ

أمّــــاه، أيــن أبـــي؟ فـمـا عـــادتْ لـنا

مُـــذْ غـــابَ مَـــنــزِلَــةٌ ولا إكــبـارُ

أمّـــــاه، أيـــن أبــــي؟ وأيــــن حـنـانـهُ؟

قــد كـــانَ نـــهــرًا دونَـــــه الأنـــهــارُ

لا زلـــتُ أذكـــرُ كـم حـبـوتُ لِحِـجْـرِهِ

فَـتَـلَـقَّـفَـتْنِ يــــداهُ والأبـــصـــارُ

لا زلـــتُ أذكــرُ كـيـف أضـحـى مـركـبًا

لــي صـــــدرُهُ، وبـوجــهـه اسـتـبـشـارُ

كـم دغـدَغـتْ خَـدِّي يـــداهُ ومِـلْـؤُهـا

حُــــبٌّ وعَـــطْــفٌ غـــامِـــرٌ فـــوَّارُ

وكـــأنَّ فــي رأســـي نُـعـومـةَ كَـفِّـه

لــم تمـحُـهـا الأيــــام والأعْــصـــارُ

أمــــاه، قــولــي أيــن ســـار؟ فـإنـنـي

مـــاضٍ إلــيـه؛ فـقـد جـفـتـنـي الـــدارُ!

فـتـلـجـلـجَـتْ أمُّ الـصّـبـيِّ وأجـهـشـتْ

تـبـكـي وتـنـشُـج؛ هـاجـهـا الـتِّـذكـارُ

ضـمـتْـهُ لـلـصـدر الـضّـعـيـفِ وقـلـبُـهـا

فـــي لـــوعـــةٍ، ودمـــوعُـــهـــا أنــهـــارُ

قالتْ تُهَدِّئُهُ - وفِيها حاجةٌ

لِمُهَدِّئٍ لوْ أنَّها تَخْتارُ - :

يا ابْني أبوكَ مع النجوم مُحَلِّقٌ

يرنُو إليكَ وكُلُّهُ أنظارُ

في العالَمِ العُلْويِّ يسكنُ منزلاً

تشدو بِهِ وتُرَفْرِفُ الأطْيارُ

مخْضَرَّةٌ أشجارُهُ، دفَّاقةٌ

أنْهارُهُ، سُكَّانُهُ أطْهارُ

لا الغِلُّ ينفُثُ في القلوب سمومَهُ

لا في اليَدَيْنِ يُعَشِّشُ الإقتارُ

فاصبِرْ، تَعَلَّلْ بالرحيلِ؛ فما لَنا

في الأرضِ توطينٌ ولا استِقْرارُ

عَمَّا قريبٍ نَلْتَقِي بأبيك في

أفْقٍ بَهِيجٍ كُلُّهُ أنْوارُ

كيف البقاءُ بعالَمٍ قَدْ حُجِّرَتْ

فيه القُلُوبُ وضَلَّتِ الأبْصارُ؟!

الأغنيا في تخمةٍ والجوعُ في الْـ

أيتامِ، في أحشَائِهِمْ نَخَّارُ

هل نجتدي أم نكتوي بجريمةٍ؟!

كَلَّا! فمِن ذا تأْنَفُ الأحرارُ

لله نشكو ما نعاني؛ إنه

بَرٌّ رحِيمٌ فَضْلُهُ مِدْرارُ



مــاذا سـمـعـتَ ابـنـي؟ كـأنَّ بِـبـابِـنـا
طَـرْقًـا؟ نـعـم! فـلْـيَـدْخُـلِ الـزُّوَّارُ!
مـا كـان هـذا الـطـارق الآتـي سـوى
وفْـدًا بِـهِ قـد أرسَـلَ الأخْـيـارُ
زَفَّ الـسَّـلامَ وبَـثَّ فـي طـيَّـاتِـهِ
بُـشْـرَى بِـأن قـد زالـتِ الأكْـدارُ
إنـي رسـولُ المـجـلـس الأعـلـى الـذي
مِـن عِـنـدِهِ تَـسُـرُّكُـم أخـبـارُ
إن كـان عـائـلـكم قـضـى نـحـبًا فـفـي
ذا المـجـلـسِ الأعـلـى لـكُـم أنـصـارُ
مـا زال يـنـمِـي لـلـكـرام شـجـونَـكُـمْ
حَـتَّـى اسـتـجـابـتْ فِـتـيَـةٌ أبْـرارُ
مِـن قـائـمـي بـيـتِ الـزكَـاةِ فـإنَّـهـمْ
قـومٌ عـلـى دربِ الـهُـدَى قـد سـاروا
مـن آسـيـا يَـسْـقُـونَ فـي إفـريـقـيـا
قـومًـا ظِـمـاءً نَـالَـهُـمْ إعْـسـارُ
مَـدُّوا عـلـى هـذا الـيـتـيـمِ ظِـلالَـهُـمْ
مـن بِـرِّهِـمْ يَـأتِـي لَـهُ مِـقْـدارُ
فـتـرقـرقـتْ عـيْنُ الـصَّـبـيِّ، وأمُّـهُ
شَـدَّتْ بـأصْـلِ لِـسـانِـهـا الأوتـارُ
ثـم الـتـقـتْ عَـيـنـاهُـمـا فـي لمـحـةٍ
عَـجْـلَـى، ولـكـن دونـهـا الأدهـارُ

مـــدًّا بِـــطَـــرْفٍ لـلـسـمـاء وتمـتـمَـا

فـــي دعْـــــوةٍ مـــا دونَــــهـــا أســـتـــارُ:

ربَّــــاهُ، عـفـوًا إن أسـأنـا الـظـنَّ في

كُــلِّ الــــوَرَى، فـلْـيَـمْـحُ ذا اسـتـغـفـارُ

لـم نـــدْرِ أنَّ الخـيـرَ فـي هـــذِي الـدُّنـا

بـــــاقٍ، ولـــم يَــعْــصِــفْ بـــه إعــصـــارُ

ربَّــــــاهُ فَـــاجْـــزِ المحـسـنـيـنَ بـجَـنَّـةٍ

قـــد ســـاق بـشـراهـا لـنـا المُـخْـتـارُ

****

Moh3.indd 616 3/14/13 12:12 PM

صبورة أرمياؤ محمد[1]

١ - فلسطين

[البسيط]

مـسـاؤكِ الـوهـمُ فـي أحـبـاره ألـمُ
ووجـهـكِ الـيـتـمَ تـقـتـاتـيـنَـهُ رهَـبَـا

تـلـطَّـخَ الـفـجـرُ حـتـى صـرتُ أنـكـرهُ
وأرعـدَ الـلـيـلُ لـكـن لا أرى سـحـبـا

سـيـلُ الجـمـاجـم فـي عـيـنـيك أعـرفُـهُ
بـحـرٌ مـن الـصَّـمـت لا يـسـتـقـطرُ الـصـخـبـا

أحـبُّـكِ الـقـدس، حـزنًـا لا يـفـارقـنـي
وأشـتـهـيـكِ كـطـفـلٍ ضـيّـع الـلـعـبـا

رأيـتُ وجـهـكِ يـا أشـلاءَ راهـبـةٍ
تـوسَّـد الـدمـعَ والأحـجـارَ والحـصـبـا

لمـا وقـفـتُ عـلـى جـرحـي ألمـلـمُـهُ
تـخـثَّـرَ الـدمـعُ فـوق الجـرح والْـتَـهـبـا

أفـتِّـشُ الـدربَ عـن مـعـنـى لـغـربـتـهِ
تـورَّط الـدربُ لمـا لـم يـجـدْ سـبـبـا

مـطـاردٌ بـجـحـيـمٍ صـار يَـقْـبُـرنـي
مُـغـلَّـفٌ بـجـنـونٍ فـاضَ وانـسَـكـبـا

---

(١) شاعرة تشادية معاصرة من مواليد ١٩٨٠، درست في جامعة الملك فيصل بتشاد، ويتسم شعرها بالحس الديني والوجدان الثائر، والنفس الطويل، والمحافظة على عمود الشعر العربي، ولم تجمع أشعارها في ديوان، فهي قصائد مبعثرة تقدمها في بعض المناسبات.

بـــــراءةٌ وجــهــك المــخـــذول سـيـدتـي

الـــسُّـــلُّ يـقـبـع فـــي أغـــوارنـــا حـقـبـا

إنـــنـــي مـــــررت بـصـهـيـونَ أُسـائـلـه

تَـــوهَّـــج الـــطَّـــودُ لمـــا قـلـت والْـتَـهـبـا

عـواصـف الـتِّـيـه جـنّـت فـي جـوانـحـنـا

وسعفة النَّخْلِ تشكي العُرْيَ والعَطبا

يـا قـبـرَ أحـمـدَ مـات الـلـون فـي شفتي

وبـعـض هـديـك عــن آذانـــنـــا حُـجِـبـا

عـفـوًا خُـطـاي بـشـوك الـــدّرب مـطـفـأةٌ

مُــــدّت إلـيـك شـفـاهـا أُرهــقــت سـغـبـا

يـــا أمّـــتـــي وقـصـيـدي كـل أوردتـــي

إذا كـتـبـت تـداعـى الـقـلـب منتحبا

يـــا أمّـــتـــي وبـكـاء الـشـعـر يـرهـقـنـي

أشكو لك الحال أم أشكو لك العَرَبا

يـــا أمَّـــــةٌ هَـــدَّمـــت أمــــجـــادَ أولـهـا

ويـنـخـر الــــدود فـــي أعـضـائـهـا طـربـا

ويـعـبـث الـسُّـوسُ فـي أعـمـاق تـربـتـهـا

وتـلـعـب الـريـحُ فـي أغـصـانـهـا لـعـبـا

لا يَـطْـهُـر الجُـــرْحُ إلا فـي مـجـاهـدةٍ

ولـيـس كـالـحُـرِّ فَـتَّـاكًـا إذا وثـبـا

****




٢ - أشرق يا عام

[المتدارك]

أشرِقْ في صدقٍ يا عام

فَلَكَمْ خدعتْنَا أعوامُ

مَرَّت كسرابٍ خائلنا

وسَبَتنا فيها أوهامُ

عشناها نرسمُ لوحاتٍ

يتغنَّى فيها رسامُ

وإذا الآمالُ على صُوَرٍ

وعليها نصحو وننام

أو لحنُ نشيدٍ في فمنا

تُطربنا منه الأنغام

أو تبقى رهنَ شعاراتٍ

تتبارى فيها الأقلام

وزمانٌ طال.. وحاصرنا

طاب تجرُّعُه .. وسمام

حابِلُنا اختلطَ بنابلِنا

فاندهشتْ منها الأفهام

وتنابذنا وتباغضنا

واندستْ فينا الألغام



الفُرْقةُ أوهتْ أمَّتَنا
فانصدعتْ فيها الأحكام
وهزائم تَتْرى هَدَّتْنا؟
وتخلَّفَ عنها الإقدام
ضاعت يا عُرْبُ هَوِيَّتُنا
ها نحن بقايا وحُطام
ها نحن فُلولٌ في هملٍ
وذيول تُؤمَرُ.. وتُضام
اليأسُ الموحش طَوَّقنا
فانهارت هِمَمٌ.. وهمام
وعدوٌّ شَرْسٌ يُصْلينا
ذُلًّا - يتحكم - غشام؟
وكلومُ القهرِ بداخلنا
هدَّتنا منها الآلام
ماتتْ يا قومُ حَميّتنا
وذووها السّلفُ الأعلام
يا عامُ مَلَلْنا أنفسَنا
ولذا مَلَّتنا الأيامُ
وضمائرُ تحيا هاربةً
تهتفُ فيصيب النُّوام
وقلوبٌ بِكْرٌ ريقةُ؟
ما شاب صفاها أصدام



مـــا لـــي يـــا عـــــامُ أخـاطـبـكـم

فـلــزمــنــي أنــــــت.. وأرقـــــام

مـــا حَـــــلَّ بـــنـــا فَـبـأيـديـنـا

وجــــنـــــاهُ نــــحــــن.. وظـــلام

الـــلـــــه أمـــــرنــــا فـعـصـيـنـا

ونـــهـــى.. فــاجــتــرمــت آثـــام

وهـــجـــرنـــا مــنــهـــج خـالـقـنـا

فـــلـــكـــلٍّ مــــنّـــا أصـــنــــام

والحـــــــلُّ الأول والأولـــــــى

عُـــــــودوا لـــلـــــه.. وإســـــلام

فــعـــســـى رحــــمـــتـــه تــدركــنــا

وتـــضـــيـــقُ مـــن الحــــذر الــهَـــام

****



٣ - حضارتنا الزائفة

[البسيط]

هـذي الحـضـارةُ فـي أدنـى معانيها
تعطي الجسومَ وتنسى جوهرًا فيها!

تُقيمُ للجسم سلطانًا وهيمنةً
وتنبري لعذابِ الروحِ تشقيها!

وآزرتْها نفوسٌ ضلَّ هاجسها
فزينتْ في دهاءٍ سُوءَ حاديها!

☆☆☆☆

وشِقوةُ الناسِ، مُذْ كانوا، نفوسُهُمُ
تَؤُزُّ أجسادَهم شرًّا فتُرْديها!

بئس الحياةُ إذا كانت توجّهُها
تلك النفوسُ، وقد نامت نواهيها!

فتستحيلُ حياةُ الناس مجزرةً
ويمخُرُ الشرُّ في شتى نواحيها!

☆☆☆☆

يا حسرتاهُ على الإنسان قد عَمِيَتْ
منه البصيرةُ وامتدّتْ غواشيها!

يعمى عن الرشد في القرآن وا أسفا!
ويُبصرُ الغيِّ في دنياه تنزيها!

سمّى الفواحشَ فنًّا من سفاهتهِ
وراحَ يسفكُ طُهْرَ الغيدِ حاميها!

وأين ما كان من أخلاقٍ مؤمنِنا
يروي طهارتَها التاريخُ تنويها؟!

وأين أجنحةٌ طِرنا بها شُهُبًا
فدانت الأرضُ قاصيها ودانيها؟!

أين الأُلى حملوا القرآنَ في رَشَدٍ
فَعَمَّ نورُهُمُ الدنيا وما فيها؟!

همُ الأباةُ، وربُّ الكونِ أرسلهم
ليغسلوا الأرضَ من أدرانِ طاغيها!

شقّوا الطريقَ، ونورُ الله مرشدُهمْ
وسُنَّةُ المصطفى تجلو خوافيها!

هذا (قتيبةُ)، شرق الأرضِ حرّرهُ
و(طارقُ) الفتحِ، أرض الغرب يهديها!

حتى استقامَ لهم ما شاء ربّهُمُ
من الأمور!! تعالى الله مُجْريها!

☆☆☆☆

فأين نحن من الماضي المجيدِ؟ وهل
صُنّا الأمانةَ؟ أم ضاعتْ غواليها؟!

خُنّا الأمانةَ والأخلاق وا أسفا!!
فاجتاحَ دولتَنا الإعصارُ مُنْهيها!

☆☆☆☆

لـو غيَّر الـقـومُ مـا فـي الـنفسِ لانكشفتْ

هــذي المـفـاسـدُ، وانجــابــتْ طـواغـيـهـا!

وبُـــدَّلـــوا بــهــبــوطِ الــعــيــشِ أجـنـحـةٌ

تـسـمـو بـأمّـتـنـا والـــلـــهُ راعـيــهــا!!

فـبـالـصَّــلاحِ يـظـلُّ الــقــومُ فـي شـمَـمٍ!!

وبـــالـــذنـــوب يُـــــذِلُّ الــلـــهُ جـانـيـهـا!!

****

قائمة المصادر والمراجع

١- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنوإسلامية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

٢- الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.

٣- د.أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.نهضة مصر، ١٩٩٠م.

٤- جريدة أنجمينا اليوم عدد١٢١، ٢٨/٣/١٩٩٤.





٥- حبيب عمر: الشيخ عبدالحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي.

٦- عباس محمد عبدالواحد: مقدمة ديوانه «الملامح»، تقديم د.محمد حسين، ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م.

٧- د.عبدالرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٨- فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢م.

٩- الطالبة/ قمسو جرمه: صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث متريز، إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٤ كلية الآداب جامعة أنجمينا.

١٠- الباحث/ محمد بشير عثمان: عبدالواحد حسن السنوسي حياته وأدبه، مترير بجامعة انجمينا إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٣م.

١١- د.محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٥م.

١٢- محمد بيلو: إنفاق الميسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ١٩٩٦م.

١٣- محمد الحبيب: ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبدالحق السنوسي، (بحث) ٢٠٠١.

١٤- د.محمد صالح أيوب: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي في دار وداي، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل بتشاد، ط١، ليبيا.

****



المحتوى

الشعراء







****

المؤلف في سطور

- د .محمد فوزي مصطفى خليل
- جمهورية مصر العربية – محافظة الدقهلية– السنبلاوين
- دكتوراه في الأدب والنقد بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر ١٩٩٩م.
- ماجستير في الأدب والنقد بتقدير ممتاز، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٩٤م.
- عمل في بداية حياته في التدريس للمرحلة الثانوية بالأزهر الشريف.
- تم تعيينه في وظيفة مدرس بقسم اللغة العربية والدرسات الإسلامية بكلية التربية بالعريش جامعة قناة السويس.
- ابتعثه الأزهر الشريف للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية في كليتي الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، وكلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل بتشاد لمدة أربع سنوات من سنة ٢٠٠٠ – ٢٠٠٤م.
- أوفدته وزارة الخارجية المصرية في مهمة قومية تحت اسم «خبير» للتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة جمال عبدالناصر في جمهورية غينيا كوناكري في الفترة من ٢٠٠٥ – ٢٠٠٨م وتولى رئاسة قسم اللغة العربية.
- أوفدته وزارة الخارجية مرة أخرى للتدريس في جامعة السلام والمصالحة بجمهورية بوروندي للعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م وتولى منصب المدير الأكاديمي للجامعة.
- شارك في عديد من المؤتمرات الدولية داخل مصر وخارجها.
- حصل على وشاح كلية الآداب جامعة أنجمينا.

- حصل على عديد من شهادات التقدير من جامعات إفريقية منها جامعة أنجمينا بتشاد وجامعة جمال عبدالناصر بغينيا كوناكري وجامعة السلام والمصالحة ببوروندي.
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو الجمعية المصرية للدراسات السردية.
- عضو مجلس إدارة نادي الأدب بالعريش.

صدر له الكتب الآتية:

- الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، ٢٠٠٣م.
- جماليات الأمثال في الأدب الإفريقي. مصر – تشاد – غينيا، نموذجًا، دراسة مقارنة، ٢٠٠٩م.
- المستويات الجمالية في مسرحيات الأطفال، ٢٠١٠م.
- جماليات الفكاهة وتجليات القيم في مسرحيات الأطفال، ٢٠١١م.
- جماليات التشكيل، قراءة في نصوص معاصرة، ٢٠١٢.
- محاضرات في النقد الأدبي، ٢٠١٢م.
- أشرف على كثير من أبحاث درجة التمكن «المتريز» في الجامعات الإفريقية؛ ومن أهمها: جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، جامعة الملك فيصل بتشاد، جامعة جمال عبدالناصر بجمهورية غينيا كوناكري، وجامعة السلام والمصالحة بجمهورية بوروندي.



****







